

صنعة
الاسكندر
١٤٠١

الجزء الخامس

دار الكتب الخديوية

كتاب

صنعة الأربعة

تأليف

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

الجزء الخامس

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب الخديوية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
١٣٣٣ هـ
١٩١٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله وصحبه

المقصود الثاني

(في ممالك جزيرة العرب الخارجة عن مضافات الديار المصرية)

قد تقدّم في الكلام على مملكة الديار المصرية ومضافاتها ذكر جزيرة العرب، وأنه يحدها: من جهة الغرب بحر القلزم، ومن جهة الجنوب بحر الهند، ومن جهة الشرق بحر فارس، ومن جهة الشمال القُرات. وأنها تحتوى الحجاز ونجدا وتهامة واليمن واليمامة والبحرين، وقطعةً من بادية الشام، وقطعةً من بادية العراق.

وتقدّم هناك الكلام على ما هو مضاف إلى مملكة الديار المصرية منها. منها مكة، والمدينة، على الحالّ بها أفضل الصلاة والسلام، والتَّحِيّة والإكرام، والنبُّع، وما هو من بادية الشام كتندمُر ونحوها.

والمقصود هنا الكلام على باقي أقطارها، التي لم تدخل في مضافات الديار المصرية.

ويتوجه القصد منها إلى ثلاثة أقطار:

القُطْرُ الأول (اليَمَن)

قال في ”اللباب“ : بفتح المشاة التحتية والميم وفي آخرها نون . قال : وينسب إليه يَمَنِيٌّ وَيَمَانِيٌّ . وهو قطعة من جزيرة العرب : يَحْدُها من الغرب بحر القُلتزم، ومن الجنوب بحر الهند ، ومن الشَّمال بحر فارس ، ومن الشرق حدود مكة حيث الموضع المعروف بطَلْحَة المَلِك ، وما على سَمْت ذلك إلى بحر فارس .

وقد وردت السَّنة بتفضيله بقوله صَلَّى اللهُ عليه وسلم : ”الإِيْمَانُ يَمَانٍ“ .

وَأُخْتَلِفَ في سبب تسميته باليمن فقليل : سَمِيَ بِيَمَنٍ بن حِطَّان . وقيل : إن حِطَّان نفسه كان يسمَّى بِيَمَن . وقيل : سَمِيَ بِيَمَنٍ بن قَيْدَار . وقيل : سَمِيَ بذلك لأنه عن يمين الكعبة . قال ”أَبْنُ الكَلْبِيِّ“ : سَمِيَتْ بذلك لِتِيَامُنِهِمْ إليها . قال ”أَبْنُ عَبَّاسٍ“^(١) : أَسْتَنْبَ النَّاسُ وَهَمَّ الْعَرَبُ فْتِيَامُنُوا إِلَى الْيَمَنِ فَسَمِيَتْ بِذَلِكَ . وقيل : تِيَامَنْتُ بَنُو يَقْطُنَ إِلَيْهَا فَسَمِيَتْ بِذَلِكَ . وقيل : لَمَّا كَثُرَ النَّاسُ بِمَكَّةَ وَتَفَرَّقُوا عَنْهَا ، التَّامَّتْ بَنُو يَمَنٍ إِلَى الْيَمَنِ وَهُوَ أَيْمَنُ الْأَرْضِ .

وهو إقليم متسع له ذِكْرٌ في القديم ، وبه كان قَوْمٌ سَبِيْلُ الْمَنْصُوصِ خَبْرُهُمْ في سورة ”سَبَأٍ“ وَبَلْقَيْسُ الْمَذْكُورُ عَرْشُهَا في سورة ”النَّمْلِ“ .

وقد ذكر ”البكري“ : أن عَرْضَهُ سِتَّ عَشْرَةَ مَرَحَلَةً ، وَطَوْلُهُ عَشْرُونَ مَرَحَلَةً . قال في ”مسالك الأبصار“ : وله ذكر قديم . قال : وهو كثير الأمطار ، ولكن لا تَنْشَأُ مِنْهُ السَّحُبُ ، وَيُمْطَرُ الْمَطَرُ فِي الْغَالِبِ مِنْ وَقْتِ الزَّوَالِ إِلَى أَنْحِرَاتِ النَّهَارِ .

(١) عبارة ”ياقوت“ عن ابن عباس تفرقت العرب فن تيامن منهم سميت اليمن .

قال الحكيم "صلاح الدين محمد بن البرهان": وأكثر مطره في أخريات الربيع إلى وسط الصيف . وهو إلى الحر أميل ، وبه الأنهار الجارية ، والمُروج الفيح ، والأشجار المتكاثفة في بعض أماكنه ، وله ارتفاعٌ صالح من الأموال ، وغالب أمواله موجبات التجار الواصلين من الهند ومصر والحبشة ، مع ما لها من دخل البلاد .

وذكر عن الحكيم صلاح الدين المذكور ، أن لأهل اليمن سياداتٍ بينهم محفوظة ، وسعاداتٍ عندهم ملحوظة ، ولأكابرها حظٌّ من رفاهية العيش والتنعيم والتفنن في المأكول : يُطبخ في بيت الرجل منهم عدة ألوان ، ويعمل فيها السكر والقلوب ، وتُطيب أوانيها بالعطر والبخور ، ويكون لأحدهم الحاشية والغاشية ، وفي بيته العدد الصالح من الإماء ، وعلى بابه جملة من الخدم والعبيد والحصيان من الهند والحبوش ، ولهم الديارات الجليلة ، والمباني الأنيقة ، إلا الرخام ودهان الذهب واللازورد ، فإنه من خواص السلطان ، لا يشاركه فيه غيره من الرعايا . وإنما تُفرش دُور أعيانهم بالخافق ونحوه ، على أن ابن البرهان قد غصّ من اليمن في أثناء كلامه فقال : وأسم اليمن أكبر منه ، لا تُعدّ في بلاد الحُصْب بلادُه .

وذكر في "مسالك الأبصار" أنه ليس باليمن أسواق مرضية دائمة ، إنما يُقام لها سوق يوم الجمعة : تُجلب فيه الأجلاب ، ويُخرج أرباب الصنائع والبضائع بضائعهم وصنائعهم : فيبيع من يبيع ، ويشتري من يشتري ، من أعوزه شيء في وسط الجمعة لا يكاد يجده إلا المأكول .

ثم اليمن على قسمين :

القسم الأول (التَّهائم)

وهي المنخفض من بلاده . قال في "مسالك الأبصار" : وهي باردة الهواء
طيبة المسكن . وفيه أربع جُمَلٍ :

الجملة الأولى

(في ذكر ما أشتمل عليه من القواعد والمدن)

قال في "مسالك الأبصار" : وهو يشتمل على عدة بلاد ، وقلاع ، وحصون حصينة ،
ولكن يفصل البر ما بين بعضها عن بعض . وبه قاعدتان :

القاعدة الأولى

(تعز)

وهي مصيف صاحب اليمن . قال في "تقويم البلدان" : بكسر المشاة من فوق^(١)
والعين المهملة وزاي معجمة في الآخر . وموقعها في الإقليم الأول من الأقاليم
السبعة . قال : والقياس حيث الطول خمس وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض
ثلاث عشرة درجة وأربعون دقيقة . قال : وهي في زماننا هذا مقر ملوك اليمن
(يعني من أولاد رسول الآتي ذكرهم في الكلام على ملوكه) .

ثم قال : وهي حصن في الجبال ، مطلق على التهائم وأراضي زبيد ، وفوقها منته
يقال له مهلة ، قد ساق له صاحب اليمن المياه من الجبال التي فوقها ، وبني فيها
أبنية عظيمة في غاية الحسن في وسط بستان هناك .

(١) ضبطها ياقوت في معجم البلدان بفتح التاء وكسر العين وقال المجد كتفل .

قال في "الروض المعطار" : ولم تزل حصنا للولوك . قال : وهو بلد كثير الماء ، بارد الهواء . كثير الفاكهة . قال : ولسلطانهم بستان يعرف بالينعات ، فيه قبة ملوكية ، ومقعد سلطاني ، فرشهما وأزرهما من الرخام الملون ، وبهما عمدة قليلة المثل ، يجري فيهما الماء من نضات تملأ العين حسنا ، والأذن طربا ، بصفاء نيرها ، وطيب تحريرها ، وترى شبابيكهما على أشجار قد نُقِيت إليه من كل مكان : تجمع بين فواكه الشام والهند ، لا يقف ناظر على بستان أحسن منه جمعا ، ولا أجمع منه حسنا ، ولا أتم صورة ولا معنى .

القاعدة الثانية

(زَيْدٌ)

وهي مشى صاحب اليمن من بنى رسول . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الزاى المعجمة وكسر الباء الموحدة وسكون المشاة من تحت ودال مهملة . وهي مدينة من تهائم اليمن . قال في "العبر" : بناها محمد بن إبراهيم ، بن عبيد الله ، بن زياد ، ابن أبيه في خلافة المأمون . وموقعها في أوائل الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول أربع وستون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض أربع عشرة درجة وعشر دقائق . قال في "العبر" : وهي مدينة مسورة ، وبها كان مقام بنى زياد ملوك اليمن ، وهم الذين بنوها ، ثم غلب عليها بنو الصليحي . ثم صارت قاعدة بنى رسول . وهي قصبة التهائم ، وهي مبنية في مستو من الأرض ، عن البحر على أقل من يوم ، وماؤها من الآبار ، وبها نخيل كثيرة ، وعليها سور ، وفيها ممانية أبواب .

قال البيروني : وهي قُرْصَة اليمن ، وبها مجتمع التجّار من الحجاز ومصر والحبشة ، ومنها تخرج بضائع الهند والصين . قال المهّاقي : ولها ساحل يعرف بغلا فقة ، وبينهما خمسة عشر ميلا .

قال في "مسالك الأبصار" : وهي شديدة الحر لا يبرد مأوها ولا هواؤها ، وهي أوسع رقعة وأكثر بناء ، ولها نهر جارٍ بظاهرها ، ومساكن السلطان فيها في نهاية العظمة من فرش الرخام والسقوف .

وباليمن عدة مدن سوى القواعد المتقدمة الذكر .

منها (عدن) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح العين والذال المهملتين ونون في الآخر . وهي من تهائم اليمن . قال : وهي خارجة إلى الجنوب عن الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول سبع وستون درجة ، والعرض تسع عشرة درجة . قال في "الروض المعطار" : وأول من نزلها عدن ابن سبأ فعرفت به . قال في "تقويم البلدان" : ويقال لها عدن أبين - بفتح الهمزة وسكون الباء الموحدة وفتح المثناة التحتية ثم نون - وقال في "المشارك" : عن سيويه بكسر الهمزة ، وهو رجل من حمير أضيفت إليه عدن . قال في "العبر" : وهو أبين ابن زهير ، بن الغوث ، بن أيمن ، بن الحميسع ، بن حمير .

وذكر "الأزهري" أن سبب تسميتها بذلك أن الحبشة ^(١) عبرت في سفنهم إليها ، وخرجوا منها فقالوا (عدونه) يريدون خرجنا ، فسميت عدن لذلك . وقيل مأخوذة من قولهم عدن بالمكان إذا أقام به . وهي على ساحل البحر ذات حط وإقلاع . قال في "مسالك الأبصار" : وهي أعظم المراسي باليمن ، وتكاد تكون ثلاثة تعز

(١) الزيادة عن "معجم البلدان" لياقوت .

وَزَيْدَ فِي الدَّكْرِ، وَبِهَا قَلْعَةٌ حَصِينَةٌ مَبْنِيَّةٌ، وَهِيَ خِزَانَةُ مَالِ مُلُوكِ أَيْمَنَ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بِهَا زَرْعٌ وَلَا ضَرْعٌ، وَهِيَ قَرْصَةُ الْيَمَنِ، وَتَحْطُّ رِحَالُ التُّجَّارِ، لَمْ تَزَلْ بِلَدَ تِجَارَةٍ مِنْ زَمَنِ النَّبَايَعَةِ إِلَى زَمَانِنَا، عَلَيْهَا تَرِدُ الْمَرَائِبُ الْوَاصِلَةُ مِنَ الْحِجَازِ وَالسَّنْدِ وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ وَالْحَبَشَةِ، وَيَتَارَأْهُلُ كُلُّ إِقْلِيمٍ مِنْهَا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ إِقْلِيمُهُمْ مِنَ الْبَضَائِعِ. قَالَ "صَلَاحُ الدِّينِ بْنِ الْحَكِيمِ": وَلَا يَخْلُو أُسْبُوعٌ مِنْ عِدَّةِ سَنَيْنَ وَتُجَّارٍ وَارِدِينَ عَلَيْهَا، وَبَضَائِعَ شَتَّى وَمَتَاجِرَ مَنُوعَةٍ، وَالْمَقِيمُ بِهَا فِي مَكَايِيبَ وَافِرَةٍ، وَتُجَّارٌ مُرْجِحَةٌ، وَلَحْطٌ الْمَرَائِبُ عَلَيْهَا وَإِقْلَاعُهَا مُوَاسِمٌ مَشْهُورَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ نَاقُودَةُ السَّفَرِ بِمَرْكَبٍ إِلَى جِهَةٍ مِنْ الْجِهَاتِ، أَقَامَ فِيهَا عَالِمًا بِرَنْكٍ خَاصٍّ بِهِ. فَيَعْلَمُ التُّجَّارُ بِسَفَرِهِ، وَيَتَسَامَعُ النَّاسُ فَيَبْقَى كَذَلِكَ أَيَّامًا. وَيَقَعُ الْإِهْتِمَامُ بِالرَّحِيلِ، وَتُسَارِعُ التُّجَّارُ فِي تَقْلِ أَمْتَعَتِهِمْ، وَحَوْلِهِمُ الْعَبِيدُ بِالْقَهَاشِ السَّرِيِّ وَالْأَسْلِحَةُ النَّافِصَةُ. وَتُنْصَبُ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ الْأَسْوَاقُ، وَيُخْرَجُ أَهْلُ عَدَنَ لِلتَّفَرُّجِ هُنَاكَ.

قَالَ فِي "الْعَبْرِ": وَيُحِيطُ بِهَا مِنْ جِهَةٍ شَمَالِيهَا عَلَى بُعْدِ جَبَلٍ دَائِرٍ إِلَى الْبَحْرِ يَنْتَقِبُ فِيهِ مِنْ طَرَفِهِ ثَقْبَانِ كَالْبَابَيْنِ، بَيْنَهُمَا عَلَى ظَهْرِ الْجَبَلِ مَسِيرَةُ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، وَلَيْسَ لِأَهْلِهَا دُخُولٌ وَلَا خُرُوجٌ إِلَّا عَلَى هَذَيْنِ الثَّقْبَيْنِ أَوْ مِنَ الْبَحْرِ. وَكَانَ مُلْكُهَا لِبَنِي مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ، ثُمَّ لِبَنِي زِيَادٍ: أَصْحَابِ زَيْدٍ، ثُمَّ أَنْتَرَعَهَا مِنْهُمْ أَحْمَدُ بْنُ الْمَكْرَمِ الصُّلَيْحِيُّ، وَصَفَا الْمُلُوكَ فِيهَا لِبَنِي الزُّرَيْعِ مِنْهُمْ، وَبَقِيَتْ بِأَيْدِيهِمْ حَتَّى مَلَكَهَا مِنْهُمْ (تُورَانُ شَاه) ابْنُ أَيُوبَ: أَوَّلُ مُلُوكِ الْيَمَنِ مِنَ الْإِيُوبِيَّةِ، وَمِنْ الْإِيُوبِيَّةِ أَنْتَقَلَتْ لِبَنِي رَسُولِ مُلُوكِ الْيَمَنِ الْآنَ.

وَذَكَرَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" عَنْ الْحَكِيمِ "صَلَاحِ الدِّينِ بْنِ الْبَرْهَانَ" أَنَّهُ أَقَامَ بِهَا مَدَّةً، وَقَالَ إِنَّ الْمَقِيمَ بِهَا يَحْتَاجُ إِلَى كُفَّةٍ فِي التَّفَقَّاتِ: لَأَرْتِفَاعِ الْأَسْعَارِ بِهَا فِي الْمَاكِلِ

(١) فِي مَادَّةِ (ن خ ذ) مِنَ الْقَامُوسِ "النَّوَاحِدَةُ مَلَكَ سَفْنَ الْبَحْرِ أَوْ كَلَّوْهُمْ مَعْرَبَةً لِوَاخِدَةٍ نَاخِذَةً" فَانْظُرْهُ.

والمشارب ، ويحتاج المقيم بها إلى ما يتبرّد به في اليوم مرّاتٍ في زمن قوّة الحرّ .
قال : ولكنهم لا يبالون بكثرة الكلف . ولا يسوّء المقيم لكثرة الأموال النامية .

ومنها (ظفار) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الظاء المعجمة والفاء وألف وراء
مهملة . قال : وهي من تهائم اليمن ، من أوائل الإقليم الأول من الأقاليم السبعة .
قال في "القانون" : حيثُ الطول سبع وستون درجةً ، والعرض ثلاث عشرة
درجة وثلاثون دقيقة .

قال السهيلي : وهي مدينة عظيمة ، بناها مالك بن أبرهة ذي المنار . وذكر
في "العبر" أنها كانت دار ملك التبابعة ، وحربها أحمد النخوذ سنة تسع عشرة
وستمئة لأنها لم يكن لها مرّسى ، وبني على الساحل مدينة ظفار بالضم ،
وسماها الأحمدية .

قال في "تقويم البلدان" : وهي مدينة على ساحل خور قد خرج من البحر
الجنوبي وطعن في البر في جهة الشمال نحو مائة ميل ، ومدينة ظفار على طرفه .
ولا تخرج المراكب من ظفار في هذا الخور إلا بريح البرّ ، ويُقلع منها في الخور المذكور
إلى الهند . قال : وهي قاعدة بلاد الشجر ، ويوجد في أرضها كثير من نبات الهند
كالرايح والتنبّل ، وشمال ظفار رمال الأحقاف التي كان بها قوم عاد ، وهي المذكورة
في القرآن ، وبينها وبين صنعاء أربعة وعشرون فرسخاً . قال : وعن بعضهم أن لها
بساتين على السواقي .

قال في "مسالك الأبصار" : وهي في زماننا لأولاد الوائق ابن عم صاحب اليمن .
قال : وهم وإن أطلق عليهم اسم الملك ثواب له . وذكر أن البضائع منها تُنقل

(١) سارة "العبر" (ج ٤ ص ٢٢٦) مدينة ضفا بصم الصاد المعجمة اهـ .

في زوارق حتى تخرج من خورها، ثم تُوسق في السفن . قال في "العبر" : وكانت منزلة الملوك في صدر الدولتين .

ومنها (حَلَى) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الحاء المهملة وسكون اللام ثم ياء مشناة من تحت . وهي بلدة من اليمن ، واقعة في الإقليم الأول . قال في "الأطوال" : حيث الطول ست وستون درجة ، والعرض ثلاث عشرة درجة وثلاثون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي من أطراف اليمن من جهة الحجاز وتعرف بحلى ابن يعقوب .

ومنها (المَهَجَم) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الميم وسكون الهاء وجيم وميم . وهي مدينة من تهامة اليمن ، واقعة في الإقليم الأول . قال في "الأطوال" : حيث الطول أربع وستون درجة ، والعرض ست عشرة درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي من أجل مدن اليمن ، وهي عن زَيْد ثلاثة أيام [وهي] في الشرق والشمال عن زَيْد ، وعن صنعاء على ست مراحل . قال الإدريسي : ومن عدن على ست مراحل .

ومنها (حصن الذملوة)^(١) . قال في "تقويم البلدان" : بكسر الدال المهملة وسكون الميم ثم لام وواو وهاء في الآخر . وهو حصن من حصون اليمن ، واقع في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال أبو العقول : حيث الطول أربع وستون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض أربع عشرة درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهو حصن في شمال عدن في جبال اليمن ، قال ابن سعيد : وهو على الجبل المتد من الجنوب إلى الشمال ، وهو خزانة صاحب اليمن ، ويضرب بامتناعه وحصانته المثل .

(١) ضبطها ياقوت في معجمه فقال - بضم أوله وسكون ثانيه وضم اللام وفتح الواو .

ومنها (الشَّرْجَة) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الشين المعجمة وسكون الراء المهملة وجيم وهاء . وهي مينا على ساحل البحر ، واقعة في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول خمس وستون درجة ، والعرض سبع عشرة درجة وثلاثون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي صغيرة وبيوتها أخصاص .

ومنها (جُبْلَة) . قال في "تقويم البلدان" : بضم الجيم وسكون الباء الموحدة ولام مفتوحة وهاء . وهي مدينة بين مدَنَ وصنعاء ، واقعة في الإقليم الأول . قال : وقياس قول أبي العنقول أنها حيث الطول خمس وستون درجة ، والعرض ثلاث عشرة درجة وعشر دقائق . قال : وهي على نهرين ولذلك يقال لها مدينة النَّهْرَيْنِ . قال بعض الثقات : وبينها وبين تَعَزَّ دون يوم ، وهي عن تَعَزَّ في الشرق بميلة يسيرة إلى الشمال .

ومنها (الجَنْد) . قال في "اللباب" : بالجيم والنون المفتوحتين ودال مهملة في الآخر . وهي مدينة شمالي تَعَزَّ ، على نحو نصف مرحلة منها ، واقعة في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول خمس وستون درجة ، والعرض أربع عشرة درجة وثلاثون دقيقة . وهي عن صنعاء على ثمانية وأربعين فرسخاً ، وعن ظفار على أربعة وعشرين فرسخاً .

وقال الشريف الإدريسي : هي بين دَمَار وبين زَيْدَة . وهو بلد جليل به مسجد جامع يُنسَبُ لمُعَاذِ بْنِ جَبَلِ الصَّحَابِيِّ رضي الله عنه ، وعلى القرب من الجَنْدِ وادي سَحُولٍ ، ومنه يسير في صحارى إلى جبل عَرَضُهُ أحد وعشرون فرسخاً ، ثم يسير في صحراء ورمال إلى مدينة زَيْدَة . والجَنْدُ بلد وخَم في غاية الوخامة ، وأهله شبيعة .

ومنها (سَرَّين) . قال في "اللباب" : بكسر السين المهملة وفتح الراء المهملة المشددة وسكون المثناة من تحت ونون في الآخر . وهي بلدة على تسعة عشر فرسخا من حَلِيٍّ ، في جهة الشمال منها . واقعة في آخر الإقليم الأول . قال في "الأطوال" : حيث الطول ست وستون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض عشرون درجة . وقال المهلب : هي مدينة على ساحل البحر على أربعة أيام من مكة . قال الإدريسي : وهي على القرب من قرية يَلَمَمَ : ميقات أهل اليمن للإحرام .

ومنها (مِرْبَاطُ) . قال في "تقويم البلدان" : بكسر الميم وسكون الراء المهملة ثم باء موحدة وألف بعدها طاء مهملة . وهي بلدة على ساحل خور ظفار المقدم ذكره . قال : وهي خارجة عن الإقليم الأول من الأقاليم السبعة إلى الجنوب أومنه . قال في "الأطوال" : حيث الطول اثنتان وسبعون درجة ، والعرض اثنتا عشرة درجة . قال ابن سعيد : وهي في الشرق والجنوب عن ظفار . قال الإدريسي : وقبر هود عليه السلام منها على خمسة أيام . قال في "نزهة المشتاق" : ويجبال مِرْبَاطُ يَنْبُتُ شَجَرُ اللَّبَانِ ، ومنها يجهز إلى البلاد .

ومنها (بلاد مَهْرَة) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الميم ثم هاء ساكنة وراء مهملة مفتوحة وهاء في الآخر . والمراد بمَهْرَة بنو مَهْرَة بن حَيْدَانَ : قبيلة من قبائل اليمن ، وقد بسطت القول على ذلك في كتابي المسعى "بنهاية الأرب في معرفة قبائل العرب" . وموقعها في الإقليم الأول . قال في "الأطوال" : وآخرها حيث الطول خمس وسبعون درجة ، والعرض ست عشرة درجة . قال في "تقويم البلدان" : وليس بها نخيل ولا زرع وإنما أموال أهلها الإبل . قال : وألستهم مستعجمة لا يكاد يُوقَفُ عليها ، ويُنسَبُ إليها البَحْثُ المفضلة ، ويحمل منها اللبان إلى الآفاق .

ومنها (الشَّحْر) بكسر الشين المعجمة وسكون الحاء المهملة وراء مهملة في الآخر.
قال ياقوت الحموي : وهي بليدة صغيرة، ولم يزد على ذلك . والذي يظهر أن لها
إقليما ينسب إليها، وإليها ينسب العنبر الشَّعْرِيُّ على ما تقدم القول عليه في الكلام على
ما يحتاج الكاتب إلى وصفه في المقالة الأولى .

الجملة الثانية

(في ذكر حيوانه ، وحبوبه ، وفواكهه ، ورياحينه ومعاملاته ، وأسعاره)

وأنا أذكر جملة من ذلك على ما ذكره في "مسالك الأبصار" عن أبي جعفر أحمد
ابن محمد المتدسي المعروف بابن غانم كاتب الإنشاء بها، وأبي محمد عبد الباقي بن
عبد المجيد اليمنى الكاتب

أما حيوانه - فيه من الحيوان الخيل العربية الفائقة، والبغال الجيدة للركوب
والخيل، والحمر، والإبل، والبقر، والغنم، ومن الطير الدجاج، والإوز، والحمام،
وفيها من الوحوش الزرافة والأسد، والغزلان، والقردة، وغير ذلك .

وأما حبوبه - فيه من الحبوب الحنطة والشعير والذرة والأرز والسَّمْسِم، وغالب
قوتهم الذرة وأقله الحنطة والشعير .

وأما فواكهه فيه العنب، والرمان، والسفرجل، والتفاح، والخوخ، والتوت،
والموز، والليمون، والأترج، في أنواع أخرى من الفاكهة قليلة المقدار، وبه البطيخ
الأخضر والأصفر .

قال ابن البرهان : وغالب ما يوجد بمصر من الفواكه يوجد باليمن ، إلا أنه بالغ في وصف السفرجل به .

وأما أسعاره فرخيّة في الغالب . وذكر ابن البرهان أن الحنطة فيه تغلّو، والحموم فيه رخيصة .

الجملة الثالثة

(في الطريق الموصلة إلى اليمن)

وله طريقان : طريق في البر، وطريق في البحر .

أما طريقه في البر، فالطريق من مصر إلى مكة معروفة . قال في "تقويم البلدان" : ومن مكة إلى عدن نحو شهر . قال : ولها طريقان : أحدهما على ساحل البحر، وهو الأبعد . والثاني على نجران، وجرش، وصعدة، وصنعاء، وهو الأقرب .

وأما في البحر، فن مصر إلى السويس ثلاثة أيام في البر، ثم يركب في البحر إلى زبيد وعدن . وربما عدل المسافرون عن السويس إلى الطور فتطول الطريق في البر، وتقصّر في البحر، وربما وقع السفر إلى قوص في النيل أو في البر، ثم من قوص إلى عيذاب أو إلى القصير، فيركب في البحر إلى زبيد أو عدن .

الجملة الرابعة

(في ذكر ملوكه : جاهلية وإسلاما)

أما ملوكه في الجاهلية فعلى عشر طبقات :

الطبقة الأولى

(العادية)

وهم بنو عاد بن عوص ، بن إرم ، بن سام ، بن نوح عليه السلام .
وكانت منازلهم بالأحقاف من اليمن ، وعمّان من البحرين إلى حضرموت
والشحر .

وأول من ملكها منهم (عاد) المقدم ذكره . ويقال : إنه أول من ملك
من العرب وطال عمره وكثر ولده ، حتى يقال إنه ولد أربعة آلاف ولد ذكراً
لصلبه ، وتزوج ألف امرأة ، وعاش ألف سنة ومائتي سنة . وقال البيهقي :
عاش ثلاثمائة سنة .

ثم ملك بعده ابنه (شديد) بن عاد .

ثم ملك بعده ابنه الثاني (شدّاد) بن عاد وسار في الممالك ، وأستولى على كثير من
بلاد الشام والعراق والهند ويقال إنه ملك مصر أيضاً .

ثم ملك بعده ابنه (إرم) بن عاد .

والذي ذكره المسعودي أنه ملك بعد عاد بن عوص ابنه عاد بن عاد وأن جيرون
ابن سعد بن عاد كان من ملوكهم ، وأنه الذي أختط مدينة دمشق ومصرها ، وإليه
ينسب باب جيرون بها كما تقدم في الكلام عليها في مضافات الديار المصرية .

وذكر ابن سعيد : أن شدّاد بن بدّاد ، بن حدّاد ، بن شدّاد ، بن عاد غلب
قفط بن قبط على أسافل الديار المصرية ، ثم هلك هناك ، ويقال إن ملكهم على عهد

هود عليه السلام كان اسمه الخَلْجَان بن عاد، بن رقيم، بن عاد الأكبر، ولقمان بن عاد
ابن عاديا بن صداقا بن لقمان، وكفر الخَلْجَان، وأهلك الله من كفر منهم بالريح العقيم .
وأنقل ملك لقمان إلى ولده (لُقَيْم) وأصل ملك لقمان ورهطه ألف سنة أو أكثر
إلى أن غلبهم عليه يَعْرُبُ بن قَطَان الآتي ذكره .

الطبقة الثانية

(القَطَانِيَّة)

وأول من ملك منهم (قَطَانُ) بن عابر، بن أرغشدة، بن سام، بن نوح عليه
السلام . قال المؤيد صاحب حماة : وهو أول من ملك اليمن وليس التاج .
ثم ملك بعده أبوه (يَعْرُبُ) بن قَطَان، وغلب عادا على اليمن، وعظم ملكه .
وهو أول من حياهم قومه بتحية الملك، وولى أخاه حَضْرَمَوْتَ بن قَطَان على بلاد
حَضْرَمَوْتَ فعرفت به، وولى أخاه عُثْمَانَ بن قَطَان على بلاد عُثْمَانَ من البحرين
فُعُرفت به .

ثم ملك بعده أبوه (يَشْجُبُ) بن يَعْرُب .

ثم ملك بعده أبوه (عَبْدُ شَمْسٍ) وأكثر الغزو والسبي، فسمى سَبَأً، وبني قصر
سبأ ومدينة مأرب باليمن . ويقال : إنه غزا مصر، وبني بها مدينة عين شمس،
التي أثرها بالقرب من المطرية الآن .

ثم ملك بعده أبوه (حَمِيرٌ) خمسين سنة، وهو أول من نتوج بالذهب .

ثم ملك بعده أبوه (وَأَيْلٌ) . وقيل : بل ملك بعده أخوه (كَهْلَان) .

ثم ملك بعد وائل آبنه (السَّكْسَكُ) .

ثم ملك بعده آبنه (يَعْفُرُ) بن السَّكْسَكِ .

ثم غلب على الملك (عامر) بن باران ، بن عوف ، بن حمير ، ويعرف
بذي رِيَّاش .

ثم ملك بعده آبنه (المُعَاوِرُ) وأسمه النعمان بن يَعْفُرُ المقدم ذكره .

ثم ملك بعده ابنه (أَسْمَحُ) ^(١) بن النعمان ، فاضطرب أمر حمير، وصار ملكهم
في طوائف إلى أن ظهرت ملوك التَّبَايِعَةِ .

ويقال : إنه ملك منهم (أَيُّنُ) بن زهير، بن الغوث، بن أيمن، بن الهَمَيْسَعِ ،
وإليه تنسب عدن أيمن على ما تقدم ذكره .

وملك منهم أيضا (عبد شمس) بن وائل ، بن الغوث ، بن حيدان ، بن قطن ،
ابن عريب ، بن زهير ، بن أيمن ، بن الهَمَيْسَعِ ، بن حمير .

وملك منهم أيضا (حَسَّانُ) بن عمرو ، بن قيس ، بن معاوية ، بن جشم ،
ابن عبد شمس .

ثم ملك بعده أخوه (أُقْمَانُ) . ثم أخوه (ذو شدد) : وهو ذو مَرَّاثِد . ثم آبنه
(الصَّعْبُ) ويقال : إنه ذو القرنين . ويقال : إن بني كَهْلَانَ بن سبئٍ داوُلُوا
بني حمير في الملك .

وملك منهم (جَبَّارُ) بن غالب ، بن زيد ، بن كَهْلَانَ ، وأنه ملك من شُعُوبِ حَقْطَانَ
أيضا (نَجْرَانُ) بن زيد ، بن يَعْرُبَ ، بن حَقْطَانَ ، وبه عرفت نَجْرَانُ المقدم ذكرها .

(١) في "العبر" أسهم بتقديم الحاء على الميم .

الطبقة الثالثة

(التابعة)

إِذَا بَعْنَى أَنَّ النَّاسَ يَتَّبِعُونَهُمْ كَمَا قَالَ السَّهَيْلِيُّ وَالزُّمَّشَرِيُّ ، وَإِذَا بَعْنَى أَنَّهُ يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كَمَا قَالَ أَبُو سَيْدَةَ . قَالَ فِي " الْعَبْر " : وَكَانَتْ مَنَازِلُهُمْ ظَفَارٍ .

وَأَوَّلُ مَنْ مَلَكَ مِنْهُمْ (الْحَارِثُ) بْنُ ذِي شَدَدٍ ، بْنُ الْمَلْطَاطِ ، بْنُ عَمْرٍو ، بْنُ ذِي يَقْدَمٍ ، بْنُ الصَّوَارِ ، بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ ، بْنُ وَائِلٍ ، بْنُ الْغَوْثِ ، بْنُ حِيدَانَ ، بْنُ قَطْنٍ ، أَبُو عَرَيْبٍ بْنُ زُهَيْرٍ ، بْنُ الْغَوْثِ بْنُ أَيُّمْنَ بْنِ الْهَمَيْسَعِ ، بْنُ حَمِيرٍ ، بْنُ سَبِيٍّ . وَاسْمُهُ الرَّائِشُ لِأَنَّهُ لَمَّا مَلَكَ النَّاسَ رَاشَهُمْ بِالْعَطَاءِ . قَالَ السَّهَيْلِيُّ وَكَانَ مُؤْمِنًا .

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ (أَبْرَهَةُ ذُو الْمَنَارِ) مِائَةً وَثَمَانِينَ سَنَةً قَالَ الْمَسْعُودِيُّ . وَقَالَ أَبُو هِشَامٍ هُوَ أَبْرَهَةُ بْنُ الصَّعْبِ ، بْنُ ذِي مَرَائِدٍ ، بْنُ الْمَلْطَاطِ الْمَقْدَمُ ذَكَرَهُ ، وَاسْمُهُ ذَا الْمَنَارِ لِأَنَّهُ رَفَعَ مَنَارًا يُهْتَدَى بِهِ

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ (إِفْرِيقِشُ) بْنُ أَبْرَهَةَ مِائَةً وَسِتِّينَ سَنَةً .

وَقَالَ هِشَامُ ابْنُ الْكَلْبِيِّ هُوَ إِفْرِيقِشُ ، بْنُ قَيْسٍ ، بْنُ صَيْفِيٍّ أَخَى الْحَارِثِ الرَّائِشِ وَسَارَ إِلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَفَتَحَ أَفْرِيقِيَّةَ فَعُرِفَتْ بِهِ .

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَخُوهُ (عَمْرٍو الْعَبْدُ) بْنُ أَبْرَهَةَ الْمَعْرُوفُ بِذِي الْأَذْعَارِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً . قَالَ الْمَسْعُودِيُّ : وَاسْمُهُ ذَا الْأَذْعَارِ لِكَثْرَةِ دُغْرِ النَّاسِ مِنْهُ . قَالَ وَكَانَ عَلَى عَهْدِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ .

وَقَالَ الطَّبْرِيُّ : عَمْرٍو بْنُ أَبْرَهَةَ ذِي الْمَنَارِ ، بْنُ الْحَارِثِ الرَّائِشِ ، بْنُ قَيْسٍ ، ابْنُ صَيْفِيٍّ ، بْنُ سَبِيٍّ الْأَصْغَرِ .

ثم ملك بعده (المهّداد) بن شَرْحِيل، بن عمرو ذى الأذعار ست سنين
أو عشر سنين، وهو ذو الصَّرح .

ثم ملك بعده آبنته (بَلْقِيسُ) بنت المهّداد بن شَرْحِيل سبع سنين وهى صاحبة
القصة مع سليمان عليه السلام .

وقال الطبرى : بَلْقِيسُ هى يَلَقَمَةُ بنت لَيْشَرَح بن الحارث بن قيس .

ثم ملك بعدها (سليمان) عليه السلام . ثم أقاموا فى مُلكه ومُلك بنيه أربعاً
وعشرين سنة .

ثم ملك (ناشر) بن عمرو ذى الأذعار. ويقال له ناشرينعم، وربما قيل ناشرأنعم،
سُمى بذلك لإنعامه عليهم . وقال السهيلي : ناشر بن عمرو . ثم قال : ويقال له
ناشر النعم . وقال المسعودي : ناشر بن عمرو ذى الأذعار . وقيل ناشر بن عمرو ،
ابن يعفر، بن شَرْحِيل، بن عمرو ذى الأذعار، وسار إلى وادى الرمل بأقصى
الغرب ، فلم يجد وراءه مذهباً ، فنصب صنماً من نحاس ، وزبر عليه بالمُسند
”هذا الصنم لناشر أنعم ، ليس وراءه مذهب ، فلا يتكلف أحد ذلك فيعطى“ .

ثم ملك بعده آبنه (شمر) ^(١) مائة وستين سنة . ويقال له شمر مرعش، سُمى بذلك
لأرتعاش كان به . وقال السهيلي : شمر بن مالك ، ومالك هو الأملوك . ويقال
إنه وطئ أرض العراق وفارس وخراسان وأفتح مدائنهما ، ونحرب مدينة الصفد
وراء نهر جيحون ، فقالت العجم : شمر كند أى شمر نحرب ، وبني هناك مدينة
فسميت بذلك ، ثم عُربت سمرقند . ويقال : إنه الذى بنى الحيرة بالعراق . وملك
بلاد الروم وأستعمل عليها ماهان قيصر .

(١) كذا فى ”العبر“ أيضاً وفى ”السنن“ ثلاثاً وخمسين سنة .

ثم ملك بعده (تُبَّعُ الْأَقْرَن) ثلاثا وخمسين سنة ، وقيل ثلاثا وستين سنة
وَأَسْمَةُ زَيْدٌ ، قَالَ الْمَسْعُودِيُّ : وَهُوَ ابْنُ شَمْرِ مَرْعَشَ ، وَقَالَ الطَّبْرِيُّ : ابْنُ عَمْرٍو
ذِي الْأَذْعَارِ . قَالَ السَّهْبِيُّ : وَاسْمُ الْأَقْرَنَ لِشَامَةٍ كَانَتْ فِي قَرْنِهِ .

ثم ملك بعده أبنه (كُلَيْكِرِب) .

ثم ملك بعده (تَبَان) أَسْعَدُ أَبُو كَرِبَ ، بَنُ قَيْسَ ، بَنُ زَيْدِ الْأَقْرَنَ ، بَنُ عَمْرٍو
ذِي الْأَذْعَارِ ، وَهُوَ تُبَّعُ الْآخِرُ . وَيُقَالُ لَهُ الرَّائِدُ ، وَكَانَ عَلَى عَهْدِ يَسْتَأْسَفَ أَحَدِ مُلُوكِ
الْفُرْسِ الْكِيَانِيَةِ وَحَافِدَهُ أَرْدَشِيرَ ، وَمَلِكِ الْيَمَنِ وَالْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ وَالشَّامِ ، وَغَزَا بِلَادَ
الْتُرْكِ وَالتَّبَّتِ وَالصِّينَ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ تَرَكَ بِلَادَ التَّبَّتِ قَوْمًا مِنْ حَمِيرَ ، هُمُ بِهَا إِلَى
الْآنَ ، وَغَزَا الْقِسْطَنْطِينِيَّةَ وَمَرَّ فِي طَرِيقِهِ بِالْعِرَاقِ فَتَحِيرَ قَوْمَهُ فَبَنَى هُنَاكَ مَدِينَةً
سَمَّاها الْحِيرَةَ ، وَقَدْ مَرَّ الْكَلَامُ عَلَيْهَا مَعَ الْعِرَاقِ فِي الْكَلَامِ عَلَى مَمْلَكَةِ إِيرَانَ ، وَيُقَالُ
إِنَّهُ أَوَّلَ مَنْ كَسَا الْكَعْبَةَ الْمَلَاءَ وَجَعَلَ لِبَاسَهَا مَفْتَاحًا وَأَوْصَى وَلَاتَهَا مِنْ جَرِّهِمْ بِتَطْهِيرِهَا
وَدَامَ مُلْكُهُ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً .

ثم ملك من بعده (رَبِيعَةُ) بَنُ نَصْرَ ، بَنُ الْحَارِثِ ، بَنُ نَمَارَةَ ، بَنُ نَحْمَ . وَيُقَالُ رَبِيعَةُ ،
ابْنُ نَصْرَ ، بَنُ أَبِي حَارِثَةَ ، بَنُ عَمْرٍو ، بَنُ عَامِرَ . وَبَعْضُهُمْ يَعْكُسُ فَيَقُولُ نَصْرُ بَنُ رَبِيعَةَ ،
ثُمَّ رَأَى رُؤْيَا هَالَتْهُ فَسَارَ بِأَهْلِهِ إِلَى الْعِرَاقِ وَأَقَامَ بِالْحِيرَةِ ، وَمِنْ عَقْبِهِ كَانَ النُّعْمَانُ
ابْنُ الْمُنْذَرِ مُلْكُ الْحِيرَةِ وَهُوَ النُّعْمَانُ بَنُ الْمُنْذَرِ بَنُ عَمْرٍو بَنُ عَدِيٍّ بَنُ رَبِيعَةَ بَنُ نَصْرَ .

ثم ملك بعده (حَسَّانُ ذُو مَعَاهِرَ) بَنُ تَبَانَ أَسْعَدُ أَبِي كَرِبَ .

ثم ملك بعده أخوه (عَمْرٍو) بَنُ تَبَانَ أَسْعَدُ أَبِي كَرِبَ وَيُسَمَّى الْمُوْثَبَانِ ثَلَاثًا
وَسِتِينَ سَنَةً ، وَمَاتَ عَنْ أَوْلَادِ صُغَارٍ وَأَكْبَرِهِمْ قَدْ اسْتَهْوَتْهُ الْجَنُّ ، فَوُثِبَ عَلَى مُلْكِ
التَّبَابَةِ (عَبْدُ كَلَالِ) بَنُ مَثُوبَ ، فَلَمَّا أَرْبَعًا وَتِسْعِينَ سَنَةً وَهُوَ تُبَّعُ الْأَصْغَرَ ، وَلَهُ
مَغَازٍ وَأَثَارٌ بَعِيدَةٌ .

ثم ملك بعده اخوه لأمه (مرثد) بن عبد كلال سبعا وثلاثين سنة .

[ثم ملك من بعده آبنه وليعة بن مرثد^(١) .

ثم ملك بعده (أبرهة بن الصَّباح) بن لهيعة ، بن شيبه ، بن مرثد ، بن نيف
آبن مندى كرب ، بن عبد الله ، بن عمرو ، بن ذى أصبح الحارث ، بن مالك ،
وقيل إنما ملك تهمامة فقط .

ثم ملك بعده (حسن بن عمرو) بن تبع ، بن كليكب سبعا وخمسين سنة .

ثم ملك بعده (لخيعه) بن ينوف ذوشناتر سبعا وعشرين سنة .

ثم ملك بعده (ذونواس زرعته) تبع بن تبان أسعد أبى كرب ثمانين سنة ،
ويسمى يوسف ، وكان يدين باليهودية وحمل الناس عليه .

ثم ملك بعده (ذو جدن) وأسمه علس بن زيد ، بن الحارث ، بن زيد الجهمور .
وقيل : علس بن الحارث ، بن زيد ، بن الغوث ، بن سعد ، بن عوف ، بن عدى ،
ابن مالك ، بن زيد الجهمور ، وهو آخر ملوك اليمن من العرب . وقيل غير ذلك من
تقديم وتأخير وتبديل اسم باسم .

وبالجملة فأخبار التَّابِعة غير مضبوطة ، وأمورهم غير محققة . قال المسعودى : ولا
يسمى أحد منهم تبعاً حتى يملك اليمن والشَّحر وحضرموت ، على أن الطبرى قد
ذكر أن الملك من ملوك اليمن لا يتجاوز خلافه ، وإن تجاوزه فبمسافة يسيرة .

الطبقة الرابعة

(الحبشة)

وأول من ملك منهم (أرياط) بعثه صاحب الحبشة مقدما على جيوشه حين تهود
ذو نواس وأحرق الإنجيل ، ففتح اليمن وأستقر في ملكه .
ثم ملك بعده (أبرهة الأشرم) وهو صاحب الفيل الذي جاء به لتخريب الكعبة .
ثم ملك بعده ابنه (يكنوم) .
ثم ملك بعده أخوه (مسروق) وهو آخر ملوك اليمن من الحبشة .

الطبقة الخامسة

(الفرس)

وأول من ملك منهم (وهززر) وذلك أن سيف بن ذي يزن ، بن عابر ، بن أسلم ،
ابن زيد ، بن غوث ، بن سعد ، بن عوف ، بن عدي ، بن مالك ، بن زيد الجمهور
الحميري ، أستجاش كسرى أنوشروان : ملك الفرس على مسروق بن أبرهة آخر
ملوك الحبشة باليمن فأضعفه بجيش ، ففتح به اليمن وأستنابه فيه ، فقتله بعض
من أستخلصه من الحبشة ، فولى كسرى (وهززر) مكانه وهلك ، فأقام كسرى مكانه
ابنه (المرزبان) ثم هلك ، فأقام مكانه (خذخسرو) بن السيجان بن المرزبان ، ثم عزله
وولى على اليمن (باذان) فلم يزل به إلى أن كانت البعثة فأسلم وفشا الإسلام باليمن ،
وتابعت الوفود منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الطبقة السادسة

(عُمَّالُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْخُلَفَاءُ بَعْدَهُ)

لَمَّا أَسْلَمَ (بَاذَانَ) نَائِبُ كَسْرَى، وَلَآهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَمِيعِ مَخَالِفِ الْيَمَنِ، وَكَانَ مَنْزِلُهُ بِصَنْعَاءَ : دَارَ مَمْلَكَةِ التَّبَاعَةِ، وَبَقِيَ حَتَّى مَاتَ بَعْدَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَقَوْلَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْنَهُ (شَهْر) بَنَ بَاذَانَ عَلَى صَنْعَاءَ، وَوَلَّى عَلَى كُلِّ جِهَةٍ وَاحِدًا مِنَ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ خَرَجَ (الْأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ) فَقَتَلَ شَهْرَ بْنَ بَاذَانَ، وَأَخْرَجَ سَائِرَ عُمَّالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَعْمَالِهِمْ، وَأَسْتَوْلَى (قَيْسُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ) الْمُرَادِيُّ عَلَى صَنْعَاءَ، وَتَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ .

ثُمَّ وَلَّى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (فَيْرُوزَ الدِّيْلَمِيِّ) .

ثُمَّ وَلَّى بَعْدَهُ (الْمُهَاجِرَ) بَنَ أَبِي أُمَيَّةَ، وَ(عَكْرَمَةَ) بَنَ أَبِي جَهْلٍ، عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الرَّدَّةِ، ثُمَّ أَسْتَقَرَّ الْيَمَنُ فِي وَلَايَةِ (يَعْلَى بْنِ مُنَبِّهٍ) .

ثُمَّ وَلَّى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خِلَافَتِهِ (عُبَيْدَ اللَّهِ) بَنَ عَبَّاسٍ، ثُمَّ أَخَاهُ (عَبْدَ اللَّهِ) .

ثُمَّ وَلَّى مُعَاوِيَةُ عَلَى صَنْعَاءَ (فَيْرُوزَ) الدِّيْلَمِيِّ، وَمَاتَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ .

ثُمَّ جَعَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ الْيَمَنَ فِي وَلَايَةِ الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ، حِينَ بَعَثَهُ لِقِتَالِ ابْنِ الزُّبَيْرِ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ .

ثُمَّ كَانَ بِهِ (يَوْسُفُ) بَنَ عَمْرِو سَنَةَ ثَمَانٍ وَمِائَةٍ .

ثم لما جاءت دولة بني العباس ، ولّى السفّاح : أوّل خلفائهم على اليمن عمّه (داود) وتوفى سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، فوّلّى مكانه (عمر) بن زيد ، بن عبد الله ، ابن عبد المدان ، وتوفى سنة أربع وثلاثين ومائة ، فوّلّى السفّاح مكانه (عليّ بن الربيع) ابن عبيد الله .

ثم في سنة ثلاث وخمسين ومائة كان عليها (يزيد) بن منصور ، ثم عزله المهديّ في خلافته ، ووّلّى مكانه (رجاء بن رَوْح) .

ثم ولى بعده (عليّ بن سليمان) ثم عزله سنة اثنتين وستين ومائة ، وولى مكانه (عبد الله بن سليمان) . ثم عزله سنة ثلاث وستين ومائة ، وولى مكانه (منصور بن يزيد) . ثم عزله في سنة ست وستين ومائة ، وولى مكانه (عبد الله بن سليمان الربيعي) . ثم ولى سليمان بن يزيد^(١) ثانياً .

ثم ولى الرشيد سنة أربع وثمانين ومائة حمّادا اليزيدي .

الطبقة السابعة

(ملوكها من بني زياد)

لم تزل نواب الخلفاء متوالية على اليمن إلى أيام المأمون ، فاضطرب أمر اليمن ، فوجه المأمون إليه (محمد بن إبراهيم) بن عبيد الله ، بن زياد ، بن أبيه ، ففتح اليمن وملكه ، وبني مدينة زَيْدَ في سنة أربع ومائتين ، ووّلّى مولاة جعفرًا على الجبال ، فعُرفت بخلاف جعفر إلى الآن .

ثم ملك اليمن بعده ابنه (إبراهيم) بن محمد [ثم ابنه زياد بن إبراهيم]^(٢) .

(١) كذا في الأصول ولم يسبق ذكر سليمان بن يزيد في ولايتها فلعله من زيادة النسخ وأن ثانيا راجع إلى عبد الله بن سليمان الخ كما يؤخذ من الكامل .

(٢) الزيادة عن "العبر وأبي القداء" ليستقيم الكلام .

ثم ملك بعده أخوه (أبو الجيش) إسحاق بن إبراهيم وطالت مدته ، وتوفي سنة إحدى وتسعين وثلثمائة ، وخلف طفلاً فتولت أخته هند بنت أبي الجيش كفالته ، وتولت معها عبد لأبي الجيش اسمه رشيد فبقى حتى مات ، فتولت مكانه حسين بن سلامة (وسلامة اسم أمه) وصار وزيراً لهند وأخوها حتى ماتا .

ثم ملكوا عليهم طفلاً اسمه (إبراهيم) وقيل (عبد الله) بن زياد ، وقام بأمره عمته وعبد من عبيد حسين بن سلامة اسمه (مرجان) ثم قبض (قيس) عبد مرجان على الطفل وعمته في سنة سبع وأربعمائة واستبد بالملك ، ثم قتل قيس بزبد .

وملك بعده (نجاح) عبد مرجان أيضاً وعظم شأنه ، وركب بالمظلة وضربت السكة باسمه ، وبقي حتى توفي سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة .

وملك بعده ابنه (سعيد الأحول) بن نجاح .

ثم غلب على الملك الملك المكرم (أحمد بن علي الصليحي) في سنة إحدى وثمانين وأربعمائة . وقيل سنة ثمانين ، وأقام بزبد .

ثم ملكها (جياش بن نجاح) في بقايا سنة إحدى وثمانين ، ومات سنة ثمان وتسعين وأربعمائة .

[ثم ملك بعده ابنه فاتك^(١) ثم ملك بعده (منصور بن فاتك) بن جياش بن نجاح .

ثم ملك بعده ابنه (فاتك) بن منصور بن فاتك .

ثم ملك بعده ابن عمه (فاتك بن محمد) بن فاتك ، بن جياش ، بن نجاح في سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة ، وقتل في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة . وهو آخر ملوك بني نجاح .

(١) الزيادة من خطط المقرري .

الطبقة الثامنة

(ملوكها من بني مهدي)

لما قُتِلَ فاتك ، ملك بعده (علي بن مهدي) وأستقر في دار الملك بزيد في رابع عشر شهر رجب سنة أربع وخمسين وخمسمائة ، ومات بعد شهرين وأحد وعشرين يوما ، وكان مذهبه التكفير بالمعاصي وقتل من خالف مذهبه .

ثم ملك بعده آبنه (مهدي بن علي) بن مهدي .

ثم ملك بعده آبنه (عبد النبي) بن مهدي .

ثم ملك بعده عمه ^(١) (عبد الله) بن مهدي .

ثم عاد (عبد النبي) ثانيا ، وهو آخرهم .

الطبقة التاسعة

(ملوكها من بني أيوب ملوك مصر)

وأقول من ملكها منهم (شمس الدولة ثوران شاه بن أيوب) سيّره إليها أخوه السلطان "صلاح الدين يوسف بن أيوب" صاحب الديار المصرية في سنة تسع وستين وخمسمائة ، ففتح زبيد وأسر صاحبها (عبد النبي) . ثم ملك عدن وأسر صاحبها (ياسر) وأستولى على اليمن لأخيه صلاح الدين ، ثم آستتاب ثوران شاه على زبيد حطّان بن كامل بن منقذ الكفاني ، ورجع إلى الشام في سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ، فأضاف إليه أخوه السلطان صلاح الدين الإسكندرية ، وبقيت نوابه باليمن يحملون إليه الأموال من زبيد إلى أن توفّي بالإسكندرية في سنة ست وسبعين

(١) صوابه "أخوه" كما في تاريخي أبي الفداء والقرماني .

وحسمائة ، فاضطرب أمرُ اليمن ، فوجه السلطان صلاح الدين إليه أميرا ، فعزل عنه حطّان بن كامل وتولّى مكانه ، ثم توفي الأمير فعاد حطّان إلى ولايته .

ثم بعث السلطان صلاح الدين أخاه (سيف الإسلام طغتكين) بن أيوب إلى اليمن فقبض على حطّان وأستقر في مملكة اليمن ، وبقي به حتى مات بزبيد في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة .

ثم ملك بعده ابنه (الملك العزيز إسماعيل) فأساء السيرة فقتله أمراؤه .

وملك بعده أخوه (الناصر) صغيرا ، فقام بتدبير مملكته سنقر مملوك أبيه أربع سنين ثم مات ، فترجّح أمّ الناصر غازي بن جبريل : أحد أمراء دولته وقام بتدبيرها ، ثم مات الناصر وبقي (غازي) في المملكة فقتله جماعة من العرب ، فغلبت أم الناصر على زبيد .

وكان (سليمان بن شاهنشاه) بن المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب قد خرج فقيرا ، فاتفق أن وافى اليمن فترجّح أمّ الناصر وملك اليمن فأساء السيرة ، فبعث إليه عمّه الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر ، ابنه (الملك المسعود) أطسر المعروف بأقسييس ، في جيش فملك اليمن من سليمان ، ثم كره المقيم فيه فسار قاصدا الشام فتوفي بمكة ، وهو آخر ملوكها من بني أيوب .

الطبقة العاشرة

(دولة بني رسول . وهم القائمون بها الآن)

وأول من ملكها منهم علي بن رسول . وذلك أنه لما توفي الملك المسعود أقسييس ابن الملك الكامل محمد ، كان معه أمير خور لانيه اسمه رسول ، فلما خرج الملك

المسعود يريد الشام ، استخلف على اليمن (علي بن رسول) المذكور ، فاستقر نائباً باليمن لبني أيوب حتى مات سنة ثلاثين وستمائة ، ووقع في " التعريف " :
أن المستقر في اليمن أولاً هو رسول والد علي المذكور ، ولم أره في تاريخ .

ثم استقر بعد علي بن رسول المذكور في النيابة ولده الملك المنصور (عمر ابن علي) . ثم تغلب علي اليمن وخرج عن طاعة بني أيوب ملوك مصر ، واستقل بملك اليمن ، وتلقب بالملك المنصور ، ثم قتل في سنة ثمان وأربعين وستمائة .

وملك بعده ابنه الملك المظفر شمس الدين (يوسف بن عمر) بن علي بن رسول ، وصفا له ملك اليمن وطالت مدته ، وأرسل إلى الملك المنصور قلاوون صاحب الديار المصرية حينئذ هدية نفيسة ، وسأل أن يكتب له أماناً ، فقبلت هديته وكتب له بالأمان ، وقررت عليه إتاوة لملوك مصر ، وأعيدت رسله في سنة ثمانين وستمائة . ومات بقلعة تعز سنة أربع وتسعين وستمائة .

وملك بعده ابنه الأشرف محمد الدين (عمر بن المظفر يوسف) وبقي حتى مات سنة ست وتسعين وستمائة .

ثم ملك بعده أخوه الملك المؤيد (هزبر الدين داود) واستمر على مواصلة ملوك مصر بالهدايا والتحف والضريبة المقررة عليه . وتمذهب بمذهب الشافعي رضي الله عنه واشتغل بالعلم وأعتنى بجمع الكتب ، حتى اشتملت خزائنه على مائة ألف مجلد ، وبر العلماء ، وكانت تحفه تصل إلى الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد رحمه الله في كل وقت ، وتوفي سنة إحدى وعشرين وسبعائة .

وملك بعده ابنه الملك المجاهد (سيف الدين علي) وكان في الايام الناصرية

”محمد بن قلاوون“ صاحب الديار المصرية ، فأساء السيرة ، فُقِضَ عليه وُحِّلِعَ وحُبِسَ في سنة ثنتين وعشرين وسبعمائة .

وملك بعده عمه الملك المنصور (أيوب بن المظفر يوسف) ثم قتله شيعة المجاهد ، وأعادوا الملك المجاهد . وكان الظاهر أسد الدين عبد الله بن المنصور أيوب بحصن الدُّمْلُوة المقدم ذكره فعصى عليه ، وملك عدن وغيرها . وبعث الملك المجاهد للناصر ”محمد بن قلاوون“ يستصرخه على الظاهر عبد الله . فجهز إليه العساكر فوصلت إليه سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، فأوقعوا الصلح بينهما على أن تكون الدُّمْلُوة للظاهر المذكور ، وتمهد اليمن للجاهد ، وأسستزل الظاهر عن الدُّمْلُوة ، ثم قبض عليه وقتله .

ثم حج المجاهد سنة إحدى وخمسين وسبعمائة في أيام الملك ”الناصر حسن“ ابن محمد بن قلاوون صاحب مصر .

وكان الأمير طاز أحدُ أكابر أمراء الديار المصرية قد حج ، وأُشِيعَ أن المجاهد يريد كسوة الكعبة في تلك السنة ، ف وقعت الفتنة بين العسكر المصري والمجاهد ، فانهزم المجاهد ونُهِيت عساكره وسائر أهل اليمن ، وأُسِرَ المجاهد صاحب اليمن وحُجِلَ إلى مصر فاعتُقل بها ، ثم أُطْلِقَ سنة ثنتين وخمسين وسبعمائة في دولة الصالح ، ووجه معه بالأمير قشتمر المنصوري ليوصله إلى بلاده ، فلما بلغ به الينبع ، أرتاب منه في الحرب ، فرجع به إلى مصر ، فحُبِسَ في الكرك من بلاد الشام ، ثم أُطْلِقَ وأُعِيدَ إلى مُلْكِهِ ، وأقام على مداراة صاحب مصر إلى أن توفي سنة ست وستين وسبعمائة .

(١) عبارة ”العبر“ فردده وحجسه بالكرك .

وملك بعده آبنه الملك الأفضل (عباس) بن المجاهد على؁ فاستقام له ملك اليمن
وبقى حتى مات سنة ثمان وسبعين وسبعمائة .

وملك بعده آبنه الملك المنصور (محمد) ومات .

وملك أخوه الملك الأشرف (إسماعيل) بن الأفضل عباس؁ فاستقام أمره بها؁
ثم مات .

وولى بعده آبنه ^(١) وهو بن الأشرف إسماعيل؁ بن الأفضل عباس؁
آبن المجاهد على؁ بن المؤيد داود؁ بن المظفر يوسف؁ بن المنصور عمر؁ بن على؁
آبن رسول؁ وهو باقى باليمن إلى آخر سنة اثنتى عشرة وثمانمائة .

وله مكتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية؁ يأتى ذكرها فى المكتبات
إن شاء الله تعالى .

الجملة السادسة

(فى ترتيب هذه المماكة على ماهى عليه فى زمن بنى رسول :

ملوكها الآن : فى مقدار عساكرها؁ وزى جُندها؁ وبيان أرباب
وظائفها؁ وحال سلطانها)

أما مقدار عساكرها . فقد قال فى "مسالك الأبصار" : أخبرنى أفضى القضاة؁
أبو الربيع : سليمان بن محمد؁ بن الصدر سليمان (وكان قد توجه إلى اليمن؁ وخدم
فى ديوان الجيوش به) أن جميع جُند اليمن لا يبلغ ألفى فارس . قال : وينضاف
إليهم من العرب المدافعين فى طاعته مثلهم؁ وأرانى جريدة للجيش تشهد بما قال .

(١) بياض فى الاصل .

وذكر أن غالب جُنْدِه من الغرباء . وتَقَلَّ عن الحكيم "صلاح الدين بن البرهان" أن الإمرة عندهم قد تُطْلَق على من ليس بأمرير ؛ وأما الإمرة الحقيقية التي ترفع بها الأعلام والكُؤُوسات ، فإنها لمن قَلَّ ، وربما أنه لا يتعدى عدَّةُ الأمراء بها عشرة نفر .

وأما زِيَّ السلطان والجُنْدُ بها ، فقد ذكر في "مسالك الأبصار" أن لبَّاس السلطان وعامة الجند باليمن أقبيةٌ إسلامية ، ضيقة الأكام ، مزندة على الأيدي ، وفي أوساطهم مناطقٌ مشدودة ، وعلى رؤوسهم تخافيفٌ لانس ، وفي أرجلهم الدلا كسات ، وهي أخفاف من القماش الحرير الأطلس والعَتَّابِيَّ وغير ذلك .

قال المقر الشهابي بن فضل الله : وقد حضر علي بن عمر بن يوسف الشهابي : أحدُ أمراء الملك المجاهد باليمن إلى الديار المصرية ، في وحشة حصلت بينه وبين سلطانه ، وهو بهذا الزِّيَّ خلا الدلا كس فإنه قلعه ولبس الخُفَّ المعتاد بالديار المصرية ؛ وكان يحضر الموكب السلطاني بالديار المصرية ، وهو على هذا الزِّيَّ .

وأما شعار السلطنة ، فقد ذكر عن الحكيم بن البرهان أيضا أن شعار سلطان اليمن وَرْدَةٌ حمراء في أرض بيضاء . قال المقر الشهابي بن فضل الله : ورأيت أنا السَّنَجَقَ اليمني ، وقد رُفِعَ في عَرَافَات سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ، وهو أبيض فيه وَرْدَاتٌ حمراء كثيرة .

وأما أرباب الوظائف ، فنقل عن ابن البرهان أن باليمن أرباب وظائف : من النائب ، والوزير ، والحاجب ، وكاتب السر ، وكاتب الجيش وديوان المال . وبها وظائف الشاذ والولاية ، وأنه يتشبه بالديار المصرية في أكثر أحواله . قال : أما كُتَّابُ الإنشاء ثم ، فإنه لا يجعهم رئيس يرأس عليهم يقرأ ما يرد على السلطان

ويُجاوب عنه ويتلقى المراسيم وينفذها، وإنما السلطان إذا دعت حاجته إلى كتابة كُتب، بعث إلى كل منهم ما يكتبه . فإذا كتب السلطان مرسوم له به ، بعثه على يد أحد الخُصيان فقدمه إليه ، فيعلم فيه وينفذه .

قال المقر الشهابي بن فضل الله : وعادة ما يكتب عنه في ديوان الإنشاء كمادة الديار المصرية في المصطلح . قال : ورأيت علامة الملك المؤيد داود على توقيع مثالها "الشكر لله على نعمائه" في سطر، وتحتها "داود" في سطر آخر .

وأما ترتيب أحوال السلطان ، فقد ذكر في "مسالك الأبصار" : أن صاحب اليمن قليل التصدي لإقامة رسوم الموابك والخدمة والاجتماع بولاية الأمور ببابه ، فإذا احتاج أحد من أمرائه وجنده إلى مراجعته في أمر ، كتب إليه قصة يستأمره فيها ، فيكتب عليها بخطه ما يراه ، وكذلك إذا رُفعت إليه قصص المظالم هو الذي يكتب عليها بخطه بما فيه إنصاف المظلوم .

ونقل عن ابن البرهان : أن ملوك اليمن أوقاتهم مقصورة على لذاتهم ، والخلوة مع حظاياهم وخاصتهم من الندماء والمطربين ، فلا يكاد السلطان يرى ، بل ولا يسمع أحد من أهل اليمن خبرا له على حقيقته ، وأهل خاصته المقربون الخُصيان ؛ وله أرباب وظائف للوقوف بأمره ، وهو يخوف في أموره منجى صاحب مصر : يتسمع أخباره ، ويحاول اقتفاء آثاره في أحواله ، وأوضاع دولته ؛ غير أنه لا يصل إلى هذه الغاية ، ولا تحقق عليه تلك الراية ؛ لقصور مدد بلاده ، وقلة عدد أجناده ؛ وللتجار عندهم موضع جليل ، لأن غالب متحصلات اليمن منهم وبسببهم ، وغالب دخله من التجار والجلابة برأ وبجرا . ولذلك كانت مملكة بني رسول هذه أكثر مالا من مملكة الشرفاء بصنعاء وما والاها لمجاورة مملكة بني رسول البحر .

وصاحب اليمن لا ينزل في أسفاره إلا في قصور مبنية له في منازل معروفة من بلاده ،
فحيث أراد النزول بمنزلة وجد بها قصراً مبنياً ينزل به . قال : وإنما تجتمع لهم
الأموال لقلة الكلف في الخرج والمصاريف والتكاليف ؛ ولأن الهند يمدُّهم
بمراكبه ، ويواصلهم ببضائعهم .

قال في "مسالك الأبصار" : ولا تزال ملوك اليمن تستجلب من مصر والشام
طوائف من أرباب الصناعات والبضائع ببضائعهم على اختلافها . قال اقضى
القضاة أبو الربيع سليمان بن الصدر سليمان : وصاحب هذه المملكة أبدا يرغب
في الغرباء ، ويحسن تلقِّيهم غاية الإحسان ، ويستخدمهم بما يناسب كلاً منهم ،
ويتفقدُّهم في كل وقت بما يأخذ به قلوبهم ويوطئهم عنده .

وذكر في "مسالك الأبصار" عن ملوك هذه المملكة : أنهم لم يزالوا مقصودين
من آفاق الأرض ، قلَّ أن يبقى مُجيدٌ في صناعة من الصنائع إلا ويصنع لأحدهم
شيئاً على اسمه ، ويُجيد فيه بحسب الطاقة ، ثم يجهزه إليه ويقصده به فيقدمه
إليه ، فيقبل عليه ويقبل منه ، ويحسن نزله ، ويسني جائزته ، ثم إن أقام في بابه ،
أقام مكرماً محترماً ، أو عاد محبباً مجبوراً ، يجزلون من نعمهم العطايا ، ويثقلون
بكرمهم المطايا ، ما قصدهم قاصد إلا وحصل له من البر والإيناس وتنويع الكرامة
ما يسليهم عن الأوطان ؛ ولكنهم لا يسمَحون بعود غريب ، ولا يصفَحون في زلٍّ
عن بعيد ولا قريب ؛ فإن أراد الارتحال عن دارهم ، مكنَّوه من العود كما جاءهم ؛
ونخرج عنهم على أسوأ حال ، مسلوباً ما استفاد عندهم من نعمة ، عقاباً له على
مفارقتهم لأبوابهم لا يُخلَّأ بها جادوا به . أما من قدَّم إليهم القول بأنه أتاهاهم راحلاً

لامُقيماً، وزائراً لا مُستديماً، فإنهم لا يكلفونه المُقامَ لديهم، ولا دواما في النزول عليهم؛ بل يُجْزِلون إفادته، ويُجْلِلون إعادته .

ثم بعد أن ذكر ما بين صاحب اليمن هذا وبين إمام الزيدية باين من المشاجرة والمهادنة تارةً والمفاسخة أخرى، قال : وصاحبُ اليمن لا عدوَّ له، لأنه محبوب ببحر زاهر وبرٍّ منقطع من كل جهة، وللسالمة بينه وبينهم، فهو لهذا قريُّ العين، خالي البال، لا يُرْمَى إلا صيداً، ولا يُبَيِّجُه إلا بلبال . قال : وهم مع ذلك على شدة ضبط لبلادهم ومن فيها، وأحترازهم على طُرُقها براً وبحرا من كل جهة، لا يخفى عليهم داخل يدخل إليها، ولا خارج يُخرج منها؛ ومع ذلك فهو يُدارى صاحب مصر ويهاديه، لمكان إمكان تسلُّطه عليه من البر والبحر الجازي؛ ولذلك آكتتب الملك "المؤيد داود" وصيةً أوصى فيها الملك الناصر "محمد بن قلاوون" صاحب الديار المصرية على ابنه الملك المجاهد على . فلما مات المؤيد نجم على ابنه المجاهد ناجم، فبعث بوصية أبيه إلى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، فجهز معه عسكرياً إلى اليمن فمنعه من عدوه الناجم عليه، ومكَّن له في اليمن وبسط يده فيه .

القسم الثاني

(من اليمن النجود)

وهي ما أرتفع من الأرض؛ وبها مستقرُّ أئمة الزيدية الآن .

قال في "مسالك الأبصار" : وهي شديدة الحر، وقد آنطوى فيها جزء من اليمن، وإن كان ما بيد أولاد رسول هو الجزء الوافر الأعظم .

وفيه أربع جمل :

الجملة الأولى

(فيما أشتملت عليه من النواحي ، والمدن ، والبلاد)

قال في "مسالك الأبصار" حدثني الحكيم صلاح الدين بن البرهان : أن اليمن منقسم إلى قسمين : سواحل ، وجبال ؛ وأن السواحل كلها لبني رسول ، والجبال كلها أو غالبها للأشراف . قال : وهي أقل دخلا من السواحل : لمدد البحر لتلك واتصال سبيلها عنه ، وانقطاع المدد عن هذه البلاد لانقطاع سبيلها من كل جهة .

قال : وحدثني أبو جعفر بن غانم : أن بلاد الشرفاء هؤلاء متصلة ببلاد السراة ، إلى الطائف ، إلى مكة المعظمة .

قال : وهي جبال شامخة ، ذات عيون دافقة ومياه جارية ، على قرى متصلة ، الواحدة إلى جانب الأخرى ؛ وليس لواحدة تعلق بالأخرى بل لكل واحدة أهل يرجع أمرهم إلى كبيرهم ، لا يضمهم ملك ملك ، ولا يجمعهم حكم سلطان ؛ ولا تخلو قرية منها من أشجار وعروش ذوات فواكه أكثرها العنب واللوز ؛ ولها زروع أكثرها الشعير ؛ ولأهلها ماشية أعوزتها الزرائب ، وضائق بها الحظائر .

قال : وأهلها أهل سلامة وخير وتمسك بالشرعية ووقوف معها ، يعضون على دينهم بالنواجذ ، ويقرون كل من يترهم ، ويضيفونه مدة مقامه حتى يفارقهم . وإذا ذبحوا لضيفهم شاة ، قدموا له جميع لحمها ورأسها وأكارعها وكبدتها وقلبها وكرشها ، فيأكل ويحبل معه ما يحبل . ولا يسافر أحد منهم من قرية إلى أخرى إلا برفيق يسترفقه منها فيخفره ، لوقوع العداوة بينهم .

ثم هي تشتمل على عدة حصون وبلاد محصنة .

وقاعدتها مدينة (صَنْعَاء) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الصاد المهملة وسكون النون وعين مهملة وألف ممدودة . وهي مدينة من بُجُود اليمن ، واقعة في أوائل الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال في "الاطوال" : حيث الطول سبع وستون درجة ، والعرض أربع عشرة درجة وثلاثون دقيقة . قال في "الروض المعطار" : وأسمها الأول « أَوَالٌ » ^(١) يعنى بضم الهمزة وفتح الواو من الأولية بلغتهم . فلما واقتها الحبشة ونظروا إلى بنائها ، قالوا : هذه صنعة ، ومعناه بلغتهم حصينة فسميت صنعاء من يومئذ . قال : والنسبة إليها صَنْعَانِيٌّ على غير قياس . ويقال : إنها أول مدينة بُنِيَتْ باليمن .

ثم اختلف : فقليل بناها سَامُ بن نوح عليه السلام ؛ وذلك أنه طلب مكانا معتدلاً الحرارة والبرودة فلم يجد ذلك إلا في مكان صنعاء فبنى هذه المدينة هناك . وقيل بَنَتْهَا عادٌ .

قال في "تقويم البلدان" : وهي من اعظم مُدُن اليمن ؛ وبها اسواق ومتاجر كثيرة ؛ ولها شبه بدمشق : لكثرة مياهها وأشجارها ؛ وهوائها معتدل ؛ ونتقارب فيها ساعات الشتاء والصيف ؛ وفي أطول يوم في السنة يكون الشاخص عند الاستواء لا ظل له .

وقال في موضع آخر : تُشَبِّه بَعْلَبَكَّ في الشام ، لتماها الحسن وحُسْنُهَا التَّام ؛ وكثرة الفواكه ، تقع بها الأمطار والبرد . وهي كرسى ملوك اليمن في القديم ، ويقال إنها كانت دار ملك التَّبابِعة . قال في "الروض المعطار" : وهي على نهر صغير يأتي

(١) كذا في "العبر" أيضا والذي في معجم البلدان والقاموس في مادة أزل أن أسم صنعاء "أزال" كسحاب أى بالزاي المعجمة فتأمل .

إليها من جبل في شمالها، ويمرّ مُتَحَدِرًا إلى مدينة ذَمَارٍ، ويصب في البحر الهندي،
وعمارتها متصلة؛ وليس في بلاد اليمن أقدم منها عمارة، ولا أوسع منها قُطْرًا .

قال في "تقويم البلدان" : وكانت في القديم كرسى مملكة اليمن . قال : وبها
تلّ عظيم يعرف بغمدان، كان قصرا ينزلهُ ملوكُها . قال في "الروض المعطار" :
وهو أحد البيوت السبعة التي بُنيت على اسم الكواكب السبعة ، بناه الضحّاك على
اسم الزهرة ؛ وكانت الأمّ تُحجّه فهدمه عثمانُ رضى الله عنه فصار تلاً عظيماً .
قال في "تقويم البلدان" : وهي شرقيّ عدنَ بشمال في الجبال .

ولها عدّة بلاد وحصون مضافة إليها، جارية في أعمالها .

منها (كَحْلَانُ) - بفتح الكاف وسكون الحاء المهملة ثم لام ألف ونون
في الآخر . وهي قلعة من عمل صنعاء على القرب منها . قال ابن سعيد : كان بها
في أول المائة الرابعة بنو يعفور من بقايا التابعة . قال : ولم يكن لها نبأه
في الملك إلى أن سكنها بنو الصليحيّ ، وغلب عليها الزيدية ، ثم السليانيون بعد
بنو الصليحيّ .

ومنها (نَجْرَانُ) . قال في "اللباب" : بفتح النون وسكون الجيم وراء مهملة
وألف ونون في الآخر . قال الأزهري : وسميت بنجران بن زيد ، بن سبيل ،
ابن شُجْب ، بن يعرب ، بن قِطَان . وهي بلدة من بلاد قبيلة همدان ، واقعة
في الإقليم الأول . قال في "الأطوال" : حيث الطول سبع وستون درجة ،
والعرض تسع عشرة درجة .

قال في "تقويم البلدان" : وهي بليدة فيها نخيل ، بين عدن وحضرموت ،
في جبال بين قرى ومدائن وعمائر ومياه ؛ تشتمل على أحياء من اليمن ؛ وبها يُتخذ

الأدم ؛ وهى شرقى صنعاء بشمال ؛ وبها أشجار ، وبينها وبين صنعاء عشر مراحل ، ومنها إلى مكة عشرون يوماً فى طريق معتدل . وجعلها صاحب الكم صقعا مفردا عن اليمن .

ومنها (صعدة) . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الصاد وسكون العين المهملتين ودال مهملة وهاء فى الآخر . قال فى "الروض المعطار" : والنسبة إليها صاعدى على غير قياس . قال فى "القانون" : وتسمى (غيل) أيضا . وهى بلدة على ستين فرسخا من صنعاء ، وموقعها فى الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" : حيث الطول سبع وستون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ست عشرة درجة . قال فى "العزيزى" : وهى مدينة عامرة آهلة خصبة ، وبها مدابع الأدم وجلود البقر ، التى تُتخذ منها النعال .

ومنها (خيوان) . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الخاء المعجمة وسكون المشاة من تحت وفتح الواو ، ثم ألف بعدها نون . وهى صقع معروف باليمن ، واقع فى الإقليم الأول . قال فى "الأطوال" : حيث الطول سبع وستون درجة وإحدى وعشرون دقيقة ، والعرض خمس عشرة درجة وعشرون دقيقة . قال فى "تقويم البلدان" : وهى بلاد تشتمل على قرى ومزارع ومياه ، معمورة بأهلها ، وبها أصناف من قبائل اليمن . قال المهلبى : وهى طرف منازل بنى الضحاك من بنى يعفر من بقايا التبايسة ، وماؤها من السماء . قال الإدريسى : وبينها وبين صعدة ستة عشر فرسخا . وقال المهلبى : بينهما أربعة وعشرون ميلا .

ومنها (جرش) . قال فى "تقويم البلدان" : بضم الجيم وفتح الراء المهملة وشين (١) [معجمة] فى الآخر . وهى بلدة باليمن ، موقعها فى الإقليم الأول من الأقاليم السبعة .

قال في "الأطوال" : حيثُ الطولُ سبع وستون درجةً وخمسون دقيقةً ، والعرضُ سبع عشرة درجة . وهي بلدة بها نخيل ، مشتملةٌ على أحياء من اليمن ، ويُتخذ بها الأدمُ الكثير . قال في "العزري" : وهي بلدة صالحة ، وحولها من شجر القرظ مالا يُحصى ، وبها مدافع كثيرة . قال الإدريسي : وهي ومدينة نجران متقاربتان في المقدار والعمارة ، ولهما مزارعٌ وضياحٌ وبينهما ستُّ مراحل .

ومنها (مأرب) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الميم وهمزة ساكنة وراء مهملة مكسورة وفي آخرها باء موحدة . وذكر أنه رآها مكتوبةً في الصحاح كذلك ؛ ثم قال : والمشهور فتح الهمزة ومدّها . وهي مدينة على ثلاث مراحل من صنعاء ، واقعةٌ في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيثُ الطولُ ثمان وستون درجة ، والعرضُ أربع عشرة درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي في آخر جبال حضرموت ، ويقال لها مدينة سبأ ، تسميتها لها باسم بانيها ، وبها كان السد . قال : وكانت قاعدة التبابعة وهي اليوم خراب .

ومنها (حضرموت) . قال في "اللباب" : بفتح الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة وفتح الراء المهملة ، وبعدها ميم مفتوحة وواو ساكنة وتاء مثناة من فوقها في الآخر . وهي ناحية من نواحي اليمن ، وأعمالها أعمال عريضة ، ذاتُ شجر ونخل ومزارع .

قال الأزهرى^(١) : وسميت حضرموت بحاضر ، بن سنان ، بن إبراهيم ، وكان أول من نزلها .

(١) كذا في تاريخ أبي الفدا أيضا . وفي معجم ياقوت "سميت بحاضرميت وهو أول من نزلها" .

قال صاحب "العبر": وكانت بلاد حضرموت لعاد مع البحرين وعمان، ثم غلبهم عليها بنو يعرب بن قحطاب، حين ولي أولاده البلاد أعطى هذه أبنه حضرموت فعرفت به. والنسبة إليها حضرمي، وقصبتها مدينة "شِبَام". قال في "اللباب": بكسر الشين المعجمة وفتح الباء الموحدة وألف وميم، ووهم ^(١) ابن الأثير في "اللباب": بفعل شِبَام قبيلة لا بلدا. قال في "تقويم البلدان": وهي خارجة عن الإقليم الأول من الأقاليم السبعة إلى الجنوب. قال في "الأطوال": وهي حيث الطول إحدى وسبعون درجة، والعرض اثنتا عشرة درجة وثلاثون دقيقة، وهي قلعة فوق جبل منيع فيه قري ومزارع كثيرة. قال في "العزى": وفيه سكان كثيرة. قال: وفيه معدن العقيق والجزع. وبينها وبين صنعاء أحد وعشرون فرسخا، وقيل إحدى عشرة مرحلة، وبينها وبين دمار مرحلة واحدة.

الجملة الثانية

(في الطرق الموصلة إلى هذه المملكة)

قد تقدم أن الطريق من مصر إلى مكة معروفة. قال ابن خردادبه: ثم من مكة إلى بئر ابن المرتفع، ثم إلى قرن المنازل: قرية عظيمة، وهي ميقات أهل اليمن للحج منه يحرمون، ثم إلى الفتق: وهي قرية كبيرة، ثم إلى صقر، ثم إلى ثربة: وهي قرية كبيرة، ثم إلى كدى، وفيها نخيل وعيون، ثم إلى رنية، وفيها نخيل وعيون أيضا، ثم إلى تبالة، وهي مدينة كبيرة فيها عيون جارية، ثم إلى جسداء وفيها بئر ولا أهل فيها، ثم إلى كشة، وهي قرية عظيمة فيها عيون وحرس، ثم إلى

(١) عبارة "معجم البلدان" وغلط ابن الأثير في تغليطه للسمعاني حيث قال شِبَام قبيلة وليست بمكان [فلعل لفظ في اللباب من زيادة النسخ].

بِيشة يَقْطَاب ، وفيها ماءٌ ظاهر وكَرَم ، والحرس منها على ثلاثة أميال ، ثم إلى المَهْجَرَة ، وهي قرية عظيمة فيها عيون وفيها بين سروم راح والمَهْجَرَة طَاحَة المَلِك : وهي شجرة عظيمة . وهناك حَدٌّ ما بين عَمَل مَكَة المَشْرِفَة وعَمَل اليمَن ، ثم منها إلى عَرِقَة ، وماؤها قليل ولا أهل فيها ، ثم إلى صَعْدَة ، وقد تقدّم ذكرها ، ثم إلى الأَعْمَشِيَّة ، وفيها عين صغيرة ولا أهل فيها ، ثم إلى خِيَوَان ، وقد تقدّم ذكرها ، ثم إلى أَثَافَت ، وهي مدينة فيها زرع وكَرَم وعيون ، ثم إلى مدينة صَنْعَاء ، وهي قاعدة هذه المملكة على ما تقدّم .

الجملة الثالثة

(فيمن ملك هذه المملكة إلى زماننا)

قد تقدّم في الكلام على صنعاء أنها كانت قاعدة مُلْك التَّيْبَاعَة ، وقد مرّ القول عليهم في الكلام على ملوك اليمَن في مملكة بنى رَسُول ، في القسم الأول من اليمَن .
أما حَضْرَمَوْتُ ، فقد قال علي بن عبد العزيز الجُرْجَانِي : ^(١) إنه كان لهم في الجاهلية ملوك يُقَارِبُونَ مُلُوكَ التَّيْبَاعَة في علُو الصَّيْتِ وَنَبَاهَةِ الذِّكْرِ . ثم قال : وقد ذكر جماعة من العلماء أن أول من آنسَطَ يَدَهُ منهم ، وارتفع ذكره (عَمْرُو بْنُ الْأَشْثَبِ) ابن ربيعة ، بن يرام ، بن حَضْرَمَوْتُ ، ثم خلفه ابنه (نَمِرُ الْأَزْجِ) فملكهم مائة سنة ، وقاتل العاقلة .

ثم ملك بعده ابنه (كُرَيْب ، ذُو كَرَابِ) بن نمر الأزج مائة وثلاثا وثلاثين سنة .

ثم ملك بعده (مَرْثَدُ ذُو مِرَانِ) بن كُرَيْب مائة وأربعين سنة ، وكان يسكن مَأْرِبَ ، ثم تحوّل إلى حَضْرَمَوْتُ .

(١) نقل في "العبر" ج ٢ ص ٣٠ هذه العبارة بزيادة في الملوك وبعض تغيير في أسمائهم فارجع إليه .

ثم ملك بعده آبنه (علقمه، ذوقيقان) بن مرثد ذى مران ثلاثين سنة .

ثم ملك بعده آبنه (ذوعيل) بن ذى قيقان عشرين سنة . ثم تحوّل من حضرموت إلى صنعاء واشتدّت وطأته . وهو أول من غزا الروم من ملوك اليمن ، وأدخل الحرير والديباغ اليمن .

ثم ملك بعده آبنه (بدعيل بن ذى عيل) أربع سنين ، وبني بها حصونا وخلف آثارا .

ثم ملك بعده آبنه (يدنو ذوحمار) بن بدعيل بحضرموت وبحر فارس ، وكان في أيام سابور ذى الأكاف من ملوك الفرس ، ودام ملكه ثمانين سنة ، وهو أول من اتخذ الحجاب من ملوكهم .

ثم ملك بعده آبنه (ليشرح) ذو الملك ، بن ودب ، بن ذى حمار ، بن عاد من بلاد حضرموت مائة سنة ، وهو أول من رتب المراتب ، وأقام الحرس من ملوكهم . ثم ملك بعده (ينعم) بن ذى الملك دثار بن جذيمة .

ثم ملك بعده (ساجي) بن نمر ، وفي أيامه تغلبت الحبشة على اليمن ، وقد مرّ القول على ملكهم ثم ملك الفرس بعدهم إلى ظهور الإسلام في الكلام على ملوك اليمن في القسم الأول من اليمن ، فأغنى عن إعادته هنا .

وأما نجران وجرش ، فإنهما [كانا] بيد جرهم من القحطانية ، ثم غلبهم على ذلك بنو حمير ، وصاروا ولاية للتبابعة ، فكان كل من ملك منهم يسمى أفعى . ومنهم كان الأفعى الذى حكم بين أولاد نزار بن معد بن عدنان في قصتهم المشهورة .

ثم نزل نجران بنو مدحج ، وأستولوا عليها ، ثم نزل في جوارهم الحارث بن كعب الأزدي فغلبهم عليها ، وأنتهت رياسة بني الحارث فيها إلى بني الديان ، ثم صارت

إلى بنى عبد المَدَّان، إلى أن كان منهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يزيد، فأسلم على يد خالد بن الوليد رضى الله عنه .

وكان منهم زياد بن عبد الله بن عبد المَدَّان خال السَّفَّاح، ولأه نجران واليمامة، وخلف أبنه مجدا ويحيى، ودخلت المائة الرابعة والملك بها لبنى أبي الجُود بن عبد المَدَّان، واتصل مجيئهم وكان آتِهم عبد القيس الذى أخذ على بن مهدي الملك من يده .

أما في الإسلام، فقد تقدّم في الكلام على القسم الأوّل من اليمن أيضا أنه لما ظهر الإسلام أسلم باذان نائب الفُرس على اليمن، ونتاج أهل اليمن في الإسلام، وولى النبي صلى الله عليه وسلم على صنعاء شهر بن باذان المذكور، فلما خرج الأسود العنسي، أخرج عمّال النبي صلى الله عليه وسلم من اليمن على ما تقدّم، وزحف إلى صنعاء فملكها وقتل شهر بن باذان وتزوج امرأته . فلما قُتل العنسي ورجع عمّال النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، استبد بصنعاء قيس بن عبد يغوث المرادى، وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأمر على ذلك .

ثم كانت خلافة أبي بكر رضى الله عنه، فولّى على اليمن (فيروز الديلمي) ثم ولى بعده (المهاجر بن أبي أمية) . ثم توالى عمّال الخلفاء على اليمن على ما تقدّم في الكلام على القسم الأوّل من اليمن . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن كان أوّل المائة الرابعة بعد الهجرة أو ما قاربها، فغلب على صنعاء وما والاها بنو يعفر من بقايا التباغة . قال ابن سعيد : وكان دار ملكهم كحلان، وهى قلعة من عمل صنعاء بالقرب منها، ولم أقف على تفاصيل أحوالهم وأسماء ملوكهم .

ثم كانت دولة أئمة الزيدية القاسمين بها إلى الآن، وهم بنو القاسم الرّسى،

(١) ابن إبراهيم طباطبا، بن إسماعيل الديباج، بن عبد الله، بن الحسن المثنى، بن الحسن السبط، ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

وكان مبدأ أمرهم أن محمد بن إبراهيم طباطبا خرج بالكوفة في خلافة المأمون ، في سنة تسع وتسعين ومائة ودعا إلى نفسه ، وكان شيعته من الزيدية وغيرهم يقولون : إنه مستحق للإمامة بالتوارث من آبائه عن جده إبراهيم الإمام ، وغلّب على كثير من بلاد العراق ، ثم نحدت سورته ، فتطلب المأمون أخاه القاسم الرسيّ فهرب إلى الهند ، ولم يزل به حتى هلك سنة خمس وأربعين ومائتين ، فرجع ابنه الحسين بن القاسم الرسيّ بن إبراهيم طباطبا إلى اليمن ، فكان من عقبه هؤلاء الأئمة .

وأول من خرج منهم باليمن (يحيى بن الحسين الزاهد) بن القاسم الرسيّ ودعا لنفسه بصعدة وتلقب بالهادي ، وبويع بالإمامة سنة ثمان وثمانين ومائتين في حياة أبيه الحسين ، وجمع الشيعة وغيرهم وحارب إبراهيم بن يعفر ، ويقال أسد بن يعفر ، القائم من أعقاب التبابعة بصنعاء وكلان ، وملك صنعاء ونجران وضرب السكة باسمه .

قال في "مسالك الأبصار" : واستجاب الناس لندائه ، وصلّوا بصلاته وأمنوا على دعائه ، وقام فيهم مقاماً عظيماً ، وأثر فيهم من الصلاح أثراً مشهوداً . قال : وفي ذلك يقول :

بني حسنٍ إني نهضتُ بئاركُم * وثأر كتاب الله والحقّ والسُننُ
وصيرتُ نفسي للحوادثِ عرضةً * وغبتُ عن الإخوان والأهل والوطنُ

ثم أرتجعهما بنو يعفر منه ورجع هو إلى صعدة ، فتوفي بها سنة ثمان وتسعين ومائتين ، لعشر سنين من بيعته . قال ابن المحاب : وله مصنفات في الحلال

(١) في "كامل" ابن الاثير إبراهيم بدل عبد الله .

والحرام . وقال غيره ، كان مجتهداً في الأحكام الشرعية ؛ وله في الفقه آراء غريبة ،
وتأليف بين الشيعة مشهورة . قال ابن حزم : ولم يبعُد في الفقه عن الجماعة
كلَّ البعد .

قال الصولي : ثم ولي بعده آبنه (محمد المرتضى) وتمت له الشيعة ؛ فاضطرب
الناس عليه . قال في "أنساب الطالبين" : وأضطرب إلى تجريد السيف فجرده .
وفي ذلك يقول :

كدر الورد علينا بالصدر * فَعُلْ مَنْ بَدَّلَ حَقًّا أَوْ كَفَرُ
أيها الأمة عودي للهدى * ودعي عنك أحاديث البشر
عَدِمَتْنِي الْبَيْضُ وَالشُّمْرُ مَعًا * وَتَبَدَّلْتُ رُقَادًا بِسَهْرٍ
لَأَجْرَنَ عَلَى أَعْدَائِنَا * نَارَ حَرْبٍ بِضَرَامٍ وَشَرَرُ

ومات سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة لثنتين وعشرين سنة من ولايته .

وولي بعده أخوه (الناصر) فاستقام ملكه .

ثم ولي بعده آبنه (الحسين) المنتجب (بالجم) و مات سنة أربع وعشرين وثلثمائة .

وولي بعده أخوه (القاسم المختار) بعهد من أخيه المذكور ، وقتله أبو القاسم بن
الضحاك الهمداني سنة أربع وأربعين وثلثمائة .

وولي بعده صعدة (جعفر الرشيد) ثم بعده أخوه (المختار) ثم أخوه (الحسن
المنتجب) ثم أخوه (محمد المهدي) .

قال "ابن المحاب" : ولم تزل إمامتهم بصعدة مطردة إلى أن وقع الخلاف بينهم
وجاء السليمانيون أمراء مكة حين غلبة الهواشم عليهم فغلبوا على صعدة في المائة
السادسة .

قال ابن سعيد : وقام بها منهم (أحمد بن حمزة) بن سليمان ، بن داود ،
ابن عبد الله ، بن الحسن المثنى ، بن الحسن السبط ، وغلب على زبيد وملكها من
بنى مهدي ، ثم أترعها بنو مهدي منه ، وعاد إلى صعدة ومات .

فولى بعده ابنه المنصور (عبد الله) بن أحمد بن حمزة ، وأمتدت يده مع الناصر
لدين الله خليفة بنى العباس ببغداد ، وبعث دُعَاتَهُ إلى الديلم والجل ، فخُطِبَ
له بهما وأقيم له بهما ولاة . وكان بينه وبين سيف الإسلام بن أيوب ، ثم الملك
مسعود ابن الملك الكامل حروب بالين . وبقي حتى توفي سنة ثلاثين وستمائة
عن عمر طويل .

وولى بعده ابنه (أحمد) بن المنصور عبد الله بن أحمد بن حمزة ، ولقب بالمتوكل
صغيرا ولم يُخْطَبْ له بالإمامة لصغر سنه .

وكان بنو الرسى حين غلب عليهم السليمانيون بصعدة أووا إلى جبل شرق
صعدة ، فلم يرحوا عنه ، والخبر شائع بأن الأمر يرجع إليهم ، إلى أن كان المتوكل
أحمد من السليمانيين ، فبايع الزيدية أحمد الموطئ ، بن الحسين المنتجب ، بن أحمد
الناصر ، بن يحيى الهادي ، بن الحسين ، بن القاسم الرسى ، بن إبراهيم طباطبا ،
المقدم ذكره في سنة خمس وأربعين وستمائة .

وكان الموطئ فقيها أدبيا عالما بمذهبهم ، قواما صواما ، فأهمَّ عمر بن علي بن رسول
صاحب زبيد شأنه ، فحاصره بحصن ملا سنة فلم يصل إليه ، وتمكن أمر الموطئ
وملك عشرين حصنا ، وزحف إلى صعدة فغلب السليمانيين عليها ، فنزل أحمد
المتوكل : إمام السليمانيين إليه ، وبايعه في سنة تسع وأربعين وستمائة ، وجع سنة
خمسين وستمائة وبقي أمر الزيدية بصعدة في عقبه .

وقد ذكر المقر الشهابي بن فضل الله في "مسالك الأبصار" : أنه سأل تاج الدين عبد الباقي الياني أحد كتّاب اليمن عن تفاصيل أحوال هذه الأئمة فقال : إن أئمة الزيديين كثيرون ، والمشهور منهم المؤيد بالله ، والمنصور بالله ، والمهدي بالله ، والمطهر يحيى بن حمزة . قال : ويحيى بن حمزة هو الذي كان آخرًا على عهد الملك المؤيد داود بن يوسف صاحب اليمن ، وكانت الهدنة تكون بينهما .

وذكر في "التعريف" أن الإمامة في زمانه كانت في بني المطهر . ثم قال : وآسم الإمام القائم في وقتنا حمزة . ثم قال : ويكون بينه وبين الملك الرسول باليمن مهادنات ومفاسحات تارة وتارة . قال قاضي القضاة ولي الدين بن خلدون في تاريخه : وقد سمعت بمصر أن الإمام بصعدة كان قبل الثمانين والسبعائة على ابن محمد من أعقابهم ، وتوفي قبل الثمانين ، وولي ابنه صلاح ، وبايعه الزيدية . وكان بعضهم يقول فيه : إنه ليس بإمام لعدم اجتماع شروط الإمامة ، فيقول : أنا لكم على ما شئتم : إمام أو سلطان .

ثم مات صلاح آخر سنة ثلاث وتسعين وسبعائة ، وقام بعده ابنه (نجاح) وأمتنع الزيدية من بيعته . فقال : أنا محتسب لله تعالى .

قلت : وقد وهم في "التعريف" : فجعل هذه الأئمة من بقايا الحسينيين القائمين بأمل الشط من بلاد طبرستان ، وأن القائم منهم بأمل الشط بطبرستان هو الداعي المعروف بالعلوي من الزيدية ، وهو الحسن ، بن زيد ، بن محمد ، بن إسماعيل ، بن الحسن السبط ، بن علي ، بن أبي طالب رضي الله عنه . خرج سنة خمس وخمسين ومائتين أو مايقاربها ، فلك طبرستان وجرجان وسائر أعمالهما ثم مات ، وقام أخوه (محمد بن زيد) مقامه . وكان لشيعته من الزيدية دولة هناك ، ثم انقرضت وورثها

الناصر الأطروش ، وهو (الحسن) بن علي ، بن الحسين ، بن علي ، بن عمر ، بن علي زين العابدين ، بن الحسين السبط ، بن علي ، بن أبي طالب ، وكان له دولة هناك . ثم خرج علي الأطروش من الزيدية الداعي الأصغر ، وهو (الحسن) بن القاسم ، ابن علي ، بن عبد الرحمن ، بن القاسم ، بن محمد البطحائي ، بن القاسم ، بن الحسن ، ابن زيد ، بن الحسن السبط ، وجرى بينه وبين الأطروش حروب إلى أن قتل سنة تسع عشرة وثلثمائة ، ويجمع الداعي الأصغر مع الداعي الأكبر في الحسن ابن زيد ، وليس بنو الرسي الذين منهم أئمة اليمن من هؤلاء بوجه .

الجملة الثالثة

(في ترتيب مملكة هذا الإمام)

قال في "التعريف" بعد أن ذكر إمام زمانه : وهذا الإمام وكل من كان قبله على طريقة ما عدوها ، وهي إمارة أعرابية ، لا كبر في صدورهم ، ولا شتم في عرائنهم ، وهم على مسكة من التقوى ، وترد بشعار الزهد ، يجلس في ندى قومه كواحد منهم ، ويتحدث فيهم ويحكم بينهم ، سواء عنده المشروف والشريف ، والقوى والضعيف . قال : وربما اشترى سلعته بيده ، ومشى بها في أسواق بلده ، لا يغلظ الحجاب ، ولا يكل الأمور إلى الوزراء والحجاب ، يأخذ من بيت المال قدر بلغته من غير توسع ، ولا تكثر [غير مشبع ^(١)] . هكذا هو وكل من سلف قبله ، مع عدل شامل ، وفضل كامل .

وذكر في "مسالك الأبصار" عن تاج الدين عبد الباقي اليماني الكاتب نحو ذلك ، فقال : وأئمتهم لا يحبون ولا يحبون ، ولا يروون التفخيم والتعظيم ، الإمام

(١) الزيادة عن التعريف .

كواحد من شيعته : في مأكله ومشربه وملبسه ، وقيامه وقعوده ، وركوبه ونزوله ، وعامة أموره ، يجالس ويجالس ، ويعود المرضى ، ويصلي بالناس وعلى الجنائز ، ويُشيع الموتى ، ويحضر دفن بعضهم . قال : ولشيعته فيه حُسن اعتقاد ، ويستشفون بدعائه ، ويمتزون يده على مرضاهم ، ويستشقون المطر به إذا أجذبوا ، وبياغوث في ذلك مبالغة عظيمة . قال ”المقر الشهابي بن فضل الله“ : ولا يكبر لإمام هذه سيرته (في التواضع لله وحسن المعاملة خلقه ، وهو من ذلك الأصل الطاهر ، والعنصر الطيب) أن يُجاب دعاؤه ، ويتقبل منه . وينادى ببلاد هذا الإمام في الأذان ”بحي على خير العمل“ بدل الحيعلتين ، كما كان ينادى بذلك في تأذين أهل مصر في دولة الخلفاء الفاطميين بها . قال في ”التعريف“ : وأمرأ مكة تُسر طاعته ، ولا تُفارق جماعته . قال ابن غانم : هذا الإمام يعتقد في نفسه ويعتقد أشياءه فيه انه إمام معصوم ، مفترض الطاعة ، تتعقد به عندهم الجمعة والجماعة ، ويرون أن ملوك الأرض وسلاطين الأقطار يلزمهم طاعته ومبايعته ، حتى خلفاء بني العباس ، وأن جميع من مات منهم مات عاصيا بترك مبايعته ومتابعته . قال : وهم يزعمون ويؤمنون لهم أن سيكون لهم دولة يُدال بها بين الأمم ، وتملك منتهى الهمم ، وأن الإمام الحجة المنتظر في آخر الزمان منهم .

وذكر عن رسول هذا الإمام ، الواصل إلى مصر : أن الأئمة في هذا البيت أهل علم يتوارثونه : إمام عن إمام ، وقائم عن قائم . وذكر عن بعض من مر بهم انه فارقهم في سنة اثنتين وثلاثين وسبعائة وهم لا يشكون أنه قد آن أوان ظهورهم ، وحين ملكهم . ولهم رعايا تختلف إلى البلاد ، وتجتمع بمن هو على رأيهم . يتربصون ضعف الدولة في أقطار الأرض .

وَحكى "المقتر الشهابي" بن فضل الله "عن قاضي القضاة كمال الدين محمد بن الزمكاني قاضي حلب : أنه مات رجلٌ من شيعتهم بحلب ، فُوجِدَ عنده صُندوقان ، ضمَّنهما كُتُبٌ من أُمَّة هذه البلاد إلى ذلك الرجل وإلى سَلَفه ، يستعرفون فيها الأخبارَ ، وأحوالَ الشَّيعة ، والسؤالَ عن أناسٍ منهم ؛ وأن في بعضها : ولا يُؤخَّر مددٌ من هنا من إخوانكم المؤمنين في هذه البلاد الشاسعة ، وهو حق لله فيه تزكية أموالكم ، ومددٌ إخوانكم من الضعفاء وآتقوا الله و﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ .

ونقل عن الشيخ شهاب الدين بن غانم : أنه حدَّثه عند وُصوله من اليمن أن هذا الإمام في مَنعة مَنيعه ، وذِروة رفيعه ؛ وأنه يركب في نحو ثلاثة آلاف فارس ، وأن عسكره من الرِّحالة ، خلق لا جسم . وذكر عن أقام عندهم : أنهم أهل نجدة وبأس ، وشجاعة ورأى ؛ غير أن عددهم قليل ، وسلاحهم ليس بكثير : لضيق أيديهم ، وقلة دخل بلادهم . ونقل عن تاج الدين عبد الباقي اليمني : أن قومه معه على الطَّواعية والأتقياد ، لا يخرج أحد منهم له عن نصٍّ ، ولا يشاركه فيما يُمَيِّزُ به .

قال ابن غانم : وزىّ هذا الإمام وأتباعه زىّ العرب في لباسهم والعمامة والحنك ؛ بخلاف ما تقدّم من زىّ صاحب اليمن من بنى رسول . قال الشيخ شهاب الدين بن غانم : وهذا الإمام لا يزال صاحبُ اليمن يرعى جانبَه ، وفي كل وقت تُعقد بينهما العُقود ، وتكتب الهدن ، وتوثق المواثيق ، وتُشرط الشروط .

قال في "التعريف" : وقد وصل إلينا بمصر في الأيام الناصرية (سقى الله تعالى عهدها) رسولٌ من هذا الإمام بكتاب اطلال فيه الشكوى من صاحب اليمن ، وعدّد قبائحه ، ونشر على عيون الناس فضائحه ؛ وأستنصر بمددٍ يأتي تحت الأعلام

المنصورة لإجلائه عن دياره ، وإجرائه مجرى الذين ظلموا في تعجيل دماره .
وقال : إنه إذا حضرت الجيوش المؤيدة قام معها ، وقاد إليها الأشراف والعرب
أجمعها ، ثم إذا استنقذ منه ما بيده أنعم عليه ببعضه ، وأعطى منه ما هو إلى جانب
أرضه . قال : فكتبتُ إليه مؤذنا بالإجابة ، مؤذيا إليه ما يقتضى إعجابه ، وضمن
الجواب أنه لا رغبة لنا في السلب ، وأن النصرة تكون لله خالصة وله كل البلاد
لا قدر ما طلب .

وسياتى ذكر المكتبة إلى هذا الإمام عن الأبواب السلطانية ، في الكلام على
المكتبات ، في المقالة الرابعة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

القُطْر الثَّانِي

(مما هو خارج من جزيرة العرب عن مضافات الديار المصرية
” بلاد البحرين “ تثنية بحر)

قال في ” تقويم البلدان “ : بفتح الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة وفتح الراء
المهملة وسكون المثناة من تحت ثم نون . وهى قطعة من جزيرة العرب المذكورة .
قال في ” تقويم البلدان “ : وهى ناحية من نواحي نجد ، على شطّ بحر فارس ،
ولها قرى كثيرة . قال : وهى (هجر) ونهايتها الشرقية الشمالية قال في ” الأطوال “
ونهايتها من الشمال فى الإقليم الثانى حيث الطول أربع وسبعون درجة وعشرون
دقيقة ، والعرض خمس وعشرون درجة وخمس وأربعون دقيقة .

قال فى ” المشترك “ : ويقال للبحرين هجر أيضا - بفتح الهاء والجيم ثم راء
مهملة وليست هجر مدينة بعينها . قال الأزهري : وإنما سميت هجر بالبحرين
ببحيرة بها عند الاحساء وبالبحر الملح يعنى بحر فارس ، والنسبة إلى البحرين

بجراني . قال الجوهري : والنسبة إلى هجر هاجري على غير قياس . قال الأزهري :
وسميت هجر بهجر بنت المكنف ، وهي التي بنتها .
وفيه ثلاث جمل :

الجملة الأولى

(فيما تشتمل عليه من المدن)

وقاعدتها (عَمَّاتُ) قال في " اللباب " : بضم العين المهملة وفتح الميم ونون
في الآخر بعد الألف . قال الأزهري : وسميت بعمان بن نعان بن إبراهيم
عليه السلام ، وموقعها في الإقليم الأول . قال : وهي على البحر تحت البصرة .
قال المهلب : وهي مدينة جليلة ، بها مرسى السفن من السند والهند والزنج ، وليس
على بحر فارس مدينة أجل منها ، وأعمالها نحو ثلثمائة فرسخ . قال : وهي ديار الأزد
قال في " تقويم البلدان " : وهي بلدة كثيرة النخيل والقواكه ، ولكنها حارة جداً .
وكانت القصبة في القديم مدينة صحار . قال في " تقويم البلدان " : بضم الصاد
وفتح الحاء المهملتين كما في الصحاح . قال : وهي اليوم خراب .
وبها بلاد أخرى غير ذلك .

منها (الأحساء) . قال في " تقويم البلدان " : بفتح الهمزة وسكون الحاء وفتح
السين المهملتين وألف في الآخر . قال في " المشترك " : والأحساء جمع حسي ،
وهو رمل يغوص فيه الماء ، حتى إذا صار إلى صلالة الأرض أمسكته فتحفر
عنه العرب وتستخرجه . وموقعها في أوائل الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة .
قال في " الأطوال " : حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ،

(١) في معجم ياقوت " يفتان " وفي " العبر " سميت بعمان بن حطان أول من نزلها بولاية أخيه يعرب .

والعَرْضُ اثنتان وعشرون درجة . قال في "تقويم البلدان" : ذاتُ نخيل كثير، ومياهٍ جارِيَةٍ، ومنايِبُها حارَّةٌ شديدةُ الحرارة، ونخيلُها بقدر غُوطَةِ دِمَشقَ، وهو مستدير عليها، وهي في البرية، في الغرب عن القطيف بمِيلةٍ إلى الجنوب، على مرحلتين منها . قال : وتعرف بأحساءِ بنى سعد .

ومنها (القطيف) . قال في "اللباب" : بفتح القاف وكسر الطاء المهملة وسكون المشنة من تحت وفاء في الآخر . وهي بلدة على مرحلتين من الأحساء من جهة الشرق والشمال ، واقعة في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيثُ الطولُ ثلاث وسبعون درجة وخمس وخمسون دقيقة، والعرض اثنتان وعشرون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي على شَطِّ بحر فارس، وبها مَغَاصُ لؤلؤ، وبها نخيل دون نخيل الأحساء . قال : وعن بعض أهلها أن لها سورا وخندقا ولها أربعة أبواب ، والبحر إذا مَدَّ يصل إلى سُورِها وإذا جَزَرَ ينكشف بعضُ الأرض ؛ وهي أكبر من الأحساء . قال : ولها خُور في البحر تدخل فيه المراكبُ الكبارُ الموسَّقة في حالة المدِّ والجَزْرِ ، وبينها وبين البصرة ستة أيام، وبينها وبين عُمان مسيرة شهر .

ومنها (كاظمة) . قال في "تقويم البلدان" : بكاف وألف وظاء معجمة مكسورة وميم وهاء . قال : وهي جَوْنٌ على ساحل البحر، بين البصرة والقطيف، في سَمْتِ الجنوب عن البصرة، وبينها وبين البصرة مسيرة يومين ، وبينها وبين القطيف أربعة أيام .

الجملة الثانية

(في ذكر ملوكها)

قد ذكر صاحب "العبر" : أنها كانت في القديم لعادٍ مع حَضْرَمَوْتِ والشَّحْرَ وما والاهما، ثم غلب عليها بعد ذلك بنو يَعْرَبَ بنِ قُطَان .

الجملة الثالثة

(في الطريق الموصل إليها)

قد تقدّم في الكلام على مملكة إيران الطريق من مملكة مصر إلى البصرة . قال ابن خرداذبه : ثم من البصرة إلى عَبَّادَان ، ثم إلى الحدودة ^(١) ، ثم إلى عَرَبْخَاءَ ، ثم إلى الرَّابُوقَةِ ، ثم إلى المَغْزَا ، ثم إلى عَصَا ، ثم إلى المَعْرَس ، ثم إلى خُلَيْجَةَ ، ثم إلى حَسَّان ، ثم إلى القُرَى ، ثم إلى مَسِيحَةَ ، ثم إلى حَمَض ، ثم إلى ساحل هَجَر ، ثم إلى العُقَيْر ، ثم إلى القَطَن ، ثم إلى السَّبَخَةِ ، ثم إلى عُحْمَان .

وذكر لها طريقاً أخرى من مكة إليها على الساحل : وهي من مكة ، إلى جُدَّة ، إلى مَنَزَل ، ثم إلى الشَّعْبِيَّة ، ثم إلى المَرْجَاب ، ثم إلى أَعْيَار ، ثم إلى السَّرِين ، ثم إلى مَرَسِي حَلِي ، ثم إلى مَرَسِي ضَنْكَان ، ثم إلى سَبْجِين ، ثم إلى مَخْلَاف الحَكَم ، ثم إلى الجَوْدَةِ ، ثم إلى مَخْلَاف عَكَّ ، ثم إلى غَلَفِقَةَ ، ثم إلى مَخْلَاف زَبِيد ، ثم إلى المَنْدَب ، ثم إلى مَخْلَاف الرُّكْب ، ثم إلى المنجلة ، ثم إلى مَخْلَاف بَنِي مَجِيد ، ثم إلى مَغَاص اللُّؤْلُؤ ، ثم إلى عَدَن ، ثم إلى مَخْلَاف لَحْج ، ثم إلى قرية عبد الله بن مَذْحِج ، ثم إلى مَخْلَاف كِنْدَةَ ، ثم إلى الشَّحْر ، ثم إلى ساحل هَمَاه ، ثم إلى عَوَكْلَان ، ثم إلى فرق ، ثم إلى عُحْمَان . وهي طريق بعيدة .

(١) لم تتفق نسخ "ابن خرداذبه" في بعض الأماكن فعولنا في كثير منها على الأصل .

ولعربها مكاتبات عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية، على ما سيأتى ذكره
فى الكلام على المكاتبات فى المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

القُطْر الثالث

(مما هو خارج من جزيرة العرب عن مضافات الديار المصرية "اليَمَامَةُ")

قال فى "تقويم البلدان" : بفتح المشناة من تحت والميم وألف وميم وهاء
فى الآخر . وهى قِطْعَةٌ من جزيرة العرب من الحجاز، وعليه جرى الفقهاء فحكموا
بتحريم مُقَامِ الكُفْرِ بها كما بسائر أقطار الحجاز ؛ وهى فى سمت الشرق عن مكة
المُشْرِفَةُ . قال البيهقى : وهى مُلْكٌ منقطع بعمله ؛ ويحدها من جهة الشرق
البحرين، ومن الغرب أطراف اليمن والحجاز، ومن الجنوب نجران من نواحي اليمن،
ومن الشمال نجد والحجاز، وأرضها تسمى العَرُوض : لأعتراضها بين الحجاز والبحرين؛
وطولها عشرون مرحلة . وهى فى جهة الغرب عن القطيف، وبينهما نحو أربع
مراحل، وبينها وبين مكة أربعة أيام . وسميت اليمامة باسم امرأة : وهى اليمامة
بنت سَهْم بن طَسَم، كانت تنزلها إلى أن قتلها عبدكَلال وصلبها على بابها فسميت
بها، سَمَّاها بذلك تُبَعِّ^(١) الآخر . قال فى "تقويم البلدان" : وكان اسمها فى القديم
جَوًّا بفتح الجيم وسكون الواو . قال فى "تقويم البلدان" : وهى عن البصرة على
ست عشرة مرحلة، وعن الكوفة مثل ذلك . قال فى "تقويم البلدان" : وبها
من القُرب عين ماء متسعة ومأوها سارح، وذكر أنها [أكثر نخيلا من]^(٢) سائر الحجاز،

(١) لعل الصواب وشد الواو .

(٢) بياض فى الأصل والتصحيح من التقويم .

ثم نقل عمن رآها في زمانه أن بها آبارا وقليل نخل، وكأنه حكى^(١) ... عما كانت عليه في القدم، وبها واد يسمى - الخرج - بنحاء معجمة مفتوحة وراء مهملة ساكنة وجيم في الآخر، كما هو مضبوط في الصّحاح .
وفيه ثلاث جُمَل :

الجملة الاولى

(فيما أشتملت عليه من البلدان)

قد ذكر في "تقويم البلدان" عمن أخبره ممن رآها في زمانه أن بها عِدَّة قُرَى :
وبها الحنطة والشعير كثير . وقاعدتها دون مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ، واقعة في أوائل الإقليم الثاني . قال في "الأطوال" حيث الطول إحدى وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض إحدى وعشرون درجة وثلاثون دقيقة .

ومن بلادها (حَجَر) قال في "المشترك" : بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم وراء مهملة في الآخر . وهي في الغرب عن مدينة اليمامة ، على مرحلتين منها ، وبعضهم يجعلها قاعدة اليمامة . وموقعها في أوائل الإقليم الثاني . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول إحدى وسبعون درجة وعشر دقائق ، والعرض اثنتان وعشرون درجة . قال : وبها قبور الشهداء الذين قُتِلوا في حرب مَسِيمة الكذاب .

(١) يراى في الأصل ولعله حكى ذلك معبرا عما الخ .

الجملة الثانية

(في ذكر ملوكها)

قال صاحب "العبر" : كانت هي والطائف بيد بني هزّان بن يعفر بن السكسك ، إلى أن غلبهم عليها (طسم) . ثم غلبهم عليها (جديس) ، ومنهم زرقاء اليمامة . ثم استولى عليها (بنو حنيفة) وكان منهم هؤذة بن علي ، وهو الذي كتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام . ثم ملكها من بني حنيفة (ثمامة) بن أثال على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأسير ثم أسلم . ثم كان بها منهم (مسيلمة الكذاب) زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقُتل في حرب المسلمين معه . وكان لبني (الأخيضر) من الطالبيين بها دولة .

وأول من ملكها منهم (محمد بن الأخيضر) بن يوسف ، بن إبراهيم ، بن موسى الجون ، بن عبد الله ، بن الحسن المثنى ، بن الحسن السبط ، ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وكان استيلائه عليها أيام المستعين الخليفة العباسي . ثم ملكها بعده ابنه (يوسف) ثم (ابنه الحسن) ثم ابنه (أحمد) ولم يزل ملكها فيهم إلى أن غلب عليهم القرامطة على ما تقدّم ذكره في الكلام على بلاد البحرين .

قال ابن سعيد : وسألت عرب البحرين في سنة^(١) ، لمن اليمامة اليوم ؟ فقالوا لعرب من قيس عيلان وليس لبني حنيفة بها ذكر .

قلت : ولم أقف لعربها على ذكر في المكاتب السلطانية بالديار المصرية .

(١) في "العبر" بدل قوله في سنة "وبعض مذبح" .

الجملة الثالثة

(في الطريق الموصّل إليها)

قد تقدّم أنها في جهة الشرق عن مكة ، وأنّ بينهما أربعة أيام ، وطريق مكة معروف على ما تقدّم .

أما ما ذكره ابن خردادبه من طريقها على البصرة - فمن البصرة إلى المنتجشانية ،^(١) ثم إلى الكفير ، ثم إلى الرّحيل ، ثم إلى الشّجى ، ثم إلى الحفر ، ثم إلى ماوية ، ثم إلى ذات العُشر ، ثم إلى الينسوعة ، ثم إلى السّمينّة ، ثم إلى النّجاج ، ثم إلى العمومية ، ثم إلى القرّيتين ، ثم إلى سويقة ، ثم إلى صداة ، ثم إلى السّد ، ثم إلى السقى ، ثم إلى المنبية ، ثم إلى السّفح ، ثم إلى المريقة ، ثم إلى اليمامة ، والبصرة قد تقدّم أكثر الطريق إليها في الكلام على مملكة إيران .

القُطر الرابع

(مملكة الهند ومضافاتها)

قال في "مسالك الأبصار" : وهى مملكة عظيمة الشأن ، لا تُقاس في الأرض بمملكة سواها : لانتساع أقطارها ، وكثرة أموالها وعساكرها ، وأبهة سلطانها في رُكوبه ونُزوله ، ودست مُلكه ، وفي صيتها وسمعتها كفاية . ثم قال : ولقد كنت أسمع من الأخبار الطائحة والكتب المصنّفة ما يملأ العين والسمع ، وكنت لأقف على حقيقة أخبارها لبعدها منا ، وتناى ديارها عنا ، ثم تتبعت ذلك من الرواة ، فوجدت أكثر مما كنت أسمع ، وأجل مما كنت أظن . وحسبك ببلاد في بحرها الدرّ ، وفي برّها الذهب ، وفي جبالها الياقوت والماس ، وفي شعابها العود والكافور ،

(١) اختلفت نسخ "ابن خردادبه" في أسماء البلدان فأثبتها طابعه في هامشه ولكننا عوّلنا في الكثير على ما في الأصل .

وفي مَدْنِهَا أَسْرَةُ المُلُوكِ ، ومن وُحُوشِهَا الفِيلُ والكَرْكَدَنْ ، ومن حديدِهَا سُيُوفُ الهند ، وأسعارُهَا رَخِيَّةٌ ، وعساكرُهَا لَا تُعَدُّ ، وممالكُهَا لَا تُحَدُّ ، ولأهلُهَا الحِكْمَةُ ووُفُورُ العقلِ ، وهم أُمَلِكُ الأُمَمِ لَشَهَوَاتِهِمْ ، وأَبْذَلُهُم لِلنَّفُوسِ فيما يُظَنُّ بِهِ الزُّلْفَى .

قال : وقد وصف محمد بن عبد الرحيم الاقليدسي هذه المملكة في كتابه "تحفة الألباب" فقال : المُلْكُ العظيم ، والعَدْلُ الكثير ، والنعمة الجزيلة ، والسياسة الحسنة ، والرضا الدائم ، والأمن الذي لاخوف معه في بلاد الهند . وأهل الهند أعلم الناس بأنواع الحكمة والطب والهندسة والصناعات العجيبة . ثم قال : وفي جبالهم وجزائرهم ينبت شجرُ العود والكافور وجميع أنواع الطيب : كالقَرَنْفُلِ والسَّنْبُلِ والدارصيني ، والقرفة ، والسليخة ، والقاتلة ، والكبابة ، والبسباسة ، وأنواع العقاقير . وعندهم غزال المسك وسنور الزباد ، هذا مع ما هذه المملكة عليه من اتساع الأقطار ، وتباعد الأرجاء ، وتناثر الجوانب .

فقد حكى في "مسالك الأبصار" : عن الشيخ مبارك بن محمود الأنباتي : أن عَرَضَ هذه المملكة ما بين سُومَنَاتٍ وَسَرَنْدِيبَ إلى غَزَنَةِ ، وطولُهَا من الفُرْصَةِ المَقَابِلَةِ لَعَدَنَ إلى سَدِّ الإسكندر عند مَخْرَجِ البحر الهندي من البحر المحيط ، وأن مسافة ذلك ثلاث سنين في مثلها بالسير المعتاد ، كُلُّهَا متصلة المَدُنِ ذوات المنابر والأَسْرَةِ ، والأَعْمَالِ ، والقُرَى ، والضِّياع ، والرَّسَاتِيقِ ، والأسواق ، لا يفصل بينها خراب . بعد أن ذكر عنه أنه ثقة ثبت عارف بما يحكيه إلا أنه آستبعد هذا المقدار ، وقال : إن جميع المعمور لا يقى بهذه المسافة ، اللهم إلا أن يُريد أن هذه مسافة من يتنقل فيها حتى يحيط بجميعها مكاناً مكاناً ، فيحتمل على ما فيه .

وفيه إحدى عشرة جملة :

الجملة الأولى

(فيما أشتملت عليه هذه المملكة من الأقاليم)

وتحتوى هذه المملكة على إقليمين عظيمين :

الإقليم الأول

(إقليم السِّند وما آنخرط في سلكه من مكران ، وطوران ،

والبدهة ، وبلاد [القُفُس] والبُلُوص)

فأما السِّند ، فبكسر السين المهملة وسكون النون ودال مهملة في الآخر . قال
أبن حوقل : ويحيط به من جهة الغرب حدود كَرْمَان ، وتماُم الحد مفازة سِيستان ،
ومن جهة الجنوب مفازة هي فيما بين كَرْمَان والبحر الهندي ، والبحر جنوبي
المفازة ؛ ومن جهة الشرق بحر فارس أيضا : لأن البحر يتقوس على كَرْمَان والسِّند ،
حتى يصير له دخلة شرقي بلاد السند ؛ ومن جهة الشمال قطعة من الهند . قال
أبن خردادبه : وبالسند القُسط ، والقنأ ، والخيزران .

وقاعدته (المنصورة) — قال في ” تقويم البلدان “ : بفتح الميم وسكون النون
وضم الصاد المهملة وسكون الواو وفتح الراء المهملة وهاء في الآخر . وهي مدينة
بالسِّند واقعة في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة قال أبن سعيد : حيثُ الطولُ
خمس وتسعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرضُ أربع وعشرون درجة وأثنتان
وأربعون دقيقة . قال في ” القانون “ : وأسمها القديم يَمَنُوهو وإنما سُميت المنصورة
لأن الذي فتحها من المسلمين قال نُصْرنا . وقال المهلب : إنما سُميت المنصورة
لأن عُمر بن حنص المروفي بهزار مرَد بناها في أيام أبي جعفر المنصور ثاني خلفاء
بنى العباس وسمّاها بلقبه .

قال ابن حوقل : وهى مدينة كبيرة يُحيط بها خَلِيجٌ من نهر مِهْران (وهو نهر يأتى من المُلْتان) فهى كالجزيرة ولكنها بلدة حارّة وليس بها سوى النخيل ؛ وبها قصب السُّكّر، وبها أيضا ثمر على قدر التُّفّاح شديد الحموضة، يسمى اليمومة .

وبها عدّة مدُن وبلاد أيضا .

منها (الدَّيْل) — قال فى ” اللباب “ : بفتح الدال المهملة وسكون المشنة من تحتها وضم الباء الموحدة ولام فى الآخر . وهى بلدة على ساحل البحر، واقعة فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطولُ اثنتان وتسعون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة، والعرضُ أربع وعشرون درجة وعشرون دقيقة . قال فى ” تقويم البلدان “ : وهى بلدة صغيرة على ساحل ماء السند شديدة الحر . قال ابن حوقل : وهى شرقى مِهْران، وهى فُرْضة تلك البلاد . وقال فى ” اللباب “ : إنها على البحر الهندى قريبة من السند . قال ابن سعيد : وهى فى دَخْلَة من البرّ فى خليج السّند ؛ وهى اكبر فُرْض السند وأشهرها ؛ ويجلب منها المتاع الدَّيْلُ . قال فى ” تقويم البلدان “ : وبها سَمْسَم كثير، ويجلب إليها التمر من البصرة، وبينها وبين المنصورة ست مراحل .

ومنها (البيرون) . قال فى ” اللباب “ : بكسر الباء الموحدة وسكون الياء آخر الحروف وضم الراء المهملة وبعدها واو ونون فى الآخر . وهى مدينة من أعمال الدَّيْل بينها وبين المنصورة ، واقعة فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة قال فى ” القانون “ : حيث الطولُ أربع وتسعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرضُ أربع وعشرون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال ابن سعيد : وهى من فُرْض بلاد السّند التى عليها خليجُهم المالح الخارج من بحر فارس . قال فى ” العزيزى “ :

وأهلها مسلمون ، ومنها إلى المنصورة خمسة عشر فرسخا . قال ابن سعيد : وإليها ينسب أبو الريحان البيروني ، يعني صاحب "القانون" في أطوال البلاد وعروضها . ومنها (سدوسان) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح السين وضم الدال المهملتين وواو ثم سين مهملة ثانية مفتوحة وألف ونون . وهي مدينة غربي نهر مهران ، واقعة في أوائل الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة قال في "القانون" : حيث الطول أربع وتسعون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض ثمان وعشرون درجة وعشر دقائق . قال ابن حوقل : وهي خصبة كثيرة الخير وحولها قرى ورستاق ، وهي ذات أسواق جليلة .

ومنها (المولتان) قال في "تقويم البلدان" : بضم الميم وسكون اللام ثم تاء مشناة فوقية وألف ونون . قال : وهي في أكثر الكتب مكتوبة بواو . وهي مدينة من السند فيما ذكره أبو الريحان البيروني ، وإن كان ابن حوقل جعلها من الهند وعليه جرى في "مسالك الأبصار" لأن البيروني أقعد بذلك منه : لأن السند بلاده فهو بها أخبر ، واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول ست وتسعون درجة وخمس وعشرون دقيقة ، والعرض ثمان وعشرون درجة وأربعون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي أصغر من المنصورة .

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن بعض المصنفات أن قرى الملتان مائة ألف قرية وستة وعشرون ألف قرية . قال المهلب : وأعمال الملتان واسعة من قرب حد مكران من الجنوب إلى حد المنصورة ، وبينها وبين غزنة ثمانية وستون فرسخا .

ومنها (أزور) . قال ابن حوقل : وهي مدينة تقارب الملتان في الكبر ، وعليها سوران وهي على نهر مهران . وقال في "العنبري" : هي مدينة كبيرة وأهلها

مسلمون في طاعة صاحب المنصورة وبينهما ثلاثون فرسخا ، قال في ” القانون “ :
حيث الطول خمس وتسعون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، والعرض ثمان وعشرون
درجة وعشر دقائق .



وأما مكران ، فقال في ” اللباب “ : بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء المهملة
وألف ونون . قال ابن حوقل : وهي ناحية واسعة عريضة ، والغالب عليها المفاوز
والقحط والضيق . وقد اختلف كلام صاحب تقويم البلدان فيها فذكر في الكلام
على السند أنها منه ، وذكر في كلامه على مكران في ضمن بلاد السند أنها من كرمان .

وقاعدتها (التيز) قال في ” اللباب “ : بالتاء المشناة الفوقية الممالة ثم ياء آخر
الحروف وزاى معجمة في الآخر ، وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة
قال ابن سعيد : حيث الطول ست وثمانون درجة ، والعرض ست وعشرون درجة
وخمس عشرة دقيقة . قال ابن حوقل : وهي فُرْضة مكران وتلك النواحي ، وهي على
شَطِّ نهر مهران في غربيّه بقرب الخليج المنفتح من مهران على ظهر المنصورة .



وأما طوران . فناحية على خمس عشرة مرحلة من المنصورة . قال في ” القانون “ :
وقصبتها (قندايل) قال : وهي حيث الطول خمس وتسعون درجة ، والعرض
ثمان وعشرون درجة .

وذكر ابن حوقل أن قصبة طوران (قُزْدَار) قال في ” اللباب “ : بضم
القاف وسكون الزاى المعجمة وفتح الدال المهملة وألف وراء مهملة . وقد نقل
في ” تقويم البلدان “ عن إخبار من رآها أنها قَلْبِعة . قال في ” تقويم البلدان “ :

وهي كالتقرية لصغرها، وهي في وطأة من الأرض على تليل، وحولها بعض بساتين .
 وذكر في "اللباب" أن قزدار ناحية من نواحي الهند . قال في "تقويم البلدان" :
 وبينها وبين الملتان نحو عشرين مرحلة .



وأما البُدْهة ، فقال ابن حوقل : وهي مفترشة ما بين حدود طوران ومكران
 والملتان ومُدن المنصورة ؛ وهي في غربي نهر مهران وأهلها أهل إبل كالبادية ،
 ولهم أخصاصٌ وأجامٌ . قال في "تقويم البلدان" : ومن المنصورة إلى أول البُدْهة
 خمس مراحل ، ومن أراد البُدْهة من المنصورة أحتاج إلى عبور نهر مهران .

الإقليم الثاني

(إقليم الهند)

قال في "الأنساب" : بكسر الهاء وسكون النون ودال مهملة في الآخر . قال
 في "تقويم البلدان" : والذي يُحيط به من جهة الغرب بحر فارس ، وتمايه حدود
 السند ؛ ومن جهة الجنوب البحر الهندي ؛ ومن جهة الشرق المفاوز الفاصلة بين
 الهند والصين ؛ ولم يذكر الحد الذي من جهة الشمال . وذكر في "مسالك الأبحار"
 أن حده من جهة الشمال بلاد الترك . وذكر عن الشيخ مبارك الأنباتي : أنه ليس
 في هذه المملكة خراب سوى مسافة عشرين يوما مما يلي غزنة ، لتجاذب صاحب
 الهند وصاحب تركستان وما وراء النهر بأطراف المنازعة ، أو جبال معطلة ،
 أو شعواء^(١) مشتبكة .

(١) كذا في الأصل بالواو وصوابه بالراء كما في المسالك والشعراء الأرض ذات الشجر أو كثيرته .

قال صاحب "مسالك الأبصار": وسألت الشيخ مبارك الأنباتي عن برّ الهند وضواحيه فقال: إن به أنهاراً ممتدة تقارب ألف نهر كبار وصغار، منها ما يضاهاى النيل عظاماً، ومنها ما هو دونه، ومنها ما هو مثل بقية الأنهار. وعلى صغار الأنهار القرى والمدن، وبه الأشجار الكثيفة والمروج الفيح. قال: وهى بلاد معتدلة لا تتفاوت حالات فصولها، ليست مفرطة في حرّ ولا برّد، بل كأن كل أوقاتها ربيع، وتهب بها الأهوية والنسيم اللطيف، وتتوالى بها الأمطار مدة أربعة أشهر، وأكثرها في أخريات الربيع إلى ما يليه من الصيف. ثم لمملكة الهند قاعدتان:

القاعدة الأولى

(مدينة دلي)

قال في "تقويم البلدان": بدال مهملة ولام مشددة مكسورة ثم مثناة تحتية، ولم يتعرض لضبط الدال والناس ينطقون بها بالفتح والضم. وسمّاها صاحب "تقويم البلدان" في تاريخه دهلي ببدال اللام هاء. وهى مدينة ذات إقليم متسع، وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال في "القانون": حيث الطول مائة وثمان وعشرون درجة وخمسون دقيقة، والعرض خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة. قال في "تقويم البلدان": وهى مدينة كبيرة فى مستو من الأرض، وتربتها مختلطة بالحجر والرمل، وعليها سور من آجر، وسورها أكبر من سور حماة، وهى بعيدة من البحر، ويمر على فرسخ منها نهر كبير دون الفرات، وبها بساتين قليلة وليس بها عنب، وتطر في الصيف، وبجامعها منارة لم يعلم فى الدنيا مثلها، مبنية من حجر أحمر ودرجها نحو ثلثمائة درجة، وهى كبيرة الأضلاع، عظيمة الارتفاع، واسعة الأسفل وارتفاعها يقارب منارة الإسكندرية.

وذكر في "مسالك الأبصار" عن الشيخ برهان الدين بن الخلال البزّي الكوفي :
أن علوّها في نحو ستمائة ذراع ، وذكر عن الشيخ مبارك الأنباتي أن دَلِّي مدائن جمعت
ولكل مدينة منها اسم يخصها ودَلِّي واحدة منها . قال الشيخ أبو بكر بن الخلال :
وجملة ما يطلق عليه الآن اسم دَلِّي إحدى وعشرون مدينة .

قال الشيخ مبارك : وهي مُمَيَّلَةٌ طولاً وعرضاً ، يكون دور عُمرانها أربعين ميلاً ،
وبناؤها بالحجر والآجر ، وسقوفها بالخشب ، وأرضها مفروشة بحجر أبيض شبيه
بالرخام ، ولا يُبنى بها أكثر من طبقتين وربما أقتصر على طبقة واحدة ، ولا يفرش
دوره فيها بالرخام إلا السلطان . قال : وفيها ألف مدرسة ، منها مدرسة واحدة
للشافعية وبقية للحنفية ، وبها نحو سبعين بيمارستاناً ، وتسمى بها دور الشفاء ،
وبها وبلادها من الربط والحوائق نحو ألفين ، وفيها الزيارات العظيمة ، والأسواق
المتنّدة ، والحمامات الكثيرة ، وشرب أهلها من ماء المطر ، تجتمع الأمطار فيها
في أحواض وسيرة كل حوض قطره غلوة سهم أو أكثر . أما مياه الاستعمال وشرب
الدواب فمن آبار قريبة المستقى ، أطول ما فيها سبعة أذرع . وقد صارت دَلِّي قاعدة
لجميع الهند [ومُسْتَقَرُّ السلطان] وبها قصور ومنازل خاصة بسكّنه وسكن حريمه ،
ومقاصير جواريه وحظاياهم وبيوت خدمه ومماليكه ، لا يسكن معه أحد من الخانات
ولا من الأمراء ، ولا يكون بها أحد منهم إلا إذا حضر للخدمة ثم ينصرف كل واحد
منهم إلى بيته . ولها بساتين من جهاتها الثلاث : الشرق ، والجنوب ، والشمال
على استقامة ، كل خط اثنا عشر ميلاً ، أما الجهة الغربية فعاطلة من ذلك لمقاربة
جبل هابة . ووراء ذلك مدُن وأقاليم متعدّدة .

القاعدة الثانية

(مدينة الدواكير)

ومدينة الدواكير بفتح الدال المهملة والواو وألف بعدها كاف مكسورة ثم ياء
 مشناة تحتية وراء مهملة في الآخر . وهي مدينة ذات إقليم متسع . وقد ذكر
 في "مسالك الأبصار" عن الشيخ مبارك الأنباتي : أنها مدينة قديمة جددتها السلطان
 محمد بن طغلقشاه، وسمّاها "قبة الإسلام" . وذكر أنه فارقها ولم تتكامل بعد،
 وأن السلطان المذكور كان قد قسمها على أن تبنى محلات لأهل كل طائفة محلة :
 الجند في محلة، والوزراء في محلة، والكتّاب في محلة، والقضاة والعلماء في محلة،
 والمشايخ والفقراء في محلة، وفي كل محلة ما يحتاج إليه من المساجد، والأسواق،
 والحمامات، والطواحين، والأفران، وأرباب الصنائع من كل نوع حتى الصوّاغ
 والصّبّاغين، والدّبّاغين، بحيث لا يحتاج أهل محلة إلى أخرى في بيع ولا شراء،
 ولا أخذ ولا عطاء : لتكون كل محلة كأنها مدينة مفردة قائمة بذاتها .

واعلم أن صاحب "تقويم البلدان" : قد ذكر عن بعض المسافرين إلى الهند
 أن بلاد الهند على ثلاثة أقسام :

القسم الأول — بلاد الجزرات

قال في "تقويم البلدان" : بالجم والزاى المعجمة والراء المهملة ثم الف وتاء
 مشناة فوق . وبها عدّة مدن وبلاد .

منها (نَهْلُوارة) بالنون والهاء واللام والواو ثم ألف وراء مهملة وهاء . وقال
 ابن سعيد : نَهْرُوالة، فقدم الراء وأخر اللام، وكذلك نقله في "تقويم البلدان"

عن بعض المسافرين . وفي "نزهة المشتاق" نهروارة براءين . وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة قال في "القانون" : حيث الطول ثمان وتسعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وهي غربي إقليم المنيبار الآتي ذكره . قال : وهي أكبر من كنبات ، وعمارتها مفرقة بين البساتين والمياه ، وهي عن البحر على مسيرة ثلاثة أيام . قال صاحب حماة في "تاريخه" : وهي من أعظم بلاد الهند .

ومنها (كنبات) قال في "تقويم البلدان" : بالكاف ونون ساكنة وباء موحدة ثم ألف وباء مشاة تحتية وتاء مشاة من فوقها ، ومقتضى ما في "مسالك الأبصار" : أن يكون اسمها أنبات بإبدال الكاف همزة ، فإنه ينسب إليها أنباتي . وهي مدينة على ساحل بحر الهند ، موقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة قال في "القانون" : حيث الطول تسع وتسعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض اثنتان وعشرون درجة وعشرون دقيقة . وذكر في "تقويم البلدان" عمن سافر إليها أنها غربي المنيبار على خور من البحر طوله مسيرة ثلاثة أيام . قال : وهي مدينة حسنة ، أكبر من المعرة من بلاد الشام في المقدار ، وأبنيتها بالآجر ، وبها الرخام الأبيض ، وبها بساتين قليلة .

ومنها (تانة) . قال في "تقويم البلدان" : قال أبو العقول نقلا عن عبد الرحمن الريان الهندي - بفتح المشاة الفوقية ثم ألف ونون وهاء . وهي بلدة على ساحل البحر ، واقعة في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة قال في "القانون" : حيث الطول مائة وأربع عشرة درجة وعشرون دقيقة ، والعرض تسع عشرة درجة وعشرون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي من مشارق الجزرات . قال ابن سعيد : وهي مشهورة على السن التجار . قال : وأهل هذا الساحل جميعهم

كُفَّار يعبدون الأنداد ، والمسلمون ساكنون معهم . قال الإدريسي : وأرضها وجبالها تُنبت القنأ والطباشير ويحمل منها إلى الآفاق . قال أبو الرِّيحان : والنسبة إليها تانِشِي ومنها الثياب التانِشِيَّة .

ومنها (صُومَنَاتُ) قال في "تقويم البلدان" : بالصاد المهملة ويقال بالسين المهملة ثم واو ساكنة وميم ونون مفتوحتين ثم ألف وتاء مثناة فوقية في الآخر ، وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة قال في "القانون" : حيثُ الطولُ سبع وتسعون درجة وعشر دقائق ، والعرضُ اثنتان وعشرون درجة وخمس عشرة دقيقة . قال في "القانون" : وهي على الساحل في أرض البَوَازِيح . قال ابن سعيد : وهي مشهورة على ألسنة المسافرين ، وتعرف ببلاد اللار ، وموضعها في جهة داخلية في البحر فيَنَظِّحُها كثير من مراكب عدن لأنها ليست في جَوْن ، ولها خور ينزل من الجبل الكبير الذي في شَمَالِهَا إلى شَرْقِهَا ، وكان بها صَنَم تعظمه الهنود يُضاف إليها ، فيقال : "صَنَم صُومَنَات" فكسره يمين الدولة "محمود بن سُبُكْتِكِين" عند فتحها كما هو مذكور في التواريخ .

ومنها (سَنَدَانُ) بالسين المهملة والنون والداال المهملة والألف والنون ، هكذا ذكره في "تقويم البلدان" : ونقل لفظه عن المهلب في "العزري" . وقال بعض المسافرين إنها (سَنَدَابُور) بالسين المهملة والنون والداال المهملة وألف وباء موحدة وواو وراء مهملة في الآخر . وهي مدينة على ثلاثة أيام من تانَّة ، موقعها في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة قال في "القانون" : حيثُ الطولُ مائة وأربع دَرَج وعشرون دقيقة ، والعرضُ تسع عشرة درجة وعشرون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" عن بعض المسافرين : وهي على جَوْن في البحر الأخضر ، وهي آخر إقليم الجزرات . قال في "القانون" : وهي على الساحل . قال في "العزري" :

وبينها وبين المنصورة خمسة عشر فرسخاً، وهي مجمع الطرق . قال : وهي بلاد القسطنطينية والقنا والخيزران، وهي من أجل الفرض التي على البحر .

ومنها (ناكور) قال في "تقويم البلدان" : بفتح النون وألف وكاف مضمومة وواو وراء مهيمة في الآخر . وهي مدينة على أربعة أيام من دلي .

ومنها (جالور) بفتح الجيم ثم ألف ولام مضمومة وواو وراء مهيمة . وهي على تل تراب نحو قلعة مصيف بين ناكور وبين نهر والة . ويقال إنه لم يعص على صاحب دلي من الجزرات غير جالور .

(١) ومنها (منوري) . قال في "القانون" : وهي بين الفرضة وبين المعبر إلى سرنديب حيث الطول مائة وعشرون درجة، والعرض ثلاث عشرة درجة .

القسم الثاني — من إقليم الهند بلاد المنيبار

قال في "تقويم البلدان" : بفتح الميم وكسر النون وسكون الياء آخر الحروف (٢) وفتح الباء الموحدة ثم ألف وراء مهيمة في الآخر . وهي إقليم من أقاليم الهند في الشرق عن بلاد الجزرات المقدم ذكرها . قال : والمنيبار هي بلاد الفلفل . ثم قال : والفلفل في شجرة عناقيد كعناقيد الدخن، وشجره ربما ألفت على غيره من (٣) الأشجار كما تلتف الدوالي، وبها بلاد وجميع بلاد المنيبار مخضرة كثيرة المياه والأشجار الملتفة .

(١) وقعت في "التقويم" بالبدال المهيمة بدل الواو ولم يضبطها .

(٢) ذكرها ياقوت باللام بدل النون .

(٣) بياض في الأصل ولعله "كثيرة" .

منها (هَنُورٌ) قال في "تقويم البلدان" : بفتح الهاء والنون المشددة والواو وراء مهملة . وهي غربي سَندَابُورَ من بلاد الجزرات المقدم ذكرها، فتكون أول بلاد المنيار من الغرب . قال : ولها بساين كثيرة .

ومنها (بَاسُورُ) بالباء الموحدة وبالسين المفتوحة والراءين المهملات . وهي بلدة صغيرة شرقي هَنُورِ المقدمة الذكر .

ومنها (مَنْجُورُ) قال في "تقويم البلدان" : بفتح الميم وسكون النون وفتح الجيم وضم الراء المهملة ثم واو ساكنة وراء مهملة . وهي شرقي بَاسُورِ المقدمة الذكر . قال : وهي من أكبر بلاد المنيار، ومليكها كافر، ووراءها بثلاثة أيام جبل عظيم داخل في البحر، يرى للسافرين من بُعد، يسمى "رأس هيلي" بفتح الهاء وسكون الياء المثناة من تحت وكسر اللام ثم ياء مثناة تحتية في الآخر .

ومنها (تَنْدُورُ) بالتاء المثناة الفوقية المفتوحة وسكون النون ثم دال مهملة وياء آخر الحروف مضمومة وواو وراء مهملة . وهي بلدة شرقي "رأس هيلي" لها بساين كثيرة .

ومنها (الشَّالِيَاتُ) بفتح الشين المعجمة وألف ولام مكسورة وياء آخر الحروف ثم ألف وتاء مثناة فوقية .

ومنها (الشَّنْكِ) بالشين المعجمة المكسورة [وسكون النون ^(١)] وكاف ولام وياء آخر الحروف . وهي بلدة بالقرب من الشَّالِيَاتِ .

ومنها (الكَوْلُ) قال في "تقويم البلدان" : بالكاف المفتوحة والواو الساكنة

(١) الزيادة من تقويم البلدان .

ثم لام مفتوحة وميم في الآخر . وموقعها في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة قال في "الأطوال" : حيث الطول مائة وعشر درجات ، والعرض ثمان عشرة درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن سعيد : وهي آخر بلاد الفلقل من الشرق ، ومنها يُقْلَعُ إلى عدن . قال صاحب "تقويم البلدان" : وحكى لي بعض المسافرين أنها على خور من البحر في مستوي من الأرض وأرضها مُرْمِلة ، وهي كثيرة البساتين ، وبها شجر البقم : وهو شجر كشجر الرمان ، وورقه يُشَبِّه ورق العناب ، وفيها حارة للمسلمين وبها جامع .

القسم الثالث — من إقليم الهند بلاد المعبر

قال في "تقويم البلدان" : بفتح الميم وسكون العين المهملة وفتح الباء الموحدة ثم راء مهملة . وهي شرقي بلاد الكوالم بثلاثة أيام أو أربعة . قال في "تقويم البلدان" : وينبغي أن تكون بميلة إلى الجنوب . قال ابن سعيد : وهو مشهور على الألسن ، ومنه يُجَلَّبُ اللانِسُ ، وبها يُضْرَبُ المثل في قصاريها . قال : وفي شماليها جبال متصلة ببلاد بلهرا ملك ملوك الهند ، وفي غربيها يُصَبُّ نهر الصوليان في البحر . وذكر في "مسالك الأبصار" عن قاضي القضاة سراج الدين الهندي : أن بلاد المعبر تشتمل على عدة جزائر كبار .

وبه عدة مدُن وبلاد .

منها (بيرداول) قال في "تقويم البلدان" : بكسر الباء الموحدة وتشديد الياء المثناة التحتية وسكون الراء وفتح الدال المهملتين وألف وواو ولام . قال : وهي قصبة بلاد المعبر ، وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد :

حيث الطول مائة وأثنان وأربعون درجة ، والعرض سبع عشرة درجة ونحس وعشرون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي مدينة سلطان المعبر ، وإليه تجلب الخيول من البلاد .

ثم أعلم أن وراء ما تقدم بلادا أخرى ذكرها في "تقويم البلدان" .

منها (مأهورة) قال في "تقويم البلدان" : بفتح الميم والألف والهاء والواو ثم راء مهملة وهاء . وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة قال في "القانون" : حيث الطول مائة درجة وأربع درج ، والعرض سبع وعشرون درجة . قال ابن سعيد : وهي على جانبي نهر كرك في أنحاده من قنوج إلى بحر الهند . قال في "تقويم البلدان" : وهي بلد البراهمة ، وهم عباد الهند ينسبون إلى البرهمن أول حكمائهم . قال ابن سعيد : وقلاعهم بها لا ترام .

ومنها (لوهور) قال في "اللباب" : بفتح اللام وسكون الواوين بينهما هاء مفتوحة وفي الآخر راء مهملة . قال : ويقال لها أيضا لهاور . وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة قال في "الأطوال" : حيث الطول مائة درجة والعرض إحدى وثلاثون درجة . قال في "اللباب" : وهي مدينة كبيرة كثيرة الخير ، خرج منها جماعة من أهل العلم .

ومنها (قنوج) قال في "تقويم البلدان" : بكسر القاف وفتح النون المشددة والواو ثم جيم . وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول مائة وإحدى وثلاثون درجة ونحسون دقيقة ، والعرض تسع وعشرون درجة . وذكر في "الأطوال" : الطول بنقص سبع وعشرين درجة ، والعرض بزيادة ست درج . قال ابن سعيد : وهي قاعدة لهاور ، وهي بين ذراعين من نهر

كنك . وقال المهلبى : هى فى أقاصى الهند فى جهة الشرق عن الملتان على مائتين وأثنين وثمانين فرسخا . قال : وهى مصر الهند وأعظم المدين بها . ثم قال : وقد بالغ الناس فى تعظيمها حتى قالوا : إن بها ثلثمائة سوق للجوهر ، ولملكها ألفان وخمسمائة فيل ؛ وهى كثيرة معادن الذهب . قال فى " نزهة المشتاق " : هى مدينة حسنة ، كثيرة التجارات ، ومن مدنها قشيمر الخارجة ، وقشيمر الداخلة . قال : وملكها يسمى القنوج باسمها .

ومنها (جبال قامرون) قال فى " تقويم البلدان " : بفتح القاف وألف وميم وراء مهملة ثم واو ونون . وهى حجاز بين الهند والصين ، وعدّها فى " القانون " من الجزائر . قال : وهى خارجة عن الإقليم الأول من الأقاليم السبعة إلى الجنوب قال فى " القانون " و " الأطوال " : حيث الطول مائة وخمس وعشرون درجة ، والعرض عشر درج ، ومدينة الملك شرقها ، وبها معدن العود القامرونى .

قلت : وذكر فى " مسالك الأبصار " عن قاضى القضاة سراج الدين الهندى : أن فى مملكة صاحب الهند ثلاثة وعشرين إقليما ، عد منها بعض ما تقدم ذكره ، وهى : إقليم دهلي ، وإقليم الدواكير ، وإقليم الملتان ، وإقليم كهران ، وإقليم سامانا ، وإقليم سبوستان ، وإقليم وجا ، وإقليم هاسى ، وإقليم سرستى ، وإقليم المعبر ، وإقليم تلنك ، وإقليم بكرات ، وإقليم بدلون ، وإقليم عوض ، وإقليم القنوج ، وإقليم لكنوتى ، وإقليم بهار ، وإقليم كره ، وإقليم ملاوه ، وإقليم لهاور ، وإقليم كلافور ، وإقليم جاجنكر ، وإقليم تلنج ، وإقليم دور سمند .

ثم قال : وهذه الأقاليم تشتمل على ألف مدينة ومائتى مدينة ، كلها مدن ذوات نيايات : كبار وصغار ، وبجميعها الأعمال والقرى العامرة الآهلة . وقال إنه لا يعرف

عدد قراها ، إلا أن إقليم القنوج مائة وعشرون لُكا ، كل لُك مائة ألف قرية ، فتكون اثني عشر ألف ألف قرية ، وإقليم تلنك ستة وثلاثون لُكا ، فيكون ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف قرية ، وإقليم ملاوه أكبر من إقليم القنوج في الجملة .

وحكى عن الشيخ مبارك الأنباتي : أن على لكتوتى مائتي ألف مركب صغار خفاف للسير ، إذا رمى الرامي في إحداها سهمها وقع في وسطها لسرعة جريانها . ومن المراكب الكبار مافيه الطواحين والأفران والأسواق ، وربما لم يعرف بعض ركابه بعضا إلا بعد مدة لا تساعه وعظمه إلى غير ذلك مما العهدة فيه عليه .

وأعلم أن بحر الهند جزائر عظيمة معدودة في أعماله ، يكون بعضها مملكة منفردة . منها (جزيرة سرنديب) قال في " تقويم البلدان " : بفتح السين والراء المهملتين وسكون النون وكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة من تحت ثم باء موحدة . قال : ويقال لها جزيرة سنكاديپ ، كأنه باللسان الهندى ، وموقعها خارج عن الإقليم الأول من الأقاليم السبعة إلى الجنوب قال " في الأطوال " : حيث الطول مائة وعشرون درجة ، والعرض عشر درج . قال ابن سعيد : ويسمى هذه الجزيرة جبل عظيم على خط الاستواء ، اسمه جبل الزهون ، يزعمون أن عليه هبوط آدم عليه السلام . قال ابن خرداذبه : وهو جبل ذاهب في السماء ، يراه أهل المراكب على مسيرة عشرين يوما وأقل وأكثر .

وذكرت البراهمة : أن على هذا الجبل أثر قدم آدم عليه السلام : قدم واحدة مغموسة في الحجر ، وأنه خطا الخطوة الأخرى إلى الهند ، وهو منها على مسيرة يومين أو ثلاثة . قال : وعلى هذا الجبل شبيه بالبرق أبدا ، وعليه العود وسائر العطر والأفاويه ، وعليه وحواليه الياقوت وألوانه كلها ، وفي واديه المس والسنباذج ،

وغزال المسك ، وسنور الزباد ، وفي أنهار هذه الجزيرة البلور ، وحولها في البحر مغاصات اللؤلؤ ، ونهرها هو المعظم عند الهنود . قال ابن سعيد : ومدينتها تسمى أغنا . وهي حيث الطول مائة وأربع وعشرون درجة .

ومنها (جزيرة الرانج) . قال في " تقويم البلدان " : والظاهر أنها بالراء المهملة والألف والنون ثم جيم في الآخر ، وموقعها في الجنوب عن الإقليم الأول . قال في " الأطوال " : وطولها مائة وثلاث عشرة درجة ، ولا عرض لها ، وفيها عمارة وزرع ونارجيل وغير ذلك . قال في " كتاب الأطوال " : وجبالها ترى من جبال اليمن ، وبها جبال تشتعل النار فيها دائماً ، وترى تلك النار في البحر من مسيرة أيام ، وبها حيات تبتلع الرجل والجاموس ، وفي البحر عند لهاور " دور " وهو مكان يدور فيه الماء ، ويخشي على المراكب عنده . قال ابن خردادبه : وفيها حيات عظام تبتلع الرجل والجاموس والفيل ، وفيها شجر الكافور ، تظل الشجرة منه مائة إنسان وعجائب لا تحصى .

ومنها (جزيرة لامري) قال في " تقويم البلدان " : بلام وألف وميم وراء مهملة ثم ياء آخر الحروف ، وموقعها في الجنوب عن الإقليم الأول قال في " الأطوال " : حيث الطول مائة وست وعشرون درجة ، والعرض تسع درج . قال في " تقويم البلدان " : وهي معدن البقم والخيزران .

ومنها (جزيرة كلة) قال في " تقويم البلدان " : بالكاف واللام وهاء في الآخر . وموقعها في الجنوب عن الإقليم الأول قال في " القانون " : حيث الطول مائة وثلاثون درجة ، ولا عرض لها . قال في " تقويم البلدان " : وهي فُرْضة ما بين عُمان والصين . قال المهلب : وفيها مدينة عامرة يسكنها المسلمون وغيرهم

وبها معادن الرصاص ومنابت الخيزران وشجر الكافور ، وبينها وبين جزائر المهرج
عشرون مجرى .

ومنها (جزيرة المهرج) . قال في "تقويم البلدان" : الظاهر أنها بالميم والهاء
والراء المهملة ثم ألف وجيم في الآخر . قال في "كتاب الأطوال" : وهي جزيرة
سريرة ، وموقعها في الجنوب من خط الاستواء قال في الأطوال : حيث الطول
مائة وأربعون درجة ، والعرض في الجنوب درجة واحدة . قال ابن سعيد : وهي
عدة جزائر ، وصاحبها من أغنياء ملوك الهند وأكثرهم ذهباً وفيلةً . وجزيرته الكبيرة
هي التي فيها مقر ملكه ، وعندها المهلب في جزائر الصين ، وقال : إنها عامرة أهلة ،
وإنه إذا أقلع المركب منها طالباً للصين واجهه في البحر جبال ممتدة ، داخلة في البحر
مسيرة عشرة أيام ، فإذا قرب المسافرون منها وجدوا فيها أبواباً وفرجاً في أثناء ذلك
الجل ، يُقضى كل باب منها إلى بلد من بلدان الصين . وعد ابن سعيد سريرة من
جزائر الرانج ، وقال : إن طولها من الشمال إلى الجنوب أربع مائة ميل ، وعرضها
في كل طرف من الجنوبي والشمالي نحو مائة وستين ميلاً ، وسريرة مدينة في وسطها ،
ثم يدخل منها جوف إلى البحر وهي على نهر .

ومنها (جزيرة أندراي) قال في "تقويم البلدان" : بفتح الهمزة وسكون النون
وفتح الدال والراء المهملتين ثم ألف وباء موحدة وفي الآخر ياء مشناة من تحتها .

ومنها (جزيرة الجاوة) . قال في "تقويم البلدان" : وهي جزيرة كبيرة مشهورة
بكثرة العقاقير . قال : وطرف هذه الجزيرة الغربي حيث الطول مائة وخمس
وأربعون درجة ، والعرض خمس درج . قال : وفي جنوبي جزيرة الجاوة مدينة

فَنُصُور ، التي ينسب إليها الكافور الفَنُصُورِيّ ، وهي حيث الطول مائة وخمسة وأربعون درجة ، والعرض درجة واحدة ونصف .

ومنها (جزيرة الصَّنْف) . التي يُنسب إليها العود الصَّنْفِيّ . وهي من أشهر الجزائر الموجودة في الكُتُب ، وطولها من الغرب إلى الشرق نحو مائتي ميل ، وعرضها أقل من ذلك ، ومدينتها حيث الطول اثنتان وستون درجة .

ومنها (جزيرة قِمَار) التي يُنسب إليها العود القِمَارِيّ وهو دون الصَّنْفِيّ ، ومدينتها قِمَار حيث الطول ست وستون درجة ، والعرض درجتان ، وشرقيها جزائر الصين .

ومنها (جزيرة الرامي) . قال ابن خردادبه : وبها الكركدن وجواميس لأذنان لها ، وبها البقم ، وفيها ناس عمارة في غياض لا يفهم ما يقولون ، كلامهم صغير ، يستوحشون من الناس ، طول كل إنسان منهم أربعة أشبار ، للرجل منهم ذكر صغير ، وللأمة فرج صغير ، وشعر رؤوسهم زغب أحمر ، يتسلقون على الأشجار بأيديهم . وفي البحر هناك ناس بيض ، يلحقون المراكب سباحة والمراكب في شدة جريها ، يبيعون العنبر بالحديد يحملونه في أفواههم ، وجزيرة فيها ناس سود يأكلون الناس أحياء ، وجبل طينه فضة تظهر بالنار .

الجملة الثانية

(في حيوانها)

قد ذكر في " مسالك الأبصار " عن الشيخ مبارك الأنباري : أنَّ بها الخيل على نوعين : عَرَابٍ وِبَرَادِينَ ، وأكثرها ما لا يحمده فعله . قال : ولذلك تُجلب الخيل إلى الهند من جميع ما جاوره من بلاد الترك ، وتُقاد له العراب من البحرين وبلاد اليمن والعراق ، وإن كان في داخل الهند خيل عَرَابٍ يُتغالي في أثمانها ولكنها

قليلة . قال : ومتى طال مُكثُ الخيل بالهند انحلت . وعندهم البغال والحمير، ولكنها مذمومة الركوب عندهم ، حتى لا يستحسن فقيه ولا ذو علم ركوب بغلة .

أما الحمار فإن ركوبه عندهم مذلة وعارٌ عظيم ، وخاصتهم تحمل أنقالهم على الخيل ، وعامتهم تحمل على البقر من فوق الأنف^(١) ، وهي عندهم كثيرة ، وبها الجمال قليلة لا تكون إلا للسلطان وأتباعه : من الخانات ، والأمراء ، والوزراء ، وأكابر الدولة ، وبها من المواشي السائمية ما لا يُحصى : من الجواميس والأبقار والأغنام والمعز ، وبها من دواجن الطير الدجاج والحمائم والإوز وهو أقل أنواعه ، وإن الدجاج عندهم في قدر خلق الإوز . وبها من الوحوش الفيل ، والكركدن . وقد تقدم ذكرهما في الكلام على الوحوش فيما يحتاج الكاتب إلى وصفه من الحيوان في المقالة الأولى ، في غير ذلك من الوحوش التي لا تعد .

الجملة الثالثة

(في حبوبها ، وفواكهها ، ورأحينها ، وخضرأوايتها ، وغير ذلك)

أما الحبوب فقد ذكر عن الشيخ مبارك الأنباتي أن بها الأرز على أحد وعشرين نوعاً ، وبها من سائر الحبوب الحنطة ، والشعير ، والخص ، والعدس ، والماش ، واللوبياء ، والسّمسم ، أما الفول فلا يوجد عندهم . قال في "مسالك الأبصار" : ولعل عدمه من حيث إنهم قوم حكماء ، والفول عندهم مما يُفسد جوهر العقل ، ولذلك حرمت الصابئة أكله .

وأما الفواكه ففيه التين ، والعنب على قلة ، والرمان الكثير : من الحلو ، والمز ، والحامض إلى غير ذلك من الفواكه : كالموز ، والنخوخ ، والتوت المسمى بالفرصاد ،

(١) لعله مصحف عن الكنف .

وبها فواكه أخرى لا يُعهد مثلها بمصر والشام ، كالعنباء وغيرها ، والسفرجل على قلة ، والكثير ، والتفاح ، وهما أقل من القليل ، ولكنهما والسفرجل تجلب إليه . وبها من الفواكه المستحسنة الرائحة ، وهو المسمى عندهم بالنارجيل ، والعامية تسميه جوز الهند . وبه البطيخ الأخضر والأصفر ، والخيار ، والقثاء ، والعجور ، وبه من الحمضات الأترج ، والليمون ، والليم ، والنارج . أما الحمر^(١) وهو التمر الهندي فكثير بباديتها .

وأما الخضراوات فقصب السكر بلادها كثير للغاية ، ومنه نوع أسود صلب المعجم ، وهو أجوده للمتصاص لا الاعتصار ، ولا يوجد في غيرها ، ويعمل من بقية أنواعه السكر الكثير : من النبات وغيره ، ولكنه لا يجدد بل يكون كالسميد الأبيض . وعندهم من الخضراوات اللفت ، والجزر ، والقرع ، والباذنجان ، والهليون ، والزنجبيل ، والسلق ، والبصل ، والقوم وهو الثوم ، والشمار ، والصعتر . وأما الرياحين ، فبها الورد ، واللينوفر ، والبنفسج ، والبان ، والخلاف ، والعبر ، والنرجس ، والفاغية وهي التامر حناء .

وأما غير ذلك فعندهم العسل أكثر من الكثير ، والشيرج ومنه وقودهم ، والزيت يأتيهم مجلوبا . أما الشمع فلا يوجد إلا في دور السلطان ، ولا يُسمح فيه لأحد ، والحلوى على خمسة وستين نوعا ، والقمقاع ، والأشربة ، والأطعمة على ما لا يكاد يوجد في غير ما هناك . وبه من أرباب الصنائع صنائع السيوف ، والقسي ، والرماح ، والزرد ، وسائر أنواع السلاح ، والصواغ ، والزراكية ، وغيرهم من سائر أرباب الصنائع .

(١) ويقال له الحومر أيضا .

وللسلطان يدنى دار طراز، فيها أربعة آلاف قزاز، تعمل الأقمشة المتنوعة للخلع والكساوى^(١) والإطلاقات، مع ما يحمل إليه من فُشاش الصين والعراق والإسكندرية.

الجملة الرابعة

(فى المعاملات)

أ. نقودهم، فقد ذكر الشيخ مبارك الأنباتى: أن لهم أربع دراهم يتعاملون بها. أحدها — الهشتكانى . وهو وزن الدرهم الثقرة بمعاملة مصر، وجوازده جوازده، لا يكاد يتفاوت ما بينهما، والدرهم الهشتكانى المذكور عنه ثمان جتيلات، كل جتيل أربعة أفلس، فيكون عنه آتين وثلاثين فلساً .

الثانى — الدرهم السلطانى . ويسمى وكانى، وهو ربع درهم من الدراهم المصرية، وكل درهم من السلطانية عنه جتيلان، ولهذا الدرهم السلطانى نصف يسمى جتيل واحد .

الثالث — الششتكانى . وهو نصف وربع درهم هشتكانى، ويكون تقديره بالدراهم السلطانية ثلاثة دراهم .

الرابع — الدرهم الدرازد هكانى . وجوازده بنصف وربع درهم هشتكانى أيضاً، فيكون بمقدار الششتكانى، ثم كل ثمانية دراهم هشتكانية تسمى تنكة .

أما الذهب عندهم فبالمنقال، وكل ثلاثة مثاقيل تسمى تنكة، ويعبر عن تنكة الذهب بالتنكة الحمراء، وعن تنكة الفضة بالتنكة البيضاء، وكل مائة ألف تنكة

(١) جارى العامة فى هذا الجمع والافجها كساء وكاء فى القاموس .

من الذهب أو الفضة تسمى لُكًّا ، إلا أنه يعبر عن لك الذهب باللُّك الأحمر ، وعن لُكَّ الفِضَّة باللك الأبيض .

وأما رطلهم فيسمى عندهم سترًا وزنته سبعون مثقالًا ، فتكون زنته بالدرهم المصرية مائة درهم ودرهمين وثلاثي درهم ، وكل أربعين سترًا من واحد به وجميع مبيعاتهم بالوزن أما الكيل فلا يعرف عندهم .

الجملة الخامسة

(في الأسعار)

قد ذكر في "مسالك الأبصار" أسعار الهند في زمانه نقلًا عن قاضي القضاة سراج الدين الهندي وغيره فقال : إن الجارية الخدامة لا تتعدى قيمتها بمدينة دهلي ثمان تنكات ، واللواتي يصلحن للخدمة والفراش خمس عشرة تنكة . وفي غير دهلي أرخص من ذلك حتى قال القاضي سراج الدين : إنه اشترى عبداً مرافقاً نقاءاً بأربعة دراهم . ثم قال : ومع هذا الرخص إن من الجوارى الهنديات من تبلغ قيمتها عشرين ألف تنكة وأكثر لحسنهن ولطفهن .

ونقل عن الشيخ مبارك الأنباتي (وكان فيما قبل الثلاثين والسبعائة) فقال : إن أوساط الأسعار حينئذٍ أن تكون الحنطة كل من بدرهم ونصف هشتكاني ، والشعير كل من بدرهم واحد هشتكاني ، والأرز كل من بدرهم ونصف وربع هشتكاني ، إلا أنواعاً معروفة من الأرز فإنها أغلى من ذلك ، والجحص كل منين بدرهم هشتكاني ، ولحم البقر والمعز كل أربعة أستار بدرهم سلطاني ، والإوز كل طائر بدرهمين هشتكانية ، والدجاج كل أربعة أطيار بدرهم هشتكاني ، والسكر كل

خمسة أسيار بدرهم هشتكاني ؛ والرأس الغنم الجيدة السمينه بتنكة (وهي ثمانية دراهم هشتكانية) والبقرة الجيدة بتنكتين (وهما ستة عشر درهما هشتكانية) وربما كانت بأقل ، والجاموس كذلك .

أما الحمام والعصفور وأنواع الطير فبأقل ثمن ؛ وأنواع الصيد من الوحش والطير كثيرة ؛ وأكثر ما كلهم لحم البقر والمعز مع كثرة الضأن عندهم إلا أنهم اعتادوا أكل ذلك .

وقد حكى في "مسالك الأبصار" عن الحُجَندِيِّ أنه قال : أكلت أنا وثلاثة نفر رفاق في بعض بلاد دَلِّ لحماً بقرِيّاً وخبزاً وسمناً حتى شبعنا بجيتل : وهو أربعة افلس كما تقدم .

الجملة السادسة

(في الطريق الموصلة إلى مملكتي السند والهند)

اعلم أن لهذه المملكة عدة طرق :

الطريق الأول — طريق البحر، قد تقدم في الكلام على الطريق الموصلة إلى اليمن ذِكْرُ الطريق من سواحل مصر : من السَّوَيْسِ ، والطُّورِ ، والقَصِيرِ ، وعَيْدَابَ إلى عَدَنَ من اليمن في هذا البحر، ومن عَدَنَ إلى أن يركب في بحر الهند المتصل ببحر القُزْمِ ، إلى سواحل السند والهند ، ويخرج إلى أي البلاد أراد من الفُرْضِ الموصلة إليها .

الطريق الثاني — طريق بحر فارس ، قد تقدم في الكلام على مملكة إيران ذِكْرُ الطريق الموصلة من حلب إلى بغداد ، ثم من بغداد إلى البصرة . قال ابن خردادبه :

ثم من البصرة إلى عبّادان اثنا عشر فرسخاً، ثم إلى الحشبات فرسخان^(١)، ومنها يُركب في بحر فارس :

فمن أراد طريق البر إلى السّند والهند، جاز هذا البحر إلى هُرمز : مدينة كُمان، ومنها يتوصل إلى السند ثم الهند ثم الصين .

ومن أراد الطريق في البحر، فقد ذكر ابن خردادبه : أن من أبلّة البصرة في نهر الأبلّة إلى جزيرة خارك في نخيل فارس سبعين فرسخاً، ومنها إلى جزيرة لابن ثمانين فرسخاً، ثم إلى جزيرة أبرون سبعة فراسخ، ثم إلى جزيرة خين سبعة فراسخ، ثم إلى جزيرة كيش سبعة فراسخ، ثم إلى جزيرة أبركاوان ثمانية عشر فرسخاً، ثم إلى جزيرة أرموز سبعة فراسخ، ثم إلى بار سبعة أيام، وهي الحد بين فارس والسند، ثم إلى الديئل ثمانية أيام، ثم إلى مصب مهّران في البحر فرسخان، ثم من مهّران إلى بكين أول أرض الهند أربعة أيام، ثم إلى المند فرسخان، ثم إلى كُول فرسخان، ثم إلى سندان ثمانية عشر فرسخاً، ثم إلى ملي خمسة أيام، ثم إلى بلّين يومان .

ثم يفترق الطريق في البحر :

فمن أخذ على الساحل — فمن بلّين إلى باس يومان . ثم إلى السنجلي وكبشكان يومان، ثم إلى كودا مصب نهر فريد ثلاثة فراسخ، ثم إلى كيلكان يومان، ثم منها إلى سمندر، ومن سمندر إلى أوسيرا اثنا عشر فرسخاً، ثم إلى أبينه أربعة أيام، ثم إلى سرنديب يومان .

(١) الحشبات علامات في البحر للراكب تنهى إليها ولا تتجاوزها خوفاً من الجزر لثلاثا تلحق الأرض .

أنظر التقويم (ص ٣٠٩) .

ومن أراد جهة الصين عدل من بلّين وجعل سرّديب عن يساره . فمن جزيرة سرّديب إلى جزيرة لنجالوس عشرة أيام إلى خمسة عشر يوماً ، ثم إلى جزيرة كلّ ستة أيام . وعن يسارها جزيرة بالوس على يومين ، ثم على خمسة عشر يوماً بلاد تُنبت العطر .

الجملة السابعة

(في ذكر ملوك الهند)

(١) جماعة منهم ملوك الكُفّر ، أسأؤهم أعجمية لا حاجة إلى ذكرهم ، فأضربنا عنهم .

وأما في الإسلام فأقول من أخذ في فتح ما فتح من الهند بنو سُبُكْتِكِين : ملوك غزنة ، المتقدم ذكرهم في مملكة خوارزم والقبجاق وما مع ذلك .

ففتح يمين الدولة (محمود بن سُبُكْتِكِين) منه مدينة بهأطية . وهي مدينة حصينة عالية السور وراء الملتان ، في سنة ست وتسعين وثلاثمائة ، وسار إلى بيذا ملك الهند ، فهرب منه إلى مدينته المعروفة بكاليجار ، فحاصره فيها حتى صالحه على مال ، فأخذ المال وألبسه خلعتَه ، وأستغنى من شدّ وسطه بالمنطقة فلم يُعِفّه من ذلك ، فشدها على كُرّه .

ثم فتح (إبراهيم بن مسعود) منهم حصوناً منه في سنة إحدى وخمسين وأربعمائة .

(١) بياض في الأصل ولعله أما قبل الإسلام فملكها جماعة من الخ.

(٢) ذكر أبو الفداء فتحها في حوادث سنة ٩٥ ومسيره إلى ملكها في سنة ٩٦ .

(٣) عبارة أبي الفدا "قلعته" .

ثم كانت دولة الغورية بغرنة أيضا . ففتح شهاب الدين أبو المظفر (محمد بن سام) ^(١) ابن الحسين الغوري منه مدينة لساور في سنة سبع وأربعين وخمسة ، وأتبعها بفتح الكثير من بلادهم . وبلغ من النكاية في ملوكهم ما لم يبلغه أحد من ملوك الإسلام قبله ، وتمكن من بلاد الهند ، وأقطع ملوكه قطب الدين أيبك مدينة دهلي التي هي قاعدة الهند ، وبعث أيبك المذكور عساكره ، فملك من الهند أماكن ما دخلها مسلم قبله حتى قاربت جهة الصين .

ثم فتح (شهاب الدين محمد) المذكور أيضا بعد ذلك نهرواله في سنة سبع وتسعين وخمسة ، وتوالت ملوك المسلمين وفتوحاتهم في الهند إلى أن كان (محمد بن طغلقشاه) في زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية ، فقتوى سلطانه بالهند ، وكثرت عساكره ، وأخذ في الفتوح حتى فتح معظم الهند .

قال في "مسالك الأبصار" قال الشيخ مبارك الأنباقي : وأول ما فتح منه مملكة تلك ، وهي واسعة البلاد ، كثيرة القرى ، عدة قراها تسعمائة ألف قرية وتسعمائة قرية . ثم فتح بلاد جاجنكر ، وبها سبعون مدينة جليلة كلها على البحر ، دخلها من الجوهر والقماش المنوع ، والطيب ، والأفاويه ، ثم فتح بلاد لكتوتى ، وهي كرسى تسعة ملوك . ثم فتح بلاد دواكير . ويقال لها دكير ، ولها أربع وثمانون قلعة جليات المقدار . ونقل عن الشيخ برهان الدين أبي بكر بن الخلال البزى : أن بها ألف ألف قرية ومائتي ألف قرية . ثم فتح بلاد دور سمند ، وكان بها السلطان بلال الدبو وخمسة ملوك كفار . ثم فتح بلاد المعبر : وهو إقليم جليل له تسعون مدينة بنادر على البحر . يجي من دخلها الطيب ، واللانس ، والقماش المنوع ، ولطائف الآفاق .

(١) الذي في العبر وتاريخ ابن الأثير أنه فتحها في سنة تسع وسبعين وخمسة وهو الصواب .

وذكر أنه حصل له من الأموال بسبب الفتوح التي فتحها مالا يكاد السامع يصدقه . فحكى عن الشيخ برهان الدين أبي بكر بن الحلال المقدم ذكره : أنه حاصر ملكاً على حد بلاد الدواكير ، فسأله أن يكف عنه على أن يرسل إليه من الدواب ما يختار ليحمّله له مالا ، فسأله عن قدر ما عنده من المال فأجابه فقال : إنه كان قبل سبعة ملوك ، جمع كل واحد منهم سبعين ألف صهرنج متسعة من المال ، فأجابه إلى ذلك ، وختم على تلك الصهارنج باسمه وتركها بخالها ، وأقر الملك باسم ذلك الملك ، وأمر بإقامته عنده ، وجعل له نائباً بتلك المملكة .

وحكى عن علي بن منصور العقيلي من عرب البحرين أنه تواتر عندهم من الأخبار أن هذا السلطان فتح مدينة بها بحيرة ماء ، في وسطها بيت برمعظم عندهم يقصدونه بالنذر ، وكلما أتى له بنذر رمى في تلك البحيرة ، فصرف الماء عنها وأخذ ما كان بها من الذهب ، فكان وسق مائتي فيل وآلاف من البقر ، إلى غير ذلك مما يكاد العقل أن ينكره ، ولذلك حصل عنده من الأموال مالا يأخذه الحصر ، وآتست أموال عساكره حتى جاوزت الوصف ، حتى حكى الشيخ تاج الدين بن أبي المجاهد السمرقندي : أنه غضب على بعض خاناته لشربه الخمر فأمسكه وأخذ ماله ، فكان جملة ما وجد له من الذهب ألف ألف مثقال وسبعة وثلاثين ألف مثقال ، ومقدار ذلك ثلاثة وأربعون ألف قنطار وسبعون قنطاراً ، وهو مع ذلك يعطي العطاء الجزيل ويصل بالأموال الجمّة .

فقد حكى ابن الحكيم الطياري : أن شخصاً قدم له كتباً ، فحسب له حشيشة من جوهر كان بين يديه ، قيمتها عشرون ألف مثقال من الذهب .

وحكى الشريف السمرقندي : أن شخصاً قدم له اثنتين وعشرين حبة من البطيخ الأصفر ، حملها إليه من بخارى ، فأمر له بثلاثة آلاف مثقال من الذهب .

وحكى الشيخ أبو بكر بن أبي الحسن المُلْتَانِيّ أَنَّهُ اسْتَفَاضَ عَنْهُ أَنَّهُ التَّرَمَّ أَنَّهُ لَا يَنْطِقُ فِي إِطْلَاقَاتِهِ بِأَقْلٍ مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِثْقَالٍ . إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعَطَاءِ الَّذِي يَخْرِقُ الْعُقُولَ .

وحكى عن قاضى القضاة سراج الدين الهندى : أَنَّهُ مَعَ كَثْرَةِ الْبَدْلِ وَسَعَةِ الْعَطَاءِ فِي هِبَاتِهِ وَمَا يُنْفِقُهُ فِي جُيُوشِهِ وَعَسَاكِرِهِ لَا يُنْفِقُ نِصْفَ دَخْلٍ بِلَادِهِ .

قلت : ثُمَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ شَاهٍ وَلَى هَذِهِ الْمَمْلَكَةَ مِنْ أَقَارِبِهِ سُلْطَانُ اسْمِهِ (فَيَرُوزشاه) وَبَقِيَ فِي الْمَلِكِ نَحْوَ أَرْبَعِينَ سَنَةً . ثُمَّ تَنَقَّلَتِ الْمَمْلَكَةُ فِي بَيْتِهِمْ إِلَى أَنْ كَانَ مِنْ ثَمَرَلَنْكٍ مَا كَانَ مِنْ فَتْحِ دَلَّى وَنَهَبِهَا .

ثُمَّ آلَ الْأَمْرُ بَعْدَهُ إِلَى سُلْطَانٍ مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ ، اسْمُهُ (مُحَمَّدُ خَان) وَهُوَ الْقَائِمُ بِهَا إِلَى الْآنَ . وَقَدْ صَارَتِ الدَّوَاكِرُ مِنْهَا لِسُلْطَانٍ بِمُفْرَدِهِ ، وَاسْمُهُ الْيَوْمَ السُّلْطَانُ (غِيَاثُ الدِّينِ) .

الجملة الثامنة

(فِي ذِكْرِ عَسَاكِرِ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ ، وَأَرْبَابِ وَظَائِفِهَا عَلَى مَا ذَكَرَهُ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" عَنْ دَوْلَةِ السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ بْنِ طُغْلقشاهِ الْمَقْدَمِ ذَكَرَهُ . نَقْلًا عَنْ الشَّيْخِ مُبَارَكِ الْأَنْبَاتِيِّ وَغَيْرِهِ)

أَمَّا عَسَاكِرُهُ ، فَقَدْ ذَكَرَ أَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى تِسْعِمِائَةِ أَلْفِ فَارِسٍ : مِنْهُمْ مَنْ هُوَ بِحَضْرَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي سَائِرِ الْبِلَادِ ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ كُلُّهُمْ دِيَوَانُهُ ، وَأَنْ عَسَاكِرَهُ مَجْتَمِعٌ مِنَ التُّرْكِ وَالْخَطَا وَالْفُرْسِ وَالْهِنُودِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَجْناسِ . وَكُلُّهُمْ بِالْخَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ ، وَالسَّلَاحِ الْفَائِقِ ، وَالتَّجَمُّلِ الظَّاهِرِ ، وَأَنْ أَعْلَى عَسَاكِرِهِ الْخَنَازُ ، ثُمَّ الْمُلُوكُ ، ثُمَّ الْأَمْرَاءُ ، ثُمَّ الْأَصْفَهْسَلَارِيَّةُ ، ثُمَّ الْجُنُودُ .

الجملة التاسعة

(في زيّ أهل هذه المملكة)

أما أربابُ السيوف فنُقِلَ عن الشيخ مَبَارَكِ الأُنْبَاقِي : أن لبسَ السلطان
والخانات والملوك ، وسائر أرباب السيوف تَتَرِيَّاتٌ ، وتَكَلَاوَاتٌ ، وأَقِيَّةٌ إسلامية ،
مُخَصَّرة الأوساط خُوارزمية ، وعمائمُ صغار لا تتعدى العمامة منها خمسة أذرع أوستة ،
وأن لبسهم من البياض والجُوخ .

وحكى عن الشريف ناصر الدين محمد الحسيني الأدمي أن غالب لبسهم تَتَرِيَّةٌ
مُزَرَّكْشَةٌ بالذهب ، ومنهم مَنْ يلبس مطرّز الكمين بزركش ، ومنهم من يعمل الطراز
بين كتفيه مثل المِغْل ، وأقباعهم مربعة الأنساط ، مُرَصَّعة بالجواهر ، وغالب
ترصيعهم بالياقوت والماس ، ويَضْفِرُونَ شعورهم ذوائب ، كما كان يفعل بمصر
والشام في أول الدولة التركية ، إلا أنهم يجعلون في الذوائب شراريب من حرير ،
ويشدون في أوساطهم المناطق من الذهب والفضة ، ويلبسون الأخفاف والمهامير ،
ولا يشدون السيوف في أوساطهم إلا في السفر خاصة .

وأما الوزراء والكُتَّاب ، فزيهم مثل زيّ الجند ، إلا أنهم لا يشدون المناطق ،
وربما أرخى بعضهم العذبة الصغيرة من قدامه كما تفعل الصوفية .

وأما القضاة والعلماء ، فلبسهم فرجيات شبيهات بالجنادات ودراريع .

وحكى عن قاضي القضاة سراج الدين الهندى أنه لا يلبس عندهم ثياب
الكَّانِ المجلوبة من الرأس والإسكندرية إلا مَنْ ألبسه له السلطان ، وإنما لباسهم
من القطن الرفيع الذى يفوق البغدادى حسنا ، وأنه لا يرتكب بالسروج الملبسة
والمُحَلَّاة بالذهب إلا مَنْ أنعم عليه بها السلطان .

الجملة العاشرة

(في أرزاق أهل دولة السلطان بهذه المملكة)

أما الجُند، فنُقِل من الشيخ مبارك الأنباري أنه يكون للجان والملك والأمراء والاصفهلارية بلاد مقررّة عليهم من الديوان إقطاعاً لهم .

وذكر أن إقطاع النائب الكبير المسمّى بأمرت يكون إقليماً عظيماً كالعراق . ولكلّ خان لُكَّان ، كلّ لكّ مائة ألف تنكة ، كل تنكة ثمانية دراهم ، ولكل ملك من ستين ألف تنكة إلى خمسين ألف تنكة ، ولكل أمير من أربعين ألف تنكة إلى ثلاثين ألف تنكة ، وللصفهلارية من عشرين ألف تنكة إلى ما حولها ، ولكل جُندى من عشرة آلاف تنكة إلى ألف تنكة ، ولكل مملوك من الممالك السلطانية من خمسة آلاف تنكة إلى ألف تنكة ، مع الطعام والكسوة وعبايق الخيل لجميعهم على السلطان . ولكل عبد من العبيد السلطانية في كل شهر عشر تنكات بيضاء ، ومَنان من الحنطة والأرز ، وفي كل يوم ثلاثة أستار من اللحم ، وفي كل سنة أربع كساو .

وأما أرباب الأقاليم ، فإن الوزير يكون له إقليم عظيم نحو العراق إقطاعاً له ، ولكل واحد من كُتاب السرّ الأربعة مدينة من المُدن البنادر العظيمة الدّخل ، ولأكابر كُتابهم قُرى وضياع . ومنهم من يكون له خمسون قرية . ولكلّ من الكُتاب الصّغار عشرة آلاف تنكة . ولقاضي القضاة المعبر عنه بصدرجهان عشر قُرى ، يكون متحصّلاًها نحو ستين ألف تنكة ، ولشيخ الشيوخ مثله ، وللحَسَب قرية يكون متحصّلاًها نحو ثمانية آلاف تنكة .

وأما غير هؤلاء من سائر أرباب الوظائف ، فذكر أنه يكون لبعض النّدماء قريتان وبعضهم قرية ، ولكل واحد منهم من أربعين ألف تنكة إلى ثلاثين ألف تنكة

إلى عشرين ألف تنكة على مقادير مراتبهم ، مع الكسوى والجائع والإفتقادات ،
وليُقَسَّ على ذلك .

الجملة الحادية عشرة (في ترتيب أحوال هذه المملكة)

وتختلف الحال في ذلك باختلاف أحوال السلطان .

أما الخدمة ، فخدمتان : إحداهما الخدمة اليومية ، فإنه في كل يوم يمد الخوان
في قصر السلطان : ويأكل منه عشرون ألف نقر من الخانات ، والملوك ، والأمراء ،
والأصفهسارية ، وأعيان الجند ، ويمد للسلطان خوان خاص ، ويحضره معه
من الفقهاء مائتا فقيه في الغداء والعشاء ليأكلوا معه ويبحثوا بين يديه .

وحكى عن الشيخ أبي بكر بن الحلال : أنه سأل طبأخ هذا السلطان عن ذبيحته
في كل يوم - فقال : ألفان وخمسمائة رأس من البئر ، وألفاً رأس من الغنم ، غير
الخيل المسمنة وأنواع الطير .

والثانية - الجمعية ، حكى عن الشيخ محمد الحجندی : أن لهذا السلطان يوم
الثلاثاء جلوساً عاماً في ساحة عظيمة متسعة إلى غاية ، يضرب له فيها خيّر كبير
سلطاني ، يجلس في صدره على تحت عالٍ مصفح بالذهب ، وتقف أرباب الدولة
حوله يميناً وشمالاً ، وخلفه السلاح دارية وأرباب الوظائف قيام بين يديه على
منازلهم ، ولا يجلس إلا الخانات وصدرجهان « وهو قاضي القضاة » والدييران
« وهو كاتب السر الذي تكون له النوبة » ويقف الحجاب أمامه ، وينادي مناداة
عامّة : إن من كان له شكوى أو حاجة فليحضر ، فيحضر من له شكوى أو حاجة ،
فيقف بين يديه فلا يمنع حتى ينهي حاله ، ويأمر السلطان فيه أمره .

ومن عادته أن لا يدخل عليه أحدٌ ومعه سلاحُ البتَّة حتى ولا سكين صغيرة ؛ ويكون جلوسه داخل سبعة أبواب ، ينزل الداخلون عليه على الباب الأول ، وربما أُذن لبعضهم بالركوب إلى الباب السادس . وعلى الباب الأول منها رجل معه بوق ، فإذا جاء أحدٌ من الخانات أو الملوك أو أكابر الأمراء ، نفخ في البوق إعلماً للسلطان أنه قد جاءه رجل كبير : ليكون دائماً على يقظة من أمره . ولا يزال ينفخ في البوق حتى يقارب الداخل الباب السابع ، فيجاس كل من دخل عند ذلك الباب حتى يجتمع الكل ، فإذا تكاملوا أُذن لهم في الدخول ، فإذا دخلوا جلس من له أهلية الجلوس ووقف الباقون ، وجلس القضاة والوزير وكاتب السر في مكان لا يقع فيه نظر السلطان عليهم ، ومُدَّ الخوان . ثم يُقدَّم الحجاب قصص أرباب المظالم وغيرهم ، ولكل قوم حاجب يأخذ قصصهم ، ثم يرفعون جميع القصص إلى حاجب مُقدَّم على الكل ؛ فيعرضها على السلطان ويسمع ما يأمر فيها . فإذا قام السلطان جلس ذلك الحاجب إلى كاتب السر فأدَّى إليه الرسائل في ذلك فينفذها . ثم يقوم السلطان من مجلسه ذلك ويدخل إلى مجلس خاص ، ويدخل عليه العلماء فيجالسهم ويحادثهم ويأكل معهم ، ثم ينصرفون ، ويدخل السلطان إلى دُوره .

أما حاله في الركوب ، فإنه كان في قُصوره يركب وعلى رأسه الحتر والسلاح دارية وراءه محمولا بأيديهم السلاح . وحوله قريبُ آتني عشر ألف مملوك ، جميعهم ليس فيهم راكبٌ إلا حامل الحتر والسلاح دارية والحمدارية حملة القماش إن كان في غير قُصوره . وعلى رأسه أعلامٌ سود في أوساطها تين عظيم من الذهب ؛ ولا يحمل أحدٌ أعلاماً سوداً إلا له خاصَّة . وفي ميسرته أعلامٌ حمر ، فيها تينان ذهب أيضاً . وطبوله الذي يُدق بها في الإقامة والسفر على مثل الإسكندر .

وهو مائتا حمل نَقَّارات ، وأربعون حملاً من الكُوسات الجِبار ، وعشرون بُوقاً ،
وعشرة صُنُوج .

قال الشيخ مبارك الأنباري : ويحمل على رأسه الجِتر إن كان في غير الحرب ،
فإن كان في الحرب حمل على رأسه سبعة جُتُورة ، منها آثنان مرصَّعان لا يُقومان
لنفاستهما . قال : ولدسته من الفخامة والعظمة والقوانين الشاهنشاهية ما لا يكون
مثله إلا للإسكندر ذي القرنين أو للملك شاه بن ألب أرسلان .

ثم إن كان في الصيد فإنه يخرج في خِفٍّ من اللباس في نحو مائة ألف فارس ،
ومائتي فيل ، ويحمل معه أربعة قصور على ثمانية جمال ، كل قصر على مائتي جمل
مُلبَّسة جميعها بستور الحرير المذهبة ، وكل قصر طبقتان غير الخيم والحراكوات .
فإن كان يتنقل من مكان إلى مكان للتنزه وما في معناه ، فيكون معه نحو ثلاثين ألف
فارس ، وألف جنيب مُسَرَّجة مُلجَمة ، مابين ملبَّس بالذهب ومطوق وفيها المُرصَّع
بالجواهر والياقوت .

وإن كان في الحرب ، فإنه يركب على رأسه سبعة جُتُورة ، وترتيبه في الحرب
على ما ذكره قاضي القضاة سراج الدين الهندي : أن يقف السلطان في القلب
وحوله الأئمة والعلماء ، والرماة قدامه وخلفه ، وتمتد الميمنة والميسرة موصولة
بالجناحين ، وأمامه الفيلة الملبَّسة بالبركصطوانات الحديد وعليها الأبراج المسترَّة فيها
المقاتلة ، وفي تلك الأبراج منافذ لرمي النَّشاب وقوارير النَّفط ، وأمام الفيلة العبيد
المشاة في خِفٍّ من اللباس بالسُّتُور والسلاح ، فيسحبون حبال الفيلة والحيل
في الميمنة والميسرة ، تضم أطراف ... (١) ... من حول الفيلة ومن ورائها حتى
لا يجد هارباً له مفراً .

(١) بياض بالأصل ولعله تضم أطراف " الجيش من الخ " .

أما غير السلطان من عساكره ، فقد جرت عادتهم أن الخانات والملوك والأمراء لا يركب أحد منهم في السفر والحضر إلا بالأعلام ، وأكثر ما يحمل الخان معه سبعة أعلام ، وأقل ما يحمل الأمير ثلاثة ، وأكثر ما يجتر الخان في الحضر عشر جنائب ، وأكثر ما يجتر الأمير في الحضر جنبيان ، وفي السفر يتعاطى كل أحد منهم قدر طاقته .

وأما اتصال الأخبار بالسلطان ، فذكر قاضي القضاة سراج الدين الهندي : أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال : فأحوال الرعية له ناس يخاطبون الرعية ، ويطلعون على أخبارهم ، فن أطلع منهم على شيء أنهاه إلى من فوقه ، وينبئه الآخر إلى من فوقه حتى يتصل بالسلطان . وأحوال البلاد النائية لاتصل الأخبار منها من السرعة ما ليس في غيرها من الممالك ، وذلك أن بين أمهات الأقاليم وبين قصر السلطان أماكن متقاربة ، مشبهة بمراكز البريد بمصر والشام إلا أن هذه الأماكن قريبة المدى بعضها من بعض ، بين كل مكانين نحو أربع غلوات سهم أو دونها ، في كل مكان عشرة ساعة ممن له خفة وقوة ، ويحمل الكتب بينه وبين من يليه ، ويعدو بأشد ما يمكنه إلى أن يوصله إلى الآخر ليعدو به كذلك إلى مقصده ، فيصل الكتاب من المكان البعيد في أقرب وقت . وفي كل مكان من هذه الأمكنة مسجد وسوق وبركة ماء . وبين دلتى وقبة الإسلام اللتين هما قاعدتا المملكة طبول مرتبة في أمكنة خاصة ، فحيثما كان في مدينة وفتح باب الأخرى أو أغلق يدق الطبل ، فإذا سمعه ما يجاوره دق ، فيعلم خبر فتح المدينة وفتح باب الأخرى وغلقه .

الفصل الثانى

من الباب الرابع من المقالة الثانية

(فى الممالك والبلدان الغربىة عن مملكة الديار المصرية ، وما سامت
ذلك ووالاه من الجهة الشمالىة . وفىه أربع ممالك)

المملكة الأولى

(مملكة تونس وما أضيف إليها . وفىه اثنتان وعشرون جملة)

الجملة الأولى

(فى بيان موقعها من الأقاليم السبعة [وحدودها])

[أما موقعها من الأقاليم السبعة] فإن أكثرها واقع فى الإقليم الثالث ، وبعضها واقع فى أواخر الثانى .

وأما حدودها فعلى ما أشار إليه فى " التعريف " : حدّها من الشرق العقبة الفاصلة بينها وبين الديار المصرية ، ومن الشمال البحر الرومى ، ومن الغرب جزائر بنى مزغنان الآتى ذكرها ، ومن الجنوب آخر بلاد الجريد والأرض السواخة إلى مايقال إن فيه المدينة المسماة بمدينة النحاس .

قال فى " مسالك الأبصار " : وحدّها من الجنوب الصحراء الفاصلة بينها وبين بلاد جباوة المسكونة بأئم من السودان . وحدّها من الشرق آخر حدود أطرابلس ، وهى داخلة فى التحديد . وحدّها من الشمال البحر الشامى : وهو الرومى . وحدّها من الغرب آخر حدود بدليس المجاورة لجزائر بنى مزغنان ، آخر عمالة صاحب بر العدو .

وقد نقل في "تقويم البلدان" في الكلام على بونة عن ابن سعيد أن آخر سلطنة بجاية من الشرق مدينة بونة الآتي ذكرها، وأنها أول سلطنة أفريقية من الغرب . قال في "مسالك الأبصار": وطولها خمس وثلاثون يوما، وعرضها عشرون يوما .

الجملة الثانية

(في بيان ما أشتملت عليه هذه المملكة من الأعمال
وما أنطوى عليه كل عمل)

وهذه المملكة تشتمل على عمالين :

العمل الأول — أفريقية . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الهمزة وسكون الفاء وكسر الراء المهملة وسكون الياء المشناة تحت وكسر القاف ومثناة تحت بعدها هاء في الآخر . وقد اختلف في سبب تسميتها أفريقية . فقليل إن أفريقية أحد تبابعة اليمن آففتحها وأستولى عليها فسميت بذلك . وقيل إنما سميت بفارق بن [بيصر بن حام بن نوح عليه السلام] .^(١)

وكانت قاعدتها القديمة (سببلة) بضم السين المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون المشناة من تحتها وفتح الطاء المهملة واللام وفي آخرها هاء . وهي مدينة أزيلية في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة، حيث الطول ثلاثون درجة، والعرض ثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وبها آثار عظيمة تدل على عظم أمرها .

- (١) ضبطها ياقوت بكسر الهمزة وتبعناه فيما تقدم ويظهر أن فيه لغتين .
- (٢) في المعجم والسبائك أفريقية بياء بعد القاف وسين مهملة في الآخر . وفي العبر كالأصل إلا أنه بالمعجمة وقد تقدم بها كثيرا .
- (٣) بياض بالأصل والتصحيح عن معجم البلدان لياقوت .
- (٤) في معجم ياقوت وطاء مكسورة .

قال الإدريسي^(١) : وكانت قبل الإسلام مدينة أفريسييس ملك الروم الأفارقة ، فتحها المسلمون في صدر الإسلام وقتلوا ملكها المذكور .

ثم صارت قاعدتها في أول الإسلام (القيروان)^(٢) . بفتح القاف وسكون المشنة تحت وفتح الراء المهملة وواو وألف وفي آخرها نون . وهي مدينة في الإقليم الثالث أيضا حيث الطول ثمان وعشرون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة^(٣) ، بنيت في صدر الإسلام بعد فتح أفريقية في جنوبى جبل شماليها ، وهي في صحراء ، وشرب أهلها من ماء الآبار وقال في "العزيزى" : من ماء المطر ، وليس لها ماء جار ، ولها وادٍ في قبلة المدينة به ماء ملح يستعمله الناس فيما يحتاجونه . قال في "العزيزى" : وهي أجل مدن الغرب (يعنى في القديم) . وكان عليها سور عظيم هدمه زيادة الله بن الأغلب . قال الإدريسي : وبينها وبين سبتلة سبعون ميلا .

ثم صارت قاعدتها بعد ذلك (المهدية) بفتح الميم وسكون الهاء وكسر الدال المهملة نسبة إلى المهدى . وهي مدينة بناها عبيد الله المهدى جد الخلفاء الفاطميين بمصر في سنة ثلاث وثلثمائة ، وموقعها في الإقليم الثالث أيضا من الأقاليم السبعة حيث الطول ثلاثون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة فيما ذكره ابن سعيد . وهي على طرف داخل في البحر كهيفة كف متصل بزند ، والبحر محيط بها غير مدخلها ، وهو مكان ضيق كما في سبتة . ولها سور حصين شاهق في الهواء ، مبنى بالمحجر الأبيض بأبراج عظام . وبها القصور الحسنة المطلة على البحر .

(١) في التقويم "جرجيس" وفي المعجم جرجير .

(٢) من هنا الى الكلام على الطبقة الثانية من القياصرة قبل ظهور دين النصرانية مقابل أيضا على قطعة وجدت بدار الكتب الأزهرية .

(٣) لم يذكر العرض ، وذكر في "تقويم البلدان" عن ابن سعيد أنه إحدى وثلاثون درجة .

ثم صارت قاعدتها بعد ذلك (تُونُس) بضم المشناة من فوق وسكون الواو وضم النون وفي آخرها سين مهملة ، وهي قاعدة هذه المملكة الآن ، ومُسْتَقَرَّ سلطانتها . وهي مدينة قديمة البناء ، واقعة في الإقليم الثالث قال ابن سعيد : حيث الطول اثنتان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة . وهي على بحيرة مالحة خارجة من البحر الرومي ، طولها عشرة أميال وتُونُس على آخرها .

قال البكري : ودور هذه البحيرة نحو أربعة وعشرين ميلا . قال في "العزيزي" : وهي مدينة جليلة ، لها مياه ضعيفة جارئة يُزْرَع عليها ، وفيها الحصب وكثرة الغلات . وهي في وطأة من الأرض في سفح جبل يُعرف بأَمِّ عَمْرُو ، يستدير بها خندق وسور حصين ، ولها ثلاثة أرباض كبيرة من جهاتها ، وأرضها سبخة ، وجميع بنائها بالحجر والأجر ، وأبنيتها مسقفة بالأخشاب ، ودور أكبرها مفروشة بالرَّخَام . ودم في "الروض المعطار" بيوتها فقال هي كما يقال : ظاهرها رُخَام ، وباطنها سُخَام . وشرب أهلها من الآبار ، وبيوتها صهاريج يُجمع فيها ماء المطر لغسل القماش ونحوه ، وبها الحمامات والأسواق الجليلة ، وبها ثلاث مدارس : وهي الشماعية والفرضية ، ومدرسة الهواء ، وبها البساتين البعيدة والقريبة منها ، والبساتين محيطة ببحيرتها المقدم ذكرها من جنوبيها .

قال في "مسالك الأبصار" : ومذ خلا الأندلس من أهله ، وأووا إلى جناح ملوكها ، مَصَّرُوا إقليمها ، ونوعوا بها الغراس ، فكثرَت مستنزهاتها ، وأمتد بسِيط بساتينها . قال : وبها يُعْمَل القماش الأفريقي : وهو ثياب رفَّاع من القطن والكَّان معا ومن الكَّان وحده ، وهو أمتع من النِّصافيِّ البغداديِّ وأحسن ، ومنه جُلُّ كَسَاوى أهل المغرب . وللسلاطان بها قلعة جليلة يسكنها ، يعبرون عنها بالقصبة كما هو

مصطلح المغاربة في تسمية القلعة بالقصبة ، وللساطن بها بستانان : أحدهما مُلاصق أرباض البلد يسمى برأس الطابية ، والثاني بعيد من البساتين يسمى بأبي فُهر ، بينه وبين البلد نحو ثلاثة أميال ، والماء مُنْساب إليهما من ساقية بجبل يعرف بجبل زَعْوَان بفتح الزاى وسكون الغين المعجمتين ونون في الآخر ، على مسيرة يومين من تُونُس .

وأما ما أَشْتَمَلَتْ عليه من المُدُن سوى القواعد المتقدمة الذكر .

فمن مشارق تُونُس (سُوسَة) بضم السين المهملة وسكون الواو وفتح السين الثانية ثم هاء . وهي مدينة على ساحل البحر ، واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة ، حيث الطول أربع وثلاثون درجة وعشر دقائق ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . وهي في جنوب تُونُس وشرقيها في طرف داخل في البحر . قال في "العريزي" : وهي مدينة أزيلية بها سُوق وفنادق وحمامات . قال الإدريسي : وهي عامرة بالناس ، كثيرة المتاجر ، والمسافرون إليها قاصدون وعنها صادرون ، وعليها سور من حجر حصين .

وذكر في "مسالك الأبصار" : أن عليها سُورا من لبن ، وأنها قليلة العمارة لاستيلاء العرب عليها .

ومنها (صَفَاقُس) بفتح الصاد المهملة ثم فاء وألف وقاف مضمومة وفي آخرها سين مهملة . وهي مدينة على ساحل البحر شرقي المهدية ، واقعة في الإقليم الثالث قال ابن سعيد حيث الطول خمس وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي مدينة صغيرة في مستو من الأرض ، وجنوبيها جبل يسمى جبل السبع بفتح السين المهملة

والباء الموحدة وعين مهملة في الآخر . يستدير عليها سور؛ وشرب أهلها من الآبار؛ ولها بساتين قليلة . ومن بحرها يُستخرج الصوف المعروف عند العامة بصوف السمك المتخذ منه الثياب النفيسة . قال ابن سعيد : أنا رأيته كيف يُخرج ، يغوص الغواصون في البحر فيخرجون كئام شبيهة بالبصل بأعناق ، في أعلاها زويرة ، فتتشر في الشمس فتفتح تلك الكئام عن وبراء فيمشط ويؤخذ صوفه فيغزل ، ويعمل منه طعمة لقيام من الحرير ، وتُسج منه الثياب .

ومنها (قابس) بفتح القاف وألف ثم باء موحدة وفي آخرها سين مهملة . وهي مدينة في الإقليم الثالث ، حيث الطول اثنتان وثلاثون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة ، على ثلاثة أميال من البحر . قال في " العزيزي " : وعليها سور وخندق . قال في " تقويم البلدان " : وهي في أفريقية كدمشق في الشام ، ينزل إليها نهران من الجبل في جنوبيها ، يخترقان في غوطتها . قال : وقد خُصت من بلاد أفريقية بالموز وحب العزيز والحيار .

ومنها (أطرابلس) بفتح الهمزة وسكون الطاء وفتح الراء المهملتين وألف وباء موحدة بعدها لام مضمومتان وسين مهملة في الآخر . وهي مدينة شرقي تونس على البحر ، واقعة في الإقليم الثالث قال ابن سعيد حيث الطول ثمان وثلاثون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في " تقويم البلدان " : وهي آخر المدن التي شرقي القيروان ، وإذا فارقها المسافر مشرقاً لا يجد مدينة فيها حمام حتى يصل الإسكندرية . وبنائها بالصخر ، وهي واسعة الكورة ، وبها الحصب الكثير ، وليس بها ماء جارٍ ، بل بها جباب عليها سواق . قال في " العزيزي " : وبها مرسى للراكب .

ومنها (قَصْرُ أَحْمَدَ) وضبطه معروف ، وموقعه في أول الإقليم الرابع ، حيث الأول إحدى وأربعون درجة وأثنان وعشرون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وسبع وثلاثون دقيقة . قال ابن سعيد : وهو حد أفريقية من الشرق وحد بركة من الغرب . وهو قرية صغيرة ، وحوله قصور نحو آثنى عشر ميلا ، وهي بلاد زيتون ونخيل ، وأهلها يجلبون الخيل للإسكندرية ، ومنها يركب المسافر البرية إلى الشرق .

ومن مغارب تونس على مسيرة يومين (باجة) قال في "المشتراك" بفتح الباء الموحدة وألف وتخفيف الجيم ثم هاء . وهي مدينة بالإقليم الثالث قال في "الأطوال" حيث الطول تسع وعشرون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة . وهي مدينة كبيرة ، ولها بساتين قليلة وعيون ماء ، وعليها سور حصين . مبنية في مستوي من الأرض ، على نحو يوم من البحر ، ويقابلها على البحر مرسى الحرز .

ومنها (نَبْرَت) بفتح النون وسكون الباء الموحدة وفتح الزاي المعجمة والراء المهملة وفي آخرها تاء مشاة من فوق ، وقيل هي بتقديم الموحدة على النون . وهي مرسى تونس ، وموقعها في الإقليم الثالث قال ابن سعيد حيث الطول ثلاثون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وهي مدينة على نهر يجرى في شرقيها وعليه مستنزهاتها . قال في "تقويم البلدان" : ولها بحيرة حلوة في جنوبيها ، وبحيرة مالحة في شرقيها ، تصب كل واحدة منهما في الأخرى ستة أشهر ، فلا الحلوة تفسد بالمالحة ولا المالحة تعذب بالحلوة . قال الشيخ عبد الواحد : أما زيادة الحلوة فبكثر السيول أيام الشتاء ، وتقل عنها السيول في أيام الصيف فتعلو عليها المالحة .

ومنها (بُونة) قال في "اللباب" بضم الباء الموحدة وسكون الواو ثم نون وهاء .
 قال في "مسالك الأبصار" : وهي المسماة الآن بَلَدَ العُنَاب ؛ وهي مدينة على ساحل
 البحر في أول الإقليم الرابع قال ابن سعيد حيثُ الطولُ ثمان وعشرون درجة ،
 والعرضُ ثلاثٌ وثلاثون درجةً وخمسون دقيقة . قال في "العزيزى" : وهي مدينة
 جليلة عامرة خصبَةُ الزَّرْع ، كثيرة الفواكه ، رَخِيَّة ؛ بظاهرها معادنُ الحديد ؛
 ويُزْرَع بها الكَنَّانُ الكثير . قال : وحَدَّثَ بها عن قريب مَغَاصُ مَرَّجَانٍ ، ولكن
 ليس كَمَرَّجَانٍ مَرَّيى الحَرَز .

ومن قِبَلِ تُونُسَ لِلجَنُوبِ (بلادُ الجَرِيدِ) .

ومنها (تُوزَر) . قال في "تقويم البلدان" عن الشيخ عبد الواحد : بضم المثناة
 من فوق وسكون الواو وفتح الزاى المعجمة وراء مهملة فى الآخر . وموقعها فى الإقليم
 الثالث قال ابن سعيد حيثُ الطولُ ستٌ وثلاثون درجة وسبعُ دقائق ، والعرضُ
 تسعٌ وعشرون درجة وثمانٌ دقائق . وهى قاعدة بلاد الجَرِيد ، وبها بساتينٌ
 ومَحْمَضَات ونخيلٌ وزيتونٌ ، ولها نهرٌ يَسْقَى بساتينها ؛ والمطرُ بها قليل ؛ ويُزْرَع
 بها الكَنَّان والحِنَاء . قال فى "تقويم البلدان" : وبذلك وبِقِلَّة المطرِ تُشَبِّه مِصرَ .
 وقد عابها فى "الروض المِعْطَار" بأن أهلها يبيعون ما يَتَحَصَّل فى مَرَاحيضهم من رَجِيعِ
 الناس ، يُفَحِّلُون به بَقُولهم وبساتينهم ؛ ولكنهم لا يَرِغَبُونَ فيه إلا إذا كان جافاً ،
 فيَحْمِلُهم ذلك على عَدَمِ الاستنجاء فى مَرَاحيضهم ، ويخرج أحدهم من بيته حتى
 يأتى القَنَاة فيَسْتَنْجِى من مائها ؛ وربما آتَاخذُ أحدهم المَراحِيضَ على قارعة الطريقِ
 للواردين عليها ليأخذ ما يَتَحَصَّل من ذلك فيبيعَه .

ومنها (قَفْصَةٌ) بفتح القاف وسكون الفاء ثم صاد مهملة وهاء في الآخر . وموقعها في الإقليم الثالث قال في "الأطوال" حيث الطول إحدى وثلاثون درجة ، والعرض ثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال ابن سعيد : وهي قاعدة مشهورة من بلاد الجريد بها النخيل والفستق . قال : ولا يكون الفستق ببلاد المغرب إلا في قَفْصَةٍ . وبها من الفواكه والمشمومات أنواع كثيرة ، ومنها يُجَلَب دهن البنفسج وخل العنصل ، وإليها ينسب جلد الأروى المتخذ منه النعال الشديدة اللينة .

ومنها (المَسِيلَة) قال في "تقويم البلدان" عن الشيخ عبد الواحد : بكسر الميم والسين المهملة وسكون المشاة من تحت وفي آخرها لام ألف ، والجاري على الألسنة فتح الميم وهاء في الآخر . وهي مدينة من بلاد الجريد ، موقعها في الإقليم الثالث قال ابن سعيد حيث الطول ثلاث وعشرون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض تسع وعشرون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال في "العزيزي" : وهي مدينة محدثة ، بناها القائم الفاطمي سنة خمس عشرة وثلثمائة . قال ابن سعيد : ولها نهر يمر بغربها ويغوص في رمال الصحارى .

ومنها (بَسَكْرَةٌ) قال في "اللباب" بكسر الباء الموحدة وقيل بفتحها وسكون السين المهملة وكاف وراء مهملة بعدها هاء . وهي مدينة من بلاد الجريد ، في أواخر الإقليم الثاني قال ابن سعيد حيث الطول أربع وعشرون درجة وخمس وعشرون دقيقة ، والعرض سبع وعشرون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن سعيد : وهي قاعدة بلاد الزاب ، ولها بلاد ذات نخيل وفواكه وزروع كثيرة ، ومنها يُجَلَب الثمر الطيب إلى تونس وبجاية .

ومنها (طُرا) قال في " تقويم البلدان " عن عبد الواحد : بضم الطاء وتشديد
الراء المهملتين وفي آخرها ألف ، ونُقِلَ عن بعضهم إبدال الألف هاءً . وهي مدينة
من بلاد الجَرِيد في الإقليم الثالث قال ابن سعيد : حيث الطول سبع وثلاثون درجة
وعشرون دقيقة ، والعرض تسع وعشرون درجة . قال في " تقويم البلدان " :
وبها يُعْمَل الزَّجَاج الصَّافِي وتفاصيل الصوف ، ومنها يُجَلَّب إلى الإسكندرية .

ومنها (غَدَامِس) بفتح الغين والذال المعجمتين وألف وميم مكسورة وسين
مهملة . وهي مدينة في الصحراء جنوبي بلاد الجَرِيد ، على طريق السودان المعروفين
بالكَلِيم . قال : في " العزيزي " : وهي مدينة جليلة عامرة ، في وسطها عينٌ أَزَلِيَّةٌ
عليها أثر بُنيان رُومِيٍّ عجيب ، يَفِيضُ الماءُ منها ويَقْتَسِمُهُ أَهْلُ المدينة بأقساط
معلومة وعليه يَزْرَعُونَ . وأهلها قوم من البربر مسلمون . قال في " تقويم البلدان " :
وبها الجلود المفضَّلة ، وليس لهم رئيس سوى مشايخهم .

ومنها (قلعة سِنَان) . قال في " مسالك الأبصار " : وهو قصر لا يُعْرَف على وجه
الأرض أحصَنُ منه ، على رأس جبل منقطع عن سائر الجبال في غاية العُلُوِّ ، بحيث
يقصُر سبيلهم العَقَّار عن الوصول إليه ، يرتقى إليه من سُلَّمٍ نُقِرَ في الحجر طوله مائة
وتسعون درجة ، وبه مَصَانِعٌ يجتمع فيها ماء المطر ، وبأسفله عينٌ ماء عليها أشجار
كثيرة الفواكه .

(١) أوردتها ياقوت باهمال دالها ونص على فتح الغين وضمها ونحوه في القاموس .

العمل الثاني

(بلاد بجاية)

وبجاية بكسر الباء الموحدة وفتح الجيم وألف ثم ياء مثناة تحت وهاء في الآخر مدينة من مدن الغرب الأوسط ، واقعة في أوائل الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول اثنتان وعشرون درجة ، والعرض أربع وثلاثون درجة ونحس وخمسون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : هي قاعدة الغرب الأوسط ، وهي مقابل طرطوشة من الأندلس ، وعرض البحر بينهما ثلاث مجار . قال في "مسالك الأبصار" : وهي مدينة قديمة مسورة ، أضيف إلى جانبها ربض أدير عليه سور ضام لنطاق المدينة فصارا كالشيء الواحد . قال : والربض في وطاة ، والمدينة القديمة في سفح جبل . يدخل إليها خور من البحر الرومي تدخل منه المراكب إليها . قال في "تقويم البلدان" : ولها نهر في شريقها ، على شاطئه البساتين والمنازل . قال في "مسالك الأبصار" : وبها عينان من الماء : إحداهما كبيرة ومنها شرب أهلها ، ولها نهر جار على نحو ميلين منها ، تحف به البساتين والمناظر على ضفتيه ممتدة نحو اثني عشر ميلا ، متصلا بعضها ببعض لا انفصال بينها إلا ما يسلك عليه إلى البساتين ، إلى أن يصب في بحر الروم . وبضفتيه للسلطان بستانان متقابلان شرقا وغربا الشرقي منهما يسمى الربيع .

وغربي بجاية (جائز بن مرغان) بفتح الميم وسكون الزاي وكسر الغين المعجمتين ثم نون بينهما ألف الأولى منهما مشددة ، كما في "تقويم البلدان" عن الشيخ شعيب ، وبعضهم يسقط النون الأخيرة . وفي "مسالك الأبصار" : مرغانة بزيادة هاء في الآخر . وهي فرضة مشهورة هناك . قال في "مسالك الأبصار" :

وهي بلدة حسنة على ساحل البحر ، تقابل (ميورقة) من بلاد الأندلس ، بانحراف يسير ، وبعدها عن بجاية ستة أيام .

ومن المَدُن التي بأعمال البجاية (قُسْطِينَةُ) قال في " تقويم البلدان " : بضم القاف وسكون السين وكسر الطاء المهملتين وسكون المثناة من تحت ثم نون وهاء . قال : وعن بعض المتأخرين أن بعد السين وقبل الطاء نونا ، وحيث فتكون بضم السين وسكون النون . وهي مدينة من الغرب الأوسط في أواخر الإقليم الثالث قال ابن سعيد حيث الطول ست وعشرون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة واثنان وعشرون دقيقة . قال في " تقويم البلدان " : وهي على آخر مملكة بجاية وأول مملكة أفريقية . قال الإدريسي : وهي على قطعة جبل منقطع مربع فيه بعض استدارة ، لا يتوصل إليه إلا من جهة باب في غربها ليس بكثير السعة ، ويحيط بها الوادي من جميع جهاتها . قال في " تقويم البلدان " : ولها نهر يصب في خندقها يُسمَع له دوى هائل ، ويرى النهر في قعر الخندق مثل دُؤابة النجم لشدة ارتفاع البلد عن الخندق . قال الإدريسي : وهي مدينة عامرة ، وبها أسواق وتجارات . قال : وتقيم الخنطة في مطاميرها مائة سنة لا تفسد .

وشرقي قُسْطِينَةَ في آخر مملكة بجاية (مَرَسِيّ الحَرَز) بفتح الحاء المعجمة والراء المهملة وزاي معجمة في الآخر . ومنه يستخرج المرجان من قعر البحر على ما تقدم في الكلام على الأحجار النفيسة فيما يحتاج الكاتب إلى وصفه من المقالة الأولى .

ومنها (سَطِيف) بفتح السين وكسر الطاء المهملتين ثم ياء مثناة من تحت ساكنة بعدها فاء . وهي مدينة من الغرب الأوسط في الإقليم الثالث قال في " الأطوال " حيث الطول سبع وعشرون درجة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة . وهي مدينة

حصينة، بينها وبين قُسْطِينَة أربع مراحل، ولها حصن في جهة الجنوب، عن بحاية على مرحلتين منها، ولها كُورَة تشتمل على قَرْى كثيرة غزيرة المياه كثيرة الشجر المثمر بضروب من الفواكه، وبها الجُوز الكثير، ومنها يُجمل إلى سائر البلاد.

ومنها (تَاهَرْتُ) - قال في "اللباب": بفتح التاء المشناة فوق وألف وهاء وسكون الراء المهملة وفي آخرها تاء ثانية. قال في "تقويم البلدان": وقلْتُ من خط ابن سعيد عوض الألف ياء مشناة تحت قال وهو الأصح لأن ابن سعيد مغربي فاضل. وهي مدينة من الغرب الأوسط، وقيل من أفريقية في الإقليم الثالث قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وعشرون درجة وثلاثون دقيقة. والعرض تسع وعشرون درجة. قال ابن حوقل: وهي مدينة كبيرة خصبة، كثيرة الزرع، كانت قاعدة الغرب الأوسط وبها كان مقام ملوك "بنى رستم" حتى انقرضت دولتهم بدولة الفاطميين خلفاء مصر. وذكر الإدريسي أنها كانت في القديم مدينتين: القديمة منهما على رأس جبل ليس بالعالى. قال في "العزيزى": وتاهرت القديمة تسمى "تاهرت عبد الخالق" وهي مدينة جليلة كانت قديماً تسمى "بغداد المغرب" وتاهرت الجديدة على مرحلة منها، وهي أعظم من تاهرت القديمة بالمياه تخترق دُور أهلها. وهي ذات أسواق عامرة، وبأرضها مزارع وضياع جمّة، ويمر بها نهر يأتيها من جهة المغرب، ولها نهر آخر يجري من عيون تجتمع فيه، منه شرب أهلها، وبها البساتين الكثيرة الموثقة، والفواكه الحسنة، والسفرجل الذى ليس له نظير: طعماً وشماً، ولها قلعة عظيمة مشرفة على سوقها. وتاهرت كثيرة البرد، كثيرة الغيوم والثلج، وسورها من الحجر، ولها ثلاثة أبواب: باب الصفا، وهو باب الأندلس، وباب النازل، وباب المطاحن.

(١) في "المعجم" أربعة أبواب باب الصفا وباب الأندلس الخ.

وأما الطريق الموصل إليها ، فقد ذكر صاحب "الذيل" على كامل ابن الأثير في التاريخ عن ايدغدئ التليلى وايدغدئ الخوارزمي ، حين توجهها رسولين إلى الغرب في سنة ست وسبعائة : أن من إسكندرية إلى طلميثا ، ومنها إلى سرت ، ومنها إلى سراتة ، ومنها إلى طهجورة ، ومنها إلى طرابلس ، ومنها إلى قابس ، ومنها إلى صفاقس ، ومنها إلى المهدية ، ومنها إلى سوسة ، ومنها إلى تونس .

وأما طريقها في البحر ، فمن إسكندرية إلى تونس .

الجملة الرابعة

(في ذكر زروعها ، وحبوبها ، وفواكهها ، وبقوطها ، ورياحينها)

أما زروعها ، فقد ذكر في "مسالك الأبصار" : أنها تُزرع على الأمطار ، وأن بها من الحبوب القمح ، والشعير ، والحجص ، والفول ، والمدس ، والذرة ، والدخن ، والجلبان ، واليسلا ، وأسمها عندهم البسين . أما الأرز فيجلوب إليها .

وأما فواكهها ، فهي من الفواكه العنب والتين ، كل منهما على أنواع مختلفة والرمان : الحلو والمز والحامض ، والسفرجل ، والتفاح ، والكمثرى ، والعناب ، والزعرور ، والخوخ ، والمشمش على أنواع ، والتوت الأبيض ، والفرصاد ، وهو التوت الأسود ، والقراصيا ، والزيتون ، والأترج ، والليمون ، والليم ، والنارنج . أما الحوز بها فقليل ، وكذلك النخيل ، والفستق ، والبندق مفقود بها وكذلك الموز . قال في "مسالك الأبصار" : وبها فاكهة تسمى مصغ فوق قدر البندقة ، لونها بين الحمرة والصفرة ، وطعمها بين الحموضة والقبض شبيه بطعم السفرجل ، يوجد في الشتاء ، يقطف من شجره غصبا فيدفي ، ويثقل كما يفعل بالموز فينضج ويؤكل

حينئذ . ويوجد بها قصب السكر على قلة ولا يعتصر بها . وبها البطيخ الأصفر على أنواع ، والبطيخ الأخضر مع قلة ، وأسمه عندهم الدلاع ، وكذلك الحيار والقثاء . وبها اللوبيا ، واللفت ، والباذنجان ، والقنبيط ، والكرنب ، والرجلة ، والبقلة اليمنية ، وأسمها عندهم باندس ، والخس ، والهندباء على أنواع ، وسائر البقول والملوخيا على قلة ، والحليون ، والصعتر .

وبها من الرياحين الآس ، والورد ومعظمه أبيض ، والياسمين ، والنجس ، واللينوفر الأصفر والترنجاني ، والمنثور ، والمرزنجوش ، والبنفسج ، والسوسن ، والزعفران ، والحبق ، والنمّام .

الجملة الخامسة

(في مواشيتها ، ووحوشها ، وطيورها)

أما مواشيتها ، ففيها الخيل العرب المشابهة لخيّل بركة ، والبغال ، والحمير ، والإبل ، والبقرة ، وغنم الضأن والمعز .

وأما وحوشها ، ففيها الغزالان ، وبقرة الوحش وحمره ، والنعام ، وغير ذلك .

وأما طيورها ، ففيها الدجاج ، والحمام كثيرا ، والإوز بقلة ، وبها الكراكي ، وهي صيد الملوك كما بمصر ، وكذلك غيرها من طيور الصيد .

الجملة السادسة

(فيما يتعلق بمعاملاتها : من الدنانير ، والدرهم ،
والأرطال ، والمكايل ، والأسعار)

(١) أما الدنانير ، فإنها تُضْرَبُ بِاسْمِ مَلِكِهِمْ ، وَزِنَةُ كُلِّ دِينَارٍ مِنْ دَنَانِيرِهِمْ
ويعبرون عنه بالدينار الكبير ، وذهبهم دُونَ الذهب المصري في الجَوْدَةِ ، فهو ينقص
عنه في السَّعَر .

وأما الدرهم ، فقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن أبي عبد الله بن القويح :
أن دراهمهم على نوعين : أحدهما يُعْرَفُ بِالْقَدِيمِ ، والآخر بالحديد ، ووزنهما واحد
إلا أن الحديد منهما خالص الفِضَّةِ والقديم مغشوش بالنحاس للعاملة ، وتفاوت
ما بينهما أن كل عشرة دراهم عتيقة بثمانية دراهم جديدة ، وإذا أُطْلِقَ الدَرَهْمُ عندهم
فالمراد به القديم دُونَ الحديد ، ثم مُصْطَلَحُهُمْ أن كل عشرة دراهم عتيقة بدينار ،
وهذا الدينار عندهم مسمًى لا حقيقة له ، كالدينار الجيشى بمصر ، والرائج بإيران .
وأما أرطالها ، فزنة كل رِطْلٍ ست عشرة أوقية ، كل أوقية أحد وعشرون درهما
من دراهمها .

وأما كيلها ، فلهم كيلان : أحدهما يسمى القفيز ، وهو ست عشرة ونية ، كل
ونية اثنا عشر مُدًا قَرَوِيًّا ، وهو يقارب المُدَّ النبوى ، على صاحبه أفضل الصلاة
والسلام والتحية والإكرام . وهو أيضا ثمانية أمداد بالكيل الحَفِصِيّ : وهو كيل
قدره ملوكها الحَفِصِيُّونَ : آباء ملوكها القائمين بها الآن ، بقدر مُدٍّ ونصف من المُدِّ
المقدم ذكره . والثاني يسمى الصَّحْفَةُ ، وكل صَحْفَةٌ اثنا عشر مُدًّا بالحَفِصِيّ .

(١) بياض بأصل المكتبة الخديوية والمكتبة الأزهرية .

الجملة السابعة

(في ذكر أسعارها)

قد ذكر في "مسالك الأبصار" : أن أوسط الأسعار بها في غالب الأوقات أن يكون كل قفيز من القمح بخمسين درهما ، والشعير دون ذلك . قال : وغالب سعر اللحم الضأن عندهم كل رطل أفريق بدرهم قديم ، وبقية اللحوم دونه في القيمة ، وفي الربيع ينحط السعر عن هذا القدر . وذكر أن الدجاجة الجيدة عندهم بدرهمين جديدين . ثم قال : وأحوالها مقارنة في ذلك للديار المصرية لقرب المجاورة . وقد ذكر في "مسالك الأبصار" : أن تونس وبجاية في المعاملة والسعر متقاربتان .

الجملة الثامنة

(في صفات أهل هذه المملكة في الجملة)

قال في "مسالك الأبصار" : ولأهل أفريقية لطف أخلاق وشمائل بالنسبة إلى أهل بلاد المغرب : مجاورتهم مصر وقربهم من أهلها ، ومخالطتهم إيَّاهم ، ومخالطة من سكن عندهم من أهل إسبيلية من الأندلس . وهم من هم ! خفة روح ، وحلاوة بادرة . قال : وهم على كل حال أهل انطباع ، وكرم طباع ، وناهيك من بلاد من شعر ملكها السلطان أبي العباس قوله :

مَواطِننا في دَهرِهنَّ عَجائبُ * وأزماننا لم تُعَدُّهنَّ الغرائبُ
مَواطِنُ لم تُحَكِّ التَّوارِيحُ مِثلَها * ولا حَدَّثَتْ عنها اللَّيالي الذَّواهِبُ

وقوله :

أُنْظُرْ إِلَيْنَا [تَجِدُنَا] مَا بِنَا دَهْشُ ، * وَكَيْفَ يَطْرُقُ أَسَدَ الْغَابَةِ الدَّهْشُ ؟
لَا تَعْرِفُ الْحَادِثَ الْمَرْهُوبَ أَنْفُسُنَا ! * فَانْنَا بَارْتَكَابَ الْمَوْتِ نَلْتَعِشُ !

وقوله :

عَسَى اللَّهُ يَدِينِي لِلْمُحِبِّينَ أَوْبَةً * فَتُشْفَى قُلُوبُ مِنْهُمْ وَصُدُورُ
وَكَمْ مِنْ قِصَى الدَّارِ أَمْسَى بِحُزْنِهِ ، * فَأَعْقَبَهُ عِنْدَ الصَّبَاحِ سُرُورُ
وَإِذَا كَانَ هَذَا رِقَّةً طَبَعَ السُّلْطَانُ ، فَمَا ظَنُّكَ بِغَيْرِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْأَدَبَاءِ ؟ .

الجملة التاسعة

(في ذكر مَنْ مَلَكَهَا جَاهِلِيَّةً وَإِسْلَامًا)

أما مُلُوكُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ، فَإِنَّ بِلَادَ الْمَغْرِبِ كُلَّهَا كَانَتْ مَعَ الْبَرَبِ ، ثُمَّ
غَلِبَهُمُ الرُّومُ الْكَيْتَمُ عَلَيْهَا ، وَافْتَتَحُوا قَاعِدَتَهَا (قَرْطَاجَنَّةً) وَمَلَكَوْهَا ، ثُمَّ جَرَى بَيْنَ الرُّومِ
وَالْبَرَبِ فِتْنٌ كَثِيرَةٌ كَانَ آخِرُهَا أَنْ وَقَعَ الصُّلْحُ بَيْنَهُمْ عَلَى أَنْ تَكُونَ الْمُدُنُ وَالْبِلَادُ
السَّاحِلِيَّةُ لِلرُّومِ ، وَالْجِبَالُ وَالصَّحَارَى لِلْبَرَبِ ، ثُمَّ زَاوَمَ الْفَرَنْجُ الرُّومَ فِي الْبِلَادِ ، وَجَاءَ
الْإِسْلَامُ وَالْمُسْتَوَلِيُّ عَلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ مِنْ مُلُوكِ الْفَرَنْجَةِ "جُرْجِيس" مَلَكَهُمْ ، وَكَانَ
مُلْكُهُ مُتَّصِلًا مِنْ طَرَابُلُسَ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ إِلَى الْبَحْرِ الْمَحِيطِ مِنْ جِهَةِ الْغَرْبِ ،
وَكُرْسَى مُلْكِهِ بِمَدِينَةِ (سُبَيْطَلَّة) ، وَبَقِيَتْ فِي يَدِهِ حَتَّى انْتَرَعَهَا الْمُسْلِمُونَ مِنْهُ فِي سَرِيَّةِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ ، فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ .

وَأما مُلُوكُهَا فِي الْإِسْلَامِ ، فَعَلَى أَرْبَعِ طَبَقَاتٍ :

الطبقة الأولى

(الخلفاء)

قد تقدم أن أول من أفتحها (عبد الله بن أبي سرح) في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، زحف إليها في عشرين ألفاً من الصحابة و كبار العرب ، ففرق جموع النصرانية الذين كانوا بها : من الفرنجة ، والروم ، والبربر ، وهدم سبطلة : قاعدتها وخرّبها ، وعاشت خيول العرب في ديارهم إلى أن صالحوا عبد الله بن أبي سرح بثلاثة قنطار من الذهب ، وقفل عنهم سنة سبع وعشرين من الهجرة ، بعد فتح مصر بسبع سنين أو ثمان .

ثم أغزاه معاوية بن أبي سفيان (معاوية بن حديج السكوني) سنة أربع وثلاثين . ثم ولي معاوية (عقبة بن نافع) بن عبد قيس النهري سنة خمس وأربعين ، فبنى عقبة القيروان .

ثم استعمل معاوية على مصر وأفريقية (مسلمة بن مخلد) فعزل عقبة عن أفريقية ، وولى عليها (مولاة أبا المهاجر دينار) سنة خمس وخمسين . ولما استقل يزيد بن معاوية بالخلافة ، رجع عقبة بن نافع إلى أفريقية سنة ثنتين وستين .

[ثم ولي عبد الملك بن مروان عليها زهير بن قيس البلوي في سنة سبع وستين إلى أن قتل في سنة تسع وستين فولّى عليها ^(١) (حسان بن النعمان) الغساني ، فسار ودخل القيروان ، وأفتح قرطاجنة عنوة وخرّبها ، فخرجت عليه الكاهنة ملكة

(١) الزيادة عن ابن الأثير في مواضع منه ليستقيم الكلام .

الغرب فهزمته ، ثم عاد إليها وقتلها ، وأستولى على بلادها [ثم رجع إلى عبد الملك وأستخلف على أفريقية رجلا اسمه صالح .

ثم ولى الوليد بن عبد الملك ^(١) [موسى بن نصير) بضم النون ، فقدم القيروان وبها صالح . ثم قفل موسى إلى المشرق وأستخلف على أفريقية أبنة عبد الله .

ثم عزله سليمان بن عبد الملك في خلافته ، وولى مكانه (محمد بن يزيد) .

ثم ولى عمر بن عبد العزيز في خلافته (إسماعيل) بن عبيد الله بن أبي المهاجر .

ثم ولى يزيد بن عبد الملك (يزيد بن أبي مسلم) مولى الحجاج وكتبه ، فقدمها سنة إحدى ومائة فقتله البربر ، وردوا محمد بن يزيد الذي كان عليهم قبله إلى ولايته ، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك بذلك فأقره عليهم .

ثم ولى يزيد بن عبد الملك (بشر بن صفوان الكلبي) فقدمها سنة ثلاث ومائة ، ومات سنة تسع ومائة .

ثم عزله هشام بن عبد الملك ^(٢) ، وولى مكانه (عبيدة بن عبد الرحمن السلمي) فقدمها سنة عشر ومائة ، ثم عزل هشام عبيدة ، وولى مكانه (عبد الله بن الحبحاب) مولى بني سلول ، فقدمها سنة أربع عشرة ومائة ، وبني جامع تونس ، وأتخذ بها دار الصناعة للمراكب البحرية .

ثم عزله هشام بن عبد الملك وولى مكانه (كلثوم بن عياض) ثم قُتل فبعث هشام ابن عبد الملك على أفريقية (حنظلة بن صفوان الكلبي) فقدمها سنة أربع وعشرين

(١) الزيادة عن ابن الاثير .

(٢) كذا في " العبر " أيضا وعبارة " الكامل " فاستعمل هشام بعده عبيدة الخ وهو المناسب .

ومائة ، فخرج عليه (عبد الرحمن بن حبيب) سنة ست وعشرين ومائة ، فقتل حنظلة إلى المشرق سنة سبع وعشرين ، وأستقل عبد الرحمن بملك أفريقية .

وولي مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، فكتب له بولايتها .

ثم كانت دولة بني العباس فأقره عليها السفاح ، ثم المنصور ، ثم قتل سنة سبع وثلاثين لعشر سنين من إمارته وأشترك في إمارتها (حبيب بن عبد الرحمن ، وعمه عمران بن حبيب ، وأخوه إلياس بن عبد الرحمن) ثم قتله عبد الملك بن أبي الجعد ثم غلب عليها (عبد الأعلى بن السمح المعافري) .

ثم ولي أبو جعفر المنصور (محمد بن الأشعث) الحزاعي ، فقدم القيروان سنة خمس وأربعين ومائة ، وبني سورها .

ثم نارت عليه المضريّة وأخرجوه منها سنة ثمان وأربعين ، وولوا عليهم (عيسى بن موسى) الخراساني .

ثم ولي أبو جعفر المنصور عليها (الأغلب بن سالم) بن عقال بن خفاجة بن سودة التيمي بعده ، فقدم القيروان وسكن الناس ، ثم قتل سنة خمسين ومائة ، وقام بأمر أفريقية المخارق بن غفار .

ولما بلغ المنصور قتل الأغلب ، بعث مكانه عمر بن حفص بن قبيصة ، ابن أبي صفرة التيمي أخى المهلب ، فقدمها سنة إحدى وخمسين . ثم انتقضت عليه البربر فضعف أمره ، فولّى (يزيد بن حاتم) بن قبيصة بن المهلب ، ابن أبي صفرة التيمي ، ودخل القيروان منتصف سنة خمس وخمسين ، وهلك سنة سبعين ومائة في خلافة هرون الرشيد ، وقام بأمره بعده ابنه (داود) .

ثم ولى الرشيد أخاه (روح بن حاتم) فقدمها منتصف سنة إحدى وسبعين ومائة ، ومات في رمضان سنة أربع وسبعين ، فقام حبيب بن نصر مكانه ، وسار ابنه (الفضل) إلى الرشيد فولاه مكان أبيه ، فعاد إلى القيروان في المحرم سنة سبع وسبعين ومائة ، ثم قتله ابن الجارود في منتصف سنة ثمان وسبعين ومائة فولى الرشيد مكانه (هرثمة بن أعين) فسار إلى القيروان ، وقدمها سنة تسع وسبعين ومائة ، ثم استعفى فأعفاه الرشيد لسنتين ونصف من ولايته .

وولى مكانه (محمد بن مقاتل الكعبي) فقدم القيروان في رمضان سنة إحدى وثمانين ، وكان سيئ السيرة .

ثم ولى الرشيد (إبراهيم بن الأغلب) فقدم أفريقية منتصف سنة أربع وثمانين ومائة ، وأبنتى مدينة العباسية بالقرب من القيروان وانتقل إليها . وفي ولايته ظهرت دعوة الأدارسة من العلوية بالمغرب الأقصى . ثم مات إبراهيم في شوال سنة ست وتسعين ومائة بعد أن عهد لابنه أبي العباس (عبد الله بن إبراهيم) بن الأغلب بالولاية ، فقدم القيروان في صفر سنة سبع وتسعين ومائة . ثم مات في ذي الحجة سنة إحدى ومائتين .

وولى مكانه أخوه (زيادة الله بن إبراهيم) وجاءه التقليد من قبل "المأمون" ، وفي ولايته كان ابتداء فتح صقلية على يد أسد بن الفرات ، وتوفي في رجب سنة ثلاث وعشرين ومائتين لإحدى وعشرين سنة ونصف من ولايته .

وولى مكانه أخوه (أبو عقاب الأغلب) بن إبراهيم بن الأغلب ، وتوفي في ربيع سنة ست وعشرين ومائتين .

وَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ (أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَغْلَبِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ) فَدَانَتْ لَهُ أَفْرِيقَةُ ، وَبَنَى مَدِينَةً بِقُرْبِ تَاهَرْتَ وَسَمَّاها الْعَبَّاسِيَّةَ ، سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتِينَ ، وَبَنَى قَصْرَ سُوسَةَ وَجَامِعَهَا سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتِينَ ، وَتُوفِيَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِينَ .

وَوَلِيَ مَكَانَهُ ابْنُهُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ (أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَغْلَبِ) فَأَحْسَنَ السَّيْرَةَ ، وَكَانَ مُوَلَّعًا بِالْعِمَارَةِ ، فَبَنَى بِأَفْرِيقَةَ نَحْوَ مِنْ عَشْرَةِ آلَافِ حِصْنٍ ، وَتُوفِيَ آخِرَ سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ لَثَمَانَ سَنِينَ مِنْ وِلَايَتِهِ .

وَوَلِيَ مَكَانَهُ ابْنُهُ (زِيَادَةُ اللَّهِ الْأَصْغَرُ) بْنُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ أَحْمَدَ ، وَتُوفِيَ آخِرَ سَنَةِ خَمْسِينَ وَمِائَتِينَ .

وَوَلِيَ مَكَانَهُ أَخُوهُ (مُحَمَّدُ أَبُو الْغَرَانِيقِ) بْنُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ أَحْمَدَ ، فَفَتَحَ جَزِيرَةَ مَالِطَةَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتِينَ ، وَبَنَى حُصُونًا وَمَحَارِسَ عَلَى مَسِيرَةِ خَمْسَةِ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ بَرْقَةِ فِي جِهَةِ الْمَغْرِبِ وَهِيَ الْآنَ مَعْرُوفَةٌ بِهِ . وَفِي أَيَّامِهِ كَانَ أَكْثَرُ فُتُوحٍ صَقَلِيَّةً . فَلَمَّا مَاتَ حَمَلَ أَهْلُ الْقَيْرَوَانِ أَخَاهُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَحْمَدَ أَخِي أَبِي الْغَرَانِيقِ عَلَى الْوِلَايَةِ عَلَيْهِمْ لِحُسْنِ سَيْرَتِهِ فَأَمْتَنَعَ ، ثُمَّ أَجَابَ وَانْتَقَلَ إِلَى قَصْرِ الْإِمَارَةِ وَقَامَ بِالْأَمْرِ أَحْسَنَ قِيَامٍ . وَكَانَ عَادِلًا حَازِمًا فَقَطَعَ أَهْلَ الْبَغْيِ وَالْفُسَادَ وَجَلَسَ لِسَمَاعِ الظُّلَامَاتِ ، وَبَنَى الْحُصُونَ وَالْمَحَارِسَ بِسَوَاحِلِ الْبَحْرِ ، حَتَّى كَانَتْ النَّارُ تُوقَدُ فِي سَاحِلِ سَبْتَةَ لِلْإِنْذَارِ بِالْعَدُوِّ فَيَتَصَلَّلُ إِيقَادُهَا بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ فِي اللَّيْلَةِ الْوَاحِدَةِ ، وَبَنَى سُورَ سُوسَةَ وَانْتَقَلَ إِلَى تُونُسَ فَسَكَنَهَا . وَفِي أَيَّامِهِ ظَهَرَتْ دَعْوَةُ الْعُبَيْدِيِّينَ بِالْمَغْرِبِ ، ثُمَّ مَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتِينَ .

وَوَلِيَ ابْنُهُ أَبُو الْعَبَّاسِ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ) أَخِي مُحَمَّدِ أَبِي الْغَرَانِيقِ ، وَكَانَ عَادِلًا ،

حَسَنَ السَّيْرَةِ ، بصيرا بالحروب ، فَنَزَلَ تُرُوسَ مَكَانَ أَبِيهِ وَدَخَلُوا فِي أَمْرِهِ جَمْلَةً
وَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حُرُوبٌ ، ثُمَّ قَتَلَ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ تِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ .

وَوَلَّى ابْنَهُ أَبُو مَضَرٍ (زِيَادَةُ اللَّهِ) فَأَقْبَلَ عَلَى اللَّذَاتِ وَاللَّهْوِ ، وَأَهْمَلَ أُمُورَ الْمُلْكِ ،
وَقَتَلَ أَخَاهُ وَعَمُّومَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ ، وَقَوَّى حَالَ الدَّعَاةِ لِعَبِيدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ جَدِّ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ
بِمِصْرَ فَحَمَلَ زِيَادَةُ اللَّهِ أُمُورَهُ وَأَثْقَالَهُ وَلَحِقَ بِمِصْرَ ، فَمنَعَهُ عَامِلُهَا مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهَا إِلَّا
بِأَمْرِ الْمُقْتَدِرِ الْخَلِيفَةِ ، فَسَارَ إِلَى الْعِرَاقِ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ ، فَأَتَاهُ كِتَابُ الْمُقْتَدِرِ بِالرَّجُوعِ إِلَى
الْقَيْرَوَانِ وَإِظْهَارِ الدَّعْوَةِ ، فَوَصَلَ إِلَى مِصْرَ فَأَصَابَهُ بِهَا عِلَّةٌ سَقَطَ مِنْهَا شَعْرُهُ ، وَرَجَعَ
إِلَى الْقُدْسِ فَمَاتَ بِهَا ، وَأَنْقَرَضَتْ دَوْلَةُ بَنِي الْأَغْلَبِ بِالْمَغْرِبِ .

الطبقة الثانية

(٢)
(الْعَبِيدِيُّونَ)

وَكَانَ مَبْدَأُ أَمْرِهِمْ أَنَّ مُحَمَّدَ الْحَبِيبَ بْنَ جَعْفَرِ الْمُصَدِّقِ ، بْنَ مُحَمَّدِ الْمُكْتُمِ ، بْنَ
إِسْمَاعِيلِ الْإِمَامِ ، بْنَ جَعْفَرِ الصَّادِقِ ، بْنَ مُحَمَّدِ الْبَاقِرِ ، بْنَ عَلِيِّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ ، بْنَ
الْحُسَيْنِ السَّبْطِ ، بْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كَانَ مُقِيمًا بِسَلْمِيَّةَ مِنْ أَعْمَالِ
حِمصَ ، وَكَانَ أَهْلُ شِيعَتِهِمْ بِالْعِرَاقِ وَالْيَمَنِ وَغَيْرِهِمَا يَتَعَاهَدُونَهُ بِالزِّيَارَةِ إِذَا زَارُوا قَبْرَ
الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلَمَّا أَدْرَكَتْهُ الْوَفَاةُ عَهْدَ إِلَى ابْنِهِ عُبَيْدِ اللَّهِ وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ
الْمَهْدِيُّ وَتُهَاجِرُ بَعْدِي هِجْرَةً بَعِيدَةً وَتَلْقَى مِحْنَةً شَدِيدَةً ، وَشَاعَ خَبَرُ ذَلِكَ فِي النَّاسِ ،

(١) فِي الْكَلَامِ سَقَطَ أَوْ اخْتَصَارُ مَحَلٍّ وَالَّذِي يُؤْخَذُ مِنْ "الْعَبْرِ" أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيَّ اسْتَوْلَى فِي عَهْدِ
أَبِي الْعَبَّاسِ هَذَا عَلَى كِتَامَةِ وَدَخَلُوا فِي أَمْرِهِ كَافَّةً وَحَصَلَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي الْعَبَّاسِ حُرُوبٌ كَانَتْ نَهَائِيَّتُهَا انْهِزَامُ
الشَّيْعِيِّ وَهَدْمُ قَصْرِهِ . ثُمَّ إِنَّ زِيَادَةَ اللَّهِ بْنَ أَبِي الْعَبَّاسِ هَذَا صَانِعُ بَعْضِ الْخِطْبِ عَلَى قَتْلِ أَبِيهِ فَقَتَلَ نَائِمًا
فِي شَعْبَانَ سَنَةِ تِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ١٥ مَخْصَا مِنْ ج ٤ ص ٢٠٥ .

(٢) فِي نَسْخَةِ الْمَكْتَبَةِ الْأَزْهَرِيَّةِ زِيَادَةُ [مِنَ الْفَاطِمِيِّينَ وَأَتْبَاعِهِمْ] .

وأتصل بالمكتفي خليفة بني العباس ببغداد فطلبه ففر من الشام إلى العراق، ثم لحق بمصر ومعه ابنه أبو القاسم غلاما حدثا وخاصته، وكان أبو عبد الله الشيعي قد بعث إليه يخبره بما فتح الله عليهم من البلاد الغربية، فعزم على التّخوّق به، وخرج من مصر إلى أفريقية في زيّ التّجار، وسار حتّى وصل إلى سجلماسة من بلاد المغرب، فورد على عاملها كتاب بالقبض عليه، فقبض عليه وحبسه هو وابنُه أبا القاسم. ولما استفحل أمر أبي عبد الله الشيعي، استخلف على أفريقية أخاه أبا العباس وأرتحل إلى سجلماسة، فأخرج المهديّ وابنَه من الحبس وباع للمهديّ، ثم أرتحلوا إلى أفريقية ونزلوا رُقادة في ربيع سنة سبع وتسعين ومائتين، وبُويع للمهديّ البيعة العامة واستقام أمره وبعث العُمال على النواحي.

وولّى عهدَه ابنَه (أبا القاسم محمداً) ويقال نزار، وبنى مدينة المهدية، وجعلها دار مُلكه. ولما فرغ منها صعد على سُورها ورعى بسهم في جهة المغرب، وقال: إلى هنا ينتهي صاحبُ الحمار [فكان الأمر كذلك]. وذلك أنه خرج بالمغرب خارجاً اسمه أبو يزيد يعرف بصاحب الحمار وتبعه الناس فقصد مدينة المهدية يريد فتحها فانتهى إلى حيث انتهى سهم المهدي ثم رجع من حيث أتى فعظم أمر المهدي^(١). وأستولى على فاس، ودخل ملوكها من الأدارسة تحت طاعته في سنة ثمان وثلثمائة، ومهد المغرب، ودوّخ أقطاره، وتوفّي في ربيع الأول سنة ثنتين وعشرين لأربع وعشرين سنة من خلافته.

وولى بعده ابنَه (القائمُ بأمر الله أبو القاسم) المتقدّم ذكره، وفي أيامه خرج أبو يزيد صاحب الحمار. وتوفّي سنة أربع وثلاثين وثلثمائة، وكان قد عهد إلى ابنه المنصور بالله إسماعيل، فقام بالأمر بعده، وكنم موت أبيه فلم يتسم بالخليفة ولا غير

(١) الزيادة من النسخة الأزهرية.

السَّكَّةَ وَالْخُطْبَةَ وَالْبُنُودَ؛ وَتُوفِّيَ سَلَخَ رَمَضَانَ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِينَ لِسَبْعِ سِنِينَ مِنْ خِلَافَتِهِ .

وَوَلَّى الْأَمْرَ بَعْدَهُ ابْنُهُ (الْمُعِزُّ لَدِينِ اللَّهِ مَعَدَّ) فَاسْتَقَامَ لَهُ الْأَمْرُ ، وَأَتَتْهُتْ مَمْلَكَتُهُ بِالْغَرْبِ إِلَى الْبَحْرِ الْمَحِيطِ ، وَأَفْتَتَحَ مِصْرَ عَلَيَّ يَدِ قَائِدِهِ ”جَوْهَر“ فِي مِثْقَالِ شَعْبَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَنَحْمِيسِينَ وَثَلَاثِينَ ، وَأَخْطَطَ لَهُ الْقَاهِرَةَ ، ثُمَّ قَدِمَ الْمُعِزُّ إِلَى مِصْرَ ، وَدَخَلَ الْقَاهِرَةَ خَمْسَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَسِتِينَ وَثَلَاثِينَ عَلَيَّ مَا سَبَقَ فِي الْكَلَامِ عَلَيَّ مَمْلَكَةِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ .

الطبقة الثالثة

(ملوكها من بنى زيرى)

كَانَ الْمُعِزُّ مَعَدُّ الْفَاطِمِيِّ حِينَ قَدِمَ مِصْرَ عَلَيَّ مَا تَقَدَّمَ اسْتَخْلَفَ عَلَيَّ أَفْرِيْقِيَّةَ وَالْمَغْرِبَ (بُلْكَيْنَ بْنِ زِيرَى) بْنُ مِيَّادِ الْبَرْبَرِيِّ ، وَيُقَالُ : الْحَمِيرِيُّ وَأَنْزَلَهُ الْقَيْرَوَانَ ، وَسَمَّاهُ يُوسُفَ ، وَكَتَبَ أَبُو الْقَتُّوحَ ، وَلَقَّبَهُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ وَبَقِيَ حَتَّى تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَلَاثَ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِينَ وَمَاتَ الْمُعِزُّ بِالْقَاهِرَةِ ، وَأَنْتَقَلَتِ الْخِلَافَةُ بَعْدَهُ إِلَى ابْنِهِ الْعَزِيزِ نَزَارَ ، فَوُتِّيَ عَلَيَّ أَفْرِيْقِيَّةَ وَالْمَغْرِبَ بَعْدَ بُلْكَيْنَ ابْنِهِ (الْمَنْصُورَ بْنِ بُلْكَيْنَ) بُولَايَةِ عَهْدٍ مِنْ أَبِيهِ وَبَقِيَ حَتَّى تُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسَ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِينَ .

وَقَامَ بِأَمْرِهِ بَعْدَهُ (ابْنُهُ بَادِيسُ) بْنُ الْمَنْصُورِ فَبَقِيَ حَتَّى تُوُفِّيَ سَنَةَ سِتِّ وَأَرْبَعِينَ بِمَعْسَكِهِ فَجَاءَ وَهُوَ نَائِمٌ بَيْنَ أَصْحَابِهِ .

وَبَوَّعَ ابْنَهُ (الْمُعِزُّ بْنُ بَادِيسِ) وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِي سِنِينَ ، وَأَسْتَمَرَ مُلْكُهُ بِأَفْرِيْقِيَّةَ وَعُظْمَ مُلْكِهِ بِهَا ، وَكَانَ الْمُعِزُّ مُنْحَرِفًا عَنِ الرَّفْضِ وَالتَّشْيِيعِ ، مُتَّحِلًا لِلْسُّنَّةِ ، وَأَعْلَنَ بِذَلِكَ فِي أَوَّلِ وَلَايَتِهِ ، ثُمَّ كَانَ آخِرُ أَمْرِهِ أَنْ خَلَعَ طَاعَةَ الْعَبِيدِيِّينَ ، وَقَطَعَ الْخُطْبَةَ لَهُمْ

بأفريقية سنة أربعين وأربعمائة على عهد المستنصر العبيدي خليفة مصر، وخطب
للقائم بن القادر الخليفة العباسي ببغداد، فاضطرب لذلك ملكه، وثار عليه الثوار،
وملكوا منه النواحي، ومات المعز سنة أربع وخمسين وأربعمائة .

وقام بأمره من بعده ابنه (تميم بن المعز بن باديس) وغلبه العرب على أفريقية،
فلم يكن له إلا ماضية السور، واستمرت الثوار في أيامه وبقى حتى هلك سنة
إحدى وخمسمائة .

وملك بعده ابنه (يحيى بن تميم) فراجع طاعة العبيديين خلفاء مصر، ووصلته
منهم المخاطبات والهدايا والتحف، وأكثر في غزو النصارى من الفرنجة وغيرهم،
حتى لقبوه بالحرية من وراء البحر، ومات فجأة في قصره سنة تسع وخمسمائة .

وملك بعده ابنه (علي بن يحيى) وقام بالأمر على طاعة خلفاء العبيديين بمصر،
ومات سنة خمس عشرة وخمسمائة .

وملك بعده ابنه (الحسن بن علي) وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وقام بأمره مولاه
صندل، ثم مولاه موفق، وغلبه النصارى على المهدية وبلاد الساحل كلها إلى أن
استنقذها منهم عبد المؤمن شيخ الموحدين، ولحق الحسن بالجزائر ونزل بها إلى أن
فتح الموحدون الجزائر سنة سبع وأربعين وخمسمائة بعد ملكهم المغرب والأندلس،
فخرج إلى عبد المؤمن فأحسن إليه وبقى معه حتى أفتتح المهدية فأنزله بها، فأقام
بها ثمانين سنة، ثم سار إلى مرآكش فمات في طريقه، وأنقرضت دولة بني باديس
من أفريقية في أيامهم عند وقوع الفتن .

(١) في قطعة المكتبة الازهرية بدل هذه الكلمات [وزالت بها دعوة العبيديين] .

الطبقة الرابعة

(الموحدون أصحاب المهدي بن تومرت، وهم القائمون بها إلى الآن)

وكان أول من أفتحها منهم (عبد المؤمن بن علي) أحد أصحاب ابن تومرت والخليفة بعده . وذلك أنه لما وقع بها ما تقدم من الاضطراب وقيام الثوار واستيلائهم على النواحي ، وكان الموحدون قد استولوا على الأندلس والغرب الأقصى والغرب الأوسط إلى بجاية ، بعث عبد المؤمن المذكور العساكر إلى أفريقية مع ابنه عبد الله في سنة سبع وأربعين وخمسة ، فافتتح أفريقية ، واستكمل فتحها سنة ست وخمسين . وولّى عليها ابنه السيد أبو موسى (عمران بن عبد المؤمن) وأسره علي بن يحيى المعروف بابن غانية عند فتحه بجاية ، وأعتقله بها في صفر سنة إحدى وثمانين وخمسة .

ولما ولي (المنصور يعقوب بن عبد المؤمن) بعد أبيه عبد المؤمن ، ولّى علي أفريقية في أول ولايته أبا سعيد ابن الشيخ أبي حفص عمر ، ثم غلب ابن غانية على أكثر بلاد أفريقية واستولى على تونس ، وخطب للخليفة العباسي ببغداد ، ثم جهّز الناصر ابن المنصور بن عبد المؤمن الشيخ أبا محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص من مرّاكش إلى أفريقية سنة ثنتين وستمائة فانتزعها من ابن غانية ، ثم وصل الناصر ابن المنصور إلى أفريقية بعد ذلك ودخل تونس ، وأقام بها إلى منتصف سنة ثلاث وستمائة ، وعزم على الرحيل إلى مرّاكش فروى نظره فيمن يوليه أمرها فوقع اختياره على الشيخ أبي محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص ، ورحل الناصر إلى المغرب وقعد مقعد الإمارة بقصبة تونس يوم السبت العاشر من شوال سنة ثلاث وستمائة وبقي حتى توفّي مفتتح سنة ثمان عشرة وستمائة .

وولى بعده ابنه الأمير (أبو زيد عبد الرحمن) وقعد بمجلس أبيه في الإمارة، وورد كتاب المستنصر بن الناصر خليفة بني عبد المؤمن بعزله لثلاثة أشهر من ولايته .

وولى المستنصر مكانه السيد أبا العلى (إدريس بن يوسف) بن عبد المؤمن ، ودخل إلى تونس في ذى القعدة من السنة المذكورة ، فنزل بالقصبة ورثب الأمور ، ومات بتونس سنة عشرين وستمائة .

ثم مات المستنصر وصار الأمر (لعبد الواحد المخلوع) ابن يوسف بن عبد المؤمن ، فبعث بولاية أفرقية إلى (أبي زيد) بن أبي العلى .

ثم صار الأمر إلى العادل فولى (أبا محمد عبد الله) بن أبي محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص ، ودخل تونس سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، وأقام في إمارته إلى أن ثار عليه أخوه الأمير (أبو زكريا يحيى) بن أبي محمد عبد الواحد وولى مكانه ، ودخل تونس في رجب سنة خمس وعشرين وستمائة ، وأفتح قسنطينة وبجاية سنة ست وعشرين وآنزعهما من بني عبد المؤمن .

ثم ملك تلمسان من يدهم بعد ذلك وبايعه أهل الأندلس ، ومات ببونة لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وستمائة لثنتين وعشرين سنة من ولايته .

وبويع بعده ابنه وولى عهده المستنصر بالله (أبو عبد الله محمد) ودخل تونس في رجب من السنة المذكورة ، فجدد بيعته بها وهو أول من تلقب من الحفصيين باللقاب الخليفة كما سياتى . وأنتهى أمره إلى أن بويع له بمكة المعظمة ، وبعث بالبيعة إليه ، وأستولى على ما كان بيد أبيه من الغرب الأوسط ببجاية وقسنطينة ، وفتح الجزائر ، وبقي حتى مات يوم الأضحى سنة خمس وسبعين وستمائة .

وبويع بعده ابنه (الواثق يحيى) بن المستنصر ليلة موت أبيه، فأحسن السيرة، وبسط في الرعية العدل والعطاء، وبعث إليه أهل بجاية بالبيعة، وخرج عليه عمه (أبو إسحاق) أخو المستنصر ودخل بجاية، وبايعه أهلها في ذى القعدة سنة سبع وسبعين وسبعمائة وأستولى على قسطنطينة، وقوى أمره بجاية وما معها، وبلغ ذلك الواثق بن المستنصر، فتيقن ذهاب الملك منه فانخلع عن الأمر لعمه أبي إسحاق إبراهيم بن يحيى، ومن هنالك عُرف بالملخوع وأشهد على نفسه بذلك في أول ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وستمائة. وبلغ ذلك السلطان أبا إسحاق فسار إلى تونس، ودخلها في نصف ربيع الآخر من السنة المذكورة، وأستولى على المملكة جميعها، وأعتقل الواثق وبنيه، ثم دس عليهم من ذبحهم في الليل في صفر سنة تسع وسبعين وستمائة، وبقى حتى خرج عليه (أحمد بن روق^(١)) بن أبي عمارة من بيوتات بجاية الطائرين عليها من المسيلة سنة إحدى وثمانين وستمائة، وكان شبيهاً بالفضل ابن يحيى الملخوع فعُرف بالدعي، وأستولى على تونس بعد خروج السلطان أبي إسحاق منها، ولحق أبو إسحاق بجاية فمنعه ابنه الأمير أبو فارس (عبد العزيز) من الدخول إليها فانخلع له عنها وأشهد عليه بذلك، ودعا الناس إلى بيعته في آخر ذى القعدة من السنة المذكورة فبايعوه وتلقب بالمعتمد، ثم كان بين الدعي والأمير أبي فارس واقعة قتل فيها الأمير أبو فارس في سنة ثنتين وثمانين وستمائة. وخرج السلطان أبو إسحاق فلاحق بتلمسان ومعه ابنه الأمير أبو زكريا، ودخل أهل بجاية في طاعة الدعي.

ثم خرج على الدعي الأمير (أبو حفص عمر بن يحيى) بن عبد الواحد بن أبي حفص، فكانت بينهما حرب أنهزم الدعي في آخرها. وأستولى أبو حفص على تونس وسائر

(١) في "العبر" أحمد بن مرزوق وهو تصحيف.

المملكة ، وتلقب بالمستنصر وأختفى الدَّعِيُّ ، ثم ظَفِرَ به أبو حفص بعد ذلك وقتله ، وبايعه أهل تيمسان وطرابُلُس وما بينهما .

ونُحِرَ الأميرُ (أبو زكريَّا يحيى) ابنُ السلطان أبي إسحاق عليَّ بجايةَ وقُسْنطينة فملكهما وأقتطعهما عن مملكة أفريقية ، وقسم دولة الموحدين بدولتين ، ولم يزل السلطان أبو حفص في مملكه إلى أن مَرِضَ في ذى الحجة سنة أربع وستين وستمائة ومات آنرذى الحجة من السنة المذكورة .

وكان الواقفُ بنُ المستنصر لما قُتِلَ هو وأبوه ترك جارية حاملاً ، فسماه الشيخ محمد المَرَجانيُّ « محمدًا » وأطعم الفقراء يومئذ عَصِيدَةً من عَصِيدَةِ الْبَرِّ فلقب بأبي عَصِيدَةَ ، فلما مات السلطان أبو حفص بايع الناسُ (أبا عَصِيدَةَ) المتقدم ذكره . ومات الأمير أبو زكريَّا صاحب بجاية وما معها على رأس المائة السابعة . وقام بعده في تلك الناحية وليَّ عهده ابنه (أبو البقاء خالد) فاستمر في تلك الناحية ، وبقى السلطان أبو عَصِيدَةَ في مملكة أفريقية حتى مات في ربيع الآخر سنة تسع وسبعائة ولم يخلف ابناً .

وكان بالقصر (أبو بكر بن عبد الرحمن) بن أبي بكر ، بن يحيى ، بن عبد الواحد ، ابن أبي حفص في كَفَالَةِ السلطان أبي عَصِيدَةَ فلما مات أبو عَصِيدَةَ بايعه أهل تُونُس ، ثم أرتحل السلطان أبو البقاء خالد : صاحبُ بجاية إلى جهة تُونُس طالبا مُلْكَهَا بعد أبي عَصِيدَةَ ، فخرج (أبو بكر الشهيد) في أهل تُونُس للقاءه فانهمزوا عنه ، وقُبِضَ على أبي بكر الشهيد وأُعْتُقِلَ ثم قُتِلَ بعد ذلك فسَمِيَ الشهيد ، وأسْتُقِلَ السلطان أبو البقاء خالد بِمُلْكِ تُونُس وبجاية وحاز جميع المملكة ، وتلقب الناصر لدين الله وبقِيَ حتى بُويعَ (أبو يحيى زكريَّا بن أحمد) بن محمد اللحياني ، بن عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص : فبُويعَ بطرابُلُس ، وخرج عليَّ أبي البقاء خالد نخافه فخلَعَ نفسه

فاعتقل وجاء السلطان أبو يحيى على أثره في رجب سنة إحدى عشرة وسبع مائة ، فبُويع البيعة العامة ودخل تونس وأستولى عليها ، ثم اضطرب عليه أمره ، فخرج من تونس إلى قابس أول سنة سبع عشرة وسبع مائة بعد أن استخلف بتونس ، وأنهى إلى قابس فأقام بها وصرف [العمال] في جهاتها ، وقصد السلطان أبو بكر صاحب بجاية تونس ، وكان بينه وبين أهلها وقعة انتهت الحال في آخرها إلى أن السلطان أبا بكر رجع إلى بجاية . وبايع أهل تونس محمدا المعروف (بأبي ضربة) ابن السلطان أبي يحيى في سنة سبع عشرة المذكورة .

ثم قصد السلطان أبو بكر صاحب بجاية ^(١) تونس ، وبها أبو ضربة فغلبه عليها ، ودخلها في ربيع الآخر سنة ثمان عشرة وسبع مائة ، وبُويع بها البيعة العامة . ولحق السلطان أبو يحيى اللخاني بمصر في أيام الملك الناصر "محمد بن قلاوون" فأحسن نزله وأقام عنده إلى أن مات ، ولحق ابنه أبو ضربة بتلمسان فأقام بها إلى أن مات ، وأستقل السلطان أبو بكر بأفريقية وبجاية إلى أن غلبه على تونس (إبراهيم بن أبي بكر) الشهيد المتقدم ذكره أولا ، ودخلها في رجب سنة خمس وعشرين وسبع مائة .

ثم غلبه عليها السلطان أبو بكر وأتزعها من يده في شوال من السنة المذكورة ، وأستقر في يده ملك أفريقية وبجاية إلى أن مات فجأة في جوف الليل في ليلة الأربعاء ثاني رجب الفرد سنة سبع وأربعين وسبع مائة بمدينة تونس .

وبُويع ابنه (أبو حفص عمر) بن أبي بكر من ليلته ، وجلس من الغد وبُويع البيعة العامة . وكان أبوه قد عهد إلى ابنه الآخر أبي العباس أحمد ، وكان ببلاد الجريد فاستجاش على أخيه وقدم عليه تونس ، وكانت بينهما واقعة قتل فيها أبو العباس وأستقر السلطان أبو حفص على ولايته . وكان السلطان أبو بكر حين عهد

(١) في الأصل أبو زكريا والتصحيح من "البرج ٦ ص ٣٢٤" .

لأنه أبي العباس أرسل العهد إلى السلطان أبي الحسن المَرِينِيّ : صاحب تلمسان وسأله في الكتابة عليه ، فلما قُتِلَ أبو العباس المذكور ثقل ذلك على السلطان أبي الحسن وخرج إلى أفريقية في سنة ثمان وأربعين وسبعائة ، ووصل إلى بجاية ثم إلى قسنطينة فملكهما ، ثم سار إلى تونس فلقية السلطان أبو حفص عمر ، وكانت بينهما واقعة قُبِضَ فيها على أبي حفص ثم قُتِلَ . ودخل السلطان أبو الحسن إلى تونس وأستولى على جميع المملكة مضافةً إلى مملكته ، وكل له بذلك ملك جميع المغرب .

ثم غلب (أبو العباس الفضل) بن السلطان أبي بكر على بجاية وقسنطينة وملكهما ، وسار السلطان أبو الحسن إلى المغرب وأستخلف على تونس ابنه أبا الفضل فسار الفضل ابن السلطان أبي بكر من بجاية إلى تونس فخرج منها أبو الفضل بن أبي الحسن فآرا إلى أبيه بالمغرب ، ودخلها الفضل ابن السلطان أبي بكر وملكها سنة تسع وأربعين وسبعائة وأستولى على جميع المملكة ، وبقي إلى أن قُبِضَ عليه في جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين وسبعائة .

وبويع بعده أخوه (أبو إسحاق إبراهيم) ابن السلطان أبي بكر ، وهو يومئذ غلام قد ناهز الحُم ، وقُتِلَ الفضل في جوف الليل من الليلة القابلة خنقا ، وأستولى على أفريقية وبجاية وقسنطينة ، وبقي حتى غلبه بنو مَرِينٍ على بجاية وقسنطينة ، وملكهما منه أبو عنان سنة ثلاث وخمسين وسبعائة .

ثم آستولى السلطان (أبو العباس أحمد) بن محمد بن أبي بكر على قسنطينة سنة ثلاث وخمسين وسبعائة وبويع بها .

ثم غلبه عليها أبو عنان وقفل إلى المغرب سنة سبع وخمسين وقد آستخلف بها ، فتجهز إليها (أبو إسحاق إبراهيم) صاحب تونس وملكها من يد عامل أبي عنان

سنة إحدى وستين ، ثم قوى أمر السلطان أبي العباس وعاد إلى قسطنطينة وملكها في السنة المذكورة .

ثم استولى (أبو عبد الله محمد) بن محمد ابن السلطان أبي بكر في رمضان سنة خمس وستين وسبعمائة فأساء السيرة بها ، فسار إليه السلطان "أبو العباس" من تونس فقتله ودخل بجاية تاسع عشر شعبان سنة سبع وستين وسبعمائة وملكها ، وبقيت بيده وتونس بيد السلطان أبي إسحاق إبراهيم ابن السلطان أبي بكر إلى أن توفي السلطان أبو إسحاق فجأة في الليل في سنة سبع وسبعين وسبعمائة .

وبرع بعده ابنه (أبو البقاء خالد) واستبد عليه منصور مولى أبيه ، وابن الباقي حاجب أبيه فلم يكن له في الدولة تحكم .

ثم رحل السلطان أبو العباس من بجاية إلى تونس وقبض على السلطان أبي البقاء خالد بن إبراهيم بعد حصاره أياما واعتقله وملك تونس وانتظم في ملكه أفريقية وبجاية وقسطنطينة وأعمالها ، وبقي حتى مات في شعبان سنة ست وثمانين وسبعمائة . وكان أبو العباس هذا له شعر رائع ، طلب مرة كاتب إنشائه يحيى بن أجاد ، وكان يحيى ثملا ، فخافه على نفسه إن هو طلع إليه على تلك الحالة فكتب إليه :

أصبح العبد يحيى * كصباح ابن أكرم

شغلته الحميا * وهو بالأمر مهم

فخشي من رقيب * فرأى الدار أكرم

فلما قرأها وقع بخطه تحت خطه :

قر عينا بعيش * صفوه بك قد تم

أنت أركى عيدي * ها هنا كنت أوثم

فكان ذلك سبب توبة يحيى .

وبويع بعده ابنه أبو فارس (عزُّوز) في رابع شعبان من السنة المذكورة وأستولى على تُونُسَ وِجَايَةَ وَقُسَنْطِينَةَ وسائر أعمالها . وهو السلطان أبو فارس عزُّوز ابن السلطان أبي العباس أحمد ، ابن السلطان أبي بكر بن يحيى ، بن إبراهيم ، بن عبد الواحد ، ابن الشيخ أبي حفص .

قلت : وهو باقٍ إلى زماننا في سنة ثلاث عشرة وثمانمائة ، وقد شاع ذكر شجاعته وعدله حتى إنه دَوَّخَ البلاد ومَهَّدَهَا وقتل العرب وأبادهم ، ودخل مَنْ بَقِيَ منهم في طاعته بعد أن لم يَدِينُوا لطاعة غيره ، وقطع المَكُوسَ من بلاده ، وأزال الحاناتِ من تُونُسَ ، مع تواضعٍ وقُرْبٍ من الفقراء ، وأخذ بيد المظلومين ، ووجَّه برَّ ربَّها وقرَّرها لم تعهد لأحد من قبله ، إلى غير ذلك من صفات الملوك المحمودة التي أمتاز بها عن الملوك ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

الجملة العاشرة

(في متهمي ملوك هذه المملكة القائمين بها الآن ، من الموحِّدين في النَّسَب ، ودعواهم الخلافة ، وبيان أصل دولتهم ، وتسميتهم الموحِّدين)

أما متهمهم في النسب ، فقد ذكر في "التعريف" : أن المَلِكَ القائم بها في زمانه يدعى النسب إلى أمير المؤمنين : عُمَرُ بن الخطَّاب رضي الله عنه ، ومن أهل النَّسَب مَنْ يُنْكِر ذلك : فمنهم من يجعله من بني عدى بن كعب رَهْطِ عُمَرَ ، وليس من بني عُمَرَ ، ومنهم من يقول بل من هَتَاتَةَ ولسوا من قبائل العرب [في شيء] . وهم الحَفْصِيُّونَ نسبة إلى أبي حفص : أحد العشرة أصحاب ابن تومرت . وهم بقايا

الموحدين إذ كان من تقرير ابن تومرت أن الموحدين هم أصحابه ، ولم يبق ملك الموحدين إلا في بني أبي حفص هذا .

وَأَعْلَمُ أَنَّ النَّسَائِينَ قَدْ اختلفوا في نسبته على ثلاثة أقوال .

أحدها — نسبته إلى أمير المؤمنين : عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهؤلاء يقولون : هو أبو حفص عمر بن يحيى ، بن محمد ، بن وأنودين ، بن علي ، بن أحمد ، ابن وآل ، بن إدريس ، بن خالد ، بن اليسع ، بن إلياس ، بن عمر ، بن وافق ، ابن محمد ، بن نجيه ، بن كعب ، بن محمد ، بن سالم ، بن عبد الله ، بن عمر بن الخطاب . قال قاضي القضاة : "ولي الدين بن خلدون" ويظهر أن هذا النسب القرشي وقع في المصامدة من البربر ، والتحم بهم واشتملت عليه عصيتهم ، شأن الأنساب التي تقع من قوم إلى قوم .

الثاني — نسبته إلى بني عدي بن كعب : رهط عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي ينتسب فيه ، وهو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى ابن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب جد النبي صلى الله عليه وسلم وباقي نسبه إلى عدنان معروف .

الثالث — نسبته إلى هنتاة ، وهنتاة — بفتح الهاء وإسكان النون وفتح التاء المشناة فوق وبعدها ألف ثم تاء مشناة فوق مفتوحة ثم هاء قبيلة من قبائل المصامدة من البربر ، بجبال درن المتاخمة لمراكش ، وهي قبيلة واسعة كبيرة ، ويقال لها بالبربرية "يأتي" وكان أبو حفص هذا هو شيخهم وكبيرهم ، وهو الذي دعاهم إلى اتباع ابن تومرت والحمل على طاعته .

وأما دعواهم الخلافة ، فقد قال في "التعريف" عند ذكر سلطان زمانه منهم : لا يدعى إلا الخلافة ويتلقب باللقاب الخلفاء ، ويخاطب أمير المؤمنين في بلاده .

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ تَلَقَّبَ مِنْهُمْ الْمُسْتَنْصِرَ بِاللَّهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ السُّلْطَانِ أَبِي زَكَرِيَّا
يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ الشَّيْخِ أَبِي حَفْصٍ ، عَلَى أَنَّ أَبَاهُ كَانَ يَمْتَنِعُ مِنَ التَّلَقُّبِ بِالْقَابِ
الْخِلَافَةِ ، وَيَمْنَعُ مَنْ يُخَاطَبُهُ بِهَا مَقْتَصِرًا عَلَى التَّلَقُّبِ بِالْأَمِيرِ خَاصَّةً حَتَّى إِنْ بَعْضُ
شُعْرَائِهِ رَفَعَ إِلَيْهِ قَصِيدَةً مَدَحَهُ بِهَا أَوَّلَهَا :

أَلَا جُلُّ بِالْأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ * فَأَنْتَ بِهَا أَحَقُّ الْعَالَمِينَ

فَأَنكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ . وَإِنَّمَا حَمَلَ الْمُسْتَنْصِرَ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْخِلَافَةَ فِي زَمَانِهِ قَدْ تَعَطَّلَتْ
فِي سَائِرِ الْأَقْطَارِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْخِلَافَةَ الْأُمَوِيَّةَ وَدَعَاوَى بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ قَدْ زَالَتْ عَنْهَا
فِي الْمَغْرِبِ بَغْلَبَةُ بَنِي مَرْيَمَ عَلَيْهِمُ وَاتْتَرَاعَهُمُ الْأَمْرُ مِنْهُمْ ؛ وَخِلَافَةُ الْعُبَيْدِيِّينَ قَدْ زَالَتْ
مِنْ مِصْرَ ؛ وَخِلَافَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ قَدْ زَالَتْ مِنْ بَغْدَادَ بِاسْتِيلَاءِ التَّتَرِّ عَلَيْهَا .

وَأَمَّا مَبْدَأُ دَوْلَتِهِمْ وَمَصِيرُ آخِرِهَا إِلَى بَنِي أَبِي حَفْصٍ بِأَفْرِيقِيَّةَ ، فَإِنْ أَصْلَ قِيَامِهَا
أَبْنُ تَوَمَرْتٍ : وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ تَوَمَرْتٍ ، بْنُ وَجَلِيدٍ ، بْنُ يَامِصَالٍ ، بْنُ حَمْزَةَ ،
أَبْنُ عَيْسَى فِيمَا ذَكَرَهُ مُحَقِّقُو الْمُؤَرِّخِينَ . وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ : مُحَمَّدُ بْنُ تَوَمَرْتٍ ، بْنُ
نَيْطَاوَسٍ ، بْنُ سَافَلَا ، بْنُ مَسِيعُونٍ ، بْنُ أَيْكَلَدِيسٍ ، بْنُ خَالِدٍ ، أَصْلُهُ مِنْ هَرَّغَةَ مِنْ
بَطُونِ الْمَصَامِدَةِ مِنَ الْبَرْبَرِ . وَبَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ يُجْعَلُ نَسَبَهُ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ وَيَقُولُ :
هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، بْنُ هُودٍ ، بْنُ خَالِدٍ ، بْنُ تَمَامٍ ، بْنُ عَدْنَانَ ،
أَبْنُ سُلَيْمَانَ ، بْنُ صَفْوَانَ ، بْنُ جَابِرٍ ، بْنُ عَطَاءٍ ، بْنُ رَبَاحٍ ، بْنُ مُحَمَّدٍ ، مِنْ وَلَدِ سُلَيْمَانَ
أَبْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، بْنُ حَسَنِ ، بْنُ الْحَسَنِ ، بْنُ عَلِيٍّ ، بْنُ أَبِي طَالِبٍ . وَسُلَيْمَانُ هَذَا
أَخُو إِدْرِيسَ الْأَكْبَرِ الَّذِي كَانَ لِبْنِيهِ الدَّوْلَةُ بِالْمَغْرِبِ عَلَى مَا مَرَّ فِي الْكَلَامِ عَلَى مَكَاتِبَةِ
صَاحِبِ بَرِّ الْعُدُوَّةِ .

ويقال إن سليمان هذا لحق بالمغرب إثر أخيه إدريس . وقيل : بل هو من قرابة إدريس اللاحقين به إلى المغرب ويكون على هذا المقتضى نسبُه قد ألتم بنسب المصامدة ، واتصل بهم وصار في عدادهم كما تقدّم في نسب أبي حفص .

وكان أهل بيته أهل دين وعبادة ، وشبَّ محمدٌ هذا فيهم قارئاً محباً للعلم ، وأرتحل في طلب العلم إلى المشرق على رأس المائة الخامسة ، ومراً بالأندلس ، ودخل قرطبة وهي إذ ذاك دارُ علم ، ثم لحق بالإسكندرية وحجَّ ، ودخل العراق ، ولقي أكابر العلماء به يومئذ وفحول النظار ، ولقي أئمة الأشعرية من أهل السنة وأخذ بقولهم في تأويل المتشابه . ويقال إنه لقي أبا حامد الغزالي رحمه الله واستشاره فيما يريد من قيام الدولة بالمغرب .

ورجع إلى المغرب وقد حصل على جانب كبير من العلم ، وطعن على أهله في الوقوف مع الظاهر وحملهم على القول بالتأويل والأخذ بمذهب الأشعرية في جميع العقائد ، وألف العقائد على رأيهم مثل المرشدة وغيرها . وكان مع ذلك يقول بعصمة الإمام على مذهب الإمامية من الشيعة . وأتتهى إلى بجاية فأقام بها يدرس العلم ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وهناك لقيه عبد المؤمن أحد أصحابه وأرتحل معه إلى المغرب وصار إلى بلاد هرة من البربر ، فاجتمع إليه الطلبة ونشر العلم ، وأظهر مذهب الأشعرية .

وكان الكهّان والمنجمون يتحدّثون بظهور ملك بالمغرب من البربر ، وشاع في الناس أنه ذلك الملك ، وأختار من أصحابه عشرة فجعلهم خاصته : وهم عبد المؤمن بن علي ، وأبو حفص عمر بن علي ، ومحمد بن سليمان ، وعمر بن تافركين ، وعبد الله بن ملويات وغيرهم . ودعا المصامدة إلى بيعته على التوحيد وقتال المجسمين ، فبايعوه على ذلك سنة خمس عشرة وخمسمائة .

ولما تكاملت له البيعة لقبوه بالمهدي، وكان قبل ذلك يلقب بالامام، وكان عبد المؤمن أخص أصحابه به، وكان يلقبه بالخليفة، وأبو حفص بعده في الخصوصية، وكان يلقبه بالشيخ، وكان يسمى أتباعه الموحدين تعريضا بمن يخرج عن التأويل ويقف مع الظاهر فيوقعه في التجسيم وغيره، ولم تحفظ عليه يدعة إلا ما وافق فيه الإمامية من القول بعصمة الإمام. وقد مر ذكر مدة ولايته ثم استخلاف عبد المؤمن بعده في الكلام على مكتبة صاحب بر العدو. وقد تقدم ابتداء انتقال مملكة إفريقية إلى بني أبي حفص وأنسحابها فيهم إلى زماننا على الترتيب.

الجملة الحادية عشرة

(في ترتيب المملكة بها : من زى الجند، وأرباب الوظائف : من أرباب السيوف والأقلام، ومقادير الأرزاق الجارية عليهم، وزى السلطان، وترتيب حاله في الملك)

أما الجند، فقد نقل في "مسالك الأبصار" عن أبي عبد الله بن القويح : أن الذي قرره لهم مهديهم ابن تومرت، ثم عبد المؤمن وأبناءؤه بعده أنه ليس لهم أمراء ولا أتباع يطلب بعثتهم كعدة الأمراء بمصر، وإنما لهم أشياخ من أعيانهم لعدة لهم ولا جند، بل المرء منهم بنفسه فقط، ولكل طائفة منهم رئيس يتولى النظر في أحوالهم يسمونه الزوار.

أما الجند فن الموحدين والأندلسيين وقبائل بها من المضافة إليهم ومن قبائل العرب ومن هاجر إليهم من العرب القدماء، الذين هاجروا في مدة بني عبد المؤمن، والماليك الترك المبتاعة من الديار المصرية، ومن الفرج وغيرهم.

(١) لم يتقدم شيء من ذلك وسقطت هذه الجملة من القطعة الازهرية.

وحاصل ما ذكره في "مسالك" أن الجند عندهم على سبع طبقات .

الطبقة الأولى — الأسيّاحُ الجُبار من الموحّدين الذين هم بقايا أتباع المهديّ بن تومرت . قال في "مسالك الأبصار" : وهم بمثابة أمراء الألوّف بمصر، وبمثابة التوينات أمراء التوامين بمملكة إيران .

الطبقة الثانية — الأسيّاحُ الصّغار من الموحّدين أيضا : وهم دُونَ مَنْ تقدّم منهم في الرتبة .

الطبقة الثالثة — الوقّافون . قال في "مسالك الأبصار" : سألتُ ابن القوّيع عن معنى الوقّافين ما هو ؟ فقال : هم قومٌ لهم خاصيّة بالسلطان يسكنون معه في القصبة : وهي القلعة، بمنزلة الأمراء الخاصيّة . قال : وهم طبقتان : وقّافون كبار، ووقّافون صغار، وكلهم يقفون بين يديه في أوقات جلوسه إذا جلس للناس .

الطبقة الرابعة — عاقمة الجُند .

الطبقة الخامسة — الجُند من قبائل العرب .

الطبقة السادسة — الصّبيان : وهم جماعة من الشّباب بمثابة المماليك الكّثانية بالديار المصرية، يكونون في خدمة السلطان .

الطبقة السابعة — الجُند من الإفرنج، ويعبر عنهم بالعلّوج؛ وهم لخاصة السلطان لا يطمئن إلا إليهم .

وأما عدّة العسكر . ففي "مسالك الأبصار" عن ابن القوّيع أنها لا تبلغ عشرة آلاف وإنما العدد الجُم في العرب أهل البادية ولهم قوّة شوكة .

* *

وأما أرباب الوظائف فعلى ثلاثة أضرب :

الضرب الأول

(أرباب السيوف، وهم ثمانية)

الأول — الوزراء : وهم ثلاثة وزراء : وزير الجند وهو المردود إليه الحديث في أمر الجند . قال في "مسالك الأبصار" : وهو بمثابة الحاجب بالديار المصرية ، ووزير المال : وهو المتحدث في أمر المال ، ويعبر عنه بصاحب الأشغال ، ووزير الفضل وهو كاتب السر .

الثاني — شيخ الموحدين . قال ابن القوي : وشيخ الموحدين كأنه نائب السلطان ، ويسمى الشيخ المعظم وهو الذى يتولى عرض الموحدين وأموالهم .
الثالث — أهل المشورة : وهم ثلاثة من أشياخ الموحدين يجلسون بمجلسه للرأى والمشورة .

الرابع — صاحب الرفاعات . قال ابن سعيد : وهو الذى يتولى إبلاغ الظلمات إلى السلطان وإيصال قصصهم إليه وعرضها عليه ثم يخرج بجوابها عنه . قال في "مسالك الأبصار" : وهذا بمثابة الدواidar (يعنى بالديار المصرية) .

الخامس — صاحب العلامات : وهو المتولى أمور الأعلام ، وهو بمثابة أمير علم بالديار المصرية . وفي معناه آخر إليه أمر دق الطبول ، يأمر بدق الطبول عند ركوب السلطان فى المواكب .

السادس — الحافظ : وهو صاحب الشرطة ، وعنه يعبر المصريون بوالى المدينة .

السابع — محركو الساقة : وهم قوم يكون بأيديهم العصى ، يرتبون الناس فى المواكب ، بمنزلة النقباء بالديار المصرية .

الثامن — صاحب الطعام : وهو بمنزلة إستاددار الصُحبة .

الضرب الثاني

(أرباب الأقاليم)

وقد ذكر منهم ثلاثة :

الأول — قاضى الجماعة : وهو مثل قاضى القضاة بالديار المصرية .

الثانى — المحتسب : وهو معروف .

الثالث — صاحب كُتُب المَظَالِم . قال فى "مسالك الأبصار" : وهو الموقَّع على

القِصَص وكأنه بمثابة موقَّع الدَّسْت بمصر والشام .

الجملة الثانية عشرة

(فى ذكر الأرزاق المَطلَقة من جهة السلطان)

ويختلف الحال فيها باختلاف أحوال أربابها .

فأما أشياخُ الموحِّدين الكبار ، فقد نقل فى "مسالك الأبصار" عن القاضى
 أبى القاسم بن بَنُون أنَّ لهم أرضاً يزرعونها أو يحكِّرونها ويكون لهم عَشْرُ ما طلع منها .
 وهذه الأرض بمثابة الإقطاع بمصر ، ولكل واحد منهم فى كل سنة حَرْثُ عشرة
 أزواج بقرا ، كل زوج بِشْعَتَيْن ، كل شُعْبَة رأسان من البقر فيكون لكل واحد
 عشرون شعبة . قال فى "مسالك الأبصار" : وهذه الشعبة هى المسماة فى بلاد دمشق
 بالفَدَّان . ولهم مع ذلك راتب يفرَّق عليهم فى طول السنة ، يسمونه البركات ، بمثابة
 الجوامك بمصر ، يفرَّق أربع مَرَّات فى السنة : فى عيد الفِطْرِ تَفْرِقَةٌ ، وفى عيد الأَضْحَى
 تَفْرِقَةٌ ، وفى ربيع الأول تَفْرِقَةٌ ، وفى رَجَبٍ تَفْرِقَةٌ ، يُصِيبُ كُلَّ واحدٍ منهم من ذلك
 أربعون ديناراً مسماً ، تكون بثلاثمائة درهم عتيقة ، والسلطان يأخذ معهم بِسَمِّهِم كواحد
 منهم على السَّواء ، فيكون جملة مال كُلِّ واحدٍ منهم فى كل سنة مائة وعشرين ديناراً

مِسْمَاةٌ ، عنها أَلْفٌ ومائتا درهم مَغْرِبِيَّةٌ ، عنها من نقد مصر والشام سُمْتَاةٌ وخمسون درهماً ، وما يَحْتَصِلُ من مَغَلٍّ عشرين فَدَانًا بقدر مثلها . قال في "مسالك الأبصار" :
فيكون تقدير ما لأحد المشايخ الكبار الذين بمثابة أمراء الألو ف بمصر والشام في كل سنة ألف وثلاثمائة وعشرة دراهم نُقْرَةً بمعاملة مصر في كل سنة .

وأما الأشياخ الصغار ، فلكل واحد منهم حَرْثٌ خمسة أزواج من البقر ، على النصف من الأشياخ الكبار ، والبركات في كل سنة على ما تقدم في الكبار . قال ابن بنون :
ولعامة الأشياخ الكبار والصغار والوقافين والجند شيء آخر يفرقه السلطان عليهم ، يُسمى المواساة : وهي غلة تفرق عليهم عند تحصيل الغلات في المخازن ، وشيء ثالث يقال له الإحسان ، وهو مبلغ يفرق عليهم . قال [وكلاهما ^(١)] من السنة إلى السنة ليس لها قدر مضبوط ولا قدر مخصوص ، بل على قدر ما يراه السلطان وبحسب أقدار الناس . ومقادير العطايا بينهم متفاوتة . قال : وكذلك القبائل ومزاويرهم على هذا النحو . قال ابن القويح : والجند الغرباء يتميزون في الأعطيات على الموحدين . قال : وللعرب أهل البادية إقطاعات كثيرة ، ومنهم من يخرج مع السلطان إذا استدعاهم السلطان للخروج معه .

الجملة الثالثة عشرة

(في لبس سلطان مملكة تونس ، ولبس أشياخه ، وسائر جنده ،

وعامة أهل بلده)

أما لبسه فقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن سلطان زمانه بأفريقية : أن له عمامة ليست بمفرطة في الكبر ، بحناك وعدبة صغيرة . وقال ابن سعيد : له عمامة

(١) بياض بالاصل بقدر كلمة والتصحيح من المسالك .

كبيرة من صُوفٍ وكنَّان فيها طراز من حرير . ولا يتعمَّم أحدٌ من أهل دولته قدرها في الكبر . وذكر أن عذبة عمامته تكون خلف أُذنيه اليسرى ، وأنها مخصوصة به وبأقاربه ، وله جَبَابٌ تليها ، ولا يلبس هو ولا عامة جنده وأشياخه خُفًّا إلا في السَّفر .^(١) وغالب لبسه ولبس أكابر مشايخه من قُمَاشٍ عندهم يسمى السَّفساري ، يعمل عندهم من حرير وقطن أو حرير وصوف رفيع جدًّا ، وقُمَاشٍ يُعرف بالتَّلمسانيَّ يعمل بتلمسان : إما صوفٌ خالص أو حرير خالص : مُحْتَمٌ وغير مُحْتَم . قال ابن بنون : والسلطان يمتاز بلبس الخرز ، ولونه لونُ الخُضرة والسَّواد . قال : وهذا اللون هو المسمَّى بالجوزي ، وبالغيار ، وبالتفيطي . قال ابن سعيد : وهو ما يخرج من البحر بصفاقس .

قال في "مسالك الأبصار" : وهو المسمى بوبر السمك بمصر والشام يعني المعبر عنه بصوف السمك المقدم ذكره عند ذكر صفاقس من بلاد أفريقية . قال ابن سعيد : وهي أنفريثاب السلطان بتونس وتقل في "مسالك الأبصار" عن ابن سعيد : أنه يلبس الثياب الصوف الرفيعة ، ذوات الألوان البديعة ، وأكثر ما يلبس المختم المترج من الحرير والصوف ، بكين طويلين من غير كثرة طول ، ضيقين من غير أن يكونا مزنَّدين . وثيابه دون شدِّ نطاقٍ إلا أن يكون في الحرب فإنه يشدُّ المنطقة ، ويلبس الأقبية ، وله طيلسان صوفٍ في نهاية اللطافة ، كان يرتدى به ولا يضعه على رأسه .

[وأما لبس الأشياخ والدواوين والوقافين والجند والقضاة والوزراء والكتاب وعامة الناس فملي زىٍّ واحدٍ ، لا تكاد تتفاوت العمام والجباب ولا يمتاز الأشياخ والوقافون

(١) لعله يلبسها .

والجند إلا بشيء واحد لا يكاد يظهر ولا يبين وهو صغر العمام وضيق القماش، ولباس عامة أهل أفريقية من الجوخ ومن الثياب الصوف ومن الأقبية ومن الثياب القطن، فمن لبس غير هذا مما يجلب من طرائف الاسكندرية والعراق كان نادرا شاذاً^(١).

الجملة الرابعة عشرة

(في شعار المملك بما يتعلق بهذا السلطان)

تقل في "مسالك الأبصار" : عن ابن القويح أن له علما أبيض يسمى العلم المنصور، يُحمل معه في المواكب، وذكر أن الأعلام التي تحمل معه في المواكب سبعة أعلام : الأوسط أبيض وإلى جانبه أحمر وأصفر وأخضر. قال : ولا أتحقق كيف ترتيبها وأن ذلك غير أعلام القبائل التي تسير معه فلكل قبيلة علمٌ تمتاز به بما عليه من الكتابة، والكتابة مثل لا إله إلا الله، أو الملك لله، وما أشبه ذلك، وأن له الطبول والبوقات والنفير.

الجملة الخامسة عشرة

(في جلوس سلطان هذه المملكة في كل يوم)

قال ابن سعيد : عادة هذا السلطان في مدينة مملكته تونس : أنه يخرج باكر كل يوم إلى موضع يُعرف بالمدرسة، ويبعث خادما صغيرا يستدعي وزير الجند من موضعه المعين له، فيدخل عليه رافعا صوته "بسلام عليكم" عن بُعد من غير أن يوميء برأسه، ولا يقوم له السلطان، فيجلس بين يدي السلطان، ويسأله السلطان عما يتعلق بأمور الجند والحروب، ثم يأمره باستدعاء من يريد من أشياخ الجند

(١) الزيادة من القطعة الأثرية وهي في "مسالك الأبصار" أيضا.

أو العَرَب أو مَنْ لَهُ تَعَلُّقٌ بِوَزِيرِ الْجُنْدِ ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِاسْتِدْعَاءِ وَزِيرِ الْمَالِ وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِصَاحِبِ الْأَشْغَالِ فَيَأْتِي مَعَهُ وَيُسَلِّمَانِ جَمِيعًا مِنْ بَعْدِ عَلَى السُّلْطَانِ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ تَقَدَّمَ سَلامُ وَزِيرِ الْجُنْدِ ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ وَزِيرُ الْمَالِ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْ السُّلْطَانِ وَيَتَأَخَّرُ وَزِيرُ الْجُنْدِ إِلَى مَكَانٍ لَا يَسْمَعُ فِيهِ حَدِيثَهُمَا ، ثُمَّ يَخْرُجُ وَزِيرُ الْمَالِ وَيَسْتَدْعِي مَنْ يَتَعَلَّقُ بِهِ ، ثُمَّ يَحْضُرُ صَاحِبُ الطَّعَامِ بِطَّعَامِ الْجُنْدِ وَيَعْرِضُهُ عَلَى وَزِيرِهِمْ لئَلَّا يَكُونَ فِيهِ تَقْصِيرٌ ، ثُمَّ يَقُومُ السُّلْطَانُ مِنَ الْمَدْرَسَةِ إِلَى مَوْضِعٍ مَخْصُوصٍ وَيَسْتَدْعِي وَزِيرَ الْفَضْلِ : وَهُوَ كَاتِبُ السَّرِّ ، وَيَسْأَلُهُ عَنِ الْكُتُبِ الْوَارِدَةِ مِنَ الْبِلَادِ ، وَعَمَّا تَحْتَاجُ خِزَانَةُ الْكُتُبِ إِلَيْهِ ، وَعَمَّا تَجَدَّدُ فِي الْحَضْرَةِ وَفِي الْبِلَادِ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِأَرْبَابِ الْعِلْمِ وَسَائِرِ فُنُونِ الْفَضْلِ وَالْقَضَاةِ ، وَيَأْمُرُ بِاسْتِدْعَاءِ مَنْ يُحْصِيهِ مِنَ الْكُتَّابِ وَيُنْبِي عَلَيْهِ وَزِيرُ الْفَضْلِ مَا أَمَرَ بِكُتَابَتِهِ ، وَيَعْلَمُ عَلَيْهِ وَزِيرُ الْفَضْلِ بِخَطِّهِ ، ثُمَّ يَسْتَدْعِي السُّلْطَانُ مَنْ شَاءَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُضَلَاءِ وَيَتَخَاضَرُونَ مُحَاضِرَةً خَفِيفَةً ، وَإِنْ كَانَ وَزِيرُ الْفَضْلِ قَدْ رَفَعَ قَصِيدَةً لَشَاعِرٍ وَافِدٍ أَوْ مَرْتَبٍ فِي مَعْنَى اسْتِجْدَادٍ ، أَمَرَهُ السُّلْطَانُ بِقَرَأَتِهَا عَلَيْهِ ، أَوْ يَأْمُرُ بِحَضُورِ الشَّاعِرِ لِيُنْشِدَهَا قَائِمًا أَوْ قَاعِدًا بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ رُتْبَتُهُ ، وَيَتَكَلَّمُ السُّلْطَانُ مَعَ وَزِيرِ الْفَضْلِ وَمَنْ حَاضَرَ مِنَ الْفُضَلَاءِ فِي ذَلِكَ وَيَكْتُبُ عَلَى كُلِّ قَصِيدَةٍ بِمَا يَرَاهُ .

الجملة السادسة عشرة

(فِي جُلُوسِهِ لِلظَّالِمِ)

قَالَ الشَّيْخُ شَرْفُ الدِّينِ عَيْسَى الزَّوَاوِيُّ : إِذَا جَلَسَ السُّلْطَانُ جُلُسَ حَوْلَهُ ثَلَاثَةٌ مِنْ بَكَارِ أَشْيَاخِ الْمُوَحِّدِينَ لِلرَّأْيِ وَالْمَشُورَةِ ، وَيَجْلِسُ مَعَهُمْ وَزِيرُ الْجُنْدِ إِنْ كَانَ كَبِيرًا ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَبِيرًا وَقَفَّ بِإِزَاءِ أَوْلَئِكَ الثَّلَاثَةِ ، وَيَجْلِسُ دُونَهُمْ عَشْرَةٌ مِنْ أَكْبَرِ أَشْيَاخِهِ ، وَرَبَّمَا كَانَ الثَّلَاثَةُ الْمُخْتَصُّونَ بِالرَّأْيِ مِنْ جَمَلَةِ الْعَشْرِ الْمَذْكُورِينَ ، وَيَقِفُ

نحسون وقفا وراء وزير الجند . فإذا أمر السلطان بأمر بلغه وزير الجند لا آخر واقف وراءه ، وبلغه الآخر لا آخر ، وبلغه الآخر لا آخر . حتى ينتهي إلى من هو خارج الباب بنقل ناس عن ناس ، ويقف دون الخمسين المذكورين جماعة تسمى بالوقافين بأيديهم السيوف حوله ، وهم دون الخمسين المذكورين في الرتبة . وقد ذكر ابن سعيد : أن يوم السبت مخصوص عنده بأن يقعد في قبة كبيرة في القسبة : وهي القلعة ، ويحضر عنده أعيان دولته وأقاربه والأشياخ ، ويجلس أقاربه عن جانبه الأيمن ، والأشياخ عن جانبه الأيسر ، ويجلس بين يديه وزير الجند ، ووزير المال ، وصاحب الشرطة ، والمحاسب ، وصاحب كتب المظالم : وهو الموقّع على القصص . ويقرأ الكاتب المعين ما وقع له على قصص المظالم ، ويرد كل ما يتعلق بوظيفة إلى رب تلك الوظيفة وينفذ الباقي .

الجملة السابعة عشرة

(في خروجه لصلاة الجمعة)

قال ابن سعيد : من عادة السلطان بأفريقية أنه لا يجتمع يوم الجمعة بأحد ، بل يخرج عند ما يُنادى المنادى بالصلاة ، ويشق رحبة قصره ما بين خواص من الممالك الأتراك ، فعند ما يُعائنه ينادون "سلام عليكم" نداءً عالياً على صوت واحد يسمعه من يكون بالمسجد الجامع ، ثم يتقدمه وزير الجند بين يديه في سباط يخرج هناك للجامع ، عليه باب مذهب سلطاني ، ويسبق الوزير فيفتح الباب ، ويخرج منه السلطان وحده ، ويخرج له جماعة الوقافين من أعيان الدولة فلا يقوم له في الجامع غيرهم ، وليس له مقصورة مخصوصة للصلاة . فإذا انفصل عن الصلاة قعد في قبة كبيرة له في صدر الرحبة وحضر عنده أقاربه ، ثم يدخل قصره .

الجملة الثامنة عشرة

(في رُكُوبه لصلاة العيدين أو للسفر)

قال القاضي شرف الدين عيسى الزواوي : وعادته في ذلك أن يركب السلطان ، وعن يمينه فارس وعن يساره فارس من أكابر أشياخه من العشرة المقدم ذكرهم ، ويمشي إلى جانبه رجُلان مقلدان سيفين رجالة إلى جانبه : أحدهما ممسك بركابه الأيمن ، والثاني ممسك بركابه الأيسر ، ويليهما جماعة رجالة من أكابر دولته : مثل الثلاثة أصحاب الرأي ، والعشرة الذين يلونهم ، ومن يجري مجراهم من أعيان الجند ، وتسمى هذه الجماعة ايربان ، يمشون حوله بالسيوف وبأيديهم عكاكيز . قال : وربما مشى في هؤلاء قاضي الجماعة : وهو قاضي القضاة . وأمام هؤلاء الجماعة المشائين نفر كثير من الموحدين أقارب السلطان بسيوف ومزاريق ، ويسمّون بالمشائين . وقد أمهم جماعة يقال لهم جفاوة : وهم عبيد سود بأيديهم حراب في رؤوسها رايات من حرير ، وهم لابسون حجابا بيضا مقلدون بالسيوف . وأمام هؤلاء قوم يعبر عنهم بعبيد المخزن ، وهم عوام البلد وأهل الأسواق ، وبأيديهم الدرق والسيوف ، ومعهم العلم الأبيض المسمى بالعلم المنصور المقدم ذكره في شعار السلطنة .

وعادتهم أن ينادي فيهم لیسلة العيد أو رُكُوب السلطان لسفر ، فيخرج أهل كل صناعة بظاهر البلد ، ويكون خلف السلطان صاحب العلامات ، وهو أمير علم راكب ، ووراءه أعلام القبائل ، ووراء الأعلام الطبول والبوقات ، وخلفهم محرّكو الساقة الذين هم بمثابة النقباء وبأيديهم العصي يرتّبون العساكر ، وخلف هؤلاء العسكر . والفارس الذي عن يمين السلطان إليه أمر دق الطبول يقول : دق فلان باسم كبيرهم ، ويستمر من حول السلطان من المشاة يمشون ثم يركبون ، ويطيف

بالسلطان جماعة يقرءون حزباً من القرآن الكريم . ثم يقف السلطان ويدعو ويؤمن وزير الجند على دعائه ، ويؤمن الناس على تأمينه ، ويحشد الناس والسلطان السير . فإن كانوا في فضاء كان مشيهم على هذا الترتيب ، وإن ضاق بهم الطريق مشوا كيف جاء على غير ترتيب إلا أن الجند لا يتقدمون على السلطان . فإذا قربوا من المنزلة وقف السلطان ودعا وأمن على دعائه كما تقدم . وإن كان في صلاة العيد ذهب في طريق وعاد في أخرى .

الجملة التاسعة عشرة

(في خروج السلطان للتنزه)

قد تقدم في الكلام على مدينة تونس أنها على طرف بحيرة خارجة من البحر الرومي تحديق بها البساتين من كل جانب ، وفي تلك البحيرة جزيرة يقال لها سكة لاساكن بها ربما ركب السلطان في السفن وصار إليها في زمن الربيع ، وتضرب بها أخبية ويقيم بها للتنزه أياماً ثم يعود . على أنه لا ماء فيها ولا مرعى ، ولكن لما تشرف عليه من البساتين المستديرة بتلك البحيرة وما قبلها من الجواسق المشرفة ومنظر البحر . وقد ذكر ابن سعيد : أنه ربما خرج إلى بستانه ، فيخرج في نحو مائتي فارس من الشباب المعروفين بالصبيان الذين هم بمثابة الممالك الكمانية بالديار المصرية ، يوصلونه إلى البستان ويرجعون ، ويبقى وزراؤه الثلاثة تواباً له . وكل ما تجدد عند كل واحد منهم من الأمر طالع به وجاوبهم بما يراه . قال في "مسالك الأبصار" : وركوبه إلى البستان في زقاق من قصبته إلى البستان ، محجوب بالحيطان لا يراه فيه أحد .

الجملة العشرون

(في مكاتبات السلطان)

قال في "مسالك الأبصار" : قال آبن سعيد : قال العلامة أبو عبد الله بن القويح : إن هذا السلطان لا يعلم على شيء يكتب عنه ، وإنما يعلم عنه في الأمور الجبار صاحب العلامة الكبرى ، وهو كاتب السرفى الغالب ، والعلامة "الحمد لله" أو "الشكر لله" بعد البسملة . قال : ومن خاصية كتب هذا السلطان أن تكتب في ورق أصفر . ومن عادته وعادة سائر المغاربة أن لا يطيلوا في الكتب ولا يباعدوا بين السطور كما يفعل في مصر وما ضاهاها . أما في الأمور الصغار فإنما تكون الكتابة فيها عن وزير الجند ، ويكتب عليها صاحب العلامة الصغرى أسم وزير الجند ، وتكون هذه الكتب في غير الورق الأصفر .

الجملة الحادية والعشرون

(في البريد المقرر في هذه المملكة)

قد ذكر في "مسالك الأبصار" : أنه إذا كتب كتاب إلى نواحى هذه المملكة ليوصل إلى بعض نوابها ، جهّز مع من يقع الاختيار عليه من النقباء أو الوصفان : وهم عبيد السلطان ، ويركب على بغل إما ملك له أو مستعار ويسافر عليه إلى تلك الجهة . فان أعيا في مكان تركه عند الوالى بذلك المكان وأخذ منه بغلا عوضه ، إما من جهة الوالى أو يستخره له من الرعايا ، إلى أن ينتهى إلى جهة قصده ثم يعود كذلك .

الجملة الثانية والعشرون

(فى الحَلَع والتَّشَارِيف فى هذه المملكة)

قال القاضى أبو القاسم بن بَنُون : ليس من عادة سلطان أفريقية إلباس من ولى ولاية خُلعة كما فى مصر ، وإنما هى كُسوة : وهو قماش غير مُفَصَّل يتصرَّف فيه كيف شاء .

المملكة الثانية

(من ممالك بلاد المغرب مملكة تِلْمَسَان)

وهى مملكة الغرب الأوسط . وفيها جملتان :

الجملة الأولى

(فى ذكر حُدُودها ، وقاعدتها ، وما آشتملت عليه من المُدُن ،

والطريق الموصلة إليها)

أما حدودها ، فحدُّها من الشرق حُدُود مملكة أفريقية وما أُضيف إليها من جهة الغرب ، وحدُّها من الشمال البحر الرومى ، وحدُّها من الغرب حُدُود مملكة فاس الآتى ذكرها من الشرق ، وحدُّها من جهة الجنوب المفاوِز الفاصلة بين بلاد المغرب وبلاد السودان . وذكر فى ” العبر “ : أن حدَّها من جهة الغرب من وادى مَلَوِيَّة الفاصل بينها وبين الغرب الأقصى إلى وادى مجَّع فى جهة الشرق الفاصل بينها وبين أفريقية .



وأما قاعدتها ، فمدينة (تِلْمَسَان) بكسر المشاة من فوق واللام وسكون الميم وفتح السين المهملة وألف ونون . وهى مدينة من الغرب الأوسط . وقال

في "تقويم البلدان": من الغرب الأقصى متاحة للغرب الأوسط شرقي فاس بميلة إلى الشمال . وموقعها في أوائل الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول أربع عشرة درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة واثنًا عشرة دقيقة . وهي مدينة في سفح جبل ، ولها ثلاثة عشر بابا ، وماؤها مجلوب من عين على ستة أميال منها ، وفي خارجها أنهار وأشجار ، ويستدير بقيليها وشرقيها نهر يصب في بركة عظيمة من آثار الأول ، ويُسمع لوقعه فيها خرير على مسافة ، ثم يصب في نهر آخر بعد ما يمر على البساتين ، ثم يصب في البحر ، وعليه أرحاء دائرة تدخل فيه السفن اللطاف حيث يصب في البحر ، وتقعها شريفة كثيرة المرافق . ولها حصون كثيرة وفرض عديدة .

منها (هني) و(وهران) و(مستغانم) . فهني تقابل المريّة من الأندلس ووهران في شرقي تلمسان بشمال قليل ، على مسيرة يوم من تلمسان ، ومستغانم تقابل دانية من الأندلس ، وعرض البحر بينهما ثلاث مجار ونصف مجرى . قال الإدريسي في "كتاب رجار" : وبها آثار الأول ، ولها أسواق ضخمة ومساجد جامعة . قال في "مسالك الأبصار" : وهي على ما بلغ حد التواتر أنها في غاية المنعة والحصانة مع أنها في وطأة من الأرض ولكنها محصنة البناء . وبلغ من حصانتها أن أبا يعقوب الميرني صاحب فاس حاضرها عشر سنين ، وبني عليها مدينة سماها فاس الجديدة وأعجزه فتحها ولها ثلاثة أسوار ، ومن جهة القصبة وهي القلعة ستة أسوار ، وبها أنهار وأشجار ، وبها شجر الجوز على كثرة ، ومشمشها يقارب في الحسن مشمش دمشق . قال في "مسالك الأبصار" : زكية الزرع والضرع ، ويقصدها تجار الآفاق للتجارة . قال : ويطول مكث المخزونات فيها حتى إنه ربما مكث القمح والشعير في مخازنها ست سنين ثم يخرج بعد ذلك فيزرع فينبت .



وأما مُدُنُهَا الداخلة في مملكتها ، فقد ذكر في "مسالك الأبصار" أن لها ثمانَ عشرةَ مدينةً : وهي تلمسان ، وجده ، ومديونة ، وتندرومه ، وهنين ، ووهران ، وتيجزغزات ، وبرسك ، وشرشال ، وتونت ، ومستغانم ، وتنس ، والجزائر ، والقصبات ، ومازونة ، وتاجحمت ، ومليانة ، والمرية .



وأما الطريق الموصل إليها ، فقد تقدم في الكلام على مملكة تونس الطريق من الديار المصرية إلى تونس . وقد ذكر في "الذيل على الكامل" أن من تونس إلى باجة . ومنها إلى تغريه وهي آخر بلاد أفريقية ، ومنها إلى قسنطينة وهي أول بلاد بجاية ، ومنها إلى أول بلاد تلمسان ، ومنها إلى قليبية ، ومنها إلى البقيعة ، ومنها إلى تلمسان .

الجملة الثانية

(في حال مملكتها)

لم أفف على شيء من ترتيب مملكتها ، والظاهر أنها تشبه مملكة تونس في الحال والترتيب أو قريب من ذلك . فقد ذكر في "مسالك الأبصار" أن بجاية ثانية تونس في الرتبة والحال ، والموجودات ، والمعاملات . وقد تقدم أن بجاية من أقرب الاوسط ، فتكون تلمسان في معناها ، وإن وقعت مخالفة في ترتيب المملكة فإنما تكون في القدر اليسير . قال في "مسالك الأبصار" وهي مملكة كبيرة ، وسلطنة جائلة ، قريب الثلثين من مملكة بر العُدوة . وهي وسيعة المدى ، كثيرة الخيرات ، ذات حاضرة وبادية ، وبر وبحر .

المملكة الثالثة

(من بلاد المغرب — الغرب الأقصى ،
ويقال له بَرُّ العُدوة ، وفيه ثلاثة مقاصد)

المقصد الأول

(في بيان مَوقِعِها من الأقاليم السبعة وذكر حدودها
وما أشتملت عليه من المُدن والجبال المشهورة . وفيه أربع جمل)

الجملة الأولى

(في بيان موقعها من الأقاليم السبعة)

فمَوقِعُها في الإقليم الثالث كما في مملكة تُونُس ، وبعضها في الإقليم الثاني ، وبعضها
في أوائل الإقليم الرابع على ما سيأتي ذِكْرُه .

وأما حدودها . فقد ذكر صاحب "العبر" : أنه من مدينة آسفي حاضرة البحر
المحيط إلى وادي مَلَوِيَّة ومدينة تازا من جهة الشَّرق ، يحيط به البحر المحيط من جهة
الغرب ، وجبال دَرَن وما يليها من جَنُوبِيَّة ، وجبال تازا من شَرْقِيَّة ، والبحر الرومي
من شَمَالِيَّة . ثم قال : وهو ديار المَصَامِدَة وغيرهم من البربر . وذكر في "مسالك
الأبصار" نقلا عن أبي عبد الله محمد بن محمد السلاحي ^(١) : أن حدَّها من الجنوب
الصَّحراء الكبيرة الآخذة من بلاد البربر إلى جَنُوب أفريقيا ، ومن الشرق جزائر بني
مَرْغَنَانَة وما هو آخذ على حدَّها إلى الصحراء الكبيرة ، ومن الشَّمال البحر الشامي ،
ومن الغرب البحر المحيط .

(١) في المسالك السلاحي ، وقد تكرر .

وحكى عنه : أن طُولَ هذه المملكة من جزائر بني مرُغَنَّةَ ، وهى جزائر بني مرُغَنَّانِ المقَدَّم ذكرها فى بلاد بِجَايَةَ من مملكة تُؤُس إلى البحر المحيط ، وعرضها من بحر الزقاق بِسَبْتَةِ إلى نهاية بلاد البربر المتَّصلة بالصحراء الفاصلة بين هذه المملكة وبين بلاد السودان ثلاثون يوما .

الجملة الثانية

(فى بيان قواعدها وما آسَمَتْ عليه هذه المملكة)

من الأعمال وما أَنْطَوَتْ عليه من المُدن)

أما قواعدها ^(١) نخمس :

القاعدة الأولى

(فاس)

بفتح الفاء ثم ألف وسين مهملة . وهى مدينة بالغرب الأقصى ، واقعة فى آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيثُ الطولُ عَشْرُ دَرَجٍ وخمسون دقيقة ، والعرض ثلاثٌ وثلاثون درجة . قال : وسميت بفاس لأنهم لما شرعوا فى حفر أساسها ، وجدوا فأسا فى موضع الحفر . قال فى "تقويم البلدان" : وهى مدينتان يُشَقُّ بينهما نهر . الأولى (فأس القديمة) والمياه تجرى بأسواقها وديارها وحماماتها ، حتى يقال إنه ليس بالمشرق ولا بالمغرب مدينةٌ تُضاهيها فى ذلك ، إلا أن أرضها ذاتُ ارتفاعٍ وانخفاض ، وفيها عدَّة عيون . قال أبو عبد الله العسلى : عدتها ثلثمائة وستون عينا . قال ابن سعيد : لم أَرَقَطْ حماماتٍ فى داخلها عين تنبع إلا فى فاس . قال : وهى أكثرُ مياهها من دِمَشق . قال ابن سعيد فى "المغرب" ،

(١) لم يذكر إلا أربعا .

وهي مدينتان : إحداهما بناها إدريس بن عبد الله : أحد خلفاء الأدارسة بالمغرب ، وتُعرف بَعْدُوة الأندلس . والأخرى بنيت بعدها وتعرف بَعْدُوة القرويين . قال في "الروض المعطار" : وكان بناء عُدوة الأندلسيين في سنة اثنتين وتسعين ومائة ، وبناء عُدوة القرويين في سنة ثلاث وتسعين ومائة . وعُدوة القرويين أكثر عيونا وبساتين وأشجارا من عُدوة الأندلسيين . ورجال عُدوة الأندلسيين أشجع . ورجال عُدوة القرويين أجمل . ونساء عُدوة الأندلسيين أجمل . وبعُدوة الأندلسيين تُفاح حسن طيب الطعم يُعرف بالطرابلسي لا يُفْلَح بَعْدُوة القرويين . وبعُدوة القرويين أُترج حسن لا يُفْلَح بَعْدُوة الأندلسيين مع التقارب على ضفة النهر الغربية ، وهي في مستو من الأرض ، وهي في علو لا يحكم النهر عليها . والثانية (فاس الجديدة) وهي ثلاث مَدُن بناء آباء ملوكها القائمين بها الآن حين ملكوا الغرب الأقصى . ولما نزلوها بنوا معها ثلاث مَدُن على ضفة النهر الغربية .

أولها (المدينة البيضاء) وتُعرف بالجديدة . بناها أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق أول من استقل بالملك بعد الموحدين .

الثانية (مدينة حمص) ويُعرف موضعها بالملاح . بناها ولده أبو سعيد : عثمان ابن أبي يوسف إلى جانب المدينة البيضاء المقدم ذكرها .

الثالثة (ربض النصارى) وهي المتخذة لسكنى النصارى من الفرنج المستخدمين بخدمة السلطان . وهذه المتجددات الثلاث على ضفة النهر الغربية : فربض النصارى يقابل فاس القديمة على بُعد من ضفة النهر . والبيضاء وهي فاس الجديدة آخذة من شمال ربض النصارى إلى ضفة النهر . وأول عمارة فاس الجديدة آخر عمارة فاس العتيقة . وحمص راكبة على النهر بشمال على جانب فاس الجديدة آخذة إلى ربض

النصارى، ينصبُّ من الجنوب إلى الشمال، ثم ينعطف على زاويةٍ آخذاً من الغرب إلى الشرق حتى يصير كأنه يتحدّر من الغرب، ويحصّ على مجراه هناك، ثم يمرّ آخذاً إلى الشرق على حاله فوق فاس الجديدة . ثم ينعطف عليها بزاوية إلى الجنوب ثم ينعطف إلى الشرق جائزاً بها، وهناك فاس العتيقة على الضّفة الشماليّة، والفصبة وهي القلعة بها في غربيها مرجلة على الأرض لا تتميز على المدينة برفعة ولا ببناء عال، ويصير النهر مستديراً بفاس الجديدة من جانب الشمال على المجرى المركّب عليه حصّ، ومن الشرق حيث أنعطف النهر عند فاس العتيقة .

قال في "مسالك الأبصار": وهذا النهر متوسط المقدار . عرضه في المكان المتسع نحو أربعين ذراعاً، وفي الضيق دون ذلك، وربما تضايق إلى خمسة عشر ذراعاً فما دونها، وعمقه في الغالب تقدير قامة رجل . وتتل في "مسالك الأبصار" عن ابن سعيد: أن نهرها يلاقى وادى سبوا، وهو من أعظم أنهار المغرب، يصبُّ في البحر المحيط بين سلا وقصر عبد الكريم . قال في "تقويم البلدان" قال ابن سعيد: وعلى أنهارها داخل المدينة نحو ستمائة رحاً تدور بالماء دائماً . قال في "مسالك الأبصار": وعابها ناعورة ترفع الماء إلى بستان السلطان . وبناء فاس العتيقة بالأجر والجبال مكثفة بها، وعلى كل من عتيقها وجديدها أسوار دائرة محصنة ذات بروج وبدنات، وجميع أبنيتها بالحجر والأجر والكلس مؤنقة البناء مشيدة الأركان . وتزيد فاس الجديدة على فاس العتيقة في الحصانة والمنعة، والعتيقة بسور واحد من الحجارة والجديدة بسورين من الطين المفرغ بالقباب من التراب والرمل والكلس المضروب وهو أشد من الحجر ولا تعمل فيه المجانيق ولا تؤثرفيه، وكذلك غالب أبنيتها، وسقوف جميعها الخشب وربما غشيت بعض السقوف بالقصدير والأصباغ الملونة،

(١) يؤخذ من عبارة ياقوت أن نهرها يتفرق داخلها إلى أنهار وعطيا من الأرحاء ذلك المقدار .

وأرض دور رؤسائها مفروشة بالزليج . وهو نوع من الآجر مدهون بدهان ملون كالقاشاني بالأبيض والأسود والأزرق والأصفر والأخضر وما يركب من هذه الألوان وغالبه الأزرق الكحلي وربما آخذ منه الزرات بحيطان الدور . قال في "مسالك الأبصار" : وسألت السلاحي عن مقدار عمارة فاس عتيقها وجديدها . فقال : تكون قدر ثلث مصر والقاهرة وحواسرهما . قال في "تقويم البلدان" ^(١) : وللمدينتين ثلاثة عشر باباً ، وفي القديمة مخازن الغلال ، وهي مكان يستدير عليه سور منيع عليه باب وعلق داخله المطامير . وبفاس العتيقة داخل سورها جنان ورياض ذات أشجار ورياحين في دور الكبراء وبيوت الأعيان . ثم قال : وبكل من فاس القديمة وفاس الجديدة المعروفة بالبيضاء وخص الجوامع والمساجد والمآذن والحمامات والأسواق . أما المدارس والخوانق والربط فما حلت صحائف أهل المغرب من أجورها إلا النزر اليسير جداً . وبفاس العتيقة مارستان ودور فاس يجالس متقابلة على عمد من حجر أو آجر ورقاريف تطل على صحن الدار . وفي وسط صحن الدار بركة يصب بها الماء ويعبر عنها عندهم بالصهريج ، ولهم عناية بأخذ القباب في بيوتهم ، حتى يوجد في دار الكبير قبتان فأكثر ، وحماماتهم صحن واحد لا خلاوى فيها ، ولذلك يتخذ غالب رؤسائهم الحمامات في بيوتهم ، فرارا من مخالطة العامة في الحمام . قال ابن سعيد : ومدينة فاس متوسطة بين ملك الغرب ، بينها وبين مراكش عشرة أيام وبينها وبين تلمسان عشرة أيام ، وبينها وبين سبتة عشرة أيام ، وبينها

(١) الزيادة من القطعة الأثرية .

(٢) أي ينسكب بها وصب يكون لازماً ومتعدياً إلا أن اللازم من باب ضرب والمتعدى من باب نصر كما نص عليه في تاج العروس والمصباح

(٣) مراده أن حماماتها ليس بها حجر للخواص . وقد جرى العامة في جمع الخلوة على خلاوى .

وبين ساجسة عشرة أيام . قال في "مسالك الأبصار" . ولذلك صَلَّحت أن تكون قاعدة الملك . وهي تشبه الإسكندرية في المحافظة على علوم الشريعة وتغيير المنكر والقيام بالناموس ، وتُشَبَّه بِدمَشَق في البساتين .

وقد ذكر ابن مُنَقِّذ: رسول السلطان "صلاح الدين يوسف بن أيوب" إلى بلاد المغرب : أنهم أخرجوا إلى بستانٍ بفاس يقال له البحيرة متحصِّله في كل سنة خمسة وأربعون ألف دينار ، وبه بركةٌ ذرع كل جانب منها مائتان وستة عشر ذراعا . يكون دورها ثمانمائة ذراع وأربعة وستين ذراعا . قال : وبها ما هو أكبر من ذلك . قال في "تقويم البلدان" : وأهلها مخصوصون برفاهية العيش . قال في "مسالك الأبصار" : ولأهلها حُسن الصنعة في المخروطات من الخشب والنحاس . قال أبو عبد الله السلاحي : ولكنها ونحة ثقيلة الماء ، تعلو وجوه سُكَّانها صفرةً ، وتُحدِّث في أجسادهم كَسلا وفُتورا .

القاعدة الثانية

(سَبْتَةُ)

قال في "تقويم البلدان" : بفتح السين المهملة وسكون الباء الموحدة وتاء مشاة فوق وهاء في الآخر . قال في "الروض المعطار" : والنسبة إليها سَبْتِي بكسر السين . وهي في دَخْلَةٍ في البحر . قال في "تقويم البلدان" : وهي مدينة بين بحرَيْن : بين البحر المحيط وبحر الروم . ومدخلها من جهة المغرب وهو مدخل ضيق ، والبحر محيط بأكثرها ، ولو شاء أهلها لوصلوا البحر حولها وجعلوها جزيرة . ولها أسوار عظيمة من الصخر، وعليها أبراج كثيرة ، والماء يُجَلَّب إليها في الشواني حتى للحمامات

التي بها ، وبها صهاريج من ماء المطر . ويقال إنها أول ما بنى ببرّ العدوّة . قال في "الروض المعطار" : وهي سبعة أجبل صغار متصلة بعضها ببعض معمورة ، طولها من الغرب إلى الشرق نحو ميل . وقال في "مسالك الأبصار" : طولها من السور الغربي المحيط برّيضها إلى آخر الجزيرة خمسة أميال . قال في "الروض المعطار" : ولها بابان من جهة البرّ ، ويتصل بها على ميلين من جهة الغرب جبل يعرف بجبل موسى ، وهو موسى بن نصير الذي فتح الأندلس ، ويجاوره بساتين وأشجار وقرى كثيرة ، وهناك يُزرع قصب السكر ويحمل إلى ما جاورها من البلدان ، ولها نهر عذب في البحر ، وكان بها كنيسة جعلت جامعاً ، وبها يستخرج من البحر شجر المرجان الذي لا يعدله مرجان . ويقابلها من الأندلس الجزيرة الخضراء وبحر الروم بينهما ضيق ، حتى إنه إذا كان الصبح يرى ثلث إحداهما من الأخرى ، ولذلك يسمّى بحرهما بحر الزقّان ، وميناهما شرقيها ، وغالب طرف الدنيا موجودة فيها ، والخطة مجلوبة إليها إذ لا يزكو نباتها فيها ، ويصاد بها أسماك مختلفة على نحو مائة نوع . ويتأبل هذه المدينة من برّ الأندلس الجزيرة الخضراء .

وكانت هذه المدينة قاعدة لهذا القطر قبل الإسلام ، وهي يومئذ ديار غمارة من المصامدة ، والحاكم عليها ملك الأندلس من القوط ، وكان ملك غمارة بها في زمن الفتح يقال له يلبان ، ولما زحف إليه موسى بن نصير المذكور أمير أفريقية في زمن الفتح جاء معه بالهدايا ، وأذعن لأداء الجزية فأقره عليها ، وأسترهن ابنه وأبناء قومه ، وأنزل طارق بن زياد بطنجة بالعساكر إلى أن أجاز البحر لفتح الأندلس كما سيأتي في الكلام على مكتبة صاحب الأندلس .

(١) تقدمت هذه الجملة بمعناها فاثباتها سهو .

ولما هلك يُليانُ استولى المسلمون من العرب على مدينة سَبْتَةَ بالصُّلَح من أهلها فعمروها إلى أن كانت فتنةً ميسرة الخفير وما دعا إليه من مذهب الخوارج وأخذ به الكثير من البربر من غمارة وغيرهم ، فزحف بربرة طَنْجَةَ إلى سَبْتَةَ فأخرجوا العرب منها وخربوها ، وبقيت خالية إلى أن عمَّرها ما جكس من وجوه غمارة من البربر وبنائها وأسلم وصحب أهل العلم ، فرجع الناس إليها ومات .

فقام بأمره من بعده ابنه (عصام) فأقام بها زمنا إلى أن مات .

فولى بعده ابنه (مجير) فأقام بها إلى أن مات .

فوليا أخوه (الرضى) ويقال ابنه ، وكانوا يعطون الطاعة لبني إدريس من العلوية ملوك فاس ، ولما سما الناصر الأموي صاحب الأندلس إلى ملك المغرب وتناول أكثره من يد الأدارسة ببلاد غمارة وغيرها حين أخرجوا من فاس وقاموا بدعوة الناصر في جميع أعمالهم ، نزلوا للناصر عن سَبْتَةَ ، فبعث إليها العساكر فاتزعها من يد الرضى بن عصام سنة تسع عشرة وثلثمائة ، وأنقرض أمر بني عصام وصارت سَبْتَةَ للناصر ومن بعده من بني أمية خلفاء الأندلس . وكان علي والقاسم ابنا حمود بن ميمون ، بن أحمد ، بن علي ، بن عبيد الله ، بن عمر ، بن إدريس العلوي قد لحقا بالأندلس لما أخرج المستنصر الأموي الأدارسة من المغرب ، وبقيتا بالأندلس إلى أن كانت أيام المستعين سليمان بن الحكم فأختص بقاسم وعلي ابني حمود ، وعقد لعلي بن حمود على طنجة وأعمال غمارة فنزلها ، ثم خرج عن طاعته ودعا لنفسه ، وعاد إلى الأندلس وولى الخلافة بقرطبة كما سيأتي في مكتبة صاحب الأندلس ، وولى علي عمله بطنجة ابنه يحيى بن علي .

ثم أجاز يحيى بعد موت أبيه إلى الأندلس وأستقل أخوه إدريس بن علي بولاية طنجة وسائر أعمال أبيه من مواطن غمارة .

ثم أجاز إلى الأندلس بعد مَهْلِك أخيه يحيى ، وعقد لحسن ابن أخيه يحيى على عملهم بسببة وطنجة وأرسل معه نجا الخادم لتدبير دولته .

ثم أجاز (نجا) الخادم إلى الأندلس ومعه حسن بن يحيى المذكور ، ثم عقد حسن لنجا الخادم على عملهم في بلاد غمارة .

فلما ملك حسن بالأندلس ، أجاز (نجا) إلى الأندلس وأستخلف على العمل من وثق به من الموالى الصقلية ، وأستمرت في الموالى واحداً بعد آخر إلى أن أستقل بسببة وطنجة من موالى بنى حمود الحاجب (سكوت البرغوطي) فاستقل بسببة وطنجة وأطاعته قبائل غمارة ، وأتصلت أيامه إلى أن كانت دولة المرابطين ، وغلب أمير المسلمين « يوسف بن تاشفين » على مغراوة بفاس ، وسار إلى بلاد غمارة ونازل سكوت الحاجب ، وكانت بينهما واقعة قتل فيها سكوت ، ولحق ضياء الدولة ابن سكوت بسببة فأقام بها إلى أن نازله المعز بن يوسف بن تاشفين بها فقبض عليه ثم قتله ، وأنقضت دولة بنى حمود من بلاد غمارة وصارت في ملك المرابطين إلى أن فتح بنو عبد المؤمن من الموحدين مراكش ، فدخل أهل سببة وسائر غمارة في طاعتهم ، وأقامت على ذلك إلى أن ضعفت دولة بنى عبد المؤمن : ثار في غمارة محمد بن محمد اللثامى المعروف بأبى الطواجن ، وكان له يد في السيمياء ، وأرتحل إلى سببة فنزل عليها وأدعى النبوة وأظهر أنواعاً من السيمياء فاتبعه جماعة ، ثم ظهر لهم حقيقة أمره فرجعوا عنه ، وقتله بعض البربر غيلة ، إلى أن كانت أيام بنى مرين وغلبيهم على بلاد المغرب فامتنعت عليهم سببة ، وقام بأمرها الفقيه أبو القاسم العزفى من مشيختها فبقيت بيده ويد بزيه إلى أن ملكها منهم بنو مرين سنة تسع وعشرين وسبعمائة في أيام السلطان أبى الحسن ، فصارت تابعة لفاس دار ملك بنى مرين جارية في يد ملوكها ، وهى باقية بأيديهم إلى زماننا بعد العشر والثمانمائة .

القاعدة الثالثة

(مدينة مراكش)

بفتح الميم وتشديد الراء المهملة وفتحها وألف ساكنة ثم كاف ثم شين معجمة .
وهي مدينة واقعة في أول الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث
الطول إحدى عشرة درجة ، والعرض تسع وعشرون درجة . بناها أمير المسلمين
« يوسف بن تاشفين » ملك المرابطين في أرض صخراوية ، وجلب إليها المياه .
قال ابن سعيد : وأول ما بُني بها القصر المعروف (بقصر الحجر) ثم بني الناس حوله ،
ثم زادها يعقوب بن عبد المؤمن ، وكبرها ومصرها ، وفتحها وضمها ، وجلب إليها
المياه والغراس . قال في «تقويم البلدان» : ودورها سبعة أميال ، ولها سبعة عشر
بابا . قال في «الروض المطار» : وبني سورها علي بن يوسف بن تاشفين في سنة
ست وعشرين وخمسمائة ، وقيل سنة أربع عشرة وخمسمائة . قال : وطولها
مائة وعشرون ميلا ، وعرضها قريب من ذلك ، وهي في وطأة من الأرض ليس
حولها جبال إلا جبل صغير منه قطع الحجر الذي بني منه علي بن يوسف بن
تاشفين قصره ، وعامة بنائها بالطين والطوب .

قال ابن سعيد : وهي مما سكنت بها وعرفتها ظاهرا وباطنا ، ولا أرى عبارة
تفي بما تحتوى عليه ، ويكفي أن كل قصر من قصورها مستقل بالديار والبساتين
والحمام والإصطبلات والمياه ، وغير ذلك حتى إن الرئيس منهم يغلق بابه على
جميع خوله وأقاربه وما يحتاج إليه ، ولا يخرج من بابه إلى خارج داره لحاجة
يحتاجها ، ولا يشتري شيئا من السوق لما كل ، ولا يقرئ أولاده في مكتب ،
ويخرج من بابه راجعا فلا تقع عليه العين راجلا . قال : ولا أدري كيف أصل إلى

غاية من الوصف اِصْفُ بها ترتيب هذه المدينة المُحدثة ؟ فإنها من عجائب هِمَّات
السلطين ، ذاتُ أسوار صَّخْمَة وأبواب عالية .

وبظاھرھا مدينة آخِطَها المنصور ”يعقوبُ بن عبدالمؤمن“ له ولخواصّه تعرف
بتامر أكش ، وبها قصر الخلافة الذى بناه به دورٌ عظيمة ؛ وبها بستانٌ يعرف بالبحيرة
طوله اثنا عشر ميلا ، به بركة عظيمة لم يُعمَلْ مثلها قال العقيليّ : طولها ثلثمائة
وثمانون باعا ، على جانبها الواحد أربعائة شجرة نارنج ، بين كل اثنتين منها ليمونة
أورنجانة . وهى أكثر بلاد الغرب بساتين ، وشجرها أكثر منها ، وبساتينها
تسقى بالبئار وبئارها قريبة الرشاء على نحو قامتين من وجه الأرض ؛ وهى كثيرة
الزّرع والضّرع ؛ وبها دار الضيافة المعروفة بدار الكرامة . وفيها يقول محمد بن
محمد البربرى من أبيات يمدحهم ويصفها :

خَيْرُ قَوْمٍ دُعُوا إِلَى خَيْرِ دَارٍ ، * هِىَ لِلْمَلِكِ نَضْرَةٌ وَكَيْامُهُ
عَالَمُ السَّبْعَةِ الْأَقَالِمِ فِيهَا ، * وَهُمْ فِي فَنَائِهَا كَالْقُلَامِ

وبمراكش جامعٌ جليلٌ يُعرف بالكُتَيْبِيِّينَ ، طوله مائة وعشرة أذرع ، وعلى بابه
ساعاتٌ مرتفعة في الهواء خمسين ذراعا ، كان يُرمى فيها عند انقضاء كل ساعة
صنجة زيتها مائة درهم ، تتحرك لتزولها أجراسٌ تُسمع على بُعد ، تسمى عندهم
بالبحانة . قال فى ”تقويم البلدان“ : إلا أن الناس أكثرُوا فيها البساتين فكثُر
وتحمها . قال فى ”الروض المعطار“ : وقد هجّأها أبو القاسم بنُ أبى عبد الله محمد
آبن أيوب بن نُويج الغافقى من أهل بلنسية بأبيات أبلغ فى ذمّها ، فقال :

مَرَّاكُشُ إِنْ سَأَلْتَ عَنْهَا ، * فَإِنَّهَا فِي الْبِلَادِ عَارُ !
هَوَاؤُهَا فِي الشِّتَاءِ تَلْجُ ، * وَحَرُّهَا فِي الْمَصِيفِ نَارُ !

وكلُّ ما ثمَّ وهو خيرٌ * من أهلها عَقَرْتُ وفَارُ!

فَإِنْ أَكُنْ قَدْ مَكَّنْتُ فِيهَا، * فَإِنَّ مَكْنِي بِهَا أَضْطَرَارُ!

وكانت هذه المدينة دار ملك المرابطين من الملثمين الذين ملكوا بعد بني زيري، ثم الموحدين من بعدهم . قال ابن سعيد : وبينها وبين فاس عشرة أيام . وقال في "الروض المعطار" : نحو ثمانية أيام . قال : وبينها وبين جبال درن نحو عشرين ميلا .

القاعدة الرابعة

(سِجْلَمَاسَة)

بكسر السين المهملة وكسر الجيم وسكون اللام وفتح الميم ثم ألف وسين مهملة مفتوحة وهاء في الآخر، وهي مدينة في جنوب الغرب الأقصى في آخر الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد : حيث الطول ثلاث عشرة درجة وأثنان وعشرون دقيقة والعرض ست وعشرون درجة وأربع وثلاثون دقيقة .

وهي مدينة عظيمة إسلامية، وبينها وبين البحر الرومي خمس عشرة مرحلة، وليس قبليها ولا غربيها عُمران، وبينها وبين غانة من بلاد السودان مسيرة شهرين في رمال وجبال قليلة المياه، لا يدخلها إلا الإبل المصبرة على العطش . اختطها يزيد بن الأسود من موالى العرب^(١)، وقيل : مدرار بن عبد الله . وكان من أهل الحديث، يقال إنه لقي عكرمة مولى ابن عباس بأفريقية وسمع منه . وكان صاحب ماشية، وكان يذبح موضع سجلماسة بالصحرى ليرعى به ماشيته، فكان يجتمع إليه أهل تلك الصحراء من مكناسة والبربر، وكانوا يدينون بدين الصفرية من الخوارج،

(١) كذا في الأصل وفي "العبر ج ٦ ص ١٣٠" عيسى بن يزيد الأسود .

فاجتمع عليه جماعة منهم فلما بلغوا أربعين رجلا قدموا عليهم يزيد بن الأسود وخلعوا طاعة الخلفاء ، واختطوا هذه المدينة سنة أربعين ومائة من الهجرة . ولها اثنا عشر بابا ، وهي كثيرة العماره ، كثيرة البساتين ، رائقة البقاع ، ذات قصور ومنازل رفيعة وعمارات متصلة ، على نهر كثير الماء يأتي من جهة المشرق من الصحراء ، يزيد في الصيف كزيادة النيل ، ويؤرع على مائه كما يؤرع على ماء النيل ، والزرع عليه كثير الإصابة ، والمطر عندهم قليل : فإذا كانت السنة كثيرة الأمطار ، نبت لهم ما حصدوه في العام السابق من غير بذر ، وربما حصدوه عند تناسيه وتركوا أصوله فتنبت ثانيا . ويقال : يؤرع بها عاما ويحصد ثلاثة أعوام ، وذلك أن أرضها مشقة ، وهي بلدة شديدة الحر فإذا يبس الزرع تناثر عند الحصاد ودخل في الشقوق ، فإذا كان العام الثاني وعلاه ماء النهر وخرج عنه حرثوه بلا بذر فينبت ما في الشقوق ، ويبقى كذلك ثلاث سنين .

وقد حكى ابن سعيد : أن هذا الزرع في السنة الأولى يكون قمحا ، وفي باقي السنين سلتا . وهو حب بين القمح والشعير . وبها الرطب ، والتمر ، والعنب الكثير ، والفواكه الحمة ، وليس فيها ذئاب ولا كلاب لأنهم يسمنونها ويأكلونها ، وقلما يوجد فيها صحيح العينين ، ولا يوجد بها مجذوم ، ولها ثمانية أبواب من أى باب منها خرجت ترى النهر والنخيل وغير ذلك من الشجر ، وعليها وعلى جميع بساتينها حائط يمنع غارة العرب مساحته أربعون ميلا ، وثمرها يفضل ثمر سائر بلاد المغرب ، حتى يقال : إنه يضاهي الثمر العراقي ، وأهلها مياسير ، ولها متاجر إلى بلاد السودان ، يخرجون إليها بالملح والنحاس والودع ، ويرجعون منها بالذهب التبر . قال ابن سعيد : رأيت صكلا لأحدكم على آخر مبالغه أربعون ألف دينار .

ولما قدموا عليهم عيسى بن الأسود المقدم ذكره ، أقام عليهم أياماً ثم قتلوه سنة خمس وخمسين ومائة ، واجتمعوا بعده على كبيرهم (أبي القاسم سَمَكُو) ، بن واسول ، ابن مصلان ، بن أبي يزول ، بن تافرسين ، بن فراديس ، بن ونيف ، بن مكاس ، ابن ورصطف ، بن يحيى ، بن تمصيت ، بن ضريس ، بن رجيك ، بن مادغش ، ابن بربر . كان أبوه سَمَكُو من أهل العلم ارتحل إلى المدينة النبوية (على ساكنها أفضل الصلاة والسلام والتحية والاكرام) فأدرك التابعين ، وأخذ عن عكرمة مولى ابن عباس ، ومات بحدأة سنة سبع وستين ومائة لثنتي عشرة سنة من ولايته .

وكان مع ذلك على مذهب الصُّفَرِيَّة ، وخطب في عَمَلِهِ للمنصور والمهدي من خلفاء بني العباس .

ولما مات وَلِيَّ مَكَانِهِ ابْنُهُ (إلياس بن أبي القاسم) [وكان يُدعى بالوزير ثم انتقضوا عليه] سنة أربع وسبعين ومائة [خَلَعُوهُ] ^(١) .

وَوَلِيَّ مَكَانِهِ أَخُوهُ (اليسع بن أبي القاسم) وكنيته أبو منصور ، فبني سُورَ سِجْلَمَاسَةَ ، وشيّد بُنيانها ، وأختط بها المصانع والقصور لأربع وثلاثين سنة من ولايته . وعلى عهده استفحل مُلْكُهُمْ بِسِجْلَمَاسَةَ ، وسكنها آخر المائة الثانية بعد أن كان يسكن الصَّحْرَاءَ وهلك سنة ثمان ومائتين .

وَوَلِيَّ بَعْدِهِ ابْنُهُ (مِدرار) وَلُقِّبَ الْمُتَصِرَ وطال أمدُ ولايته . وكان له ولدان اسم كل منهما ميمون ، فوقع الحرب بينهما ثلاث سنين ، ثم كان آخر أمرهما أن غلب أحدهما أخاه وأخرجه من سِجْلَمَاسَةَ ، ثم خلع أباه وأستقل بالأمر ، وساءت سِيرَتُهُ فِي الرِّعْيَةِ فَخَلَعُوهُ ، وأعادوا مِدرارا أباه .

(١) الزيادة من "البر" ج ٦ ص ١٢٠ يستقيم الكلام .

ثم حدث نفسه بإعادة ابنه ميمون المخلوع فخلعوه وولّوا ابنه (ميمونا) الآخر، وكان يعرف بالأمير؛ ومات مدرار إثر ذلك سنة ثلاث وخمسين ومائتين . [ومات ميمون سنة ثلاث وستين ومائتين] ^(١) .

وولي مكانه ابنه (محمد) فبقى إلى أن توفي سنة سبعين ومائتين .

فولي مكانه (اليسع) بن المنتصر . وفي أيامه وفد عبيد الله المهدي الفاطمي وابنه أبو القاسم على سجلماسة في خلافة المعتضد العباسي ، وكان اليسع على طاعته فبعث المعتضد إليه فقبض عليهما واعتقاهما إلى أن غلب أبو عبد الله الشيعي داعي المهدي بني الأغلب أصحاب أفریقیة ، فقصدهم سجلماسة فخرج إليه اليسع في قومه مكثاسة ، فهزمه أبو عبد الله الشيعي وأقتحم عليه البلد ، وقتله سنة ست وتسعين ومائتين ، وأستخرج عبيد الله وابنه من محبسهما ، وبايع (لعبيد الله المهدي) .

وولي المهدي على سجلماسة (إبراهيم بن غالب المزاتي) وأنصرف إلى أفریقیة ، ثم أنتقض أهل سجلماسة على واليهم إبراهيم ومن معه من مكثاسة سنة ثمان وتسعين ومائتين . وبايعوا (الفتح بن ميمون) الأمير ابن مدرار المتقدم ذكره ، ولقبه واسول ، وهلك قريبا من ولايته على رأس المائة الثالثة .

وولي مكانه أخوه (أحمد بن ميمون) الأمير ، وأستقام أمره إلى أن زحف مصالة بن حيوس في جموع كُتامة ومكثاسة إلى المغرب سنة تسع وثمانئة ، فافتتح سجلماسة وقبض على صاحبها أحمد بن ميمون .

وولي عليها ابن عمه (المعتز بن محمد) بن يادن بن مدرار ^(٢) ، فلم يلبث أن استبد وتلقب المعتز ، وبقي حتى مات سنة إحدى وعشرين وثلثمائة قبل موت المهدي .

(١) التميم من "العبر" ج ٦ ص ٣١ يستقيم الكلام .

(٢) في العبر ج ٦ ص ١٣١ "ساور" .

وَوَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ أَبْنُهُ أَبُو الْمُتَنَصِّرِ (مُحَمَّدُ بْنُ الْمُعْتَرِّ) فَأَقَامَ عَشْرًا ثُمَّ هَلَكَ .
 وَوَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ أَبْنُهُ (الْمُتَنَصِّرُ سَمَكُو) شَهْرَيْنِ ، وَدَبَّرَتْهُ جَدَّتُهُ لِصَغَرِهِ .
 ثُمَّ ثَارَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمِّهِ (مُحَمَّدُ بْنُ الْفَتْحِ) بْنُ مَيْمُونِ الْأَمِيرِ وَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ ، وَشُغِلَ عَنْهُ
 بَنُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ بِفِتْنَةِ أَبِي الْعَافِيَةِ وَغَيْرِهَا ، فَدَعَا لِنَفْسِهِ مُمُوًّا بِالِدَعَاءِ
 لِبَنِي الْعَبَّاسِ وَتَلَقَّبَ الشَّاكِرَ اللَّهُ ، وَأَخَذَ بِمَذَاهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَرَفَضَ الْخَارِجِيَّةَ ،
 وَكَانَ جَمِيعُ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ سَلَفِهِ عَلَى رَأْيِ الْأَبَاضِيَّةِ وَالصُّفَرِيَّةِ مِنَ الْخَوَارِجِ ، وَضَرَبَ
 السَّكَّةَ بِاسْمِهِ وَلِقَبِهِ ، وَبَقِيَ كَذَلِكَ حَتَّى فَرَّغَ بَنُو عَبْدِ اللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ ، فَزَحَفَ الْقَائِدُ
 جَوْهَرُ أَيَّامِ الْمُعِزِّ لِدِينِ اللَّهِ مَعَدَّ إِلَى الْمَغْرِبِ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِينَ ، فَغَلِبَ عَلَى
 سِجْلَمَاسَةَ وَمَلَكَهَا وَفَرَّ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَتْحِ عَنْهَا ، ثُمَّ قَبَضَ عَلَيْهِ جَوْهَرُ بَعْدَ ذَلِكَ وَحَمَلَهُ
 إِلَى الْقَيْرَوَانِ . فَلَمَّا آتَتْ قُضُ الْمَغْرِبِ عَلَى الْعَبِيدِيِّينَ وَفُشَّتْ فِيهِ دَعْوَةُ الْأُمَوِيِّينَ
 بِالْأَنْدَلُسِ ، ثَارَ بِسِجْلَمَاسَةَ قَائِمٌ مِنْ وَلَدِ الشَّاكِرِ ، وَتَلَقَّبَ (الْمُتَنَصِّرُ بِاللَّهِ) ثُمَّ وَثَبَ عَلَيْهِ
 أَخُوهُ (أَبُو مُحَمَّدٍ) سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ فَقَتَلَهُ وَقَامَ بِالْأَمْرِ مَكَانَهُ ، وَتَلَقَّبَ (الْمُعْتَرِّ بِاللَّهِ)
 وَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ مَدَّةً ، وَأَمْرٌ مِثْلَاسَةَ يَوْمًا قَدْ تَدَاعَى إِلَى الْإِتِّحَالِ ، وَأَمْرٌ زَنَاتَةً قَدْ
 اسْتَفْجَلُ بِالْمَغْرِبِ إِلَى أَنْ زَحَفَ خَزْرُونَ بْنُ فَلْقُولٍ مِنْ مَلُوكِ مَغْرَاوَةَ إِلَى سِجْلَمَاسَةَ
 سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِينَ وَثَلَاثِينَ ، وَبَرَزَ إِلَيْهِ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُعْتَرِّ فَهَزَمَهُ خَزْرُونَ وَقَتْلَهُ وَاسْتَوْلَى
 عَلَى بَلَدِهِ ، وَبَعَثَ بِرَأْسِهِ إِلَى قُرْطُبَةَ مَعَ كِتَابِهِ بِالْفَتْحِ ، وَكَانَ ذَلِكَ لِأَوَّلِ حِجَابَةِ الْمَنْصُورِ
 ابْنِ أَبِي عَامِرٍ بِقُرْطُبَةَ ، فَعَقَّدَ لَخَزْرُونَ عَلَى سِجْلَمَاسَةَ ، فَأَقَامَ دَعْوَةَ هِشَامٍ فِي نَوَاحِيهَا ،
 فَكَانَتْ أَوَّلَ دَعْوَةٍ أُقِيمَتْ لَهُمْ فِي أَمْصَارِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى ، وَأَنْقَرَضَ أَمْرُ مِثْلَاسَةَ
 مِنَ الْمَغْرِبِ أَجْمَعَ .

وَأَنْتَقَلَتِ الدَّوْلَةُ إِلَى مَغْرَاوَةَ وَبَنَى يَفْرَنْ وَعَقَّدَ هِشَامُ (لَخَزْرُونَ) عَلَى سِجْلَمَاسَةَ
 وَأَعْمَالَهَا ، وَجَاءَهُ عَهْدُ الْخَلِيفَةِ بِذَلِكَ ، وَضَبَطَهَا وَقَامَ بِأَمْرِهَا إِلَى أَنْ هَلَكَ .

فولى أمر سجلماسة من بعده آبنه (وانودين بن خزرون) إلى أن غلب زيرى
 ابن مباد على المغرب ، فعقد على سجلماسة (لحميد بن فضل) المكناسى ، وفر وانودين
 ابن خزرون عنها ، ثم أعاده عبد الملك إلى سجلماسة بعد ذلك على قِطِعة يؤدّيها اليه ،
 ثم استقل بها من أول سنة تسعين وثلاثمائة مقبلا للدعوة الأموية بالأندلس ، ورجع
 المعز بن زيرى بولاية المغرب عن المظفر بن أبى عامر ، واستثنى عليه ولاية سجلماسة
 لكونها بيد وانودين ، واستفحل ملك وانودين ، واستضاف إلى سجلماسة بعض
 أعمال المغرب ومات .

فقام بالأمر من بعده آبنه (مسعود بن وانودين) إلى أن خرج (عبدالله بن ياسين)
 شيخ المرابطين ، فقتل ابن وانودين سنة خمس وأربعين وأربعمائة ، ثم ملك سجلماسة
 بعد ذلك سنة ست وأربعين ، ودخلت في ملك المرابطين لأول أمرهم ، وانقرضت
 دولة بنى خزرون منها ، وتداولها من بعدهم من ملوك الموحدين ، ثم ملوك بنى مرين
 على ما سياتى ذكره في الكلام على ملوك الغرب الأقصى إن شاء الله تعالى .



وأما ما أشتملت عليه هذه المملكة من المدن المشهورة .

فمنها مدينة (آسفى) بفتح الهمزة ومدها وكسر السين المهملة والفاء وياء مثناة تحت
 في آخرها . وهى مدينة واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد :
 حيث الطول سبع درج ، والعرض ثلاثون درجة . قال في "تقويم البلدان" :
 وهى من عمل دكالة ، وهى كورة عظيمة من أعمال مراكش ، قال ابن سعيد :
 وهى على جوف من البحر داخل في البر ، في مستوي من الأرض . وهى فُرْضة مراكش ،
 وبينها وبين مراكش أربعة أيام ، وأرضها كثيرة الحجر ، وليس بها ماء إلا من

(١) ضبطها ياقوت فقال : بفتحتين وكسر الفاء .

المطر، وهاؤها النبع غير عذب، وبساتينها تُسقى على الدواليب، وكرومها على باب البلد. قال الشيخ عبد الواحد: وهي تُشبه حماة ودونها في القدر، ولكن ليس لها نهر يجري.

ومنها (سلا) بفتح السين واللام وفي آخرها ألف، وهي مدينة من الغرب الأقصى في آخر الإقليم الثالث قال ابن سعيد: حيث الطول سبع درج وعشر دقائق [والعرض ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة] ^(١) وهي مدينة قديمة في غربيها البحر المحيط وفي جنوبيها نهر عظيم يصب في البحر المحيط والبساتين والكروم. وبني «عبد المؤمن» أمامها من الشط الجنوبي على النهر والبحر المحيط قصرا عظيما، وبني خاصته حوله المنازل فصارت مدينة عظيمة سماها المهدية. وسلا متوسطة بين بلاد المغرب الأقصى قريبة من الأندلس، وهي مدينة كثيرة الرخاء، ولها معاملة كبيرة يقال لها تامستا، ^(٢) كثيرة الزرع والمرعى، وفيها مدن كثيرة.

ومنها (لمطة) بفتح اللام وسكون الميم وفتح الطاء المهملة. وهي مدينة من الغرب الأقصى واقعة في آخر الإقليم الثاني قال بعضهم: حيث الطول سبع درج وثلاثون دقيقة، والعرض سبع وعشرون درجة، على ثلاث مراحل من البحر المحيط، ولها نهر كبير ينزل من جبل في شرقيها على مرحلتين منها، يجري على جنوبيها غربا بميلة إلى الشمال حتى يصب في البحر المحيط.

ومنها (السوس) بضم السين المهملة وسكون الواو ثم سين ثانية. وهي مدينة من أقصى المغرب في الإقليم الثاني قال ابن سعيد: حيث الطول ثمان درج والعرض

(١) الزيادة عن "التقويم" نقلا عن ابن سعيد.

(٢) في ياقوت "تامست" بناء مشاة من فوق في آخرها.

ست وعشرون درجة وعشرون دقيقة ، وهى على طرف من البر داخل في البحر أربعين ميلا ، وفي جانبها الشمالى نهريأتى من الشرق من جبل لمطة .

ومنها (قصر عبد الكريم) وضبطه معروف . وهى مدينة من الغرب الأقصى فى أوائل الإقليم الرابع قال ابن سعيد : حيثُ الطول ثمان درج وثلاثون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . وهى مدينة على نهر من جهتها الشمالية ، وهو نهر كبير تصعد فيه المراكب من البحر المحيط ، وجانباه مخفوفان بالبساتين والكروم . وكان قاعدة تلك الناحية قبلها مدينة اسمها (البصرة) يسكنها الأدارسة ، فلما عُمِرَت هذه المدينة صارت هى القاعدة .

ومنها (طنجة) بفتح الطاء المهملة وسكون النون وفتح الجيم ثم هاء فى الآخر . وهى مدينة من أقصى المغرب واقعة فى الإقليم الرابع قال ابن سعيد : حيثُ الطول ثمان درج وإحدى وثلاثون دقيقة ، والعرض خمس وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وهى مدينة على بحر الزقاق ، واتساع البحر عندها ثلث مجرى ، فإذا شَرَّقَ عنها اتسع عن ذلك . وهى مدينة أرزية ، وأستحدث أهلها لهم مدينة على ميل منها على ظهر جبل ليمتنعوا بها ، والماء ينساق إليها فى قُبَى . قال فى "مسالك الأبصار" : وكانت دار مُلْك قديم . وهى التى كانت قاعدة تلك الجهات قبل الإسلام إلى حين فتح الأندلس ، وهى محط السفن ، وهى كثيرة القواكه ، لاسيما العنب والكثير ، وأهلها مشهورون بقلّة العقل وضعف الرأى ، على أن منها أبو الحسن الصنهاجى الطنجى ، ترجم له فى قلائد العقيان وأثنى عليه ، وأنشد له أبياتا منها :

وقد تحبى الدروع من العوالى ، * ولا تحبى من الحديق الدروع !

وكذلك أبو عبد الله بن محمد بن أحمد الحضرمي القائل :

وضنوا بتوديع ، وجادوا بتركه ، * وربّ دواء مات منه عليل !

ومنها (دَرْعَة) بفتح الدال وسكون الراء وفتح العين المهملات وهاء في الآخر . وهي مدينة من جنوبى المغرب الأقصى واقعة في الإقليم الثانى . نقل في "تقويم البلدان" عن بعضهم أن طولها إحدى عشرة درجة وست دقائق ، وعرضها خمس وعشرون درجة وعشر دقائق . قال في "نزهة المشتاق" : وهي قُرَى متصلة ، وعمارات متقاربة ، وليست بمدينة يحوط بها سور ولا حفير . ولها نهر مشهور في غربيها ينزل من ربوة حمراء عند جبل درن ، وتنبأت عليه الحنّاء ، ويغوص ما يفضل منه بعد السقى في صحارى تلك البلاد .

ومنها (أَعْمَاتُ) قال في "الباب" : بفتح الألف وسكون الغين المعجمة وفتح الميم وألف وتاء مثناة من فوق في آخرها . وهي مدينة من الغرب الأقصى ، واقعة في الإقليم الثالث . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها إحدى عشرة درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثمان وعشرون درجة وخمسون دقيقة . وهي مدينة قديمة في الجنوب بميلة إلى الشرق عن مراكش ، في مكان أفيح طيب التربة ، كثير النبات والعشب ، والمياه تحترقه يمينا وشمالا . قال ابن سعيد : وهي التي كانت قاعدة ملك أمير المسلمين « يوسف بن تاشفين » قبل بناء مراكش . قال الإدريسي : وحوها جنات مُحَدَّقَة ، وبساتين وأشجار ملتفة ، وهواؤها صحيح ، وفيها نهر ليس بالكبير ، يُسَقُّ المدينة يأتيها من جنوبيها ويخرج من شماليها ، وربما جمد في الشتاء حتى يجتاز عليه الأطفال .

ومنها (تَادِلَا) قال في "تقويم البلدان" عن الشيخ عبد الواحد : بفتح المثناة من فوق ثم ألف ودال مهملة مكسورة ولام ألف . ثم قال : وفي خط ابن سعيد تَادِلَة في آخرها هاء ، وهي مدينة بالمغرب الأقصى في جهة الجنوب في الإقليم الثالث قال ابن سعيد : حيث الطول اثنتا عشرة درجة ، والعرض ثلاثون درجة . قال

أبن سعيد : وهي مدينة بين جبال صنهاجة ، ويقال هي قاعدة صنهاجة ، وغربها جبل درن ممتد إلى البحر المحيط ، وهي بين مراكش وبين أعمال فاس ، ولها عمل جليل ، وأهلها بربر يعرفون بجرأوة .

ومنها (أزمور) قال الشيخ شعيب : بفتح الهمزة والزاي المعجمة وتشديد الميم ثم واو وراء مهمل في الآخر . وهي مدينة على ميلين من البحر أكثر سكانها صنهاجة . ومنها (المزمة) وهي فرضة ببر العدو تقابل فرضة المنكب من بر الأندلس من ساحل غرناطة . والمزمة في الشرق عن سبتة بينهما مائتا ميل .

ومنها (مدينة باديس) وهي فرضة مشهورة من فرض غمارة في الجنوب والشرق عن سبتة بينهما نحو مائة ميل . قال في "تقويم البلدان" : وهي قياسا حيث الطول عشر درج وثلاثون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة وخمسة وعشرون دقيقة .

ومنها (أودغست) قال الشيخ عبد الواحد : بفتح الهمزة وسكون الواو وفتح الدال (١) المهمل والغين المعجمة وسكون السين المهمل وفي آخرها تاء مثناة فوق . وهي مدينة في المغرب الأقصى في الجنوب في الصحراء في الإقليم الثاني قال في "الأطوال" : حيث الطول ثمان درج وثمان دقائق . قال في "القانون" : والعرض ست وعشرون درجة . قال : وهي في براري السودان المغرب . قال في "العزيزي" : وهي جنوبي سجلماسة وبينهما ست وأربعون مرحلة في رمال ومفاوز على مياه معروفة ، ولها أسواق جلييلة ، والسفن تصل إليها في البحر المحيط من كل بلد ، وسكان هذه المدينة أخلاط من البربر المسلمين ، والرياسة فيها لصنهاجة . قال في "العزيزي" : ولأودغست أعمال واسعة ، وهي شديدة الحرارة ، وأمطارها في الصيف ، ويزرعون

(١) ضبطها ياقوت فقال : ثلاث ضمت متواليات وتشديد الميم .

(٢) في المعجم وفتح الدال المعجمة .

عليها الحنطة، والذرة، والدخن، واللوبياء، والكرسنة، وبها النخل الكثير وليس فيها فاكهة سوى التين، وبها شجر الحجاز كله : من السنط والمقل وغيرهما .

قلت : وقد ذكر في "مسالك الأبصار" عدة مدن غير هذه غير مشهورة يطول ذكرها .

الجملة الثالثة

(في ذكر جبالها المشهورة . وهي عدة جبال)

منها (جبل درن) بفتح الدال والراء المهملين ونون في الآخر . قال ابن سعيد : وهو جبل شاهق مشهور لا يزال عليه الثلج . أوله عند البحر المحيط الغربي في أقصى المغرب ، وآخره من جهة الشرق على ثلاث مراحل من إسكندرية من الديار المصرية ، ويسمى طرفه الشرقى المذكور رأس أوثان ، فيكون امتداده نحو خمسين درجة ، وفي غربيه بلاد تينملك من قبائل البربر ، وشرقيها بلاد هنتانة من البربر أيضا وشرقيها بلاد مشكورة منهم ، وشرقيها بلاد المصامدة .

ومنها (جبل كزولة) وهي قبيلة من البربر . قال ابن سعيد : وأبتدأؤه من البحر المحيط الغربي ، ويمتد مشرقا إلى حيث الطول اثنتا عشرة درجة ، وموقعه بين الإقليم الثاني والإقليم الثالث ، وبه مدينة اسمها تاعجست .

ومنها (جبل عمارة) . بضم العين المعجمة وفتح الراء بعد الألف . وهي قبيلة من البربر أيضا ، وهو جبل ببر العدو فيه من الأمم ما لا يخصه إلا الله تعالى ، وهو ركن على البحر الرومي ، فإن بحر الرقاق إذا جاوز سبتة إلى الشرق أعطف جنوبا إلى جبل عمارة المذكورة ، وهناك مدينة باديس المقدم ذكرها .

ومنها (جبل مَدْيُونَة) بفتح الميم وسكون الدال المؤهلة وضم المشاة من تحت وواو ثم نون مفتوحة وهاء في الآخر : وهو جبل ببرَّ العُدوة شرقيَّ مدينة فاس ، يمتد إلى الجنوب حتَّى يتصل بجبال دَرَن ، ومَدْيُونَة قبيلة من البربر واطنون به .

ومنها (جبال مَدَغْرَة) وهى شرقيَّ مَدْيُونَة ، ومعظم أهلها كُومِيَّة - بضم الكاف وكسر الميم وفتح المشاة تحت وهاء في الآخر . وهى قبيلة من البربر ، منها « عبد المؤمن » أحد أصحاب المهديّ بن تومرت .

ومنها (جبل يُسْر) بضم الياء المشاة تحت وسكون السين المهملة . وهو جبل شرقيَّ مَدْيُونَة أيضا منه ينبع نهر يُسْر المذكور .

ومنها (جبل ونَشْرِيش) وهو جبل يتصل بجبل يُسْر من شرقيه ، وفيه تعمل البُسْط الفاتكة ، ومنه ينبع نهر سَلَف المشهور . قال ابن سعيد : وهو نهر كبير يزيد عند نقص الأنهار كنيل مصر .

الجملة الرابعة

(في ذكر أنهارها المشهورة ، وهى عدة أنهار)

منها (نهر السُّوس الأقصى) وهو نهر يأتي من الجنوب والشرق من جبل يُعْرِف بجبل لَمْطَة ، ويجرى إلى الشمال ، ويمر على مدينة السُّوس من شماليها ، ويُزرع على جانبيه قصب السكر والخمّاء وغير ذلك كما يزرع في مصر ، ويجرى حتى يصب في البحر المحيط الغربيّ .

ومنها (نهر سِيَّاهِمَاسَة) ^(١) الآتى ذكرها ، وهو نهر منبته من جنوبيّ سِيَّاهِمَاسَة بمسافة بعيدة ، ويمر من شرقيها ويجرى حتى يصب في نهر مَلَوِيَّة الآتى ذكره .

(١) صوابه كما في القطعة الأثرية المتقدم ذكرها فانها تقدمت في القواعد .

ومنها (نهر ملوية) قال ابن سعيد : وهو نهر كبير مشهور في المغرب الأقصى ،
يصب إليه نهر سجلماسة ويصيران نهرا واحدا ، يجري حتى يصب في بحر الروم
شرقي سبتة .

ومنها (نهر فاس) وهو نهر متوسط يشق مدينة فاس كما تقدم قال في "تقويم البلدان"
ومخرجه على نصف يوم من فاس ، يجري في مروج وأزاهر حتى يدخلها .

المقصد الثاني

(في ذكر زروعها ، وحبوبها ، وفواكهها ، وبقولها ورياحينها ومواشيها ،
ومعاملاتها ، وصفات أهلها . وفيه خمس جمل)

الجملة الأولى

(في ذكر زروعها ، وحبوبها ، وفواكهها ، وبقولها ، ورياحينها)

أما زرعها فعلى المطر كما تقدم في أفريقية .

وأما حبوبها ، ففيها من أنواع الحبوب : القمح ، والشعير ، والفول ، والحمص ،
والعدس ، والدخن ، والسلت وغير ذلك . أما الأرز فإنه عندهم قليل ، بعضه يزرع
في بعض الأماكن من بلاد العدو ، وأكثره مجلوب إليهم من بلاد الفرنج . على أنهم
لأنهم لم يهتموا في أكله ولا عناية به . وبها السحيم على قلة^(١) ، ولا يعتصر منه بالمغرب
شئرج لاستغنائهم عنه بالزيت حتى مزورات الضعفاء وكذلك يعملون الحلوى
بالعسل والزيت ، وإنما يستعمل الشئرج عندهم في الأمور الطبية .

وأما فواكهها ، ففيها أنواع الفواكه المستطابة اللذيذة المختلفة الأنواع : بين
النخل ، والعنب ، والتين ، والرمان ، والزيتون ، والسفرجل ، والتفاح على أصناف

(١) كذا في المسالك أيضا .

(١) وكذلك الكُمثرى ، وتسمى عندهم الإنبجاص كما بدمشق ، وبها المشمش والتين ، والبرقوق ، والقراصيا ، والخوخ ، وغالب ذلك على عدة أنواع ، والتوت على قلة ، والجوز ، واللوز . ولا يوجد بها الفستق والبندق إلا مجلوبا . وبها الأترج ، والليمون ، والليم ، والنارنج ، والزنبوع ، وهو المسمى بمصر والشام الكباد . وبها البطيخ الأصفر والأخضر وأسمه عندهم الدلاع كما في سائر بلاد المغرب على قلة ، والموجود منه غير مستطاب . وبها الحيار ، والقنأ ، والأفت ، والباذنجان ، والقرع ، والجزر ، واللوبيا ، والكرنب ، والشمار ، والصغتر وسائر البقول . والموز موجود بها في بعض المواضع نادرا ، والقلناس لا يزرع عندهم إلا للتفرج على عروقه لا لأن يؤكل ، وبها قصب السكر بجزائر بني مرزغان وبسلا كثير ، ويعصر ثم يعمل منه القند ومن القند السكر على أنواع لاسيما بمراكش ، فإنه يقال إن بها أربعين معصرة للسكر ، وإن حمل حمار من القصب يساوي درهما من دراهمهم : وهو ثلث درهم من الدراهم المصرية ، ويعمل منه المكرر الفائق ، ومع ذلك فليس لهم به اهتمام لا كتفائهم عنه بعسل النحل مع كثرته عندهم ، وميلهم إليه أكثر من السكر ، حتى يقال إنه لا يستعمل السكر عندهم إلا الغرائب أو المرضى .

وأما رباحينها ، فبها الورد ، والبنفسج ، والياسمين ، والآس ، والترجس ، والسوسن ، والبهار ، وغير ذلك .

الجملة الثانية

(في مواشيتها ، ووحوشها ، وطيورها)

أما مواشيتها ، ففيها من الدواب الخيل ، والبغال ، والحُمير ، والإبل ، والبقر ، والغنم ، أما الجاموس فلا يوجد عندهم .

وأما الطير، فيها منه الإوز، والحماس، والدجاج ونحوها؛ والكركي عندهم كثير على
بُعد الدار، وأسمه عندهم الغُرُوق، وهو صيد الملوكة هناك كما بمصر والشام.
وأما وحوشها، ففيها من أنواع الوحش الحمر، والبقر، والنعام، والغزال، والمها
وغير ذلك.

الجملة الثالثة

(فما نتعامل به من الدنانير، والدراهم، والأوزان، والمكاييل)
أما مثاقيل الذهب فأوزانها لا تختلف، وأما الدراهم فذكر في "مسالك الأبصار"
عن السلاحي: أن معاملتها درهمان: درهم كبير، ودرهم صغير، فالدرهم الكبير
قدر ثلث درهم من الدراهم النقرة بمصر والشام، والدرهم الصغير على النصف من
الدرهم الكبير يكون قدر سدس درهم نقرة بمصر والشام. وعند الإطلاق يُراد الدرهم
الصغير دون الدرهم الكبير إلا بمرأ كش وما جاورها، فإنه يُراد بالدرهم عند الإطلاق
الدرهم الكبير. قال: وكل منقال ذهب عندهم يساوي ستين درهما كبارا، تكون
بعشرين درهما من دراهم النقرة بمصر.

وأما رطلها فعلى ما تقدم من رطل أفريقية، وهي كل رطل ست عشرة أوقية،
كل أوقية أحد وعشرون درهما من دراهمها.

وأما يكؤها فأكثره الوسق (ويسعى الصخفة) وهو ستون صاعا بالصاع النبوي
على السواء.

الجملة الرابعة

(في ذكر أسعارها)

قد ذكر في "مسالك الأبصار" عن السلاحي أيضا عن سَعْر زمانه المتوسط في غالب الأوقات ، (وهي الدولة الناصرية محمد بن قلاوون وما قاربها) : أن سعر كل وَسْق من القمح أربعون درهما من الدراهم الصغار : وهو ثلاثة عشر درهما وثلاث درهم من نُقْرَة مصر ، والشعير دُونَ ذلك . وكلُّ رِطْل لحم بدرهم واحد من الدراهم الصغار، وكلُّ طائر من الدجاج بثلاثة دراهم من الصغار، وعلى نحو ذلك .

الجملة الخامسة

(في صفات أهلها في الجملة)

قد تقدّم أن معظم هذه المملكة في الإقليم الثالث . قال ابن سعيد : والإقليم الثالث هو صاحب سَفْك الدماء ، والحسد ، والحقد ، والغِل ، وما يتبع ذلك . ثم قال : وأنا أقول : إن الإقليم الثالث وإن كثرت فيه الأحكام الرّيحِيَّة على زعمهم ، فإن للمغرب الأقصى من ذلك الخطّ الوافر ، لاسيّما في جهة الشّوس وجبال درن ، فإن قتل الإنسان عندهم كذب العصفور ، قال وكَمْ قَتِيل قُتِلَ عندهم على كلمة وهم بالقتل يَنْتَحِرُونَ . ثم قال : إن الغالب على أهل المغرب الأقصى كثرة التناؤس المفرط ، والمحاقمة ، وقلة التعاضى ، والتهوّر ، والمفاتنة .

أما البُخل فإنما هو في أراذلهم ، بخلاف الأغنياء ، فإن في كثير منهم السّاحة المفرطة والمفاخرة بإطعام الطعام والأعتناء بالمفضول والفاضل .

المقصود الثالث

(في ذكر ملوكها، وما يندرج تحت ذلك : من انتقال الملك من الموحدين إلى بنى مَرِينٍ والتعريف بالسلطان أبي الحسن الذي أشار إليه في كلامه في "التعريف". وهم على طبقات)

الطبقة الأولى

(ملوكها قبل الإسلام)

قد تقدم أن بلاد المغرب كلها كانت مع البربر، ثم غلبهم الروم الكيتم عليها ثم أفتتحوا قرطاجنة وملكوها، ووقع بين البربر والروم فتن كثيرة كان آخرها أن وقع الصلح بينهم على أن تكون البلاد والمدن الساحلية للروم، والجبال والصحارى للبربر، ثم زاحم القرطبي الروم في البلاد، وجاء الإسلام والمستول على ملوك القرطبة جرجيس ملكهم، وكان ملكه متصلاً من طرابلس إلى البحر المحيط، وكريسي ملكه بمدينة سيطة، ومن يده أترعها المسلمون عند الفتح .

الطبقة الثانية

(نواب الخلفاء من بنى أمية وبنى العباس)

كان كريسي المنكة بعد الفتح بأفريقية، وكان نواب الخلفاء يقيمون بها وينزلون القيروان، وكانوا يؤثرون على ما فتح من بلاد المغرب من تحت أيديهم . فبقى الأمر على ذلك أيام عبد الله بن أبي سرح، الذي أفتحها في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم أيام معاوية بن صالح، ثم أيام عقبة بن نافع، ثم أيام أبي المهاجر، ثم أيام عقبة بن نافع ثانياً، ثم أيام زهير بن قيس، ثم أيام حسان بن النعمان، ثم أيام

موتى بن نصير، ثم أيام محمد بن يزيد، ثم أيام إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر،
ثم أيام يزيد بن أبي مسلم، ثم أيام بشر بن صفوان الكلبي، ثم أيام عبيد بن
عبد الرحمن السلمي، ثم أيام عبد الله بن الحبحاب، ثم أيام كلثوم بن عياض،
ثم أيام حنظلة بن صفوان، ثم أيام عبد الرحمن بن حبيب، ثم أيام حبيب بن
عبد الرحمن، ثم أيام عبد الملك بن أبي الجعد، ثم أيام عبد الأعلى بن السّمح المعافري،
ثم أيام محمد بن الأشعث، ثم أيام الأغلب بن سالم، ثم أيام عمرو بن حفص،
ثم أيام يزيد بن حاتم بن قبيصة، ثم أيام روح بن حاتم، ثم أيام الفضل بن روح،
ثم أيام هرثمة بن أعين، ثم أيام محمد بن مقاتل، ثم أيام إبراهيم بن الأغلب،
ممن تقدم ذكره في ملوك أفريقية في خلافة هارون الرشيد. وفي أيامه ظهرت دعوة
الأدارسة الآتي ذكرهم بعد هذه الطبقة. وسيأتي بسط القول فيهم بعض البسط
في الكلام على مكتبة صاحب تونس.

الطبقة الثالثة

الأدارسة

(بنو إدريس الأكبر، بن حسن المثلث، بن حسن المثنى، بن الحسن
السيط، بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم)

وكان مبدأ أمرهم أنه لما خرج حسين بن علي بن حسن المثلث بمكة سنة سبعين
ومائة أيام الهادي واجتمع عليه قرابته وفيهم عمه إدريس وقتل الحسين، فتر إدريس
ولحق بالمغرب، وصار إلى مدينة ويلي من المغرب الأقصى، فاجتمع إليه قبائل
البربر وبايعوه وفتح أكثر البلاد، وبقي حتى مات سنة خمس وسبعين ومائة،
وأقاموا الدعوة بعده لابنه إدريس الأصغر.

وكان أبوه قد مات وترك أمّه حاملاً به فكفلوه حتى شبّ ، فبايعوه سنة ثمانٍ
وثمانين ومائة ، وهو ابن إحدى عشرة سنة ، وأفتتح جميع بلاد المغرب وكثّر عسكره ،
وضاقت عليهم ولبلى فاخطّ لهم مدينة فاس سنة ثنتين وتسعين ومائة على ما تقدم
وأنقل إليهما ، واستقام له الأمر وأستولى على أكثر بلاد البربر ، وأقطع دعوة
العباسيين ، ومات سنة ثلاث عشرة ومائتين .

وقام بالأمر بعده ابنه (محمد بن إدريس) ومات سنة إحدى وعشرين ومائتين
بعد أن استخلف في مرضه ولده (عليشا بن محمد) وهو ابن تسع سنين ، ومات سنة
أربع وثلاثين ومائتين لثلاث عشرة سنة من ولايته .

وكان قد عهد لأخيه (يحيى بن محمد) فقام بالأمر بعده ومات .

فولى مكانه ابنه (يحيى بن يحيى) ثم مات فاستدعوا ابن عمه (على بن عمر) بن
إدريس الأصغر فبايعوه بفاس ، وأستولى على جميع أعمال المغرب ، وقتل سنة ثنتين
وتسعين ومائتين .

وقام بالأمر بعده (يحيى بن إدريس) بن عمر ، بن إدريس الأصغر ، وملك جميع
المغرب وخطب له على منابر ، وبقي حتى وافته جيوش عبيد الله المهديّ الفاطميّ ،
فغلبوه على ملكه وخلع نفسه من الأمر وأنفذ بيعته إلى المهديّ سنة خمس وثلاثمائة
وأستقرّ عاملاً للمهديّ على فاس وعملها خاصّة ، وبقيّة المغرب بيد مويّ بن أبي
العافية كما سيأتي .

الطبقة الرابعة

(ملوك بني أبي العافية من مكناسة)

كانت مكناسة من قبائل البربر لأول الفتح بنواحي (١) من أوساط المغرب الأقصى والأوسط وكانوا يرجعون في رياستهم إلى بني أبي باسل بن أبي الضحّاك وكانت الرياسة في المائة الثالثة لمصالة - بن حيوس ، بن منازل ، بن أبي الضحّاك ، ابن يزول ، بن تافرسين ، بن فراديس ، بن ونيف ، بن مكناس ، بن ورصطف ، بن يحيى ، بن تمصيت ، بن ضريس ، بن رجيك ، بن مادغش ، بن بربر - ، وموسى بن أبي العافية ، بن أبي باسل ، بن أبي الضحّاك المتقدم ذكره .

ولما استولى عبيد الله المهديّ على المغرب صار مصالة بن حيوس من أكبر قواده وولاه مدينة تاهرت والغرب الأوسط .

ولما زحف مصالة إلى المغرب الأقصى سنة خمس وثلاثمائة واستولى على ناس ثم على سجلماسة واستنزل يحيى بن إدريس بناس إلى طاعة عبيد الله المهديّ وأبقاه أميراً على فاس على ماتقدم ، عقد لابن عمه موسى بن أبي العافية أمير مكناسة على سائر ضواحي المغرب وأمصاره مضافة إلى عمله من قبل : تسول وتازا وماعهما وقفل مصالة إلى القيروان .

فقام موسى بن أبي العافية بأمر المغرب ، وعاود مصالة غزو المغرب سنة تسع وثلاثمائة : أغراه موسى بن أبي العافية يحيى بن إدريس ، فقبض عليه وأخذ ماله وطرده ، فلحق بني عمه بالبصرة والريف ، وولى مصالة مكانه على فاس ريحاناً الكُمامي وقفل إلى القيروان فمات ، وعظم ملك موسى بن أبي العافية بالمغرب .

(١) لعله بنواحي تازا وغيرها من أوساط الخ وفي "العبر ج ٦ ص ١٣٤" بنواحي تازا وتسول والكل يرجعون إلخ .

ثم ثار بفاس سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة (الحسن بن محمد) بن القاسم ، بن إدريس الملقب بالحجّام ، ودخل فاس على حين غفلة من أهلها وقتل ريجاناً واليها ، واجتمع الناس على بيعته ، ثم خرج لقتال ابن أبي العافية والتقوا ، فهلك جماعة من مكّاسة ثم كانت الغلبة لهم . ورجع الحسن مهزوماً إلى فاس فغدر به عامله على عدوة القرويين : حامد بن حمدان الهمداني . فقبض عليه واعتقله وأمكن ابن أبي العافية من البلد ، وزحف إلى عدوة الأندلسيين فملكها وقتل عاملها ، وولى مكانه أخاه محمداً ، وأستولى ابن أبي العافية على فاس وجميع المغرب وأجلى الأدارسة عنه .

ثم استخاف على المغرب الأقصى ابنه (مدين) وأنزله بعدوة القرويين ، وأستعمل على عدوة الأندلسيين طوال بن أبي زيد ، وعزل عنه محمد بن ثعلبة . ونهض إلى تلمسان سنة تسع عشرة وثلاثمائة فملكها ، وغلب عليها صاحبها الحسن بن أبي العيش ابن عيسى ، بن إدريس ، بن محمد ، بن سليمان : من عقب سليمان بن عبد الله : أخى إدريس الأكبر الداخل إلى المغرب بعده ، ورجع بعد فتحها إلى فاس وخرج عن طاعة العبيدين ، وخطب للناصر الأموي خليفة الأندلس على منابر عمله ، فبعث عبيد الله المهدي قائده حميداً المكاسي ابن أخى مصاله إلى فاس ، ففر عنه مدين ابن موسى بن أبي العافية إلى أبيه فدخلها حميد ، ثم أستعمل عليها حامد بن حمدان ورجع إلى أفريقية ، وقد دوخ المغرب .

ثم أنتفض أهل المغرب على العبيدين بعد مهلك عبيد الله ، وثار (أحمد بن بكر) بن عبد الرحمن بن سهل الجُدّامي على حامد بن حمدان عامل فاس ، فقتله وبعث برأسه إلى موسى بن أبي العافية ، فبعث به إلى الناصر الأموي بالأندلس وأستولى على المغرب ، وزحف (ميسور الحصى) قائد أبي القاسم بن عبيد الله المهدي سنة ثلاث

(١) كذا في القطعة الأزهرية أيضاً وفي العبرج ٦ ص ١٣٥ طول بن أبي يزيد وهو تصحيف .

وعشرين وثلاثمائة إلى فاس وحاصرها فأحجم ابن أبي العافية عن لقاءه ، وأستزل ميسور أحمد بن بكر عاملها وقبض عليه وبعث به إلى المهديّة .

ثم خرج أهل فاس عن طاعته ، وقدموا على أنفسهم (حسن بن قاسم اللواتي) ، ثم حاصروهم ميسور فدخلوا تحت طاعته ، وأشترطوا على أنفسهم الإتاوة ، فقَبِلَ ميسور ذلك منهم ، وأقر حسن بن قاسم على ولايته بفاس ، وأرتحل إلى حرب ابن أبي العافية ، فكانت بينهم حروب آخردا أن ظهر ميسور على ابن أبي العافية ، وأجلده عن أعمال المغرب إلى بلاد الصَّحراء ، ثم قفل ميسور إلى القيروان سنة أربع وعشرين وثلاثمائة . ورجع موسى بن أبي العافية من الصَّحراء إلى أعماله بالمغرب ، وزحف إلى تلمسان ، ففر عنها أبو العيش ولحق بتكور ، وأستفحل أمر ابن أبي العافية بالمغرب الأقصى وأتصل عمله بعمل محمد بن خزر ملك مغراوة وصاحب المغرب الأوسط ، وبثوا دعوة الأمويّة في أعمالها ، وبعث ابنه مدين إلى منازلة فاس فحاصرها ، وهلك موسى في خلال ذلك سنة سبع وعشرين وثلاثمائة .

وقام ابنه (مدين) بأمره ، وعقد له الناصر الأموي على أعمال أبيه بالمغرب ، ثم قسم أعماله بينه وبين أخويه البوري وأبي منقذ ، وأجاز البوري إلى الناصر بالأندلس سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة فعقد له ثم هلك سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وهو محاصر لأخيه مدين بفاس ، فعقد الناصر لابنه (منصور) على عمله .

ثم توفّي مدين ، فعقد الناصر لأخيه أبي منقذ على عمله ، ثم غلب مغراوة على فاس وأعمالها ، وأستفحل أمرهم بالمغرب ، وأزاحوا مكاسة عن ضواحيه وأعماله ، وأجاز إسماعيل بن البوري ومحمد بن عبدالله بن مدين إلى الأندلس ، ففترلا بها إلى أن أجازوا مع واضح أيام المنصور بن أبي عامر عند ما خرج زيري بن عطية عن طاعتهم سنة ست وثمانين وثلاثمائة .

الطبقة الخامسة

(بنو زيري بن عطية من مغراوة من البربر)

وهو زيري بن عطية، بن عبدالله، بن خزر، بن محمد، بن خزر، بن حفص،
 ابن صولات، بن رومان، من بطون زناتة من البربر. وكان أولية أمره أن زيري
 هذا كان أمير بني خزر في وقته، وآنهت إليه رياستهم وإمارتهم في البداوة.
 ولما غلب بلكين بن زيري الصنهاجي صاحب أفريقية وقومه صنهاجة على المغرب
 الأوسط سنة تسع وستين وثلاثمائة وأجلوا عنه مغراوة الذين كانوا به من تقادم السنين
 وصار المغرب الأوسط جميعه لصنهاجة، لحق مغراوة فيمن بقي من بني خزر، بالمغرب
 الأقصى، وأمرأهم يومئذ محمد بن الخير، ومقاتل وزيري أبنا عطية بن عبد الله،
 وخزرون بن فلنول، ووصلوا إلى سبتة وأميرهم المنصور بن أبي عامر حاجب^(١).

وبعث العزيز بن زرار العبيدي من مصر الحسن بن كنون من الأدارسة لاسترجاع
 ملكه بالمغرب، فبعث المنصور لحربه أبا الحكم عمرو بن عبد الله بن أبي عامر
 الملقب بعسكلاجة سنة خمس وسبعين وثلاثمائة، وأنحاش إليه زيري بن عطية ومن
 معه من بني خزر في جموع مغراوة، وزحفوا إلى الحسن بن كنون حتى ألبسوه إلى
 الطاعة، ثم أنصرف أبو الحكم بن أبي عامر إلى الأندلس، فعقد المنصور بن
 أبي عامر على المغرب الأقصى للوزير (حسن بن أحمد) بن عبد الودود السلمي،
 وأنفذه إليه سنة ست وسبعين وثلاثمائة، وأوصاه بملوك مغراوة خصوصاً زيري،
 فسار الحسن بن أحمد حتى نزل بفاس وضبط أعمال المغرب. ومات مقاتل بن
 عطية سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة، وأستقل أخوه زيري بن عطية برياسة مغراوة،
 وبقي الحسن بن أحمد إلى أن قتل في بعض الحروب سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة،

(١) لعله حاجب هشام بن عبد الملك خليفة الأندلس كاسياني وهو كذلك في القطعة الأزهريّة على تصليح.

وبلغ الخبر المنصور بن أبي عامر فعقد على المغرب (الزيري بن عطية) المذكور، وكتب إليه بعهدده وأمره بضبط المغرب، فاستفحل ملكه وغلب على تلمسان، فملكها من يد أبي البهار الصنهاجي، وبعث بالفتح إلى المنصور بن أبي عامر بخدد له العهد، وأختط مدينة (وجدة) سنة أربع وثمانين، وأنزل بها عساكره.

ثم فسد ما بين المنصور بن أبي عامر وبين زيري بن عطية، فعقد المنصور لمولاه واضح على المغرب، وعلى حرب زيري بن عطية، وجهزه إليه في عساكره، ثم أتبعه المنصور أبنته المظفر عبد الملك فأجتمعا على زيري بن عطية، ودارت بينهم الحرب فكانت الهزيمة على زيري وجرح في المعركة وفتر إلى فاس فأمتنع عليه أهلها، فأحرق بالصحراء جريحاً، وكتب عبد الملك بن المنصور بالفتح إلى أبيه فاستبشر به وكتب إلى أبنته (عبد الملك) بعهدده على المغرب.

وكان زيري بن عطية لما فر إلى الصحراء صرف وجهه إلى حرب صنهاجة بالمغرب الأوسط فقصدته وفتح تاهرت وتلمسان وأعمالهما، وأقام الدعوة فيها لهشام ابن عبد الملك خليفة الأندلس وحاجبه المنصور من بعده، وبقي على ذلك حتى مات سنة إحدى وتسعين وثلثمائة.

وبويع من بعده أبنته (المعز بن زيري) بجري على سنن أبيه من الدعاء لهشام بن عبد الملك والمنصور من بعده، ومات المنصور في خلال ذلك.

وقام بأمره من بعده أبنته المظفر (عبد الملك) وبعث المعز بن زيري يرغب إلى المظفر في عمل فاس والمغرب الأقصى فأجابته إلى ذلك، وكتب له عهدده بذلك، خلا سجدته^(١) فإنها كانت بيد خزرون، وبقي المعز في ولايته إلى أن هلك سنة سبع عشرة وأربعمائة.

(١) الذي في العبرج ٧ ص ٣٤ أنها كانت بيد واندن بن خزرون.

وولى من بعده ابن عمه (حماسة) بن المعز بن طيبة وأستفحل ملكه ، ثم نازعه الأمير أبو الكمال (تميم بن زيري) بن يعلى اليفرنى سنة أربع وعشرين وأربعمائة ، وأستقل بملك المغرب وبقى حتى مات سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة .

وولى من بعده ابنه (دوناس) المعروف بأبي العطاء ، وأستولى على فاس وسائر عمل أبيه ، فاستقامت دولته ، وأحتفل بعمارة فاس وأدار السور على أرباضها ، وبني بها المصانع ، والحمامات ، والقنادق ، وبقى حتى مات سنة إحدى وخمسين وأربعمائة .

وولى من بعده ابنه (الفتوح بن دوناس) ونازعه أخوه الأصغر عجيسة وأستولى على عدوة القرويين من فاس ، وبقى الفتوح بعدة الأندلسيين ، وأفترق أمرهما ووقعت الحرب بينهما ، وآبى الفتوح بعدة الأندلسيين (باب الفتوح) المعروف به إلى الآن ، وآبى عجيسة بعدة القرويين (باب الجيسة) المعروف به إلى الآن ، وحذفت العين منه لكثرة دَوْرانه على الألسنة ، وبقى الأمر على ذلك حتى ظفر الفتوح بأخيه عجيسة ، وقتله سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ، وداهم المغرب على إثر ذلك مادهم من أمر المرابطين من لمتونة ، وخشى الفتوح عاقبة أمرهم ، فرحل عن فاس وتركها .

وزحف صاحب القلعة (المكين) بن محمد بن حماد إلى المغرب سنة أربع وخمسين ، فدخل فاس وأستقر بها بعض أشرافهم على الطائفة ورجع إلى عمله ، وولى على المغرب بعد الفتوح (معتصر) بن حماد ، بن معتصر ، بن المعز ، بن زيري .

وزحف (يوسف بن تاشفين) إلى فاس فملكها صلحا سنة خمس وخمسين وأربعمائة وألب عليها دامله ، وأرتحل إلى غمارة فخالفه معتصر إلى فاس وملكها

وقتل العامل ومن معه من لَمْتُونَةَ ، وبلغ الخبرُ يوسفَ بن تاشفين فأرسل العساكر إلى فاس وحاصرها ، وخرج منتصر للقاء عساكره ، فكانت الدائرةُ عليه وقُتل في المعركة سنة ستين وأربعمائة .

وباع أهل فاس من بعده ابنه (تميم بن معتصر) فكانت أيام حصار وفتنةٍ وشدةٍ وغلاء .

ولما فرغ يوسف بن تاشفين من أمر غمارة سنة ثنتين وستين وأربعمائة قصد فاس فحاصرها أياماً ثم أفتتحها عنوة وقتل بها نحو ثلاثة آلاف من مغراوة وبنى يفرن ومكناسة وقبائل زناتة وهلك تميم بن مُعْتَصِر في حملتهم . وأمر يوسف بن تاشفين بهدم الأسوار التي كانت فاصلةً بين العدوتين وصيرهما مصرا واحداً وأدار عليهما سوراً واحداً ، وفر من خَلَص من القتل من مغراوة من فاس إلى تِلِمْسَان^(١) ، وأنقرض ملكهم من الغرب الأقصى ، وتصاريف الأمور بيد الله تعالى .

الطبقة السادسة

(المرابطون من الملتئمين من البربر)

كان الملتئمون من البربر من صنهاجة قبل الفتح الإسلامي متوطنين في القفار وراء رمال الصحراء : ما بين بلاد البربر وبلاد السودان ، في جملة قبائل صنهاجة على دين الجوسية ، قد اتخذوا التثام شعاراً يميز بينهم وبين غيرهم من الأمم ، والرياسة فيهم يومئذٍ للَمْتُونَةِ ، ولم يزالوا على ذلك إلى أن كان فتح الأندلس واستمر ملكهم أيام عبد الرحمن أول خلفاء بني أمية بالأندلس .

(١) في الاصل من تلمسان إلى فاس وهو خطأ من النسخ والتصحيح من "العبرج ٧ ص ٣٦"

قال ابن أبي زرع : أول من ملك الصحراء من لمتونة (يتلوان) وكان يركب في ألف نجيب وتوفي سنة اثنتين وعشرين ومائتين .

وملك بعده (يلبان) نقام بأمرهم وتوفي سنة سبع وثمانين ومائتين .

وقام بأمرهم بعده ابنه (تميم) إلى سنة ست وثلاثمائة وقتله صنهاجة .

ثم أفرق أمرهم بعد تميم مائة وعشرين سنة إلى أن قام فيهم (أبو عبد الله بن سيفاوت) المعروف بتادشت اللمتوني ، وحج ومات لثلاثة أعوام من رياسته عليهم .

وقام بأمرهم صهره (يحيى بن إبراهيم) فخرج في سني أربعين وأربعمائة ، وعاد وصحبته عبد الله بن ياسين الخزولي ليعلمهم الدين ، فلما مات يحيى بن إبراهيم أطرحوا عبد الله بن ياسين وأستعصوا عليه وتركوا الأخذ بقوله فاعتزلهم ، ثم اجتمع عليه رجال من لمتونة فخرج فيهم وقاتل من أستعصى عليه منهم حتى أنابوا إلى الحق وسمّاهم " المرابطين " وجعل أمرهم في الحرب إلى الأمير يحيى بن عمر ، بن واركوت ، بن ورثطق ، بن المنصور ، بن مرصالة ، بن منصور ، بن فرصالة ، بن أميت ، بن راتمال ، بن تلميت ، وهو لمتونة ، فافتتحوا درعة وبيلماسة ، وأستعملوا عليها منهم ، وعادوا إلى الصحراء ، وهلك يحيى بن عمر سنة سبع وأربعين وأربعمائة .

وولي مكانة أخوه (أبو بكر بن عمر) ثم أفتتحوا بلاد الشوس سنة ثمان وأربعين ثم مدينة أعماث سنة تسع وأربعين ، ثم بلاد المصامدة وجبال درن سنة خمسين ، ثم أستشهد عبد الله بن ياسين في بعض الغزوات سنة خمسين ، وأستمر أبو بكر بن عمر في إمارة قومه ، وأفتتح مدينة آوالة سنة ثنتين وخمسين ، ثم أرتحل إلى الصحراء لجهاد السودان وأستعمل على المغرب ابن عمه (يوسف بن تاشفين) بن إبراهيم ابن واركوت ، فسار يوسف في عسكره من المرابطين ودوخ أقطار المغرب ، وأختط مدينة مراكش سنة أربع وخمسين .

ثم أترع جبال زناتة بالمغرب من أيديهم ، ثم أفتح ناس صلحا سنة خمس وخمسين
ثم استعيدت بعد فتحها ، ثم فتحها عنوة سنة اثنتين وستين وأربعمائة ، وأمر بهدم
الأسوار التي كانت فاصلة بين عدوتي القرويين والأندلسيين وصيرهما مصرا واحدا ،
ثم أفتح بعد ذلك مدينة تلمسان وأستولى على الغرب الأقصى والغرب الأوسط ،
ثم صار إلى الأندلس وأستولى على أكثر ممالكها كما سيأتي في ذكر مكتبة صاحب
الأندلس ، ثم توفي يوسف بن تاشفين على رأس المائة الخامسة .

وقام بالأمر بعده ابنه (علي بن يوسف) فاستولى على ما كان بيد أبيه من
العدوتين ، وسار فيهم بأحسن السيرة . ولأربع عشرة سنة من ولايته كان ظهور
المهدي بن تومرت صاحب دولة الموحدين . ومات علي بن يوسف سنة سبع
وثلاثين ، وقد ضعفت كلمة المرابطين بالأندلس لظهور الموحدين .

وقام بالأمر بعده ولده (تاشفين بن علي) وأخذ بطاعته وبيعته أهل المدوتين ،
وقد استفحل أمر الموحدين وعظم شأنهم ، ونزل تلمسان فقصده الموحدون ،
ففر إلى وهران وأتبعه الموحدون ، ففقد سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ، وأستولى
الموحدون على الغرب الأوسط .

ثم بويع بمرّاكش (إبراهيم بن تاشفين) ، بن علي ، بن يوسف بن تاشفين ،
فألنوه عاجرا فخلعوه .

وولى مكانه عمه (إسحاق بن علي) بن يوسف بن تاشفين ، وقد ملك الموحدون
جميع بلاد المغرب وقصدوه في مرّاكش ، فخرج إليهم في خاصته فقتلوه ، وأجاز
عبد المؤمن والموحدون إلى الأندلس ، فملكوه سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ، وفر
أمراء المرابطين في كل وجه .

الطبقة السابعة

(ملوك الموحدين)

كان أول أمرهم أن المهدي محمد بن تومرت، كان إماما متضلعا بالعلوم، قد حج^(١) ودخل العراق واجتمع بأئمة من العلماء والنظار، كالغزالي [والشافعي الهراسي] وغيرهما، وأخذ بمذهب الأشعرية أهل السنة، ورجع إلى الغرب وأهله يومئذ على مذهب أهل الظاهر في منع التأويل، فاجتمع إليه قبائل المصامدة من البربر وجعل يثبت فيهم عقائد الأشعرية، وينهى عن الجمود على الظاهر، وسمى أتباعه الموحدين، تعريضا بتكفير القائلين بالتجسيم الذي يؤدي إليه الوقوف على الظاهر.

وكان الكهان يتحدثون بظهور دولة بالمغرب لأمة من البربر، وصرفوا القول في ذلك إليه، ودعا المصامدة إلى بيعته على التوحيد وقتال المجسمين سنة خمس عشرة وخمسمائة فبايعوه على ذلك.

ولما اكملت بيعته لقبوه المهدي، وكان قبل ذلك يلقب الإمام، وأخذوا في قتال المرابطين من لمتونة حتى استقاموا على الطاعة. وتوفي المهدي سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة.

وقام بالأمر بعده (عبد المؤمن) بن علي بعهدده إليه. فكان من أمره ما تقدم من استيلائه على العدوتين وأتقراض ملك المرابطين بهما. وكان ذلك من سنة أربع وثلاثين وخمسمائة إلى سنة إحدى وأربعين. ثم صرف همه إلى بجاية وأفريقية فافتتحهما، واستخلص المهدية والبلاد الساحلية التي كانت النصارى قد استولوا عليها من أيديهم واستولوا على سائر بلاد أفريقية، وعاد إلى الغرب في سنة ست وخمسين وخمسمائة. وتوفي بسلا من الغرب الأقصى في جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين.

(١) بياض الأصل، والتصحيح عن تاريخ ابن الأثير وهو كذلك في القطعة الازهرية.

وبويع بعده ابنه أبو يعقوب (يوسف بن عبد المؤمن) فاستولى على ما كان بيد أبيه من العدووين وأفريقية ، واشتغل بإصلاح الممالك وجهاد العدو، وأجاز إلى الأندلس لجهاد النصارى ، وقُتل في بعض غزواته فيه بسهم أصابه . وقيل مريض فمات سنة ثمانين وخمسمائة .

وبويع ابنه (يعقوب بن يوسف) بإشبيلية عقب وفاته وتلقب بالمنصور، فاستولى على ما كان بيد أبيه من الممالك إلى الأندلس ، وكان له مع العدو وقائع ، ومريض بالأندلس فمات سنة خمس وتسعين وخمسمائة .

وبويع ابنه (محمد) ولي عهده وتلقب الناصر لدين الله ، ورجع إلى بلاد المغرب . وفي أيامه ثار (ابن غانية) على أفريقية وتغلب عليها ، وولى أبا محمد ابن الشيخ أبي حفص عليها ، فاستقرت بها قدم بنيها إلى الآن ، وأجاز إلى الأندلس ونزل إشبيلية ، والتقى مع العدو في صفر سنة تسع وستمائة ، وأبطل المسلمون في ذلك اليوم ورجع إلى مراکش فمات في شعبان من السنة المذكورة .

وبويع ابنه (يوسف بن محمد) سنة إحدى عشرة وستمائة ، وهو ابن ست عشرة سنة ، وتلقب المستنصر بالله ، وتأخر أبو محمد ابن الشيخ أبي حفص عن بيعته لصغر سنه ، وغلب عليه مشيخة الموحدين فقاموا بأمره . وبقي المستنصر حتى مات يوم ^(١) الأضحى سنة ست وعشرين وستمائة .

وبويع بعده أبو محمد (عبد الواحد بن يوسف) بن عبد المؤمن ، وهو أخو المنصور ويعرف (بالمخلوع) . وكان والي المرسية من الأندلس أبو محمد عبد الله بن يعقوب ابن المنصور ، بن يوسف ، بن عبد المؤمن . فثار بالأندلس ودعا لنفسه وتلقب

(١) في العبرج ٦ ص ٢٥١ يوم الاضحى من سنة عشرين وستمائة وهو الصواب .

(العدل) . وأتصل الخبر بمراكش فاضطرب الموحدون على (المخلوع) وبعثوا ببيعهم إلى العدل بالأندلس ، وبادر العدل إلى مراكش فدخلها وبقي حتى قُتل بها أيام الفطر سنة أربع وعشرين وستمائة .

وكان أخوه (إدريس بن المنصور) بإشبيلية من الأندلس فدعا لنفسه وبويع وبعث الموحدون ببيعهم إليه ، ثم قصد مراكش فهلك في طريقه بوادي أم ربيع مُفتَحَ سنة ثلاثين وستمائة ، وتغلب ابن هود على سبته .

وبويع بعده ابنه (المأمون عبد الواحد بن إدريس) فلقب الرشيد ، ودخل إلى مراكش فبايعوه ، وبقي حتى توفي سنة أربعين وستمائة .

وبويع بعده أخوه (أبو الحسن علي السعيد) ولقب المعتضد بالله ، وقام بالأمر ثم سار إلى تلمسان فكان بها مهلكة على يد بني عبدالوادر في صفر سنة ست وأربعين وستمائة ، وكان فيها استيلاء النصارى على إشبيلية .

ثم اجتمع الموحدون على بيعة (أبي حفص) عمر بن أبي إسحاق بن يوسف ، ابن عبد المؤمن ، فبايعوه ولقب (المرتضى) وكان بسلا فقدم إلى مراكش . وفي أيامه استولى أبو يحيى بن عبد الحق المريني جد السلطان أبي الحسن على مدينة فاس سنة سبع وأربعين وستمائة ، وأستبد العزفي بسبته .

ثم انتقض على المرتضى قائد حروبه (أبو العلاء) الملقب بأبي دبوس ، بن أبي عبد الله محمد ، بن أبي حفص ، بن عبد المؤمن ، ففر منه واجتمع عليه جموع من الموحدين وقصد مراكش وبها المرتضى فغلبه عليها ، وألتقيا وفر المرتضى إلى أزمور

(١) لقب في العبر بالمأمون .

(٢) صوابه ابنه عبد الواحد فإن المأمون لقب أبيه إدريس كما في العبر وغيره .

فقبض عليه واليها وأعتقله إلى أن ورد أمر [أبي دبوس] ^(١) بقتله فقتله ، وأستقل أبو دبوس بالأمر وتلقب (الواثق بالله) والمعتمد على الله .

ثم جمع يعقوب بن عبد الحق وقصد مراكش فخرج إليه أبو دبوس ، فكانت الهزيمة على أبي دبوس ، ففر هارباً فأدرك وقتل ، ودخل يعقوب بن عبد الحق مراكش وملكها سنة ثمان وستين وستمائة ، وفر مشيخة الموحدين إلى معاقليهم بعد أن كانوا بايعوا عبد الواحد بن أبي دبوس ولقبوه المعتصم ، فأقام خمسة أيام ، وخرج في حملتهم ، وأنقرض أمر بني عبد المؤمن ، ولم يبق للموحدين ملك إلا بأفريقية لبني أبي حفص على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

الطبقة الثامنة

(٢)

(ملوك بني عبد الحق من بني مرسين ، القائمون بها إلى الآن)

وهو عبد الحق بن محيو ، بن أبي بكر ، بن حمامة ، بن محمد ، بن ورزير ، بن فگوس ، بن كوماط ، بن مرسين ، بن ورتاجن ، بن ماخوخ ، بن جديح ، بن فاتن ، ابن بدر ، بن نجفت ، بن عبد الله ، بن ورتييص ، بن المعز ، بن إبراهيم ، بن رجيك ، ابن واشين ، بن بصلتن ، بن مشد ، بن إيك ، بن ورسيك ، بن أديدت ، بن جانا ، وهوزناته .

كانت منازل بني مرسين ما بين فيكيك إلى صا وملويه ، وكانت الرياسة فيهم (لحمدا) ابن ورزير بن فگوس .

(١) في الاصل المرتضى وهو خطأ .

(٢) هو بوزن أميركا ضبطه السيد مرتضى في كتابه "تاج العروس" في مادة م ر ن .

ولما هلك محمد قام بأمره من بعده آبنه (حمامة) ثم من بعده أخوه (عسكر)
ولما هلك قام برياسته فيهم آبنه (المخضب) فلم يزل أميراً عليهم إلى أن قُتل في حرب
الموحدين في سنة أربعين وخمسة .

وقام بأمرهم من بعده (أبو بكر آبن عمه حمامة بن محمد) وبقي حتى هلك .
فقام من بعده آبنه (محيو) ولم يزل حتى أصابته جراحة في بعض الحروب ،
وهو في عداد المنصور بن عبد المؤمن ، هلك منها بعد مَرَجْعِهِ إلى الزَّاب سنة إحدى
وتسعين وخمسة .

وقام برياسته آبنه (عبد الحق بن محيو) وكان أكبر أولاده ، وهو الذي تنسب
إليه ملوك فاس الآن . فأحسن السير في إمارته إلى أن كانت أيام المستنصر يوسف
آبن الناصر : خامس خلفاء بني عبد المؤمن فثارت الفتنة بينه وبين بني مَرِين ،
وكانت بينهم حروب هلك في بعضها عبد الحق بن محيو .

ونصب بنو مَرِين بعده آبنه أبا سعيد (عثمان بن عبد الحق) وشهرته بينهم
ادرغال ، ومعناه بلغتهم الأعور ، وقوى سلطانه وغلب على ضواحي المغرب ، وضرب
الإتاوة عليهم وتابعه أكثر القبائل ، وفرض على أمصار المغرب مثل فاس وتازا
وغيرها ضريبة معلومة في كل سنة على أن يكف الغارة عنهم . ولم يزل على ذلك إلى
أن قتله علج من علوجه سنة سبع وثلاثين وستائة .

وقام بأمر بني مَرِين من بعده أخوه (محمد بن عبد الحق) فخرى على سنن أخيه
في الاستيلاء على بلاد المغرب ، وضرب الإتاوة على بلاده ومُدَّنه إلى أن كانت أيام
السعيد بن المأمون من بني عبد المؤمن ، فجهز عساكر الموحدين لقتال بني مَرِين ؛
فخرجوا إليهم في جيش كثيف في سنة ثنتين وأربعين وستائة . ودارت الحرب
بينهم فكانت الهزيمة على بني مَرِين ، وقتل محمد بن عبد الحق .

(١)
وقام بأمرهم من بعده أبْنُهُ أَبُو يَحْيَى (زَكَرِيَّا بْنُ عَبْدِ الْحَقِّ) وقَسَمَ جَبَايَتَهُ ببلاد المغرب في عشائِرِ بَنِي مَرِينٍ ، ودارت الحربُ بينهم وبين الموحِّدين ، إلى أن مات السَّعِيدُ بْنُ الْمَأْمُونِ من بني عبد المؤمن ، وانتقل الأمرُ بعده إلى أبْنِهِ عبد الله ، فَضَعُفَتْ دَوْلَةُ بَنِي عبد المؤمن . واستولى (أبو يحيى) بن عبد الحق على أكثر بلاد المغرب ، وقصد فاسَ وبها بعضُ بني عبد المؤمن فأناخَ عليها وتَلَطَّفَ بأهلها ، ودعاهم إلى الدَّعْوَةِ الحَفْصِيَّةِ بأفريقيَّة ، فأجابوه إلى ذلك وبايعوه خارجَ باب الفتوح . ودخل إلى قصبة فاس لشهرين من موت السعيد في أوَّل سنة ستٍّ وأربعين وستمائة ، وبايعه أهل تازا وأهل سَلا ورباط الفتح ، واستولى على نواحيها ، وأقام فيها الدَّعْوَةَ الحَفْصِيَّةَ ، واستبدَّ بنو مَرِينٍ بِمُلْكِ المغرب الأَقْصَى ، وبنو عبد الواد بِمُلْكِ المغرب الأوسط .

وملك سِتِّ مِائَةِ سَنَةٍ ثَلَاثَ وخمسين وستمائة من أيدي عامَّة الموحِّدين وبقيَ حتى هلك بفاس في رَجَبِ سنة ستٍّ وخمسين وستمائة ، ودُفِنَ بِمَقْبَرَةِ باب الفتوح .

وتصدَّى للقيام بأمره أبْنُهُ (عمر) ومال أهل الحِلِّ والعقد إلى عمِّه أبي يوسف يعقوبَ بن عبد الحق ، وكان ذائبا بتازا فقدم ثم وقع الصلحُ بينهما على أن تركَ يعقوبُ الأمرَ لابن أخيه عمر على أن يكون له تازا وبلادها ، ثم وقع الخلفُ بينهما والتقيا فهزِمَ عمرُ ثم نزل لعمه يعقوب عن الأمر .

ورحل السلطان أبو يوسف (يعقوبُ بن عبد الحق) فدخل فاس مملَّكا ، ثم هلك عمرُ بعد سنة ، فكفَى يعقوبُ شأنه واستقام سلطانه ، وأخذ في آفتتاح أمصار المغرب . وأنتحَ أمره باستنقاذِ مدينة سَلا من أيدي النصاري ، ثم قصد إلى مَرَّاكُش فخرج إليه الخليفة المرتضى من بني عبد المؤمن ، وكانت بينهما حرب

(١) الأظهر أخوه وهم جميعا أولاد عبد الحق .

هُزِمَ فِيهَا الْمُرْتَضَى وَقُتِلَ ؛ وَبَايَعَ الْمُوَحِّدُونَ أَخَاهُ (إِسْحَاقَ) ثُمَّ قُبِضَ عَلَيْهِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِينَ وَسِتْمِائَةَ فَقُتِلَ فِيمَنْ مَعَهُ ، وَأَنْقَرَضَ أَمْرُ بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْمَغْرِبِ .

وَوَصَلَ السُّلْطَانُ أَبُو يُوسُفَ إِلَى مَرَّاكُشٍ أَوَّلَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِينَ وَسِتْمِائَةَ فَدَخَلَهَا ، وَوَرِثَ مُلْكُ الْمُوَحِّدِينَ بِهَا ؛ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى فَاسَ بَعْدَ أَنْ اسْتَخْلَفَ عَلَى مَرَّاكُشٍ فِي شَوَّالٍ مِنْ سَنَتِهِ ؛ وَشَرَعَ فِي بِنَاءِ الْمَدِينَةِ الَّتِي اسْتَجَدَّهَا مُلَاصِقَةً لِمَدِينَةِ فَاسَ فِي ثَالِثِ شَوَّالٍ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَسِتْمِائَةَ ، وَنَزَلَ فِيهَا بِحَاشِيَتِهِ وَذَوِيهِ ؛ وَغَزَا فِي خِلَالِ ذَلِكَ النَّصَارَى بِالْأَنْدَلُسِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ حَتَّى أَذْعَنَ لَهُ شَانِجَةُ بْنُ أَدْفُونَشَ ، وَسَأَلَهُ فِي عَقْدِ السَّلَامِ لَهُ فَعَقَدَ لَهُ عَلَى شُرُوطٍ اسْتَرْطَاهَا عَلَيْهِ ، وَعَادَ إِلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ فَمَرِضَ وَمَاتَ فِي آخِرِ الْمَحْرَمِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَسِتْمِائَةَ .

وَبُويعَ بَعْدَهُ ابْنُهُ وَلِيَّ عَهْدِهِ أَبُو يَعْقُوبَ (يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ) بِخُرَيْ عَلَى سَنَنِ أَبِيهِ فِي الْعَدْلِ وَالْغَزْوِ وَأَجَازَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، وَجَدَّدَ السَّلَامَ مَعَ شَانِجَةَ مَلِكِ النَّصَارَى . وَغَزَا تِلْكَ مَرَّاتٍ وَبَقِيَ حَتَّى طَعَنَهُ خَصِيٌّ مِنْ خَدَمِهِ ، وَهُوَ نَائِمٌ عَلَى فِرَاشِهِ ، فَمَاتَ سَابِعَ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِمِائَةَ .

وَبُويعَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو ثَابِتَ (عَامِرُ بْنُ أَبِي يَعْقُوبَ يُونُسُ) وَأَخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ النَّوَاحِي ؛ ثُمَّ اسْتَقَامَ أَمْرُهُ وَبَقِيَ حَتَّى انْتَقَضَ عَلَيْهِ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ ، بَنُوَاحِي طَنْجَةَ مِنْ أَقْصَى الْغَرْبِ ، فَخَرَجَ لِقِتَالِهِ وَمَرِضَ فِي طَنْجَةَ وَمَاتَ فِي ثَامِنِ صَفَرِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِمِائَةَ .

وَبُويعَ بَعْدَهُ أَخُوهُ (أَبُو الرَّبِيعِ بْنُ أَبِي يَعْقُوبَ يُونُسُ) فَأَحْسَنَ السَّيْرَةَ ، وَأَجَزَلَ الصَّلَاتِ ، وَسَارَ بِسَيْرَةِ آبَائِهِ وَبَقِيَ حَتَّى مَاتَ بِمَدِينَةِ تَارَا فِي سَلَخِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ عَشْرٍ وَسَبْعِمِائَةَ وَدُفِنَ بِصَحْنٍ جَامِعِهَا .

وبويع بعده اخوه أبو سعيد (عثمان بن أبي يعقوب يوسف) فلما استقام أمره بالغرب الأقصى سار إلى تلمسان سنة أربع عشرة وسبعائة فانتزعها من موسى بن عثمان ابن يغمراسن : سلطان بني عبد الواد بها ، وانتقض عليه محمد بن يحيى العزفي صاحب سبّة فسار إليه في سنة ثمان وعشرين وسبعائة فأذعن للطاعة ، وأحضر عبد المهيم بن محمد الحضرمي من سبّة وولاه ديوان الإنشاء والعلامة .

وفي أيامه قصد بطرة وجوان ملك النصارى بالأندلس غرناطة . فاستغاثوا به ، فأجاز البحر إليهم وأقوى عساكر النصارى فهلك بطرة وجوان في المعركة وكانت النصره للمسلمين . وتوفي في ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين وسبعائة .

وبويع بعده ابنه وليّ عهده أبو الحسن (علي بن عثمان) وهو الذي كان في عصر «المقرّ الشهابي بن فضل الله» . وسار إلى تلمسان سنة سبع وثلاثين وسبعائة ، فملكها من ابن أبي تاشفين سلطان بني عبد الواد بها بعد أن قتله بقصره . وملك تونّس من يد أبي يحيى سلطان الحفصيين بها في جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبعائة ، وأتصل ملكه ما بين برقة إلى الشّوس الأقصى والبحر المحيط الغربي ، ثم أسترجع الحفصيون تونّس بعد ذلك . وملك بعد ذلك سجلماسة قاعدة بلاد الصحراء بالغرب الأقصى ، وبقي حتى مات في الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة ثنتين وخمسين وسبعائة بجبل هنتاة .

وبويع بعده ابنه (أبو عثمان بن أبي الحسن) وكان بنو عبد الواد قد استعادوا تلمسان في أيام أبيه فارتجعها منهم في سنة ثلاث وخمسين ، ونزل له الأمير محمد ابن أبي زكريا صاحب بحاية عنها فانتظمت في ملكه . وملك قسنطينة من الحفصيين بعد ذلك بالأمان . ثم ملك تونّس من أيديهم سنة ثمان وخمسين ، ورجع

إلى المغرب فارتجع الحفصيون ثونس وسائر بلاد أفريقية وبقى حتى توفى في ذي الحجة سنة تسع وخمسين .

وكان أبوه (أبو زيّان) وليّ عهده فعُدل عنه إلى ابنه (السعيد بن أبي عنان) وأستولى عليه الحسن بن عمر وزير أبيه فحبسه في داره ، واستقل بالأمور دونه .

وتغلب أبو حمو سلطان بني عبد الواد على تلمسان فانتزعها من يده في سنة ستين وسبعائة .

ثم خرج على السعيد بن أبي عنان عمّه أبو سالم (إبراهيم بن أبي الحسن) وكان بالأندلس فجاء إليه بالأساطيل ، واجتمع إليه العساكر . ووصل إلى فاس ، وخلع الحسن بن عمر سلطانه السعيد عن الأمر ، وأسلمه إلى عمّه أبي سالم وخرج إليه فبايعه ، ودخل فاس في منتصف شعبان سنة ستين وسبعائة ، وأستولى على ملك المغرب ، وقصد تلمسان فأجفل عنها أبو حمو سلطان بني عبد الواد فدخلها بالأمان في رجب سنة إحدى وستين وسبعائة ، فأقر بملكها حفيدا من أحفاد بني عبد الواد يقال له أبو زيّان . ورجع إلى فاس في شعبان من سنته . وعاد أبو حمو إلى تلمسان فملكها من أبي زيّان . وبني إيوانا فخما بفاس بجانب قصره ، وانتقل إليه ، وفوض أمر القلعة إلى عمر بن عبد الله بن عليّ من أبناء وزرائهم ، فعمد إلى أبي عمر (تاشفين الموسوس) ابن السلطان أبي الحسن فأجلسه على أريكة الملك ، وبايعه في ذي القعدة سنة ثنتين وستين وسبعائة . وأفاض العطاء في الجند . وأصبح السلطان أبو سالم فوجد الأمر على ذلك ففتر بنفسه ، فأرسل عمر بن [عبد الله بن] عليّ في أثره من قبض عليه وأحتر رأسه وأتى بها إلى فاس .

ثم أنكر أهل الدولة على عُمر بن عبد الله ما وقع منه من نصب أبي عمر المذكور لضعف عقله ، فأعمل فكره فيمن يصلح للملك فوقع رأيه على (أبي زيّان محمد بن الأمير عبد الرحمن) بن السلطان أبي الحسن . وكان قد فرّج إلى ملك النصارى بإشييلية من الأندلس ، فأقام عنده خوفاً من السلطان أبي سالم ، فبعث إليه من أتى به ، وخاع أبا عُمر من الملك . وبعث إليه بالآلة والبيعة من تلقاه بطنجة . ورحل إلى فاس في منتصف شهر صفر سنة ثلاث وستين وسبعائة ، ودخل إلى قصر الملك ، فأقام به والوزير عُمر بن عبد الله مستبداً عليه لا يكل إليه أمراً ولا نهياً وحجراً من كل وجه ، فنقل ذلك على السلطان أبي زيّان ، ووامر بعض أصحابه في القلعة بالوزير عمر ، فبلغ الخبر الوزير فدخل على السلطان من غير إذن على ما كان اعتاده منه ، وألقاه في بئر وأظهر للناس أنه سقط عن ظهر فرسه وهو تميل في تلك البئر .

واستدعى من حينه (عبد العزيز) ابن السلطان أبي الحسن من بعض الدور بالقلعة ، فحضر القصر وجلس على سرير الملك ، ودخل عليه بنو مَرِين فبايعوه وكل أمره . وذلك في المحرم سنة ثمان وستين وسبعائة ، وأستبد عليه كما كان مستبداً على من قبله ، فحجّره ومنعه من التصرف في شيء من أمره ، ومنع الناس أن يسألوه في شيء من أمورهم ، فنقل ذلك عليه غاية الثقل ، وأكنه في نفسه إلى أن استدعاه يوماً فدخل عليه القصر ، وكان قد أكن له رجالاً بالفصر ، فخرجوا عليه وضربوه بالسيوف حتى مات . وأستقل السلطان عبد العزيز بمملكته ، وقصد تلمسان فملكها من يد أبي حمو سلطان بني عبد الواد بالأمان بعد إجماع أبي حمو عنها . ودخلها يوم عاشوراء سنة اثنتين وسبعين وسبعائة . وأرتحل عنها آخر المحرم إلى الغرب ووصل

إلى فاس ، ثم عاد إلى تلمسان وخرج منها يريد المغرب ، فمريض ومات في الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وسبعائة .

وبويع بعده ابنه (سعيد بن عبد العزيز) وهو طفل ، وقام أمره وزيره أبو بكر بن غازي ورجعوا به إلى المغرب ودخل إلى فاس وجددت له البيعة بها ، وأستبد عليه الوزير أبو بكر ، وحجّره عن التصرف في شيء من أمره لصغره . ورجع أبو حمو سلطان بني عبد الواد إلى تلمسان فملكها في جمادى سنة أربع وسبعين وسبعائة .

وخرج عليه (أبو العباس أحمد بن أبي سالم) وكان بالأندلس فأجاز البحر وسار إلى فاس فملكها . ودخلها أول المحرم سنة ست وسبعين وسبعائة ، وأستقل بملك المغرب ، وكان ذلك بموالة ابن الأحمر صاحب الأندلس فاتصلت بينهما بذلك الصّحبة ، وتأكدت المودة ، وتخلّى عن مرأكش لعبد الرحمن ، وكان بينهما صلح وآتقاض تارة وتارة ، وقصد تلمسان فملكها من أبي حمو بعد فراره عنها ، وأقام بها أياما وهدم أسوارها وخرج منها في أتباع أبي حمو .

وخالفه السلطان (موسى) ابن عمه أبي عنان إلى فاس فملكها ، ونزل دار الملك بها في ربيع الأول سنة ست وثمانين وسبعائة . وقدم السلطان أبو العباس إلى فاس ، فوجد موسى ابن عمه قد ملكها ففر عنها إلى تازا . ثم أرسل إلى السلطان موسى بالطاعة والإذعان ، فأرسل من أتى به إليه ، فقيده وبعث به إلى الأندلس^(١) وأستقل السلطان موسى بملك المغرب ، وتوفي [لثلاث سنين من خلافته] .

(١) الزيادة من " العبرج ٧ ص ٣٥٢ " .

وبويع بعده (المتنصرُ ابنُ السلطان أبي العباس) فلم يلبث أن خرج عليه (الوائق محمد بن أبي الفضل) ابن السلطان (أبي الحسن) من الأندلس ، فسار إلى فاس ودخلها وحلّ بدار الملك بها ، وبويع في شوال سنة ثمان وثمانين وسبعمائة .

وبعث المتنصر إلى أبيه أبي العباس بالأندلس فأجاز السلطان أبو العباس من الأندلس إلى سبتة ، فملكها في صفر سنة تسع وثمانين وسبعمائة ، ثم استنزله عنها ابن الأحمر صاحب الأندلس وانتظمها في ملكه ، ثم ظهرت دعوة السلطان أبي العباس بمراكش وأستولى جنده عليها ، ثم سار إليها ابنه المتنصر وملكها ، وسار السلطان أبو العباس إلى فاس فملكها ودخل البلد الجديد بها خامس رمضان سنة تسع وثمانين وسبعمائة لثلاثة أعوام وأربعة أشهر من خلعه ، وبعث بالوائق إلى الأندلس ثم أمر بقتله فقتل في طريقه بطنجة .

وكان أبو حمو صاحب تلمسان قد مات وأستولى عليها بعده ابنه (أبو تاشفين) قائماً بدعوة أبي العباس صاحب فاس ، ومات أبو تاشفين وأقيم ابنه طفلاً فيها ، ثم قتله عمه يوسف بن أبي حمو ، وجهز السلطان أبو العباس ابنه (أبا فارس عثمان) فملكها وأقام فيها دعوة أبيه . وتوفي السلطان أبو العباس بمدينة تازا في المحرم سنة ست وتسعين وسبعمائة ، وأستدعوا ابنه أبا فارس فبايعوه بتازا ، ورجعوا به إلى فاس ، وأطلقوا أبازيان بن أبي حمو من الاعتقال وبعثوا به إلى تلمسان . وبقي أبو فارس في مملكة الغرب إلى الآن : وهو السلطان أبو فارس : عثمان ابن السلطان أبي العباس أحمد ، ابن السلطان أبي سالم إبراهيم ، ابن السلطان أبي الحسن علي ، ابن السلطان أبي سعيد عثمان ، ابن السلطان أبي يوسف يعقوب ، ابن عبد الحق .

المقصد الرابع

(في بيان ترتيب هذه المملكة ، وفيه تسع (عشر) جمل)

الجملة الأولى

(في ذكر الجُند ، وأرباب الوظائف : من أرباب السيوف والأقلام ، ومقادير

الأرزاق الجارية عليهم ، وزىّ السلطان ، ورتيب حاله في الملك)

أما الجُند ، فأشياخ كبار وأشياخ صغار ، وهم القائمون مقام الأمراء الطليخانات بمصر على ما تقدم في أفريقية ، ولا يُعرف بها أمير له عدة كما بمصر والشام وإيران ، ولا يُطلق اسم الإمرة عندهم على أحد من الجُند بحال . ثم بعد الأشياخ عامة الجُند من الأندلسيين وغيرهم ، والعلوج من الفرنج ، على ما تقدم في مملكة أفريقية من غير فرق في الترتيب ، والوزراء والقضاة وأرباب الوظائف على نحو ما تقدم في أفريقية .

الجملة الثانية

(في زىّ السلطان والأشياخ وأرباب الوظائف في اللبس)

أما زىّ السلطان والأشياخ وعامة الجُند ، فإنهم يتعمّمون بعمائم طوال ، قليلة العرض من كنان ، ويعمل فوقها إحرامات يلقونها على أكافهم ، ويتقلّدون السيوف تقليدا بدوياً ، ويلبسون الحفاف في أرجلهم (وتسمى عندهم الأتمقة) كما في أفريقية ، ويشدّون المهاميز فوقها ، ويتخذون المناطق وهي (الحوائص) ويعبرن عنها بالمضامات من فضة أو ذهب . وربما بلغت كل مضمة منها ألف مثقال ، ولكنهم لا يشدونها إلا في يوم الحرب أو يوم التميز : وهو يوم عرضهم على السلطان . ويختص السلطان

يَلْبَسُ الْبُرُتُسَ الْأَبْيَضَ الرَّفِيعَ ، لَا يَلْبَسُهُ ذُو سَيْفٍ غَيْرُهُ . أَمَّا الْعُلَمَاءُ وَأَهْلُ الصَّلَاحِ فَإِنَّهُ لَا حَرَجَ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ ، وَلَا حَرَجَ فِي غَيْرِ الْمُلُونِ الْبَيْضِ مِنَ الْبِرَانَسِ عَلَى أَحَدٍ .
وَأَمَّا زِيُّ الْقُضَاةِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْكُتَّابِ وَعَامَّةُ النَّاسِ ، فَقَرِيبٌ مِنْ لِبْسِ الْجُنْدِ .
إِلَّا أَنَّ عَمَائِمَهُمْ خُضْرَاءٌ وَلَا يَلْبَسُ أَحَدٌ مِنْهُمْ الْأَنْعَمَةَ : وَهِيَ الْأَخْفَافُ فِي الْحَضَرِ وَلَا يُنْعَى أَحَدٌ مِنْهُمْ مِنْ أَلْبَسَهَا فِي السَّفَرِ .

الجملة الثالثة

(فِي الْأَرْزَاقِ الْمَطْلُفَةِ مِنْ قَبْلِ السُّلْطَانِ عَلَى أَهْلِ دَوْلَتِهِ)

أَمَّا رِزْقُ الْأَجَادِ فَقِي " مَسَالِكُ الْأَبْصَارِ " عَنْ السَّلَاحِي : أَنَّ لِلْأَشْيَاحِ الْكِبَارِ الْإِقْطَاعَاتِ الْجَارِيَةَ عَلَيْهِمْ : لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي كُلِّ سَنَةٍ عَشْرُونَ أَلْفَ مِثْقَالٍ مِنَ الذَّهَبِ ، يَأْخُذُهَا مِنْ قِبَائِلِ ، رُقْرُقَى ، وَضِيَايَ ، وَقِلَاعَ ، وَبِتَحْصِلَ لَهُ مِنَ الْقَمْحِ وَالشَّعِيرِ الْحُبُوبِ مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ نَحْوُ عَشْرِينَ أَلْفَ وَسَقٍ . وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مَعَ الْإِقْطَاعِ الْإِحْسَانِ فِي رَأْسِ كُلِّ سَنَةٍ وَهُوَ حِصَانٌ بِسَرَجِهِ وَلِحَامُهُ ، وَسَيْفٌ وَرَمْحٌ مَحْلِيَّانِ ، وَسَبْدِيَّةٌ : وَهِيَ بُقْجَةٌ قَمَاشٌ فِيهَا ثَوْبٌ طَرْدٌ وَحِشٌّ مُدْهَبٌ سَكَنْدَرِيٌّ ، وَيَعْبُرُونَ عَنْ هَذَا الثَّوْبِ بِالزَّرْدْ خَانَاهُ ، وَثَوْبَانِ بَيَاضٍ مِنَ الْكَثَّانِ عَمَلِ أَفْرِيْقِيَّةٍ ، وَإِحْرَامٌ وَشَاشٌ طَوْلُهُ ثَمَانُونَ ذِرَاعًا ، وَقَصْبَتَانِ مِنْ مَلْفٍ وَهَوِ الْجُخُوحِ . وَرَبَّمَا زَيْدٌ الْأَكْبَرُ عَلَى ذَلِكَ ، وَرَبَّمَا نَقَصَ مَنْ هُوَ دُونَ هَذِهِ الرِّتَبَةِ . وَلِلْأَشْيَاحِ الصَّغَارِ مِنَ الْإِقْطَاعِ وَالْإِحْسَانِ نِصْفُ مَا لِلْأَشْيَاحِ الْكِبَارِ مَعَ الْحِصَانِ الْمُسَرَّجِ الْمَلْجَمِ وَالسَّيْفِ وَالرَّمْحِ وَالْكُسُودَةِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَلْحَقُ هَذِهِ الرِّتَبَةَ فَيَكُونُ أَنْقَصَ . وَمَنْ عَدَا الْأَشْيَاحَ مِنَ الْجُنْدِ عَلَى طَبَقَاتٍ : فَالْمُقَرَّبُونَ إِلَى

(١) لعله في الملون غير البيض من البرانس

السلطان يكون لكل واحدٍ منهم ستون مثقالاً من الذهب في كل شهر، وقليلٌ ما هم؛ ومن دُون ذلك يكون له في الشهر ثلاثون مثقالاً ثم مادُونها، إلى أن يتناهى إلى أقلّ الطبقات وهي ستة مثاقيل في كل شهر . وإيس لأحد منهم بلد ولا مُزْدَرَع .

وأما قاضي القضاة، فله في كل يوم مثقالٌ من الذهب، وله أرضٌ يسيرة، يُزْرَع بها ماتجىء منه مئونةٌ وعليق دوابه .

وأما كاتب السر، فله في كل يوم مثقالان من الذهب، وله محيّاَن (يعنى قريتين) يتحصّل له منهما متحصّل جيّد، مع رسوم كثيرة له على البلاد ومنافع وإرفاقات؛ ولكل واحد من كاتب السر وقاضي القضاة في كل سنة بغلة بسرجها ولجامها، وسبينة فُماش برسم كُتوتها كما للأشياخ .

الجملة الرابعة

(في جلوس السلطان في كل يوم)

قال السلايحي : من عادة سلطانهم أن يجلس في بكرة كل يوم ، ويدخل عليه الأشياخ الكبار فيسلموا عليه ، فيدبّ لهم السباطُ ثرائد في جفانٍ حولها طرافيرُ . وهي المخافى ، فيها أطعمة ملوّنة منوّعة ، ومع ذلك الحلى : بعضها مصنوعٌ بالسكر ، ومعظمها مصنوع بالعسل والزيت ، فيأكلون ثم يتفرّقون إلى أماكنهم . وربما ركب السلطان بعد ذلك والعسكر معه وقد لا يركب . أما انخريأت النهار فإن الغالب أن يركب بعد العصر في عسكره ويذهب إلى نهر هناك ، ثم يخرج إلى مكان فيسبح من الصحراء ، فيقف به على نَشْر من الأرض ، وتتطارّد الخيلُ قدامه ، وتتطاعن الفرسان ، وتتداعى الأقران ، ويمثّل الحرب لديه ، وتقام صفوفها على سبيل التمرين حتى كأنها يوم الحرب حقيقة ، ثم يعود في موكبه إلى قصره ، وتفرّق العساكر ،

وتحضرُ العلماء وفضلاءُ الناس وأعيانهم إلى مُحاضراته حينئذٍ ، فيمدُّ لهم سِماطٌ بين يديه فيأْكُلُون ويُواكِلُهُمْ . ثم يأخذ كاتبُ السِرِّ في قراءة القصص والرقاع والكلام في المهمَّات ، ويبيتُ عنده مَنْ يُسامره من الفضلاء في بعض الليالي ، وربما أقتضت الحال مبيتَ كاتبِ السِرِّ فيبيت عنده .

الجملة الخامسة

(في جلوسه للظالم)

قال السلايحي : قد جرت عادة مَنْ له ظلامة أن يرتقب السلطانَ في رُكوبه في موكبه (يعني يومَ جلوسه للظالم) فإذا آجتاز به السلطانُ صاح من بُعدٍ «لا إله إلا الله أنصُرني نصرَك الله!» فتؤخذ قصته وتُدفعُ لكاتبِ السِرِّ ، فإذا عاد جلس في قبةٍ معينة للجلوسه ، ويجلس معه أكابرُ أشياخه مقلدِين السيوف ، ويقفُ مَنْ دونهم على بُعدٍ ، مصطفيين متكئين على سيوفهم ، ويقرأ كاتبُ السِرِّ قصصَ أصحابِ المظالم وغيرها فينظر فيها بما يراه .

الجملة السادسة

(في شعار السلطان بهذه المملكة)

منها علم أبيضٌ حريرٌ مكتوبٌ فيه بالذهب نسيجاً بأعلى دائره آياتٌ من القرآن ، يسمونه العلم المنصور كما في أفريقية . وربما عبَّر عنه هؤلاء بسعد الدولة ، يحمل بين يديه في المواكب .

ومنها - أعلامٌ دونه مختلفة الألوان تحمل معه أيضا .

ومنها - سيفٌ ورُمحٌ ودرقة . يُحملان بين يديه في المواكب أيضا : يحملها ثلاثة من خاصته من وُصفائه أو من أبناء خدام سلفه .

ومنها - أطبار تحمل حوله . ويعبرون عنها بالطبرزيات ، يحملها أكابر قواد علوجه من الفرنج ورجال من الأندلسيين خلفه وقدامه .

ومنها - رماح طوال وقصار . يحملها خمسون رجلاً مشاة بين يديه مشدودى الأوساط بيد كل واحد منهم رُحان : رُح طويل و رُح قصير ، وهو متقلد مع ذلك بسيف .
ومنها - الجنائب . وهى خيل تُقاد أمامه ، عليها سُروج مخروزة بالذهب كالزركش وركبها ذهب كل ركاب زنته ألف دينار ، وعليها ثياب سُروج من الحرير مرقومة بالذهب ، ويعبرون عن الجنائب بالمقادات ، وعن ثياب السُروج بالبراقع .

ومنها - الطبول تدق خلف ساقته وهى من خصائص السلطان ليس لأحد من الناس أن يضرب طبله غيره حتى يمنع من ذلك أصحاب الحلق .

ومنها - البوقات مع الطبل على العادة .

الجملة السابعة

(فى ركوبه لصلاة العيد)

قال السلاحي : وفى ليلة العيدين يُنادى وإلى البلد فى أهلها بالمسير ، ويخرج أهل كل سوق ناحية ، ومع كل واحد منهم قوس أو آلة سلاح ، متجملين بأحسن الثياب ، ويبيت الناس تلك الليلة أهل كل سوق بذاتهم خارج البلد ، ومع أهل كل سوق علم يختص بهم ، عليه رنك أهل تلك الصناعة بما يناسبهم . فإذا ركب السلطان بكرة أصطفوا صفواً يمشون قدامه ، ويركب السلطان ويركب العسكر معه مئينة وميسرة والعلوج خلفه ملتقون به ، والأعلام منشورة وراءه ، والطبول خلفها حتى يصلّى ثم يعود ، فينصرف أرباب الأسواق إلى بيوتهم . ويحضر طعام السلطان خواصه وأشياخه .

الجملة الثامنة

(في خروج السلطان للسفر)

من عادة هذا السلطان إذا سافر أن يخرج من قصره وينزل بظاهر بلده، ثم يرتحل من هناك فيضرب له طبل كبير قبيل الصبح إشعاراً بالسفر، فيتأهب الناس ويستغل كل أحد بالاستعداد للرحيل . فإذا صلى صلاة الصبح ركب الناس على قبائلهم في منازلهم المألوفة، ووقفوا في طريق السلطان صفًا إلى صف، ولكل قبيل رجل علم معروف به ومكان في الترتيب لا يتعداه، فإذا صلى السلطان الصبح قعد أمام الناس، ودارت عليه عبيده ووصفائه ونقبأؤه، ويجلس ناس حوله يعرفون بالطلبة يحرق عليهم ديوانه، يقرءون خزائن القراء، ويذكرون شيئًا من الحديث النبوي، على قائله أفضل الصلاة والسلام! . فإذا أسفر الصبح ركب وتقدم أمامه العلم الأبيض المعروف بالعلم المنصور، وبين يديه الرجال بالسلح والخيل المحنوبة، بثياب السروج الموشية، ويعبرون عن ثياب السروج بالبراقع. وإذا وضع السلطان رجله في الركاب، ضرب على طبل كبير يقال له تريال ثلاث ضربات إشعارًا بركوبه. ثم يسير السلطان بين صفي الخيل ويسلم كل صف عليه بأعلى صوته « سلام عليكم » ويكتنفانه يمينًا وشمالًا، وتضرب جميع الطبول التي تحت البناد الكبار الملقاة خلف الوزير على بُعد من السلطان، ولا يتقدم أمام العلم الأبيض إلا من يكرن من خواص علوج السلطان، وربما أمرهم بالجولان بعضهم على بعض، ثم ينقطع ضرب الطبول إلى أن يقرب من المنزل .

وإذا ركب السلطان لا يسايره إلا بعض كبار الأشياء من بني مرين أو بعض عظماء العرب، وإذا استدعى أحدًا لآتيه إلا ماشيًا، ثم ربما حدثه وهو يمشي، وربما

أكرمه فأكرمه بالرُّكوب . فاذا قَرَّب السلطانُ من المنزلِ تقدَّمت الزَّمَّالة : وهم الفَرَّاشون ، ويضربون شُقَّة من الكَّان في قلبها جلود يقوم بها عِصَى وِحَال من القَصَب في أوتاد، وتستدير على كثير من الأُخْيَةِ وبيوتِ الشَّعر الخاصَّة به وبعياله وأولاده الصَّغار؛ تكون هذه الشُّقَّة كالمدينة لها أربعة أبواب في كل جهةٍ بابٌ، وهذه الشُّقَّة هي المعبرُ عنها في الديار المصرية بالحَوْش، ويَحْف به عبيده وعُلُوجُه ووُصفانُه، ويضربُ للسلطان أمامَ ذلك قُبَّة كبيرةٌ مرتفعة من كَّان تسمَّى قبة الساقية لجلوس الناس فيها وحُضورهم عنده بها، وهذه هي التي تسمَّى بمصر المدوَّرة .

وإذا عاد السلطان إلى حضرة ملكه ضربت البشائرُ سبعة أيام ، وأطعم الناس طعاما شاملا في موضع يَسَع كافتهم .

الجملة التاسعة

(في مقدار عسكر هذه المملكة)

قال في "مسالك الأبصار" : سألت أبا عبد الله السلايحي عن عدَّة هذا العسكر في سلطنة أبي الحسن المرينيّ، وكان ابن جرَّار قد قال إن عسكره مائة ألف وأربعون ألفا - فقال : الذي نعرفه قبل فتحه تلمسان أن جريدته المُثبَّتة في ديوانه لا تزيد على أربعين ألف فارس غيرَ حَفَظَةِ المُدُن والسواحل ، إلا أنه [يُمْكِنُه] إذا استجاش لحربٍ عليه أن يَخْرُج في جموع كثيرة لا تكاد تنحصر، وأنه يمكن أن يكون قد زاد عسكره بعد فتح تلمسان مثل ذلك .

الجملة العاشرة

(في مكاتبات السلطان)

قال في "مسالك الأبصار": جرت العادة أنه إذا انتهى الكاتب إلى آخر الكتاب وكتب تاريخه، كتب السلطان بخطه في آخره ماصورته "وكتب في التاريخ المؤرخ به". ونقل عن السلايحي: أن ذلك مما أحدثه أبو حفص «عمر المريني» عم السلطان أبي الحسن في سلطته، وتبعه السلطان أبو الحسن على ذلك مع وثوقه بكتاب سره حينئذ: الفقيه الفاضل أبي محمد عبد المهيمن بن الحضرمي وأعتاده عليه ومشاركته له في كل أمر.

المملكة الخامسة

(من بلاد المغرب جبال البربر)

قال في "مسالك الأبصار": في جنوب الغرب بين مملكة برّ العدو وبين بلاد مالي وما معها من بلاد السودان ثلاثة ملوك من البربر بيض مسلمون: وهم سلطان (أهير) وسلطان (دمونسة) وسلطان (تادمكة) كل واحد منهم ملك مستقل بنفسه لا يحكم أحد منهم على الآخر، وأكبرهم ملك (أهير) وزيتهم نحو زيت المغاربة: يلبسون الدارايح إلا أنها أضيق، وعمائم بأحناك، وركوبهم الإبل، ولا خيل عندهم ولا للريني [عليهم حكم ولا لصاحب مالي^(١)] ولا خبز عندهم، وعيشهم عيش أهل البر من اللحم واللبن. أما الحبوب عندهم فقليلة، وهم في قلة أقوات.

ونقل عن الشيخ عيسى الزواوي أن لهم جبالا عامرة، كثيرة الفواكه. وذكر أن ما بأيدي الثلاثة تقديراً نصف ما لملك مالي من ملوك السودان أو أرجح بقليل؛

(١) الزيادة من "مسالك الأبصار" ليستقيم الكلام.

ولكن صاحب مالى أكثر فى تحصيل الأموال لأستيلائه على بلاد الذهب وما يُباع بمملكته من السلع ، وما يغنمه فى الغزوات من بلاد الكُفار لمجاورته لهم بخلاف هؤلاء فإنه ليس لهم يد تمتد إلى كسب ، بل غالب أرزاقهم من دوابهم . ثم قال : ودون هؤلاء فيما بينهم وبين مرأكش من بلاد المغرب جبال المصامدة ، وهم خلق لا يعبد ، وأمم لا تُحصى ، وهم يفتخرون بالشجاعة والكرم .

ثم ذكر أنهم كانوا لا يدينون لسلطان إلا أنهم دانوا للسلطان أبى الحسن المرينى ودخلوا تحت ذيل طاعته . على أنهم لا يملكون أحدا قيادهم ، ولا يسلمون إليه بلادهم . وبكل حال فهم معه بين صحة واعتلال .

المملكة السادسة

(من ممالك بلاد المغرب جزيرة الأندلس)

قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الألف والdal المهملة وسكون النون بينهما وضمّ اللام ثم سين مهملة . وهى مقابل برّ العدو من بلاد المغرب ، وبينهما بحر الزقاق الذى هو قفم بحر الروم ، وقد تقدّم ذكره فى الكلام على الأبحر فى أول هذه المقالة .

وقد اختلف فى سبب تسمية الأندلس بهذا الاسم : ف قيل ملكته أمة بعد الطوفان يقال لها الأندلش بالشين المعجمة فسمى بهم ثم عرب بالسين المهملة ؛ وقيل خرج من رومة ثلاثة طوابع فى دين الروم ، يقال لأحدهم القندلش بالقاف^(١) فى أوله وبالشين المعجمة فى آخره ، فنزل القندلش هذه الأرض فعرفت به ، ثم

(١) لعله فى زمن الروم .

عُربت بابدال القاف همزةً والشين المعجمة سينا مهملة . ويقال : إن اسمه القديم أفارية ، ثم سُمي باطقة ، ثم سُمي أشبانية ، ثم سُمي الأندلس باسم الأمة المذكورة . قال في "تقويم البلدان" : وسميت جزيرة لإحاطة البحر بها من الشرق والغرب والجنوب ، وإن كان جانبها الشمالي متصلاً بالبر كما سيأتي بيانه فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وفيه ست جمل :

الجملة الأولى

(في ذكر سمك أرضه وحدوده)

قال في "تقويم البلدان" : وجزيرة الأندلس على شكل مثلث : ركنٌ جنوبي غربي ، وهناك جزيرة قádiz وفمٌ بحر الزقاق . وركنٌ شرقي بين طرُكونة وبين برشلونة ، وهي في جنوبيه ، وبالقرب منه بلنسية وطرطوشة وجزيرة ميورقة . وركنٌ شمالي بميلة إلى البحر المحيط ، حيثُ الطولُ عشر درجات ودقائق ، والعرضُ ثمانٌ وأربعون . وهناك بالقرب من الركن المذكور مدينة شنتياقوه ، وهي على البحر المحيط في شمالي الأندلس وغربيها . قال : والضلع الأول من الركن الجنوبي الغربي - وهو الذي عند جزيرة قádiz - إلى الركن الشرقي الذي عند ميورقة ، وهذا الضلع هو ساحل الأندلس الجنوبي الممتد على بحر الزقاق . والضلع الثاني من الركن الشرقي المذكور إلى الركن الشمالي الذي عند شنتياقوه ، وهذا الضلع هو حد الأندلس الشمالي ، ويمتد على الجبل المعروف بجبل البرت الحاجر بين الأندلس وبين أرض تُعرف بالأرض الكبيرة ، وعلى ساحل الأندلس الممتد على بحر برديل . والضلع الثالث من الركن الشمالي المذكور إلى الركن الجنوبي المقدم الذكر ، وهذا الضلع هو ساحل الأندلس الغربي الممتد على البحر المحيط .

(١) لعله شكل كما يفيد ما بعده وفي القطعة الازهرية تشكيل أرضه .

قال ابن سعيد : قال المجارى : وطول الأندلس من جبل البرت الفاصل بين الأندلس والأرض الكبيرة وهو نهاية الأندلس الشرقية إلى أشبونة : وهى فى نهاية الأندلس الغربية ألف ميل ، وعرض وسطه من بحر الزقاق إلى البحر المحيط عند طليطلة وجبل البرت ستة عشر يوماً . قال فى "تقويم البلدان" : وقد قيل : إن طوله غربا وشرقا من أشبونة : وهى فى غرب الأندلس إلى أربونة : وهى فى شرق الأندلس مسيرة ستين يوماً ، وقيل : شهر ونصف . وقيل : شهر . قال : وهو الأصح .

وأعلم أن جبل البرت المقدم ذكره متصل من بحر الزقاق إلى البحر المحيط وطوله أربعون ميلا ، وفيه أبواب فتحها الأوائل ، حتى صار للأندلس طريق فى البر من الأرض الكبيرة ، وقبل فتحها لم يكن للأندلس من الأرض الكبيرة طريق . وفى وسط الأندلس جبل ممتد من الشرق إلى الغرب يقال له جبل الشارة ، يقسمه بنصفين : نصف جنوبى ونصف شمالى .

الجملة الثانية

(فيما أشتمل عليه من المدن)

وهو يشتمل على عدة قواعد ومضافاتها :

القاعدة الأولى

(غرناطة)

قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وفتح النون وألف وطاء مهملة وهاء فى الآخر . ويقال : أغرناطة بهمزة مفتوحة فى أولها . وهى مدينة فى جنوب الأندلس ، موقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال

أبن سعيد : حيثُ الطول إحدى عشرة درجة وأربعون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : ومملكتها في الجنوب والشرق عن مملكة قُرطبة ، وبينها وبين قُرطبة نحو خمسة أيام . قال : وغرناطة في نهاية الحصانة وغاية التّراخية ، تُشبه دِمَشق من الشام ، وتُفَضَّل عليها بأن مدينتها مُشرفة على غوطتها وهي مكشوفة من الشمال ، وأنهارها تنصب من جبل الثلج الذي هو من جنوبيها وتتخرق فيها ، وعليها الأرحى داخل المدينة ، ولها أشجار وثمار ومياه مسيرة يومين تقع تحت مرأى العين لا يحجبها شيء . قال في "مسالك الأبصار" : ولها ثلاثة عشر بابا : باب البيرة وهو أضخمها ، وباب الكحل ، وباب الرّخاء ، وباب المرضى ، وباب المَصْرَع ، وباب الرملة ، وباب الدبّاغين ، وباب الطّوّابين ، وباب الفخّارين ، وباب الحنّديّ ، وباب الدفّاف ، وباب البنود ، وباب الأسدر . وحوطها أربعة أرباض^(١) : ربض الفخّارين ، وربض الأجل ، وهو كثير القصور والبساتين ، وربض البيازين بناحية باب الدفّاف ، وهو كثير العمارة يخرج منه نحو خمسة عشر ألف مقاتل ، وهو ربض مستقل بحكّامه وقُضاياه وغير ذلك . وجامعها من أبدع الجوامع وأحسنها منظرا ، وهو مُحْكَم البناء لا يُلصقه بناء ، تحف به دكاكينُ الشهود والعطّارين ، وقد قام سقّفه على أعمدة حسان ، والماء يجري داخله ، ومساجدها [ورباطها] لا تكاد تُحصى لكثرتها .

وذكر في "مسالك الأبصار" : أنها قليلة مهبّ الرياح ، لا تجرى بها الرياحُ إلا نادرا لاكتناف الجبال إيّاها . ثم قال : وأصل أنهارها نهران عظيمان (شليل) و (حدّره) .

(١) لم يذكر إلا ثلاثة وأسقط ربض الرملة وهو مذکور في المسالك .

(٢) كذا في "التقويم" أيضا والذي في "المعجم" سنجل وهو الاظهر .

أما شَئِيل، فينحدر من جبل شُكَيْرٍ يَجْنُو بِهَا وَيَمُرُّ عَلَى غَرْبِ غَرْنَاطَةِ إِلَى فَحْصِهَا، يُشَقُّ فِيهَا أَرْبَعِينَ مِيلًا بَيْنَ بَسَاتِينَ وَقُرَى وَضِيَاعٍ كَثِيرَةٍ الْبُيُوتِ وَالْغِلَالِ وَأَبْرَاجِ الْحَمَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . قَالَ : وَيَنْتَهِي فَحْصُهَا إِلَى (لَوْشَةَ) حَيْثُ أَصْحَابُ الْكَهْفِ عَلَى قَوْلٍ، وَجَبَلُ شُكَيْرٍ الْمَذْكُورُ هُوَ طُودٌ شَاخٌ لَا يَنْفَكُ عَنْهُ الثَّلَجُ شَتَاءً وَلَا صَيْفًا، فَهُوَ لَذَلِكَ شَدِيدُ الْبَرْدِ، وَيؤَثِّرُ بَرْدُهُ بِغَرْنَاطَةِ فِي الشِّتَاءِ : لِقُرْبِهِ مِنْهَا إِذْ لَيْسَ بَيْنَهُمَا وَسِيلٌ سِوَى عَشْرَةِ أَمْيَالٍ . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ ابْنُ صَدْرَةَ الشَّاعِرُ قَاتِلُهُ اللَّهُ :

أَحَلَّ لَنَا تَرْكَ الصَّلَاةِ بِأَرْضِكُمْ، * وَشُرْبُ الْحَمِيٍّ وَهُوَ شَيْءٌ مُحَرَّمٌ !
فِرَارًا إِلَى نَارِ الْحَجِيمِ لِأَنَّهَا * أَرْقُ عَلَيْنَا مِنْ شُكَيْرٍ وَأَرْحَمُ !
لَئِنْ كَانَ رَبِّي مُدْخِلٌ فِي جَهَنَّمَ، * فَفِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ طَابَتْ جَهَنَّمُ !

وَأَمَّا حَدَرُهُ، فينحدر من جبل بناحية (واديّاش) شَرْقِيَّ شُكَيْرٍ فِيمُرُّ بَيْنَ بَسَاتِينَ وَمَزَارِعَ وَكُرُومٍ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى غَرْنَاطَةِ، فَيَدْخُلُهَا عَلَى بَابِ الدَّفَافِ بِشَرْقِيِّهَا، يُشَقُّ الْمَدِينَةُ نِصْفَيْنِ، تَطَّحَنُ بِهِ الْأَرْحَاءُ بِدَاخِلِهَا، وَعَلَيْهِ بِدَاخِلِهَا خَمْسُ قَنَاطِرَ : وَهِيَ قَنْطَرَةُ ابْنِ رَشِيقٍ، وَقَنْطَرَةُ الْقَاضِي، وَقَنْطَرَةُ حَمَّامِ جَاسٍ، وَالْقَنْطَرَةُ الْجَدِيدَةُ، وَقَنْطَرَةُ الْفُودِ، وَعَلَى الْقَنَاطِرِ سَوَاقٍ وَمَبَانٍ مُحْكَمَةٌ . وَالْمَاءُ يَجْرِي مِنْ هَذَا النَّهْرِ فِي جَمِيعِ الْبَلَدِ : فِي أَسْوَاقِهِ وَقَاعَاتِهِ وَمَسَاجِدِهِ، يَبْرُزُ فِي أَمَا كِنَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَتُخْفَى جَدَاوِلُهُ تَحْتَهَا فِي الْأَكْثَرِ، وَحَيْثُ طُلِبَ الْمَاءُ وَجِدَ، وَبِالْمَدِينَةِ جَبَلَانِ يُشَقَّانِ وَسَطَاهُمَا، يَعْرِفُ أَحَدُهُمَا بِالْخَزَةِ وَمَوْزُورَ . وَالثَّانِي بِالْقَصْبَةِ الْقَدِيمَةِ، وَبِالزُّو . وَبِهِمَا دُورٌ حَسَنَانِ، وَعَالِيَّ مُشْرِفَةٍ عَلَى فَحْصِهَا، فَيَرَى مِنْهُمَا مَنْظَرًا بَدِيعًا مِنْ فُرُوعِ الْأَنْهَارِ وَالْمَزْدَرَعَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَقْصُرُ عَنْهُ التَّخْيِيلُ وَالتَّشْبِيهِ . وَقَدْ صَارَتْ قَاعِدَةُ مُلْكِ الْإِسْلَامِ بِالْأَنْدَلُسِ بِيَدِ مُلُوكِهَا مِنْ بَنِي الْأَحْمَرِ الْآتِي ذِكْرُهُمْ فِي الْكَلَامِ عَلَى مُلُوكِهَا .

قال في "مسالك الأبصار" : وبها من الفواكه الثَّفَّاح ، والقَرَّاصيا البعلبكية التي لا تكاد تُوجد في الدنيا منظرًا وحلاوةً حتى إنها ليعصر منها العسل . وبها الجُوز ، والقُسْطَل ، والتين ، والأعناب ، والخوخ ، والبَلُوط ، وغير ذلك . ويجبل سُكَّير المقدم ذكره عقاقير كعقاقير الهند وعُشْب يستعمل في الأدوية ، يعرفها الشَّجَّارون لا تُوجد في الهند ولا في غيره .

قال في "التعريف" : ومقرّر سلطانها منها (القصبة الحمراء) قال : ومعنى القصبة عندهم القلعة ، وتسمى حمراء غرناطة . قال في "تقويم البلدان" : وهي قلعة عالية شديدة الإمتناع . قال في "مسالك الأبصار" : وهي بديعة متسعة كثيرة المباني الضخمة والقصور ظريفة جدًا ، يجري بها الماء تحت بلاط كما يجري في المدينة ، فلا يخلو منه مسجد ولا بيت ، وبأعلى بُرج منها عين ماء ، وجامعها من أبدع الجوامع حُسْنًا ، وأحسنها بناءً ، وبه الثَّريَّات الفِضِّيَّة معلقة ، وبجائط محرابه أحجار ياقوت مرصّفة في جملة ما تمق به من الذهب والفضة ، ومنبره من العاج والآبنوس . قال في "تقويم البلدان" في الكلام على الأندلس : ولم يبق للمسلمين بها غير غرناطة وما أضيف إليها ، مثل الجزيرة الخضراء ، والمرية . قال في "مسالك الأبصار" : وطولها عشرة أيام ، وعرضها ثلاثة أيام . وهي ممتدة على بحر الزقاق وما يلي ذلك . ثم قال : وأولها من جهة المشرق الميرية ، وهي أول مراسي البلاد الإسلامية . قال في "تقويم البلدان" : وكانت القاعدة قبل غرناطة حصن إلبيرة ، فخرّب في زمن الإسلام ، وصارت القاعدة غرناطة .

وقد عدّ في "مسالك الأبصار" من هذه المملكة عدّة بلاد مضافة إلى مملكة غرناطة الآن .

منها (المريّة) قال في "المشترك" : بفتح الميم وكسر الراء المهملّة وتشديد المشنة من تحت وفي آخرها هاء . وهي مدينة بين مملكتيّ مألقة ومُرسية ، موقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول أربع عشرة درجة ، والعرض خمس وثلاثون درجة وأثنان وأربعون دقيقة . قال : وهي مدينة مسورة على حافة بحر الرّقاق ، وهي باب الشرق ، ومفتاح الرّزق ، ولها برّ فضيّ ، وساحل تيّريّ ، وبحر زبرجديّ ، وأسوارها عالية ، وقلعتها منيعة شامخة ، وهواؤها معتدل ، ويعمل بها من الحرير ما يفوق الجمال ^(١) .

قال في "مسالك الأبصار" : والمريّة ثلاثُ مدُن .

الأولى — من جهة الغرب تعرف بالحوّض الداخليّ . لها سور محفوظ من العدو بالسّمار والحُرّاس ، ولا عمارة فيها ، ويليهما إلى الشرق المدينة القديمة ، وتليها المدينة الثالثة المعروفة بمصلى المريّة ، وهي أكبر الثلاث . ولها قلعة بجوار القديمة من جهة الشمال ، وتسمّى القصبة في عرفهم . قال : وهما قصبتان في غاية الحسن والمنعة . وساحل المريّة أحسن السّواحل ، وحولها حصون وقرى كثيرة وجبال شامخة . وجامعها الكبير بالمدينة القديمة ، وهو من بديع الجوامع . وهي مدينة كثيرة الفواكه ، وأكثر زرعها بالمطر وعليه يترتب الخصب وعدمه ، وإليها تجلب الحنطة من برّ العدو ، وبها دار صناعة لعمارة المراكب ، وبينها وبين غرناطة مسيرة ثلاثة أيام . وكانت في الزمن الأوّل قبل إضافتها إلى غرناطة مملكةً مستقلةً . ويقال : إن وادي المريّة من أبدع الأودية على أن ماءه يقلّ في الصيف حتى يقسّط على البساتين .

(١) الذي في تقويم البلدان "ويعمل بها من الحرير ما يفوق معمول غيرها" .

قال في "مسالك الأبصار" : وعلى وادي المَرِيَّة (بجَانَّة). قال : وهي الآن قرية عظيمة جدًا ، ذاتُ زيتونٍ وأعنابٍ وفواكهٍ مختلفةٍ ، وبساتينٍ ضخمةٍ كثيرة الثمرات .

(١) ومنها (شَلُوبِينَ) بفتح الشين المعجمة وضم اللام وسكون الواو وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت ونون في الآخر. سماها في "تقويم البلدان" : شلوبينية. ثم قال : وهو من حصون غرناطة البحرية على بحر الزقاق ، ومنه أبو علي عمر بن محمد الشلوبيني إمام نحاة المغرب . قال صاحب حماة : وقد غلط من قال الشلوبيني هو الأشقر بلغة الأندلس . قال في "مسالك الأبصار" : وبها يُزرع قصب السكر ، وهي معدة لإرسال من يغضب عليه السلطان من أقاربه .

ومنها (الْمُنْكَب). قال في "مسالك الأبصار" : وهي مدينة على القرب من شلوبيين دُون المَرِيَّة ، بها دارُ صناعةٍ لإنشاء السفن ، وبها قصب السكر ، ومنها يحمل السكر إلى البلاد ، وبها الموز ، ولا يوجد في بلد من البلاد الإسلامية [هناك] إلا بها إلا مالا يعتبر ، وبها زبيب مشهور الأسم .

ومنها (بَلَّش) . وهي مدينة تلي المنكب من جهة الغرب ، كثيرة التين والعنب والفواكه . قال أبو عبد الله بن السديد : ليس بالأندلس أكثر عنبًا وتينا يابسًا منها .

(٢) ومنها (مالِيقَة) قال في "تقويم البلدان" : بفتح الميم وألف وكسر اللام وفتح القاف وهاء في الآخر . وهي مدينة من جنوب الأندلس موقعها في الإقليم الرابع

(١) ضبطه ابن خالكان في "الوفيات" بفتح اللام وهو المشهور .

(٢) ضبطها ياقوت في معجمه بفتح اللام وهو الأشهر .

من الأقاليم السبعة . قال : وقياس ابن سعيد أنها حيثُ الطولُ عشرُ درج وثلاثون دقيقةً ، والعرضُ ثمانٌ وثلاثون درجةً وأربع وخمسون دقيقةً : وكانت في القديم مملكةً مستقلةً ، ثم أُضيفت الآن إلى غرناطة وملكها حتى مملكة قرطبة ، وهي بين مملكتي إشبيلية وغرناطة ، وهي على بحر الرقاق ، وبها الكثير من التين واللوز الحسن المنظر ، ومنها يُنقل يابساً إلى جميع غرب الأندلس . قال في "مسالك الأبصار" : ولها ربضان عامران : أحدهما من علوها والآخر من سفلهما وجامعها بديع ، وبصحنه نارنج ونخلة نابتة ، وبها دار صناعة لإنشاء المراكب ، وهي مختصة بعمل صنائع الجلد : كالأغشية ، والحُزْم ، والمدورات ، وبصنائع الحديد : كالسكين والمِقَصّ ونحوهما . وبها الفخار المذهب الذي لا يوجد مثله في بلد . قال ابن السديد : وبها سوق ممتد لعمل الخوص من الأطباق وما في معناها ، ولها عدة حصون في أعمالها ، وفي أعمالها يوجد الحرير الكثير .

(١)
ومنها مدينة (مرَبلة) بفتح الميم وسكون الراء المهملة وضم الباء الموحدة وفتح اللام المشددة وهاء في الآخر . وهي مدينة صغيرة مما يلي مالقة من الغرب على الساحل ، وبها الفواكه الكثيرة والسّمك .

ومنها (أشبونة) . وهي مما يلي مرَبلة من جهة الغرب على الساحل ، وهي نظيرها في كثرة الفواكه .

ومنها (جبل الفتح) . وهو الذي نزل طارق عند فتح الأندلس في أول الإسلام ، منبعٌ جدّاً ، يخرج في بحر الرقاق ستة أميال ، وهو أضيق ما يكون عنده ، وقد كان هذا

(١) ضبطها ياقوت بفتح الباء وضم اللام .

الجليل في مملكة الفرج وأقام بيدهم عدة سنين ، ثم أعاده الله تعالى إلى المسلمين في أيام السلطان أبي الحسن المريني ، صاحب الغرب الأقصى في زمن الملك الناصر «محمد بن قلاوون» صاحب الديار المصرية .

ومنها (الجزيرة الخضراء) . وهي مما يلي جبل الفتح من الغرب على الساحل ، وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول تسع درج ، والعرض خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال : وهي مدينة أمام سبتة من بئر العدو من بلاد الغرب . وهي مدينة طيبة نزهة ، توسطت مدن الساحل ، وأشرفت بسورها على البحر ، ومرساها من أحسن المراسي للجواز ، وأرضها أرض زرع وضرع ، وخارجها المياه الحارية والبساتين النضيرة ، ونهرها يعرف بوادي العسل ، وعليه مكان نزهة يشرف عليه وعلى البحر يعرف بالحاجية ، ومن مستنزهاتها مكان يعرف بالنقاء . قال ابن سعيد : وهي من أرشق المدن وأطيبها وأرققها بأهلها وأجمعها خير البر والبحر . قال في "المشترك" : والنسبة إليها جزيري ، للفرق بينها وبين إقليم الجزيرة فإنه ينسب إليه جزري . قال في "مسالك الأبصار" : وهي آخر البلاد البحرية الإسلامية للأندلس وليس بعدها [لهم بلاد] . ثم قال : وهي الآن بيد النصارى أعادها الله تعالى وقصمهم ، وقد عدّها في "تقويم البلدان" : من كور إشبيلية مما يلي جانب نهرها من الجنوب .

ومنها (رندة) بضم الراء وسكون النون وفتح الدال المهملة وهاء في الآخر . وهي بعيدة عن البحر . وعدّها في "تقويم البلدان" من كور إشبيلية . ثم قال : وبها معقل تعمم بالسحاب ، وتوشح بالأنهار [العذاب^(١)] وذكر أنها من كبار البلدان ، ثم قال :

(١) الزيادة عن التقويم .

وهى بلدة جليلة ، كثيرة الفواكه والمياه والحِث والمَاشِيَّة ، وأهلها موصوفون بالجمال ورقَّة البشرة واللَّطَافَة ، وبينها وبين الجزيرة الخضراء مَسِيرَةٌ ثلاثة أيام .
ومنها (مدينة لَوْشَة) . قال فى "تقويم البلدان" : وهى عن غَرْنَاطَة على مرحلة بين البساتين والرياض .

ومنها (واديَّاش) بفتح الواو وألف ثم دال مهملة مكسورة بعدها ياء مثناة تحتيَّة وألف ثم شين معجمة . ويقال : (واديَّاش) بإبدال الياء همزة . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى بلدة حسنة ، بديعة ، منيعة جدًّا ، كثيرة الفواكه والمزارع ، والمياه تُشَقُّ أمام أبوابها كما فى غَرْنَاطَة ، قرية من جبل شَكَّير المقدم ذكره مع غَرْنَاطَة ، فلذلك هى شديدة البرد بسبب ما على الجبل المذكور من الثلج . قال : وهى بلدة مُمِلِّقَة ، وأهلها موصوفون بالشَّعر ، ويحكم بها الرؤساء من أقارب صاحب غَرْنَاطَة أو مَنْ يَسْتَقِلُّ بها سلطانا أو مَنْ خلع من سلطان لنفسه .

ومنها (بَسْطَة) . وهى بلدة تلى واديَّاش المقدم ذكرها . وعدّها فى "تقويم البلدان" من أعمال جَيَّان . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى كثيرة الزَّرع واختصَّت بالزعفران ، فيها منه ما يكفى أهل المِلَّة الإسلامية بالأندلس على كثرة ما يستعملونه منه .

ومنها (أنْدَرَّاش) . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى مدينة ظريفة ، كثيرة الحِصْب ، وتختصُّ بالفَخَّار الجَوْدَة تُرَبَّتْها ، فليس فى الدنيا مثلُ فخَّارها للطَّبَّخ . إلى غير ذلك من البلدان مثل أرحضونة وأنْتَقِيرَة وبرْجَة وغيرها . قال فى "مسالك الأبصار" : وحصون هذه المملكة كثيرة جدًّا ، فليس بها من بلد إلا وحوله حُصُون كثيرة محفوظة بولاية السلطان ورجالٍ تحت أيديهم .

القاعدة الثانية

(أشْبُونَة)

قال في "تقويم البلدان" : بضم الهمزة وسكون الشين المعجمة وضم الباء الموحدة ثم واو ونون وفي آخرها هاء . قال : وعن بعض المسافرين أنَّ أولها لام . وهي مدينة في غرب الأندلس ، وموقعها في أواخر الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول ستُّ درج وخمس وخمسون دقيقة ، والعرض اثنتان وأربعون درجة وأربعون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي قاعدة مملكة على البحر المحيط في غربي إشبيلية وشمالها ، وغربي باجة . وهي مدينة أزليَّة ولها البساتين والثمار المفضلة على غيرها . قال ابن سعيد : وبينها وبين البحر المحيط ثلاثون ميلا . وهي على جانب نهر يودانس . قال في "تقويم البلدان" : وبزاتها خيار البزاة . قال : وكانت في آخر وقت مضافة إلى بطليوس وملكيها ابن الأفطس . وذكر في "العبر" : أنها الآن قاعدة مملكة من ممالك النصارى بالأندلس يقال لها مملكة البرتقال ، وأنها عمالة صغيرة ، وقد أُضيفت الآن إلى أعمال جليقية كما سيأتي ذكره في الكلام على ملوك الأندلس .

ولها مضافات :

منها (شَنْتَرِين) قال في "تقويم البلدان" : بفتح الشين المعجمة وسكون النون وكسر المثناة من فوق والراء المهملة وسكون المثناة من تحت وفي آخرها نون فيما هو مكتوب بخط ابن سعيد . وهي مدينة كانت في القديم من جليقية شمالي الأندلس ، ثم استقرت من أعمال أشبونة المقدم ذكرها . موقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول ثمانُ درج وعشر دقائق ، والعرض

أثنان وأربعون درجة ونحس وثلاثون دقيقة ، وهى على بحر برطانية : وهو بحر برديل الخارج من البحر المحيط المقدم ذكره فى الكلام على البحور ، وهى على نهر يصب فى البحر وأرضها طيبة .

ومنها (شنترة) . وهى مدينة ذكرها فى "تقويم البلدان" مع أشبونة أستطرادا ونسبها إلى عملها ، ولم يتعرض لضبطها ولا لطولها وعرضها . وقال : إن بها تفاحا مفرطا فى الكبر والنباله .

ومنها مدينة (باجة) بفتح الباء الموحدة وألف ثم جيم مفتوحة وهاء فى الآخر . قال فى "تقويم البلدان" : وهى شرق أشبونة ، وهى من أقدم مدائن الأندلس ، وأرضها أرض زرع وضرع ، وعسلها فى نهاية الحس ، ولها خاصية فى حسن دباغ الأدم ، وكانت مملكة مستقلة .

القاعدة الثالثة

(بطلْيوس)

قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الباء الموحدة والطاء المهملة وسكون اللام وفتح المشاة التحتية وسكون الواو وسين مهملة فى الآخر . وهى مدينة من غرب الأندلس موقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول تسع درج ، والعرض ثمان وثلاثون درجة ونحسون دقيقة . قال فى "تقويم البلدان" : ومملكته فى الشمال والغرب عن مملكة قرطبة . وهى فى الغرب بميلة إلى الجنوب عن مملكة طليطلة . وهى مدينة عظيمة فى بسيط من الأرض مخضر على جانب نهر . قال : وهى مدينة عظيمة إسلامية كانت بيد المتوكل بن عمر الأفطس ، وبنى بها المباني العظيمة وفيها يقول ابن الفلاس :

بَطْلَيْوُسُ لَا أَنْسَاكَ مَا أَتَّصِلُ الْبُعْدُ ! * فَلِلَّهِ غَوْرٌ مِنْ جَنَابِكَ أَوْ نَجْدُ !
وَلِلَّهِ دَوَّحَاتٌ تَحْفُكُ بَيْنَهَا ، * تَفَجَّرُ وَادِيهَا كَمَا شَقَّقَ الْبُرْدُ !
وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ قُرْطَبَةَ سِتَّةُ أَيَّامَ .

ولها مضافات من أعمالها .

منها (مَارِدَةٌ) قال في " تقويم البلدان " : بفتح الميم ثم ألف وراء مهملة مكسورة ودال مهملة وهاء في الآخر كما هو في خط ابن سعيد . وهي مدينة على جنوبي نهر بَطْلَيْوُسَ ، موقعها في أول الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد : حيث الطول تسع درج ونحس وخمسون دقيقة ، والعرض تسع عشرة درجة ^(١) . قال في " تقويم البلدان " : وهي مدينة أزيلية ، ولها ماء مجلوب تحير صنعته . قال ابن سعيد : قال الرازي : وهي إحدى القواعد التي بنتها ملوك العجم للقرار . قال : وكان قد آتخذها سلاطين الأندلس قبل الإسلام سريراً لملك الأندلس ، وكانت في دولة بني أمية يليها عظماء منهم ؛ ثم صار الكرسي بعد ذلك بَطْلَيْوُسَ ، وقد صارت الآن للنصارى .

ويحكى أنه كان بكنيستها حجر يُضَيء الموضع من نوره ، فأخذته العرب أول دخولها .

ومنها (يَابْرَةُ) بياء آخر الحروف وألف وباء موحدة وراء مهملة وهاء في الآخر . وهي مدينة ذكرها في " تقويم البلدان " بعد ذكر بَطْلَيْوُسَ استطراداً .

(١) في تقويم البلدان أن عرضها تسع وثلاثون درجة .

القاعدة الرابعة

(إشيلية)

قال في "تقويم البلدان" : بكسر الألف وسكون الشين المعجمة وكسر الباء الموحدة وسكون المثناة من تحت ولام وياء ثانية تحتية وفي آخرها هاء. قال : ومعنى أسمها المدينة المنبسطة . وهي مدينة أرزية في غرب الأندلس وجنوبه على القرب من البحر المحيط ، موقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد : حيث الطول تسع درج وعشر دقائق ، والعرض سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وهي على شرف نهرها الأعظم وجنوبه ، ولها خمسة عشر بابا ، ومملكتها غربي مملكة قرطبة ، فطول مملكتها من الغرب من عند مصب نهرها في البحر المحيط إلى أعلى النهر من الشرق مما يلي مملكة قرطبة نحو خمس مراحل ، وعرضها من الجزيرة الخضراء على ساحل الأندلس الجنوبي إلى مملكة بطليوس في الشمال نحو خمسة أيام ، وبينها وبين قرطبة أربعة أيام ، وهي الآن بيد ملوك النصارى . ولها عدة كور في جنوبي نهرها وشماليه .

فأما كورها التي في جنوبي نهرها وهي الأكثر :

فمنها (كورة أركش) قال في "تقويم البلدان" : بالراء المهملة معقل في غاية المنعة .

ومنها (كورة شريش) قال في "تقويم البلدان" : بفتح الشين المعجمة

وكسر الراء المهملة وسكون الياء المثناة التحتية وشين معجمة في الآخر ، وإليها ينسب « الشريشي » شارح "المقامات الحيرية" .

ومنها (كورة طريف) بفتح الطاء وكسر الراء المهملتين وسكون المثناة التحتية

وفاء في الآخر .

وأما التي شماليّ النهر فكورتان : إحداهما (كورة أوتنة)^(١) . وهي أشهرها وأوتنة مدينة جليّة .

قال في "تقويم البلدان" : ومن الممالك المضافة لإشبيلية مملكة شلب . وهي كورة ومدينة في غربيّ إشبيلية وشماليّها على ساحل البحر المحيط ، بينها وبين قرطبة تسعة أيام ، وبشلب هذه قصر يعرف "بقصر الشراخيب" وهو الذي يقول فيه بعض شعرائهم :

وسلم على "قصر الشراخيب" عن فتى * له أبداً شوقٌ إلى ذلك القصر !

القاعدة الخامسة

(قرطبة)

قال في "اللباب" : بضم القاف وسكون الراء وضم الطاء المهملتين وباء موحدة وهاء في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : هذا هو المشهور . وقال ابن سعيد : هي بلسان القوط بالطاء المعجمة ونقله عن جماعة . وهي مدينة غربيّ نهر إشبيلية في غرب الأندلس بجنوب ، وموقعها في أواخر الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد : حيث الطول عشر درج ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : ومملكة قرطبة شرقيّ مملكة إشبيلية . وهي في الجنوب والشرق عن مملكة بطليوس ، وفي الجنوب عن مملكة طليطلة ، ودور قرطبة ثلاثون ألف ذراع ، وهي أعظم مدّن الأندلس ، وعليها سور صخيم من الحجر ، ولها سبعة أبواب ، وبلغت عدّة مساجدها ألفاً وستّائة مسجد ،

(١) أي والثانية كورة شلب .

وحماماتها تسعائة حمام . وهى مدينة حصينة . وقد استولت عليها ملوك النصرانية ،
وهى بأيديهم إلى الآن .

ولها مضافات :

منها (مدينة الزهراء) . وهى مدينة بناها الناصر الأموى فى غربى قرطبة ،
فى سفح جبل .

ومنها (القصير) . وهو حصن فى شرقى قرطبة على النهر ، وله كورة من
أشهر كورها .

ومنها (حصن المدور) . وهو المعقل العظيم المشهور ، وللروم به اعتناء عظيم .

ومنها (حصن مراد) . وهو حصن فى غربى قرطبة .

ومنها (كورة غافق) . وهى معاملة كبيرة .

ومنها (كورة إستجة) . وغير ذلك .

القاعدة السادسة

(طليطلة)

قال فى " تقويم البلدان " : بضم الطاء المهيمة وفتح اللام وسكون المشاة من
تحت وكسر الطاء الثانية ثم لام وهاء فى الآخر . وموقعها فى آخر الإقليم الخامس
قال ابن سعيد : حيث الطول خمس عشرة درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثلاث
وأربعون درجة وثمان عشرة دقيقة . وهى مدينة أزلية كانت قاعدة الأندلس
فى القديم ، وبها كان كرسى ملك « لدريق » : آخر ملوك القوط الذى أنترعها

المسلمون منه . وهي الآن قاعدة مُلْك « الادفونش » أكبر ملوك النصرانية بالاندلس المعروف بالفنش . قال في « تقويم البلدان » : وهي من امنع البلاد وأحصنها ، مبنية على جبل عال ، والأشجار مُحْدَقَة بها من كل جهة ، ويصير بها الجُلنار بقدر الرمانة من غيرها ، ويكون بها شجر الرمان عدّة أنواع ، ولها نهر يمر بأكثرها ينحدر من جبل الشارة من عند حصن هناك يقال له (باجة) وبه يعرف نهر طليطلة . فيقال : نهر باجة ، ومنها إلى نهاية الأندلس الشرقية عند الحاجز الذي هو جبل البرت نحو نصف شهر ، وكذلك إلى البحر المحيط بجهة شلب .

ولها مضافات :

منها (مدينة وليد) بفتح الواو وكسر اللام وسكون المثناة من تحت ودال مهملة في الآخر . وموقعها في أواخر الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيثُ الطول إحدى عشرة درجة وأثنى عشرة دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وثلاث دقائق . قال في « تقويم البلدان » : وهي من أحسن المدن . وهي في الغرب من طليطلة في جنوبيّ جبل الشارة الذي يقسم الأندلس بنصفين . قال : ويحلّها الفنش ملك الفرنج في أكثر أوقاته .

ومنها (مدينة الفرج) ^(١) [بفتح الفاء والراء المهملة ثم جيم] وهي مدينة شرقيّ طليطلة . وشرقيها مدينة سالم . قال ابن سعيد : ويقال لنهرها وادي الحجارة .

ومنها (مدينة سالم) قال ابن سعيد : وهي بالجهة المشهورة بالثغر من شرقيّ الأندلس . قال : وهي مدينة جليّة . قال في « تقويم البلدان » : وبها قبر « المنصور بن أبي عامر » .

(١) ضبطناها من التقويم لثم الفائدة .

القاعدة السابعة

(جَيَّاتُ)

قال في "تقويم البلدان" : بفتح الجيم وتشديد المثناة من تحت وألف ونون في الآخر . وموقعها في أول الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول إحدى عشرة درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وسبع وخمسون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : ومملكتها بين مملكتي غرناطة وطليطلة . وهي في نهاية من المنعة والحصانة . وهي عن قرطبة في جهة الشرق وبينهما خمسة أيام ، وهي من أعظم مدُن الأندلس وأكثرها خصبا ، وكانت بيد بني الأحمر أصحاب غرناطة فأخذتها الفرنج منهم بالسيف بعد حصار طويل ، وبلادها كثيرة العيون ، طيبة الأرض ، كثيرة الثمار ، وبها الحرير الكثير .

ولها مضافات :

منها (مدينة قَبْجَاطَة) . وهي مدينة ترهة كثيرة الخصب ، أخذها النصارى بالسيف أيضا .

ومنها (بَيَّاسَة) بفتح الباء الموحدة وتشديد المثناة التحتيّة وألف ثم سين مهملة مفتوحة وهاء في الآخر . وهي مدينة على نهر إشبيلية فوق إشبيلية ، طيبة الأرض ، كثيرة الزرع ، وبها الزعفران الكثير ، ومنها يحل إلى الآفاق .

ومنها (مدينة آبدَة) بمدّ الهمزة المفتوحة وكسر الباء الموحدة وفتح الدال المهملة وهاء في الآخر . وهي مدينة إسلامية أُحْدِثَتْ في دولة بني أمية بالأندلس بجوار بَيَّاسَة إلا أنها ليست على النهر ، ولها عين تسقى الزعفران .

(١) ومنها (جبل سمنتان) . وهو جبل به حصون وقرى كثيرة .
ومنها (مَعْقِلُ شَقُورَة) و (حصن برشانة) .

القاعدة الثامنة

(مُرْسِيَّة)

قال في "تقويم البلدان" : بضم الميم وسكون الراء وكسر السين المهملتين ثم ياء
مثناة من تحتها وهاء في الآخر . وموقعها في أوائل الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة
قال ابن سعيد : حيث الطول ثمان عشرة درجة ، والعرض تسع وثلاثون درجة
وعشر دقائق . قال في "تقويم البلدان" : وهي مدينة إسلامية مُحَدَّثَة ، بُنِيَتْ
في أيام الأمويين الأندلسيين ؛ قال وهي من قواعد شرق الأندلس . وهي تُشَبَّه إِشْبِيلِيَّةَ
في غرب الأندلس بكثرة المَنَازِه والبساتين ، وهي في الذراع الشرقي الخارج من عين
نهر إِشْبِيلِيَّةَ .

ولها عدة منترهات .

(٢) منها [(الرَّشَاقَة) و (الزَّتَقَات) و (جبل إيل) وهو] جبل تحته البساتين ، وبَسَطَ
تسرح فيه العيون .
ولها مضافات :

منها (مدينة مُوَلَّة) . وهي في غربي مُرْسِيَّةَ .

ومنها (مدينة أَرْيُولَة) وغير ذلك .

(١) كذا في التقويم ص ١٧٧ ولم نعر عليه .

(٢) الزيادة عن تقويم البلدان .

القاعدة التاسعة

(بَلَنْسِيَّةُ)

قال في "تقويم البلدان" : بفتح الباء الموحدة واللام وسكون النون وكسر السين المهملة وفتح المثناة من تحت وهاء في الآخر . وموقعها في أواخر الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيثُ الطولُ عشرون درجة ، والعرضُ ثمان وثلاثون درجة وست دقائق . قال في "تقويم البلدان" : وهي من شرق الأندلس ، شرقى مُرْسِيَّةَ وغربى طُرطُوشة . وهي في أحسن مكان ، وقد حُفَّتْ بالأنهار والجنان ، فلا ترى إلا مياهها تتفرع ، ولا تسمع إلا أطيارا تسجع . وهي على جنب بحيرةٍ حسنةٍ على القرب من بحر الزقاق ، يصبُّ فيها نهرٌ يجري على شمالى بَلَنْسِيَّةَ . ولها عدَّةُ منازره .

منها (الرصافة) و (مُنِيَّةُ ابن عامر) وحيث خرجت منها لاتلقى إلا منازره . قال ابن سعيد : ويقال إن ضوء مدينة بَلَنْسِيَّةَ يزيد على ضوء بلاد الأندلس ، وجوها صقيل أبدا ، لا يرى فيه ما يكدره .

ولها مضافات : ^(١) وقد صارت الآن من مضافات برشلونة في جملة أعمال صاحبها من ملوك النصارى .

منها (مدينة شاطبة) بفتح الشين المعجمة وألف بعدها طاء مهملة مكسورة ثم باء موحدة مفتوحة وهاء في الآخر . وهي مدينة عظيمة ، ولها معقل في غاية الأمتناع وعدة مستنزهات : منها (البطحاء) و (الغدير) و (العين الكبيرة) . وإليها ينسب الشاطبي صاحب " القصيدة " في القراءات السبع ، وقد صارت الآن مضافةً إلى ملك برشلونة في يد صاحبها .

(١) هذه الجملة ساقطة من القطعة الأثرية .

ومنها (دائنة) بفتح الدال المهملة وألف ثم نون مكسورة ومثناة تحتية مفتوحة وهاء في الآخر . وهي من شرق الأندلس ، وموقعها في أوائل الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيثُ الطولُ تسعَ عشرةَ درجةً وعشرُ دقائقُ ، والعرضُ تسعُ وثلاثونَ درجةً وستُ دقائقُ . وهي غربي بلنسية على البحر عظمية القدر كثيرة الخيرات ، ولها عدة حصون . وقد صارت الآن من مضافات برشلونة مع بلنسية ، على ماسياتى ذكره في الكلام على ملوك الأندلس إن شاء الله تعالى .

القاعدة العاشرة

(سرقسطة)

قال في "تقويم البلدان" : بفتح السين والراء المهملتين وضم القاف وسكون السين الثانية وفتح الطاء المهملة وهاء في الآخر . وهي مدينة من شرق الأندلس ، موقعها في أواخر الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيثُ الطولُ إحدى وعشرون درجةً وثلاثون دقيقةً ، والعرضُ اثنتان وأربعون درجةً وثلاثون دقيقةً . قال في "تقويم البلدان" : وهي قاعدة الشجر الأعلى . وهي مدينة أزليّة بيضاء في أرض طيبة ، قد أحْدَقَتْ بها من بساينها زُرْدَةٌ خضراء ، وأتفَّ عليها أربعة أنهار فأضحت بها مَرَصَعَةً مُجَزَّةً .

ولها متنزّهات :

منها (قصر السرور) و(مجلس الذهب) . وفيهما يقول ابن هودٍ من أبيات :
قَصْرَ السُّرُورِ وَمَجْلِسَ الذَّهَبِ ، * بِكَا بَلَغْتُ نِهَآيَةَ الطَّرَبِ !

القاعدة الحادية عشرة

(طُرُوشَةُ)

(١) قال في "تقويم البلدان" : يضم الطائين المهملتين وبينهما راء ساكنة مهملة ثم واو ساكنة وشين معجمة وهاء في الآخر. وهى مدينة فى شرق الأندلس ، موقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيثُ الطولُ اثنتانِ وعشرون درجةً وثلاثون دقيقةً ، والعرضُ أربعون درجةً . قال : وهى من كرايى مُلك شرق الأندلس . وهى شرقى بلنسية فى الجهة الشرقية من النهر الكبير الذى يمر على سرقسطة ويصبُّ فى بحر الزقاق ، على نحو عشرين ميلاً من طُرُوشة . قال : وشرقى طُرُوشة (جزيرة مأرقة) فى بحر الزقاق ، وإلى طُرُوشة هذه ينسب «الطرُوشى» صاحب "سراج الملوك" .

القاعدة الثانية عشرة

(بَرَشُونَةُ)

قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح الشين المعجمة وضم النون وسكون الواو ثم نون مفتوحة وهاء فى الآخر . ويقال (بَرَشُونَةُ) ببدال النون الأولى لما قال فى "تقويم البلدان" : وهى خارجة عن الأندلس فى بلاد الفرنج ، وموقعها فى أوائل الإقليم السادس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيثُ الطولُ أربع وعشرون درجةً وثلاثون دقيقةً ، والعرضُ اثنتانِ وأربعون

(١) ضبطها باقوت بفتح الطاء الأولى وضم الثانية وقال المجد بالضم وقد تفتح .

درجة . وهى الآن قاعدة مُلْك النصارى بِشَرْق الأندلس ، وقد أُضيف إليها أرغون ، وشاطبة ، وسرقسطة ، وبلنسية ، وجزيرة دانية ، وميورقة ، وغير ذلك . على ما يأتى ذكره فى الكلام على ملوك الأندلس فيما بعد إن شاء الله تعالى .

القاعدة الثالثة عشرة

(يَنْبُلُونَةُ)

قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الياء المشناة من تحت وسكون النون وضم الباء الموحدة واللام ثم واو ساكنة ونون مفتوحة وهاء فى الآخر . وموقعها فى أوائل الإقليم السادس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيثُ الطولُ اثنتان وعشرون درجةً وخمس عشرة دقيقة ، والعرضُ أربع وأربعون درجة . قال فى "تقويم البلدان" : وهى مدينة فى غرب الأندلس خلف جبل الشارة . قال : وهى قاعدة النَّبَرِيّ : أحد ملوك الفرنج . وتعرف هذه المملكة بمملكة نبرة - بفتح النون وتشديد الباء الموحدة المفتوحة وفتح الراء المهملة وهاء فى الآخر . وهى مملكة فاصلة بين مملكتي قشتالة وبرشلونة ، وهى مما يلي قشتالة من جهة الشرق ، وسيأتى ذكرها فى الكلام على ملوك الأندلس فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الجملة الثالثة

(فى ذكر أنهاره)

إعلم أن بالأندلس أنهارا كثيرة قد تقدّم ذكر الكثير منها ، وأعظمها نهران : الأول (نهر إشبيلية) . قال ابن سعيد : وهو فى قدر دجلة ، وهو أعظم نهر بالأندلس ، ويسميه أهل الأندلس النهر الأعظم . قال فى "تقويم البلدان" ومخرجه

من جبال شُقُورَة حيثُ الطولُ خمسَ عشرةَ درجةً ، والعرضُ ثمانٌ وثلاثونَ وثلثان ، وهو يجري في ابتدائه من الشرق إلى الغرب ، ثم يصبُّ إليه عدَّةُ أنهر .

منها (نهر سنيل) الذي يمرُّ على غَرْناطة . ونهر (سوس) الذي عليه مدينة إستِجَة ، ويسير من جبال شُقُورَة إلى جهات جَيَّان ، ويمرُّ على مدينة بَيَّاسة ، ومدينة آبدَة ، ثم يمرُّ على قُرطُبة ، ثم إذا تجاوز قُرطُبة وقَرُب من إشبيلية ينعطف ويجرى من الشمال إلى الجنوب ، ويمرُّ كذلك على إشبيلية ، وتكون إشبيلية على شَرْقيه وطَرْيانة على غَرْبيه مقابلَ إشبيلية من البر الآخر ، ثم ينعطف فيجري من الشرق إلى الغرب ، ثم يجاوز حتَّى يصبَّ في البحر المحيط الغربى عند مكان يعرف بِرَّ المائدة ، حيثُ الطولُ ثمانٌ درج وربع ، والعرضُ ستٌ وثلاثونَ وثلثان ، وتكون جزيرة قادس في البحر الرومى على يسار مَصَبِّه ، ويقع في هذا النهر المدُّ والجزر من البحر كما في دِجْلَة عند البصرة ، ويبلغ المدُّ والجزرُ فيه سبعين ميلاً إلى فوق إشبيلية عند مكان يعرف بالأرْحى ، ولا يملح ماؤه بسبب المدِّ عند إشبيلية بل يبقى على عُدُوْبته ، وبين إشبيلية وبين مَصَبِّ النهر في البحر خمسون ميلاً ، فالمدُّ يتجاوز إشبيلية بعشرين ميلاً ، والمدُّ والجزر يتعاقبان فيه كلَّ يوم وليلة ، وكلما زاد القمرُ نورا زاد المدُّ ، والمراكب لا تزال فيه منحدرة مع الجزر صاعدة مع المدِّ ، وتدخلُ فيه السفن العظيمة الإفرنجية بوسقها من البحر المحيط حتَّى تحطَّ عند سور إشبيلية . قال ابن سعيد :

وعلى هذا النهر من الضياع والقرى ما لا يبلغه وصف .

الثانى (نهر مُرسِيَة) . قال في "تقويم البلدان" : وهو قسمُ نهر إشبيلية ، يخرجان من جبال شُقُورَة فيمرُّ نهر إشبيلية مغرباً على ماتقْدَم ويصبُّ في البحر المحيط . ويمرُّ نهر مُرسِيَة مشرقاً حتَّى يصبَّ في بحر الروم عند مُرسِيَة .

(١) المراد أن مد النهر وجزره من مد البحر وجزره .

الجملة الرابعة

(في الموجود بالأندلس)

والظاهر أن كل ما يُوجد ببلاد المغرب أو غالبه يوجد به . وقد ذكر في "تقويم البلدان" أنه يوجد به من الوحش : الإيل ، والغزال ، وحمار الوحش . ولا يوجد به الأسد البتة . وقد تقدم ذكر ما يبلدانه من الفواكه والثمار في الكلام على بلاده فأغنى عن إعادته هنا . قال في "تقويم البلدان" : وبه عدة مقاطع رخام من الأبيض والأحمر والخمرى والمجزع وغير ذلك .

الجملة الخامسة

(في ذكر ملوك الأندلس : جاهلية ، وإسلاماً . وهم على طبقات)

الطبقة الأولى

(ملوكها بعد الطوفان)

قال الرازي في كتاب "الاستيعاب" في تاريخ الأندلس : أول من ملكها بعد الطوفان على ما ذكره علماء عجمها قوم يُعرفون بالأندلس بالشين المعجمة ، وبهم سُمي الأندلس ، ثم عرب بالسين المهملة ، وكانوا أهل تمجس فحبس الله عنهم المطر حتى غارت عيونها وبيست أنهارها فهلك أكثرهم ، وفر من قدر على الفرار منهم ، فأفقرت الأندلس وبقيت خالية مائة عام .

وقال « هروشيوش » مؤرخ الروم : أول من سكنها بعد الطوفان قوم يقال لهم الأباريون ، وهم من ولد طوبال بن يافث بن نوح عليه السلام سكنوها بعد الطوفان . قال في "الروض العطار" ويقال : إن عدد ملوكهم الذين ملكوا الأندلس مائة وخمسون ملكاً .

الطبقة الثانية

الأشباينة

(ملكوا بعد طائفة الأندلس المتقدم ذكرهم)

قال الرازي : وأول من ملك منهم أشبان بن طيطش ، وهو الذي غزا الأفارقة وحصر ملكهم بطارقة ، ونقل رُخاءها إلى إشبيلية وأخذها دار مُلكه ، وبه سميت ، وكثرت جموعه فعلا في الأرض ، وغزا من إشبيلية إيلياء : وهي بيت المقدس بعد سنتين من مُلكه : نخرج إليها في السفن فهدمها وقتل من اليهود مائة ألف ، وأسترق مائة ألف ، وفترق في البلاد مائة ألف ، ونقل رُخام إيلياء وآلاتها وذخائرها إلى الأندلس .

ويحكى أن الخضر (عليه السلام) وقف على أشبان هذا وهو يحرق أرضاً له أيام حدّاشته ، فقال له : يا أشبان ، إنك لدوشان ! وسوف يحطيك زمان ، ويعليك سلطان . فإذا أنت تغلبت على إيلياء ، فارفق بورثة الأنبياء ! - فقال له أشبان : أسأخربى رحمك الله ؟ أنى يكون هذا وأنا ضعيف مهين ، فقير حقير ؟ - فقال : قدّر ذاك من قدر في عصاك اليابسة ما تراه ، فنظر أشبان إلى عصاه فراها قد أورقت ، فأرتاع لذلك ، وذهب الخضر عنه وقد وقر ذلك في نفسه ، ووثق بكونه ، فترك الأمتان ، وداخل الناس ، وصحب أهل الباس ، وسمّا به جدّه فارتقى في طلب السلطان حتى نال منه عظيماً ، ودام ملكه عشرين سنة ، وأتصلت المملكة في بنيهِ إلى أن ملك منهم الأندلس خمسة وخمسون ملكاً .

(١) في "نفع الطيب ج ١ ص ٦٨" طائفة باللام .

الطبقة الثالثة

(١)

(الشبوتقات)

وهي طائفة ثارت على الأندلس من رومة في زمن مبعث المسيح عليه السلام، وملكوا الأندلس والإفرنجة معها، وجعلوا دار ملكتهم ماردة، وأتصل ملكهم إلى أن ملك أربعة وعشرون ملكاً^(٢). ويقال: إن منهم كان ذو القرنين. والذي ذكره «هروشيوش» مؤرخ الروم أن الذي خرج عليهم من رومة ثلاث طوابع من الغريقيين. وهم: الأنبيون، والشوانيون، والقندلش، وأقسموا ملكها: فكانت جليقية لقندلش، ونشبونة وماردة وطليطلة وعريسية للشوانيين، وكانت إشبيلية وقرطبة وجيان ومالقة للأنيين، حتى زحف عليهم القوط من رومة كما سيأتي.

الطبقة الرابعة

(القوط)

خرجوا على الشبوتقات فغلبوا على الأندلس وأقتطعوها من صاحب رومة، وأنفردوا بسلطانهم، وأخذوا مدينة طليطلة دار ملكهم (دخشوش) ملك القوط، وهو أول من تنصر من هؤلاء بدعاء الحواريين ودعا قومه إلى النصرانية، وكان أعدل ملوكهم وأحسنهم سيرة.

وقال «هروشيوش»: إنه كان قد ولي عليهم ملك يقال له (اطفالش).

ثم ولي عليهم بعده ملك اسمه (طشريك) وقتله الرومانيون.

(١) في «نفتح الطيب ج ١ ص ٧٠» البشوتقات.

(٢) في «نفتح الطيب ج ١ ص ٧٠» سبعة وعشرون.

ثم ولى مكانه ملك اسمه (تالبه) ثلاث سنين، وزوج أخته من طودشيش ملك^(١) الرومانيين، وصالحه على أن يكون له مايفتحه من الأندلس؛ ثم مات .

وولى مكانه ملك اسمه (لُذْرِيق) ثلاث عشرة سنة فزحف على الأندلس وقتل ملوكها، وطرد الطوائف الذين كانوا بها، وبقي الحال على ذلك نحوًا من ثمانين سنة؛ ثم هلك لُذْرِيق .

وولى مكانه ابنه (وَرِيقش) سبع عشرة سنة، وانتقض عليه البشكنس إحدى طوائف القوط فقهرهم وردّهم إلى طاعته؛ ثم هلك .

وولى بعده (الريك)^(٢) ثلاثا وعشرين سنة؛ ثم قُتل في حرب الفرنج .

وولى عليهم (أشترىك بن طودريك) وهلك بعد خمس سنين من ملكه .

وولى عليهم بعده (بشليقش) أربع سنين .

ثم ملك بعده ملك آخر اسمه (طود ريق) إحدى وستين سنة وقتله بعض أصحابه بإشبيلية .

وولى بعده ملك اسمه (املريق)^(٣) خمس سنين .

ثم ولى بعده ملك اسمه (طودش) ثلاث عشرة سنة .

ثم ولى بعده (طود شكل) سنتين .

ثم ملك بعده ملك اسمه (ايلة) خمس سنين، وانتقض عليه أهل قرطبة فخاربهم وردّهم إلى طاعته .

(١) في "العبر ج ٢ ص ٢٣٥" طودوشيش .

(٢) في "العبر" الديك بالبدال المهملة .

(٣) في "العبر ج ٢ ص ٢٣٦" إبرليق . وفيه في هذا الموضع خلاف لما بيدنا من الاصل في كثير من الاسماء .

ثم ولي بعده ملك اسمه (طنجاده) خمس عشرة سنة .

ثم ولي بعده ملك اسمه (ليوبة) سنة واحدة .

ثم ولي بعده ملك اسمه (لويلاذه) ثمانى عشرة سنة ، وانتقضت عليه الأطراف
فأزبهم وسكنهم ، ثم قُتل .

وولى ابنه (رُذريق) ست عشرة سنة ، وهو الذى بنى البلاط المنسوب إليه
بقُربة .

ولما هلك ولي بعده ملك اسمه (ليوبة) سنتين .

ثم ولي بعده ملك اسمه (بثريق) سبع سنين .

ثم ولي بعده ملك اسمه (عندمار) سنتين .

ثم ملك بعده ملك اسمه (ششيوط) ثمان سنين ، وعلى عهده كان (هرقل) ملك
قسطنطينية والشام ، ولعهده كانت الهجرة .

ثم ملك بعده ملك اسمه (رُذريق) ثلاثة أشهر .

ثم ملك بعده ملك اسمه (شتنة) ثلاث سنين .

ثم ولي بعده ملك اسمه (ششنادش) خمس سنين .

ثم ولي بعده ملك اسمه (خخشوند) سبع سنين .

ثم ولي بعده ملك اسمه (جنشوند) ثلاثا وعشرين سنة .

ثم ملك بعده ملك اسمه (بانيه) ثمان سنين .

ثم ولي بعده ملك اسمه (لورى) ثمان سنين .

ثم ملك بعده رجل اسمه (أيقه) ست عشرة سنة .

ثم ولى بعده رجل اسمه (غطسه) أربع عشرة سنة .

ثم ولى بعده رجل اسمه (لذريق) ستين ، وهو الذى غلبه المسلمون على الأندلس وفتحوها منه ، وهو آخر من ملك منهم . قال صاحب "الروض المعطار" : وعدد من ملك منهم إلى آخرهم وهو (لذريق) ستة وثلاثون ملكا .

الطبقة الخامسة

(ملوكها على أثر الفتح الإسلامى)

وكان فتحها فى خلافة الوليد بن عبد الملك : أحد خلفاء بنى أمية فى سنة اثنتين وتسعين ، وكان من أمر فتحها أن طليطلة كانت دار الملك بالأندلس يومئذ ، وكان بها بيت مغلق متحامى الفتح ، يلزمه من ثقات القوط قوم قد وكلوا به كى لا يفتح ، يعهد الأول بذلك للآخر ، كلما ملك منهم ملك زاد على ذلك البيت قفلا . فلما ولى «لذريق» الأخير ، عزم على فتح الباب والأطلاع على ما فى البيت ، فأعظم ذلك أكارهم وتضرعوا إليه فى الكف ، فأبى وظن أنه بيت مال ، ففص الأقفال عنه ودخله ، فأصابه فارغا لا شئ فيه إلا تابوتا عليه قفل ، فأمر بفتحه فألفاء أيضا فارغا ليس فيه إلا شقة مدرجة قد صورت فيها صور العرب على الخيول ، وعليهم العمام متسلطو السيوف متنكبوا القسي ، رافعوا الرايات على الرماح ، وفى أعلاه كتابة بالعجمية فقرئت فإذا هى " إذا كسرت هذه الأقفال عن هذا البيت ، وفتح هذا التابوت ، فظفر ما فيه من هذه الصور فإن الأمة المصورة فيه تغلب على الأندلس وتملكها " فوجم لذريق وعظم غمّه وغم الأعاجم ، وأمر برّد الأقفال ، وإقرار الحرس على حالهم .

وكان من سير الأعاجم أن يبعث أكا برهم بأولادهم ذكورا كانوا أو إناثا إلى بلاط الملك ، ليتأدبوا بأدبه ، وينالوا من كرامته حتى إذا بلغوا أنكح بعضهم بعضا استئلافا لأبائهم . وكان للدريق عامل على سبته من بر العدو يسمى يُلْيَان ، وله ابنة فائقة الجمال ، فوجه بها إلى دار لدريق على عادتهم في ذلك ، فوقع نظر لدريق عليها فأعجبه ، فاستكرهها على نفسها فاحتالت حتى أعلمت أباهما بذلك سرا ، فشق ذلك عليه ، وحلف ليزيلن سلطان لدريق ، ثم تلطف حتى اقتلع بنته من بيت لدريق ، ثم لم يلبث يُلْيَان [أن كتب] إلى موسى بن نصير أمير أفريقية من جهة « الوليد بن عبد الملك » يحرضه على غزو الأندلس ، وحثه على ذلك ، ووصف له من حسنها وفوائدها مادعا إلى ذلك وهوّن عليه أمر فتحها . فتوثق منه موسى بن نصير بذلك ، ودعا مولى له كان على مقدّماته ، يقال له « طارق بن زياد » فعقد له وبعثه إليها في سبعة آلاف ، وهيا له يُلْيَان المراكب ، فعبر البحر وحلّ بجبل هناك يعرف الآن (بجبل طارق) فوجد عجوزا من أهل الأندلس - فقالت له : إنه كان لى زوج عالم بالحدّثان ، وكان يحدث عن أمير يدخل بلدنا هذا ، ويصفه بأنه ضخّم الهامة وأنت كذلك ، وكان يقول : إنه بكنيفه الأيسر شامة عليها شعر ، فكشف طارق ثوبه فإذا بالشامة كما ذكرت العجوز ، فاستبشر بذلك .

ويحكى أنه رأى (وهو في المركب) النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة يمشون على الماء حتى مروا ، فبشّره النبي صلى الله عليه وسلم بالفتح ، وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد ، فاستيقظ مستبشرا ، وتيقن الفتح ، وهجم البلد فملكها . وكان عسكره قد انتهى إلى اثني عشر ألفا إلا ستة عشر ، ولدريق في ستمائة ألف ، « والله يؤيد بنصره من يشاء » . وأقام طارق بالأندلس حتى قدم إليها مولاه موسى ابن نصير المتقدم ذكره في رجب من السنة المذكورة . وأقام موسى فيها سنتين

ثم أنصرف إلى القيروان ، واستخلف عليها ابنه (عبد العزيز) فنزل قرطبة وأخذها دار إماره لهم ، وتوجه موسى سنة ست وتسعين بما سباه وما غنمه إلى الوليد ابن عبد الملك ، ثم دس سليمان بن عبد الملك على عبد العزيز المذكور من قتله بالأندلس لانتقامه بموالاة أخيه الوليد .

ثم وليها بعده (عبد العزيز) ^(١) بن عبد الرحمن القيسي سنتين وثلاثة أشهر .

ثم وليها (السَّمْحُ بن مالك) الحولاني سنتين وتسعة أشهر .

ثم وليها (عَنْبَسَةُ بن سُحَيْم) الكلبي أربع سنين وخمسة أشهر .

ثم وليها (يحيى بن مسلمة) سنتين وستة أشهر .

ثم وليها (حُذَيْفَةُ بن الأخوص) القيسي سنة واحدة .

ثم وليها (عثمان بن أبي نُسْعَةَ) الخثعمي خمسة أشهر .

ثم وليها (الهَيْثَمُ بن عُبَيْد) خمسة أشهر .

ثم وليها (عبد الرحمن بن عبد الله) الغافقي سنتين وثمانية أشهر .

ثم وليها (عبد الملك) بن [قَطَنُ الفهري] ^(٢) أربع سنين .

ثم وليها (عُقْبَةُ بن الحجاج) خمس سنين وشهرين .

ثم وليها (مُتْلِحُ بن بشر القيسي) ^(٣) أحد عشر شهرا .

ثم وليها (حُسَّامُ بن ضَرَّار) الكلبي سنتين .

(١) لعله وليها بعد عبد العزيز أيوب بن حبيب الحمي كما يؤخذ من نفح الطيب والعبر .

(٢) في الاصل قطار، والتصحيح عن العبر ج ٤ ص ١١٩ .

(٣) في "العبر ج ٤ ص ١١٩" بالغ بن بشر وفيه في هذا المكان زيادة ونقص وتقديم وتأخير في الولاة .

ثم وليها (ثوابة الجُدَامِي) ^(١) سنة واحدة .

ثم وليها (يوسفُ بنُ عبد الرحمن) الفُهْرِيّ تسع سنين وتسعة أشهر .

ثم كانت دولةُ بني أمية بالأندلس ، على ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

الطبقة السادسة

(بنو أمية ، وكانت دارُ ملكهم بها مدينة قرطبة)

وأول من ملكها منهم (عبدُ الرحمن بنُ معاوية) بن هشام ، بن عبد الملك ،
 ابن مروان ، بن الحكم ، ويُعرف (بعبد الرحمن الداخل) . وذلك أن بني العباس
 لما تتبعوا بني أمية بالقتل ، هرب عبد الرحمن المذكور ، ودخل الأندلس وأستولى
 عليها في سنة تسع وثلاثين ومائة من الهجرة ، وقصده بنو أمية من المشرق والتجّوا
 إليه . وتوفي في ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين ومائة . ^(٢)

وملك بعده ابنه (هشام) وتوفي سنة ثمان وسبعين ومائة . ^(٣)

وأسُخِلِف بعده ابنه (الحكم) وفي أيامه استعاد الفَرَجُ مدينةَ برشلونة في سنة
 خمس وثمانين ومائة ، وتوفي لأربع بقين من ذى الحجة سنة ست ومائتين .
 وأقام في الملك بعده ابنه (عبدُ الرحمن) وتوفي في ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين
 ومائتين .

وملك بعده ابنه (محمد) وتوفي في سلخ صفر سنة آثنتين وسبعين ومائتين ، وعمره
 خمس وستون سنة . ^(٤)

(١) في "العبر" و "نفح الطيب" ثعلبة بن سلامة الجُدَامِي .

(٢) في "الكامل ج ٦ ص ٤٠" وقيل سنة ثنتين وسبعين ... وهو الاصح .

(٣) في "العبر والكامل" سنة ثمانين ومائة .

(٤) في "الكامل ج ٦ ص ١٥٣" ثلاث وسبعين .

وملك بعده آبنه (المُنْدَر) وتوفى لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين .

وبويع أخوه (عبد الله) يوم موته ، وتوفى في ربيع الأول سنة ثلثمائة .

وولى بعده ابن آبنه (عبد الرحمن) بن محمد المقتول ابن عبد الله المتقدم ذكره ، وخوِطب بأمر المؤمنين ، وتلقب بالناصر بعد أن مضى من ولايته تسع وعشرون سنة ، عند ما بلغه ضعف خلفاء العباسيين بالعراق وظهور الخلفاء العلويين بأفريقية ، ومخاطبتهم بأمر المؤمنين ، وتوفى في رمضان سنة خمس وخمسين وثلثمائة .

وولى الأمر بعده آبنه (الحكم) وتلقب بالمستنصر ، وتوفى سنة ست وستين وثلثمائة .

وعهد إلى آبنه (هشام) ولقبه المؤيد ، وبايعه الناس بعد موت أبيه ، فأقام إلى سنة تسع وتسعين وثلثمائة .

ثم غلبه (محمد بن هشام) بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر المتقدم ذكره ، وتلقب بالمهدى في جمادى الآخرة من السنة المذكورة .

ثم غلبه (سليمان بن الحكم) بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر المتقدم ذكره ، فهرب محمد بن هشام المذكور وأستولى على الخلافة في شوال من السنة المذكورة . ثم غلبه (محمد بن هشام) المهدى المذكور في منتصف شوال من السنة المذكورة . ثم عاد (هشام بن الحكم) المتقدم ذكره في سابع ذى الحجة من السنة المذكورة . ثم عاد (سليمان بن الحكم) المتقدم ذكره في منتصف شوال سنة ثلاث وأربعمائة ، ولقب بالمستعين .

ثم غلبه (المهدى محمد) بن هشام المتقدم ذكره في أحرىات السنة المذكورة .

ثم غلبه (المستعين) على قُرطبة ، ثم قُتِل المهديُّ محمدُ بنُ هشام المذكور وعاد [هشام المؤيد] ^(١) إلى خلافته ، هذا كله والمستعين محاصر لقرطبة ، إلى أن أفتتحها عنوةً سنة ثلاث وأربعمائة ، وقتلوا المؤيد هشاماً .

ثم جاء (عليُّ بن حمود) وأخوه (قاسم) من الأدارسة : ملوك الغرب في عساكر من البربر فملكوا قُرطبة سنة سبع وأربعمائة وقتلوا المستعين وأزالوا ملك بني أمية من الأندلس ، واتصل ذلك في خلفهم سبع سنين .

ثم غلب عليُّ بن حمود ، المرتضى بالله عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك ، ابن المرتضى عبد الرحمن بن الناصر أمير المؤمنين .

ثم اجتمعوا على رد الأمر لبني أمية ، ثم ولي بعد ذلك المستظهر بالله (عبد الرحمن) ابن هشام بن عبد الجبار في رمضان سنة أربع عشرة وأربعمائة .

ثم غلب عليه المستكفي بالله (محمد بن عبد الرحمن) بن عبيد الله ، بن عبد الرحمن ، الناصر أمير المؤمنين .

ثم رجع الأمر إلى (يحيى بن علي) بن حمود سنة ست عشرة وأربعمائة .

ثم بويع للعتمد بالله (هشام بن محمد) أخى المرتضى من بني أمية سنة ثمان عشرة وأربعمائة ^(٢) . وتوفي بها سنة ثمان وعشرين ، وانقطعت دولة الأموية من الأندلس ، والله وارث الأرض ومن عليها .

(١) الزيادة عن العبرج ٤ ص ١٥١ لتوضيح المقام .

(٢) في "العبرج ٤ ص ١٥٢" ... وفر إلى لاردة فهلك بها

الطبقة السابعة

(ملوك بني حمود من الأدارسة : ملوك الغرب)

كان في جملة جماعة المستعين : سليمان بن الحكم الأموي المتقدم ذكره القاسم وعلى
أبنا حمود ، بن ميمون ، بن أحمد ، بن علي ، بن عبيد الله ، بن عمر ، بن إدريس بعد
أنقراض دولتهم بفاس وانتقالهم إلى غمارة وقيام رياستهم بها ، فعقد المستعين للقاسم
على الجزيرة الخضراء من الأندلس ، وعلى علي طنجة وعملها من بر العدو . وطمعت
نفس علي بن حمود صاحب طنجة في الخلافة ، وزعم أن المؤيد هشاما من بني أمية
عند حصارهم إياه كتب له بعهد الخلافة ، فبايعوه بالخلافة وأجاز إلى مالقة فملكها ،
ودخل قرطبة سنة سبع وأربعمائة ، وتلقب بالناصر لدين الله وأتصلت دولته إلى أن
قتله صقالبته بالحمام سنة ثمان وأربعمائة .

فولي مكانه أخوه (القاسم) بن حمود الذي كان بطنجة وتلقب بالمأمون .

ثم غلبه على ذلك (يحيى ابن أخيه علي) وزحف إلى قرطبة فملكها سنة
ثنتي عشرة وأربعمائة وتلقب بالمعتلي ، وكانت له وقائع كان آخرها أن اتفقوا على تسليم
المدائن والحصون له ، فعلا سلطانه ، وأشدت أمره ، وأخذ في حصار ابن عباد
بإشبيلية فكبأ به فرسه وقتل ، وانقطعت دولة بني حمود بقرطبة .

ثم استدعى قومه أخاه (إدريس) بن علي بن حمود من سبتة وطنجة فبايعوه على
أن يولي سبتة (حسن ابن أخيه يحيى) فتم له الأمر بمالقة وتلقب بالمأيد بالله ، وبايعه
أهل المرية وأعمالها ورندة والجزيرة ، ومات سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة .

وبايع البربر بعده (حسن بن يحيى) المعتلي ، ولقبوه المستنصر ، وبايعته غرناطة
وجملة من بلاد الأندلس ، ومات مسموما سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة .

وكان (إدریس بن یحیی) المعتلى معتقلا، فأُخرج وبُوع له سنة تسع وثلاثين وأربعمئة، وأطاعته غرناطة وقرمونة وما بينهما، ولُقّب العالی، ثم قتل محمدا وحسنا ابني عمه إدریس، فثار السودان بدعوة أخيهما محمد بمالقة فأسلموه.

وبوع (محمد بن إدریس) المتأيد بمالقة سنة ثمان وثلاثين وتلقّب بالمهدي، وأقام بمالقة، وأطاعته غرناطة وجيان وأعمالهما، ومات سنة أربع وأربعين وأربعمئة.

وبوع (إدریس بن یحیی) بن إدریس المتأيد ولُقّب الموثق ولم يُخطب له، وزحف إليه إدریس المخلوع الملقب بالعالی ابن یحیی المعتلى من قمارش فبوع له بمالقة إلى أن هلك سنة سبع وأربعين.

وبوع (محمد الأصغر) ابن إدریس المتأيد ولُقّب المستعلي، وخطب له بمالقة والمرية ورندة، وهلك سنة ستين وأربعمئة.

وكان (محمد بن القاسم) بن حمود قد لحق بالجزيرة الخضراء سنة أربع عشرة وأربعمئة فملكها وتلقّب بالمعتصم، وبقي بها إلى أن مات سنة أربعين وأربعمئة.

ثم ملكها من بعده (أبنة القاسم) ولُقّب الواثق، وهلك سنة خمسين، وصارت الجزيرة الخضراء للمعتضد بن عبّاد، وأنقرضت دولة بني حمود بالأندلس.

الطبقة الثامنة

(ملوك الطوائف بالأندلس)

لما أضحل أمر الخلافة من بني أمية وبني حمود بعدهم بالأندلس، وثب الأمراء على الجهات، وتفرق ملك الأندلس في طوائف من الموالى، والوزراء، وبيكار العرب والبربر، وقام كل منهم بأمر ناحية، وتغلب بعضهم على بعض وضعف

أمرهم حتى أعطوا الإتاوة للملك الفرنجة من بني أدفونش حتى أدركهم الله بأمر المسلمين يوسف بن تاشفين .



فأما إشبيلية وغرب الأندلس فاستولى عليهما بنو عباد .

كان أولهم القاضي أبو القاسم (محمد بن ذي الوزارتين) أبي الوليد، بن إسماعيل ،
أبن قريش ، بن عباد ، بن عمرو ، بن أسلم ، بن عمرو ، بن عطاء ، بن نعيم اللخمي ،
وآستبد بإشبيلية بعد فرار القاسم بن حمود عن قرطبة ، آتترعها من ابن زيري وكان
والياً عليها من جهة القاسم بن حمود المذكور ، وبقي بها إلى أن مات سنة ثلاث
وثلاثين وأربعمائة .

ولما مات قام بأمره ابنه (عباد) وتلقب المعتضد ، وطالت أيامه ، وتغلب على
أكثر الممالك بغرب الأندلس ، وبقي حتى مات سنة إحدى وستين وأربعمائة .

وولى مكانه ابنه (أبو القاسم محمد) الملقب بالمعتمد ، فخرى على سنن أبيه وآستولى
على دار الخلافة بقرطبة من يد ابن جهور ، وفرق أبناءه على قواعد الملك ، وآستفحل
ملكه بغرب الأندلس ، وغلب على من كان هناك من ملوك الطوائف ، وبقي حتى
غلب أمير المسلمين « يوسف بن تاشفين » على الأندلس فقبض عليه ، ونقله إلى
أغمات : قرية من قرى مراکش سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، وأعتقله بها إلى أن
هلك سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .



وأما قرطبة فاستولى عليها بنو جهور . وكان رئيس الجماعة بقرطبة أيام فتنة
بني أمية ، أبو الحزم (جهور بن محمد) بن جهور ، بن عبد الله ، بن محمد ، بن الغمر ،
(١)

(١) في العبرج ٤ ص ١٥٩ "المعمر" وهو تصحيف .

أبن يحيى ، بن أبي المعافر، بن أبي عبيدة الكلبي . وأبو عبيدة هذا هو الداخل إلى الأندلس ، وكانت لهم وزارة بقرطبة بالدولة العامرية . ولما خلع الجند « المقتدر بالله »^(١) آخر خلفاء بني أمية بالأندلس ، استبدَّ جهور بالأمر وأستولى على المملكة بقرطبة سنة ثنتين وعشرين وأربعمائة ، وكان على سنن أهل الفضل ، فأسندوا أمرهم إليه إلى أن يوجد خليفة ، ثم اقتصروا عليه فدبر أمرهم إلى أن هلك في المحرم سنة خمس وثلاثين وأربعمائة .

وولي مكانه ابنه (أبو الوليد محمد بن جهور) فخلعه أهل قرطبة سنة إحدى وستين وأربعمائة ، وأخرجوه [ثم فوض التدبير إلى ابنه عبد الملك بن أبي الوليد فأساء السيرة فأخرجوه]^(٢) عن قرطبة ، فاعتقل [بشلطيلى]^(٣) إلى أن مات سنة ثنتين وستين .

وولي ابن عباد على قرطبة ابنه (سراج الدولة) وقتله ابن عكاشة سنة سبع وستين ، ودعا لابن ذى النون (يحيى بن إسماعيل) وقدمها ابن ذى النون من بلنسية^(٤) وقتل بها مسموما .

وزحف المعتمد بن عباد بعد مهلكه إلى قرطبة ، فملكها سنة أربع وثمانين وأربعمائة .

(١) في "العبرج ٤ ص ١٥٩" المعز وتقدم للؤلأف أن آخرهم المعتمد .

(٢) الزيادة من القطعة الأزهرية .

(٣) الزيادة من العبرج ٤ ص ١٥٩ .

(٤) يرخذ من "العبرج ٤ ص ١٥٩" أن الذى قتل مسموما هو سراج الدولة .



وأما بَطْلَيْوُسُ ، فكان بها عند فِتْنَةِ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ أَبُو مُحَمَّدٍ (عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْلَمَةَ) التَّجِيبِيُّ المعروف بِأَبْنِ الْأَفْطَسِ ، وَاسْتَبَدَّ بِهَا سَنَةً إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعًا ، ثُمَّ هَلَكَ .

فَوَلَّى مِنْ بَعْدِهِ أَبْنُهُ الْمُظَفَّرُ (أَبُو بَكْرٍ) وَعَظُمَ مُلْكُهُ . وَكَانَ مِنْ أَكْثَرِ مُلُوكِ الطَّوَاتِفِ ، وَمَاتَ سَنَةَ سِتِينَ وَأَرْبَعًا .

وَوَلَّى بَعْدَهُ أَبْنُهُ الْمُتَوَكَّلُ (أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ) بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفِ بِسَاجَةَ ، وَلَمْ يَزَلْ بِهَا إِلَى أَنْ قَتَلَهُ « يُوسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ » سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعًا بِأَغْرَاءِ ابْنِ عَبَّادَ بِهِ .



وأما غَرْنَاطَةُ ^(١) ، فَلَمَّا كَانَ أَيَّامُ الْفِتْنَةِ (زَارِي بْنُ زَيْرِي) بْنُ مَيَّادَ ، ثُمَّ أَرْتَحَلَ إِلَى الْقَيْرَوَانِ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى غَرْنَاطَةِ أَبْنَهُ ، فَبَدَأَ لِأَهْلِ غَرْنَاطَةِ أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى ابْنِ أَخِيهِ (حَيُوسُ بْنُ مَاكُسٍ) بْنُ زَيْرِي مِنْ بَعْضِ الْحَصُونِ ، فَوَصَلَ وَمَلَكَ غَرْنَاطَةَ وَاسْتَبَدَّ بِهَا ، وَتَوَفَّى سَنَةَ تِسْعٍ وَعَشْرِينَ وَأَرْبَعًا .

وَوَلَّى مَكَانَهُ أَبْنُهُ (بَادِيسُ) وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ عَبَّادَ حُرُوبٌ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِينَ وَأَرْبَعًا .

وَوَلَّى حَافِدُهُ الْمُظَفَّرُ أَبُو مُحَمَّدٍ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُلْكَيْنِ بْنِ بَادِيسٍ) وَوَلَّى أَخَاهُ تَمِيمًا بِمَالَقَةَ بَعْدَ جَدِّهِ إِلَى أَنْ خَلَعَهُمَا « يُوسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ » سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعًا .

(١) من هنا إلى قوله وأما طليطلة مضرب عليه في القطعة الأثرية واقتصر على ماسياتي في الكلام على

غرناطة قبيل الطبقة التاسعة .

* *

وأما طَلِيْطَلَةُ ، فاستولى عليها بنو ذى النون . وذلك أن الظافر إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذى النون الهواري [تغلب] أيام الفتنة على حصن أفلنتين سنة تسع وأربعمائة ، وكانت طَلِيْطَلَةُ ليعيش بن محمد بن يعيش وليها في أول الفتنة ، فلما مات سنة سبع وعشرين مضى إسماعيل الظافر إلى طَلِيْطَلَةَ فملكها ، وأمتد ملكه إلى جنجالة من عمل مُرْسِيَّة ، ولم يزل بها إلى أن هلك سنة تسع وعشرين .

فولى مكانه ابنه المأمون (أبو الحسن يحيى) فاستفحل ملكه ، وعظم بين ملوك الطوائف سلطانه ، ثم غلب على بلنسية وقرطبة ، ومات مسموما سنة سبع وستين وأربعمائة .

وولى بعده على طَلِيْطَلَةَ حافده (القادر يحيى) بن إسماعيل بن المأمون يحيى بن ذى النون ،

وكان الطاغية أدفونش ملك الفرنج بالأندلس قد استفحل أمره عند وقوع الفتنة بين ملوك الأندلس فضايق ابن ذى النون حتى تغلب على طَلِيْطَلَةَ وخرج له عنها (القادر يحيى) سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، وشرط عليه أن يظاهره على أخذ بلنسية ، فقبل شرطه وتسلمها الأدفونش ملك الفرنج ، وبقيت معه إلى الآن أعادها الله تعالى إلى نطاق الإسلام .

* *

وأما شاطبة وما معها من شرق الأندلس ، فاستولى عليها العاصريون . بويع للنصور (عبد العزيز) بن الناصر عبد الرحمن بن أبي عاصم بشاطبة سنة إحدى عشرة

(١) الزيادة عن العبر . ج ٤ ص ١٦١

(٢) لعلمها جنجبال .

وأربعائة، أقامه الموالي العامريون عند الفتنة البربرية في زمن بني أمية، فاستبد بها، ثم نار عليه أهل شاطبة فترك شاطبة ولحق ببلنسية فملكها، وفوض أمره للموالي .

وكان (خيران العامري) من مواليتهم قد تغلب قبل ذلك على أربونة سنة أربع وأربعائة، ثم ملك مرسية سنة سبع، ثم جيان والمرية سنة تسع، وبايعوا جميعا للنصور عبد العزيز . ثم انتقض خيران على المنصور وسار إلى مرسية وأقام بها ابن عمه (أبا عامر محمد بن المظفر) بن المنصور بن أبي عامر، وجمع الموالى على طاعته، وسماه (المؤمن) ثم (المعتصم) ثم أخرجه منها، ثم هلك خيران سنة تسع عشرة وأربعائة .

وقام بأمره بعده الأمير (عميد الدولة أبو القاسم زهير العامري) وزحف إلى غرناطة فبرز إليه باديس بن حيوس فقتله بظاهرها سنة تسع وعشرين وأربعائة، وصار ملكه للنصور (عبد العزيز) صاحب بلنسية .

وكان قائده صمادح وأبنة معن يتوليان حروبه مع مجاهد العامري صاحب دانية، فولى على المرية (معن بن صمادح) سنة ثلاث وثلاثين وأربعائة، وغزا الموالى العامريين بشاطبة فغلبهم عليها .

وولى على بلنسية ابنه (عبد الملك) فقام بأمره وجاهد المأمون بن ذى النون فغلبه على بلنسية وانتزعها منه سنة سبع وخمسين .

ولما مات المأمون وولى حافده القادر على ما تقدم ذكره ولى على بلنسية (أبا بكر) ابن عبد العزيز بقية وزراء ابن أبي عامر، فحسن له ابن هود الانتقاض على القادر، ففعل وأستبد بها سنة ثمان وستين وأربعائة حين تغلب المقتدر على دانية، ثم هلك لسنة ثمان وسبعين لعشرين من ولايته .

ووليّ آبنه القاضي (عثمان) فلما سلم القادر بن ذي النون طليطلة للأدفونش وزحف إلى بلنسية، خلعوا القاضي عثمان خوفاً من استيلاء ملك الفرنج عليها .

ثم ثار على القادر سنة ثلاث وثمانين القاضي (جعفر بن عبد الله) بن حجاج، فقتله وأستبد بها، ثم تغلب النصاري عليها سنة تسع وثمانين وقتلوه، ثم جاءهم (يوسف بن تاشفين) .

وأما معن بن صمّاح قائد عبد العزيز بن أبي عامر، فإنه أقام بالمريّة لما ولّاه المنصور سنة ثلاث وثلاثين، وتسمّى ذا الوزارتين، ثم خلعه .

ووليّ آبنه (المعتصم أبا يحيى محمد بن معن بن صمّاح) سنة أربع وأربعين، ولم يزل بها أميراً إلى أن مات سنة ثمانين وأربعمائة .

ووليّ آبنه (أحمد) وبقي حتى خلعه يوسف بن تاشفين .



وأما سرقسطة والثغر فاستولى عليهما بقية بني هود، إذ كان مُنذر بن يحيى بن مطرف، بن عبد الرحمن، بن محمد، بن هاشم التّجيبّيّ صاحب الثغر الأعلى بالأندلس، وكانت دار إمارته سرقسطة. ولما وقعت فتنة البربر آخر أيام بني أمية، استقل (مُنذر) هذا بسرقسطة والثغر، وتلقب بالمنصور، ومات سنة أربع عشرة وأربعمائة .

ووليّ مكانه آبنه (يحيى) وتلقب بالمظفر .

وكان أبو أيوب (سليمان بن محمد) بن هود بن عبد الله بن موسى، مولى أبي حذيفة الحُدّاميّ من أهل نسبهم مستقلاً بمدينة (تطيلة) و (لاردة) من أول الفتنة . وجدّهم

هُودٌ هو الداخل إلى الأندلس ، فتغلب سليمان المذكور على المظفر يحيى بن المنذر وقتله سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وملك سرقسطة والنغر من أيديهم ، وتحول إليها ، وتلقب بالمستعين وأستفحل مملكه ، ثم ملك بلنسية ودانية . وولى على لاردة ابنه (أحمد المقتدر) ومات سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة .

فولى ابنه (أحمد) الملقب بالمقتدر سرقسطة وسائر النغر الأعلى . وولى ابنه (يوسف) الملقب بالمظفر لاردة . ومات أحمد المقتدر سنة أربع وسبعين لتسع وثلاثين سنة من مملكه .

فولى بعده ابنه (يوسف المؤمن) وكان له اليد الطولى في العلوم الرياضية ، وألف فيها التآليف الفائقة ، مثل " المناظر " و " الاستكمال " وغيرهما ، ومات سنة ثمان وسبعين وأربعمائة .

وولى بعده ابنه (أحمد) الملقب بالمستعين ، ولم يزل أميراً بسرقسطة إلى أن مات شهيدا سنة ثلاث وخمسمائة في زحف ملك القرنج إليها .

وولى بعده ابنه (عبد الملك) وتلقب عماد الدولة ، وزحف إليه الطاغية أدفونش ملك القرنج فملك منه سرقسطة وأخرجه منها ، وأستولى عليها سنة ثنتي عشرة وخمسمائة ، ومات سنة ثلاث عشرة .

وولى ابنه (أحمد) وتلقب سيف الدولة والمستنصر ، وبالغ في النكاي في الطاغية ملك القرنج ، ومات سنة ست وثلاثين وخمسمائة .

وكان من ممالك بنى هود هؤلاء طرطوشة ، وقد كان ملكها (مقاتل) أحد الموالى العامريين سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، ومات سنة خمس وأربعين .

(١) الذى فى العبرج ٤ ص ١٦٢ " الاستهلال " .

وملكها بعده (يَعْلَى العامري) ولم تطل مدته .

وملكها بعده (نبيل) ^(١) أحدهم إلى أن نزل عنها لعماد الدولة (أحمد بن المستعين) سنة ثنتين وخمسين وأربعمائة ، فلم تزل في يده ويد بنيهِ بعده إلى أن غلب عليها العدو المخدول فيما غلب عليه من شرق الأندلس .



وأما دانية وميُورقة ، فاستولى عليهما (مجاهد بن علي) بن يوسف مولى المنصور ابن أبي عامر ، وذلك أنه بعد الفتنة كان قد ملك طرطوشة ثم تركها وسار إلى دانية وأستقر بها ، وملك ميُورقة [وميُورقة] وبياضة ، وأستقل بملكها سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ، وولى عليها ابن أخيه (عبدالله) ثم ولى عليها بعد ابن أخيه مولاه (الأغلب) سنة ثمان وعشرين وأربعمائة . وهلك مجاهد سنة ست وثلاثين وأربعمائة .

وولى ابنه (علي) وتلقب إقبال الدولة ، ودام ملكه ثلاثا وثلاثين سنة ، ثم غلبه المقتدر بن هود على دانية سنة ثمان وستين وأربعمائة ونقله إلى سرقسطة ، ^(٢) فمات قريبا من [وفاة المقتدر] سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، وبقي الأغلب مولى مجاهد على ميُورقة ، وكان كثير الغزو في البحر فاستأذن تلي بن مجاهد في الغزو ، وأستخلف على ميُورقة صهره سليمان بن مشكان نائبا عنه فأقام سليمان خمس سنين ثم مات فولى على بن مجاهد مكانه (مبشر) وتسمى ناصر الدولة فأقام خمس سنين ، وأنقرض ملك على بن مجاهد وتغلب عليه المقتدر بن هود فاستقل (مبشر) بميُورقة ولم يزل يردد الغزو إلى بلاد العدو حتى جمع له طائفة برشونة وحاصره بميُورقة عشرة

(١) في "البرج ٤ ص ١٦٣" شبيب .

(٢) الزيادة من "البرج ٤ ص ١٦٥" .

أشهر، ثم أقتلعها منه واستباحها سنة ثمان وخمسمائة، وكان مبشر قد بعث بالصريح إلى (علي بن يوسف) صاحب المغرب، فلم يواف أسطوله بالمسد إلا بعد تغلب العدو عليها وموت مبشر، فلما وصل العساكر والأسطول دفعوا عنها العدو وولى علي بن يوسف عليها من قبله (وانود بن أبي بكر الملتوني) ثم عسف بهم فولى عليها (يحيى بن علي بن إسحاق) بن غانية صاحب غرب الأندلس فبعث إليها أخاه (محمد بن علي) فأقام في ولايتها عشر سنين إلى أن هلك أخوه يحيى، وسلطاهم علي بن يوسف واستقرت ميورقة في ملك بني غانية وكانت لهم بها دولة ثم ملكها الموحدون وأنقض أمر بني غانية وبقيت في أيدي الموحدين حتى ملكها القرنج من أيديهم آخر دولتهم. وأما غرناطة فاستولى عليها (زاري بن زيري) بن مباد الصنهاجي، ثم عت له أن قدم على المعز بن باديس صاحب أفريقية وهو حفيد أخيه بلكين، فقدم عليه واستخلف مكانه بغرناطة ابناً له فأساء السيرة فيهم فأرسلوا إلى ابن عمه حيوس بن ماكس بن زيري فحضر إليهم فبايعوه، وعظم فيها سلطانه إلى أن مات سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

وولى من بعده ابنه (باديس بن حيوس) وتلقب بالمظفر، وهو الذي مصر غرناطة وأختط قصبتها وشيد قصورها وحصن أسوارها، ومات سنة سبع وسبعين وأربعمائة، وقد ظهر أمر المرابطين بالمغرب.

وولى من بعده حافده (عبد الله بن بلكين) بن باديس فبقى بها إلى أن أجاز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس، ونزل بغرناطة سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة فقبض على عبد الله المذكور.

الطائفة التاسعة

(ملوك المرابطين من لمتونة : ملوك الغرب المتغلبين على الأندلس)

لما غلب أمير المسلمين (يوسف بن تاشفين) أمير المرابطين على بلاد المغرب وأستولى عليها، وكان الأندلس قد تقسم بأيدي ملوك الطوائف كما تقدم، وكان الطاغية ابن الأدفونس ملك الجلالة قد طمع في بلاد الأندلس، بعث أهل الأندلس إلى أمير المسلمين يستصرخون به فلبى دعوتهم وسار إلى الأندلس .

ونزل الجزيرة الخضراء في سنة تسع وسبعين وأربعمائة ودفع الأدفونس، وسارتارة ببلاد المغرب وتارة ببلاد الأندلس، وملك إشبيلية وبلنسية، وأستقل (عبد الله بن بلكين) عن غرناطة وأخاه تيمنا عن مالقة وغلب المعتمد بن عباد على جميع عمله وأستنزل ابنه المأمون عن قرطبة وابن الراضي عن رندة وقرمونة، وأنتزع بطليوس من صاحبها عمر بن الأفطس، وأنتزع عامة حصون الأندلس من أيدي ملوك الطوائف، ولم يبق منها إلا سرقسطة في يد المستعين بن هود، وأنتظمت بلاد الأندلس في ملكه وأتقراض ملك الطوائف أجمع منها، وأستولى على العدوتين وخاطب المستظهر الخليفة العباسي ببغداد في زمنه فمقد له على المغرب والأندلس وكتب له بذلك عهدا وأرسله إليه، ولم يزل الأمر على ذلك حتى توفي سنة خمسماية .

وقام بالأمر بعده ابنه (علي بن يوسف) وفي أيامه تغلب الأدفونس على سرقسطة وأستولى عليها .

وعقد علي بن يوسف لولده (تاشفين) على غرب الأندلس سنة ست وعشرين وخمسماية وأنزله قرطبة وإشبيلية، وعقد (لأبي بكر بن ابراهيم) على شرق الأندلس وأنزله بلنسية، وعقد (لأبن غانية) على الجزائر الشرقية : دانية وميورقة ومنورقة .

وبقى الأمر على ذلك إلى أن غلب الموحدون على بلاد المغرب وأنتزعوها من يد تاشفين
أبن علي في سنة إحدى وخمسين وملكوها .

ثم عقد عبد المؤمن أمير الموحدين لابنه (أبي يعقوب) على إشبيلية ، ولأبنة
(أبي سعيد) على غرناطة ثم كانت أيام يوسف بن عبد المؤمن فغزا الأندلس ،
ثم رجع إلى إشبيلية سنة ثمان وستين وولى عمه (يوسف) على بلنسية ، وعقد
لأخيه (أبي سعيد) على غرناطة ، وعقد على قرطبة لأخيه (الحسن) وعلى إشبيلية
لأخيه (علي) . ثم عقد (لأبي زيد) ابن أخيه أبي حفص على غرناطة ولأبن
أخيه أبي محمد عبد الله بن أبي حفص على مالقة . ثم عقد لابنه أبي إسحق على
إشبيلية ولأبنة يحيى على قرطبة ، ولأبنة أبي يزيد على غرناطة ولأبنة أبي عبد الله
على مرسية . وقتل في قتال النصاري في صفر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة .

وولى أبنة (أبو يعقوب) ورغب ابن أدفونس في مهادنته فهادنه . وعقد
على إشبيلية للسيد أبي زيد بن الخليفة ، وعلى بطليوس لأبي الربيع بن أبي حفص ،
وعلى غرب الأندلس لأبي عبد الله بن أبي حفص . ورجع إلى مرّاكش سنة أربع
وتسعين وخمسمائة ومات بعدها .

وولى أبنة الناصر (محمد بن المنصور) ونزل إشبيلية ، وذلك في صفر سنة تسع
وستمائة ثم رجع إلى مرّاكش فمات بها .

وولى بعده أبنة (المستنصر يوسف) وكان الوالي بمرسية أبا محمد عبد الله بن
المنصور فدأ لنفسه ، وتسمى بالعدل ، وكان أخوته أبو العلاء صاحب قرطبة
وأبو الحسن صاحب غرناطة وأبو موسى صاحب مالقة فبايعوه سراً وخرج من

مُرْسِيَّةً إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ فَدَخَلَهَا وَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمُوَحِّدُونَ بِالْبَيْعَةِ ، وَدَخَلَ مَرَّاكُشَ فَكَانَتْ بِالْأَنْدَلُسِ قَتْنٌ آخَرُهَا أَنْ ثَارَ ابْنُ هُودٍ عَلَى الْأَنْدَلُسِ وَاسْتَوْلَى [عَلَيْهِ] وَأَخْرَجَ مِنْهُ الْمُوَحِّدِينَ .

الطائفة العاشرة

(بنو الأحمر ملوك الأندلس إلى زماننا هذا)

وَقَدْ تَعَرَّضَ الْقَاضِي شَهَابُ الدِّينِ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ إِلَى الَّذِي كَانَ فِي زَمَانِهِ مِنْهُمْ وَهُوَ (يَوْسُف) وَلَمْ يَنْسُبْهُ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ : إِنَّهُ مِنْ وَلَدِ قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَبَّادَةَ . ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ فَاضِلٌ ، لَهُ يَدٌ فِي الْمَوْشَّحَاتِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ بَنِي الْأَحْمَرِ هَؤُلَاءِ أَصْلُهُمْ مِنْ أَرْجُونَةَ مِنْ حِصُونِ قُرْطُبَةَ وَيَنْتَسِبُونَ إِلَى سَعْدِ بْنِ عَبَّادَةَ سَيِّدِ الْخَزَرَجِ ، وَلَمْ أَقِفْ عَلَى نَسَبِهِمْ إِلَيْهِ ، وَيَعْرِفُونَ بَنِي نَصْرٍ ، وَكَانَ كَبِيرَهُمْ آخِرَ دَوْلَةِ الْمُوَحِّدِينَ الشَّيْخُ أَبُو دَبُّوسَ (مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسُفَ) بْنُ نَصْرِ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْأَحْمَرِ وَأَخُوهُ إِسْمَاعِيلُ ، وَكَانَ لَهَا وَجَاهَةٌ وَرِيَاسَةٌ فِي تِلْكَ النَّاحِيَةِ .

وَلَمَّا ضَعُفَ أَمْرُ الْمُوَحِّدِينَ بِالْأَنْدَلُسِ وَاسْتَقَلَّ بِالْأَمْرِ مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسُفَ بْنِ هُودٍ النَّائِبُ بِمُرْسِيَّةَ وَقَامَ بِدَعْوَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ وَتَغَلَّبَ عَلَى جَمِيعِ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ ، ثَارَ مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسُفَ بْنِ نَصْرِ : جَدُّ بَنِي الْأَحْمَرِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ هُودٍ ، وَبُوعٍ لَهُ سَنَةٌ تِسْعٌ وَعِشْرِينَ وَسِتِّائَةً ، عَلَى الدَّعَاءِ لِلْأَمِيرِ أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى صَاحِبِ أَفْرِيْقِيَّةَ مِنْ بَقِيَّةِ الْمُوَحِّدِينَ ، وَأَطَاعَتْهُ جَيَّانُ وَشَرِيشُ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ مَبَايَعَتِهِ . ثُمَّ بَايَعَ لِابْنِ هُودٍ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ عِنْدَ وَصُولِ تَقْلِيدِ الْخَلِيفَةِ مِنْ بَغْدَادَ لِابْنِ هُودٍ . ثُمَّ تَغَلَّبَ عَلَى إِشْبِيلِيَّةَ سَنَةً ثَلَاثِينَ وَثَلَاثِينَ ، وَاسْتَعِيدَتْ مِنْهُ بَعْدَ شَهْرٍ وَرَجَعَتْ لِابْنِ هُودٍ

(١) [ثم تغلب] على غرناطة سنة خمس وثلاثين ، وبايعوه وهو بجيان ، فقدم إليها ونزلها وأبتنى بها حصن الحمراء منزلاً له ، وهو المعبر عنه بالقصبة الحمراء : وهي القلعة ، ثم تغلب على مالقة وأخذها من يد عبد الله بن زنون الثائر بها بعد مهلك ابن هود ، ثم أخذ المريّة من يد محمد بن الرميى وزير ابن هود الثائر بها سنة ثلاث وأربعين . ثم بايعه أهل لورقة سنة ثلاث وستين [وأتزعتها] من كانت بيده . وفي أيامه وأيام ابن هود الثائر استعاد العدو المخذول من المسلمين أكثر بلاد الأندلس وحصونه ، وهي بيدهم إلى الآن ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

وبقى حتى مات سنة إحدى وسبعين وستمائة .

وقام بأمره من بعده ابنه الفقيه (محمد) ابن الشيخ محمد بن يوسف ، واستجاش بنى مرين ملوك المغرب على أهل الكفر فلبّوه بالإجابة ، وكان لهم مع طاغية الكفر وقائع أبلغت فيهم التأثير ، وبلغت فيهم حد النكاية ، وبقي حتى هلك سنة إحدى وسبعمائة .

وولي من بعده ابنه (محمد المخلوع) ابن محمد الفقيه .

ثم غلب عليه أخوه (أبو الجيوش نصر بن محمد) الفقيه ، وأعتقله سنة ثمان وسبعمائة ، وأستولى على مملكته ، فأساء السيرة في الرعية ، والصحبة لمن عنده من غزاة بنى مرين .

فبايعوا (أبا الوليد إسماعيل) ابن الرئيس أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف ابن نصر ، وزحف من مالقة إلى غرناطة ، فهزم عساكر أبي الجيوش ، فصالحه على الخروج إلى واديّاش ولحق بها ، فجدد له بها ملكاً إلى أن مات سنة ثنتين وعشرين

(١) وسبعائة ، فدخل أبو الوليد إلى غرناطة وملكها ، وكان بينه وبين ملك قشتالة من ملوك النصارى واقعة بظاهر غرناطة ظهرت فيها معجزة من معجزات الدين لعلبة المسلمين مع قتلهم المشركين مع العدد الكثير ، وغدر به بعض قرابته من بني نصر فطعنه عند ما انفضَّ مجلسه بباب داره فقتله .

وبويع لأبنه (محمد بن أبي الوليد إسماعيل) فاستولى عليه وزيره محمد بن المحروق ، وغلب عليه حتى قتله بمجلسه غدرا في سنة تسع وعشرين وسبعائة ، وأستبدَّ بأمر ملكه ، وأستجاش بني مَرِينٍ على طاغية الكُفْرِ حتى أسترجع جبل الفتح من أيديهم سنة ثلاث وثلاثين وسبعائة ، وغدروا به بعد رجوعه من الجبل المذكور إلى غرناطة فقتلوه بالرماح .

وقدّموا مكانه أخاه (أبا الججاج يوسف) بن أبي الوليد إسماعيل وهو الذي ذكر في التعريف أنه كان في زمانه . وفي أيامه تغلب النصارى على الجزيرة الخضراء ، وأخذوها صلحا سنة ثلاث وأربعين بعد حروب عظيمة ، قُتل ولد السلطان أبي الحسن المريني في بعضها وكان هو بنفسه في بعضها . ولم يزل حتى مات يوم الفطر سنة خمس وخمسين وسبعائة ، طعن في سجوده في صلاة العيد ، وقُتل للحين قاتله .

وولي مكانه أبنه (محمد بن يوسف) وقام بأمره مولاهم رضوان الحاجب [فغلبه عليه وحجبه . وكان أخوه إسماعيل ببعض قصور الحمراء وكانت له ذمة وصهر من محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن محمد ابن الرئيس أبي سعيد ، فسلط محمد هذا بعض الزعانفة فتسور حصن الحمراء على الحاجب فقتله ، وأخرج صهره إسماعيل ونصبه

(١) في الاصل ستمائة وهو خطأ .

(١) [وخلع أخاه السلطان محمداً ، وكان بروضة خارج الحمراء ففتر إلى السلطان أبي سالم بن أبي الحسن المريني : ملك المغرب فأحسن نُزله وأكرمه .

وَأَسْتَقَلَّ أَخُوهُ (إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَوْسُفَ) بِالْمَلِكِ فِي لَيْلَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُعْظَمِ قَدْرُهُ ، سَنَةَ سِتِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَأَقَامَ السُّلْطَانُ إِسْمَاعِيلَ فِي الْمَلِكِ بِالْأَنْدَلُسِ إِلَى أَنْ مَاتَ أَوَّلَ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ .

وَأَقِيمَ مَكَانَهُ أَبُو الْحَجَّاجِ (يُوسُفُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ) (٢) وَبَايَعَهُ النَّاسُ وَمَاتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ .

وبويع ابنه (محمد) وهو محمد بن يوسف بن محمد المخلوع بن يوسف بن إسماعيل ابن الرئيس أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر ، وقام بأمره محمد الخصاصي القائد من جماعة أبيه ، وقد شغل الله طاعة الكفر بما وقع بينه وبين أخيه من الفتن المستأصلة . فامتنع صاحب الأندلس عما كان يؤديه من الإتاوة للنصارى في كل سنة ، وامتنع ذلك من استقبال سنة ثنتين وسبعين وسبعمئة وإلى هذا الوقت . ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ .



وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَمَّا أَفْتَحَ الْمُسْلِمُونَ الْأَنْدَلُسَ ، أَجْفَلَتْ أُمُّ النَّصْرَانِيَةِ أُمَامَهُمْ إِلَى سَيْفِ الْبَحْرِ مِنْ جَانِبِ الْخَوْفِ ، وَتَجَاوَزُوا الدُّرُوبَ مِنْ وَرَاءِ قَشْتَالَةَ ، وَاجْتَمَعُوا بِجَلْقِيَّةَ وَمَلَّكُوا عَلَيْهِمْ (بِلَايَةَ بْنِ قَاظِلَةَ) فَأَقَامَ فِي الْمَلِكِ تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَهَلَكَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ .

(١) الزيادة عن العبرج ٤ ص ١٧٤ باختصار ليستقيم الكلام . وفي القطعة الأزهريّة رضوان

حاحب أبيه وعمه فأقام خمس سنين ، ثم داخل أخوه إسماعيل من قتل رضوان الحاحب وخلع الخ

(٢) لعله يوسف بن محمد كما يؤخذ من اسم ولده الآتي .

ووليَّ ابنُه (قائلة) ستين ثم هلك ، فولَّوا عليهم بعده (أدفونش بن بطرة) من الجلالقة أو القوط ، واتصل الملك في عقبه إلى الآن ، فجمعهم أدفونش المذكور على حماية ما بقي من أرضهم بعد ما ملك المسلمون عامتها ، وأنتهوا إلى جليقية ، وهلك سنة ثنتين وأربعين ومائة لثمان عشرة سنة من ملكه .

وولي بعده ابنُه (فرويلة) إحدى عشرة سنة قوی فيها سلطانه ، وقارنه اشتغال « عبد الرحمن الداخل » : أول خلفاء بني أمية بتمهيد أمره ، فاسترجع مدينة لك ، وبرتقال ، وسمورة ، وسامنقة ، وشقوبية ، وقشتالة ، بعد أن فتحها المسلمون وصارت في مملكتهم ، وهلك سنة ثنتين وخمسين .

ووليَّ ابنُه (أور بن فرويلة) ست سنين ، وهلك سنة ثمان وخمسين .

ووليَّ ابنُه (شبلون) عشر سنين ، وهلك سنة ثمان وستين .

فولَّوا من بني أدفونش مكانه رجلا اسمه (أدفونش) فوثب عليه (مورفاط) فقتله وملك مكانه سبع سنين .

ثم ولي منهم آخر اسمه (أدفونش) ثنتين وخمسين سنة ، وهلك سنة سبع وعشرين ومائتين .

فوليَّ ابنُه (ردمير) واتصل الملك في عقبه على التوالي إلى أن ولي منهم (ردمير) بن أردون آخر ملوكهم المستبدين بأمرهم . قال ابن حيان : في " تاريخ الأندلس " : وكانت ولايته بعد ترهب أخيه أدفونش الملك قبله ، وذلك سنة تسع عشرة وثلثمائة في زمن الناصر الأموي الخليفة بالأندلس ، وتهايا للناصر الظهور عليه إلى أن كانت وقعة الحندق سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، وحصل للمسلمين فيها الابتلاء العظيم ، وهلك ردمير سنة تسع وثلاثين وثلثمائة .

وولي أخوه (شانجة) وكان مُعجبا تياها فوهن مُلكه ، وَضَعُفَ سُلْطَانُهُ ، وَوُثِبَ عَلَيْهِ قَوَامُسُ دَوْلَتِهِ ^(١) - وَهُمْ وِلَاةُ الْأَعْمَالِ مِنْ قِبَلِ الْمَلِكِ الْأَعْظَمِ - فَلَمْ يَنْتَظِمْ لِبَنِي أَدْفُونَشَ بَعْدَهَا مُلْكٌ مُسْتَقِيلٌ فِي الْجَلَالَةِ إِلَّا بَعْدَ حِينٍ ، وَصَارُوا كَالْكُلُوكِ الطَّوَائِفِ . قَالَ أَبُو حَيَّانَ : وَذَلِكَ أَنَّ فُرْدُلَنْدَ قَوْمَسَ أَلِيَّةَ وَالْقِلَاعَ - وَكَانَ أَعْظَمَ الْقَوَامَسِ - آتَقَضَ عَلَى شَانِجَةَ الْمُتَقَدِّمَ ذِكْرَهُ ، وَنَصَّبَ لِلْمَلِكِ مَكَانَهُ أَبُو عَمَّه (أَرْدُونُ بْنُ أَدْفُونَشَ) وَاسْتَبَدَّ عَلَيْهِ ، فَالَتِ النَّصْرَانِيَّةُ عَنْ شَانِجَةَ إِلَيْهِ ، وَظَاهَرَهُمْ مَلِكُ الْبَشْكَنْسِ عَلَى شَانِجَةَ ، وَوَفَدَ شَانِجَةُ عَلَى النَّاصِرِ الْأُمَوِيِّ بِقُرْطُبَةَ صَرِيحًا ، بِجَهَّزٍ مَعَهُ عَسَاكِرَ وَاسْتَوَلَى عَلَى سَمُورَةَ فَلَمَكَهَا وَأَنْزَلَ الْمُسْلِمِينَ بِهَا ، وَاتَّصَلَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ شَانِجَةَ وَفُرْدُلَنْدَ الْقَوْمَسِ . وَفِي خِلَالِ ذَلِكَ وَلِيَ الْحَكَمَ الْمُسْتَنْصِرُ الْأُمَوِيُّ ، ثُمَّ هَلَكَ شَانِجَةُ بْنُ أَدْفُونَشَ بِبَطْلَيْوَسَ .

وَقَامَ بِأَمْرِهِمْ بَعْدَهُ أَبْنَاهُ (رَدْمِيرُ) وَهَلَكَ أَيْضًا فُرْدُلَنْدَ قَوْمَسَ أَلِيَّةَ وَالْقِلَاعَ ، وَقَامَ بِأَمْرِهِ بَعْدَهُ أَبْنَاهُ غَرِيبَةُ ، وَمَاتَ الْحَكَمَ الْمُسْتَنْصِرُ فَقَوِيَ سُلْطَانُ رَدْمِيرَ ، وَعَظُمَتْ نِكَايَتُهُ فِي الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَنْ قَيَّضَ اللَّهُ لَهُمُ الْمَنْصُورَ بْنَ أَبِي عَامِرٍ حَاجِبَ هَشَامَ ، فَأَتَخَنَ فِي عَمَلِ رَدْمِيرَ وَغَزَاهُ مِرَارًا وَحَاصَرَهُ ، وَأَفْتَتَحَ (سَنْتَ مَانَكِسَ) وَخَرَّبَهَا فَتَشَاءَمَتِ الْجَلَالَةُ بِرَدْمِيرَ ، وَرَجَعَ إِلَى طَاعَةِ الْمَنْصُورِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِينَ ، وَهَلَكَ عَلَى أَثَرِهَا ، فَأَطَاعَتْ أُمَّهُ .

وَاتَّفَقَتِ الْجَلَالَةُ عَلَى (بُرْمَنْدُ بْنُ أَرْدُونِ) فَعَقَدَ لَهُ الْمَنْصُورُ عَلَى سَمُورَةَ وَلِيُونَ وَمَا أَتَصَلَ بِهِمَا مِنْ أَعْمَالٍ غَلِيصِيَّةٍ إِلَى الْبَحْرِ الْأَخْضَرِ فَقَبِلَ ، ثُمَّ آتَقَضَ فَغَزَاهُ الْمَنْصُورُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِينَ ، فَأَفْتَتَحَ لِيُونَ وَسَمُورَةَ ، وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَهَا لِلْجَلَالَةِ

(١) جمع قومس وهو الأمير .

(٢) أي ردمير كما يؤخذ من عبارة العبري ٤ ص ١٨١ .

إلا حُصُونُ يسيرة بالجبل الحاجر بينهم وبين البحر الأخضر ، ولم يزل المنصورُ به حتى ضرب عليه الجزية وأنزل المسلمين مدينة سَمُورَة سنة تسع وثمانين وثلثمائة ، وولى عليها أبا الأحوص (معن بن عبدالعزيز) التَّجِيبِي ، وسار إلى (غرسية بن فردلند) صاحب أليّة فملك عليه لَشَبُونَة قاعدة غليسية وحرَّبا ، وهلك غرسية .

فولى أبنه (شانجة) فضرب عليه الجزية ، وصارت الجَلَالِقَة بأجمعهم في طاعة المنصور وهم كالعمال له . ثم انتقض برمند بن أردون فغزاه المنصور حتى بلغ شَنْت ياقب ، مكان حجّ النصارى ومدفن يعقوب الحواري من أقصى غليسية ، فأصابها خالية فهدمها ونقل أبوابها إلى قُرْطَبَة ، فجعلها في نصف الزيادة التي أضافها إلى المسجد الأعظم . ثم أفتتح قاعدتهم (شَتَمَرِيَّة) سنة خمس وثمانين وثلثمائة ، ثم هلك برمند بن أردون ملك بني أدفونش .

فولى أبنه (أدفونش) وهو سبط غرسية بن فردلند صاحب أليّة ، وكان صغيرا فكفله (منند بن غند شلب) قومس غليسية ، إلى أن قُتِل منند غيلة سنة ثمان وتسعين وثلثمائة فاستقل أدفونش بأمره ، وطلب القواميس المتعذرين على أبيه وعلى من سلف من قومه مثل بني أرغومس وبني فردلند المتقدم ذكرهم بالطاعة فأطاعوا ودخلوا تحت أمره . ثم جاءت الفتنة البربرية على رأس المائة الرابعة فضعف أمر المسلمين ، وتغلب النصارى على ما كان المنصور تغلب عليه بقشتالة وجليقية ، ولم يزل أدفونش بن برمند مليكا على جليقية وأعمالها ، ثم كان الملك من بعده في عقبه إلى أن كان ملوك الطوائف ، وتغلب المرابطون ملوك الغرب من لمتونة على ملوك الطوائف بالأندلس ، على ما سيأتي في الكلام على مكاتبة ابن الأحمر ملك المسلمين بالأندلس .

وفي بعض التواريخ أن ملك قشالة الذي ضرب الجزية على ملوك الطوائف في سني خمسين وأربعمائة هو (البيطيين) وأنه لما هلك قام بأمره بنوه فردلند ، وغرسية ، وردمير . وولى أمرهم (فردلند) ثم هلك ، وخلف شانجة وغرسية والفنش فتنازعوا ، ثم خلاص الملك للفنش ، وأستولى على طليطلة سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، وعلى بلنسية سنة تسع وثمانين وأربعمائة ، ثم أرتجعها المرابطون من يده حتى أستعادها النصارى سنة ست وثلاثين وستمائة . وهلك الفنش سنة إحدى وخمسمائة .

وقام بأمر الجلالقة (بنته) وتزوجت ردمير ، ثم فارقت وتزوجت بعده قمطا من اقماطها فأتت منه بولد كانوا يسمونه (السليطين) . وأوقع ابن ردمير بابن هود سنة ثلاث وخمسمائة الواقعة التي أستشهد فيها ، وملك منه سرقسطة .

وفي بعض التواريخ أن أمر النصارى في زمن المنصور أبي يعقوب ابن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن كان دائرا بين ثلاثة من ملوكهم الفنش ، والبيوح ، وابن الزند ، وكبيرهم الفنش .

ولما فشلت ریح بنی عبد المؤمن في زمن المستنصر بن الناصر ، أستولى الفنش على جميع ما فتحه المسلمون من معقل الأندلس ، ثم هلك الفنش . وولى ابنه (هراندة) وكان أحول وبذلك يلقب ، فارتجع قرطبة وإشبيلية من أيدي المسلمين .

وزحف ملك أرغون في زمنه فاستولى على ماردة ، وشاطبة ، ودانية ، وبلنسية ، وسرقسطة ، والزهاء ، والزاهرة ، وسائر القواعد والشعور الشرقية ، وأحاز المسلمون

(١) في العبرج ٤ ص ١٨٢ "زوجته" .

إلى سيف البحر ، وملكوا عليهم ابن الأحمر بعد ولاية ابن هود . وكان استرجاع الطاغية ماردة سنة ست وعشرين وستمائة ، وميوزقة سنة سبع وعشرين ، وبلنسية سنة ست وثلاثين ، وسرقسطة وشاطبة قبل ذلك بزمان طويل . ثم هلك هيراندة ، وولي ابنه [شانجة] ^(١) ثم هلك [سنة ثلاث وتسعين] ^(١) .

وولي ابنه (هيراندة) وكان بينه وبين عساكر يعقوب بن عبد الحق : سلطان الغرب الواصلة إلى الأندلس حروب متصلة ، الغلب فيها عساكر ابن عبد الحق ، ثم خرج على هيراندة هذا ابنه (شانجة) فوفد هيراندة على السلطان يعقوب بن عبد الحق فقبل يده ، وأستجاشه على ولده شانجة ، فقبل وفادته ، وأمدّه بالمال والعساكر ، ورهن عنده على المال التاج المعروف من ذخائر سلفهم ، فهو عند بني عبد الحق إلى الآن .

ثم هلك هيراندة سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، وأستقل ابنه (شانجة) بالملك ، ووفد على يوسف بن يعقوب بالجزيرة الخضراء بعد مهلك أبيه يعقوب بن عبد الحق وعقد معه الهدنة ، ثم نقض وأستولى على مدينة طريف سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، ثم هلك سنة ثلث عشرة وسبعمائة .

فولي ابنه (بطرة) صغيرا ، وكفله عمه جوان وهلكا جميعا على غرناطة عند زحفهما إليها سنة ثمان عشرة وسبعمائة .

فولي ابنه (الهنشة بن بطرة) صغيرا وكفله زعماء دولته ، ثم أستقل بأمره وهلك مُحاصرا جبل الفتح سنة إحدى وخمسين وسبعمائة في الطاعون الجارف .

(١) الزيادة من العبرج ٤ ص ١٨٤ .

(٢) في العبرج ٤ ص ١٨٣ "ثلاث وثمانين" .

وولي (أبنة بطرة) وفرأبنة القمط إلى برشأونة فاستجاش صاحبها على أخيه بطرة فأجابه ، وزحف إليه بطرة فاستولى على كثير من بلاده ، ثم كان الغلب للقمط سنة ثمان وستين وسبعائة ، واستولى على بلاد قشتالة ، وزحفت إليهم أمم النصرانية ، ولحق بطرة بأمم الفرنج الذين وراء قشتالة في الجوف بجهات الليانية وبرطانية إلى ساحل البحر الأخضر وجزائره فزوج بنته من ابن ملكهم الأعظم المعروف بالنس غالس ، وأمدته بأمم لأتخصي فملك قشتالة والقرنتيرة ، واتصلت الحرب بعد ذلك بين بطرة وأخيه القمط ، إلى أن غلبه القمط وقتله سنة ثنتين وسبعين وسبعائة ، واستولى القمط على ملك بني أدفونش أجمعه ، واستقام له أمر قشتالة ، ونازعه البنس غالس ملك الإفرنجة بأبنة الذي هو من بنت بطرة ، وطلب له الملك على عادتهم في تملك ابن البنت ، واتصلت الحرب بينهما ، وشغله ذلك عن المسلمين فامتنعوا عن أداء الإتاوة التي كانوا يؤدونها إلى من كان قبله ، وهلك القمط سنة إحدى وثمانين وسبعائة .

فولي أبنة (دُن جُوان) وفرأخود غريس ولحق بالبرتغال ، واستجاش على أخيه مجموع كثيرة ، ثم رجع إليه وأصطلح عليه ، ثم هلك دُن جُوان سنة إحدى وتسعين وسبعائة ، ونصب قومه في الملك أبنة بطرة صبيا صغيرا لم يبلغ الحلم وقام بكفالاته وتدير دولته اليركيش خال جده القمط بن الهندشه والأمر على ذلك إلى الآن ، وفتنهم مع البنس غالس ومع الفرنج متصلة ، وأيديهم عن المسلمين مكفوفة ﴿ والله من وراءهم محيط ﴾ .

قلت : والممالك القائمة بجزيرة الأندلس الآن من ممالك النصرانية أربع ممالك .

المملكة الأولى

(مملكة قشتالة)

التي عليها سياقة الحديث إلى أن صارت إلى بطرة بن دُن جُوان المتقدم ذكره .
وهي مملكة عظيمة وعمالات متسعة تشتمل على طيطة، واشبيلية، وقشتالة،
وغليسية والقرنيرة وهي بسط من الغرب إلى الشرق ويقال لملكها الأدفونش والعامه
تسميه الفنش .

المملكة الثانية

(مملكة البرتغال)

وهي في الجانب الغربي من قشتالة، وهي عمالة صغيرة تشتمل على أشبونة وغرب
الأندلس، وهي الآن من أعمال جليقية، إلا أن صاحبها مميّز بسمته ومملكه .

المملكة الثالثة

(مملكة برشلونة)

وهي بجهة شرق الأندلس، وهي مملكة كبيرة، وعمالات واسعة، تشتمل على
برشلونة، وأرغون، وشاطبة، وسرقسطة، وبلنسية، وجزيرة دانية، وميورقة،
وكان ملكهم بعد العشرين والسبعائة اسمه بطرة وطال عمره، وهلك سنة سبع
وثمانين وسبعائة، وأنفرد أخوه الدك بملك سرقسطة مقاسماً لأخيه ثم سار بعد ذلك
في أسطول فملك جزيرة صقلية من أيدي أهلها وصارت داخلة في أعمالهم .

المملكة الرابعة

(مملكة نبرة مما يلي قشتالة من جهة الشرق ، فاصلاً بين عمالات
ملك قشتالة وعمالات ملك برشلونة)

وهي عمالة صغيرة ، وقاعدتها مدينة ينبلونة ، وملكها ملك البشكنس . أما ماوراء
الأندلس من الفرج فأهم لا تحصى ، وسيأتى الكلام على ذكر ملكهم الأكبر
ريدفرنس فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الجملة السادسة

(فى ترتيب هذه المملكة)

أما مملكة المسلمين فلا يخفى أنها فى معنى بلاد المغرب . [وفى كثير من الأوقات
يملكهم ملوك المغرب الأقصى ، فبالضرورة إن ترتيبهم جار على ترتيب بلاد الغرب]^(١) .
وقد ذكر فى "مسالك الأبحار" أن أهل الأندلس فى الجملة لا يتعممون ، بل
يتعمدون شعورهم بالتنظيف والحناء ما لم يغلب الشيب ، ويتطيّلون فيلقون^(١)
الطيبان على الكتيف أو الكتيفين مطوياً طياً طريفاً [والمتعمم فيهم قليل] ،
ويلبسون الثياب الرفيعة الملوّنة من الصوف والكثان ونحو ذلك ، وأكثر لباسهم
فى الشتاء الجوخ وفى الصيف البياض . قال : وأرزاق الجند به ذهب بحسب
مراتبهم ، وأكثرهم من برّ العدو من بنى مرين وبني عبد الواد وغيرهم .
والسلطان مسكنه القصور الرفيعة ، ويقعد السلطان للناس بدار العدل فى مكان
يعرف بالسبيكة من القصبة الحمراء التى هى القلعة يوم الاثنين ويوم الخميس

(١) الزيادة من القطعة الأزهرية .

صباحاً ، ويحضر معه المجلس الرؤساء من أقاربه ونحوهم ، ويُقرأ مجلسه عشر من القرآن وشيء من الحديث النبوي ، يأخذ الوزير القصص من الناس فتقرأ عليه .
وأما الحرب فإنهم فيها سجال : تارة لهم وتارة عليهم ، والنصر في الأغلب للمسلمين على قتلهم وكثرة عدوهم بقوة الله تعالى . وبالبلاد البحرية أسطول الحراريق المفرق في البحر الشامي ، يركبها الأتجاد من الرماة والرؤساء المهرة ، فيقاتلون العدو على ظهر البحر ، وهم الظافرون في الغالب ، ويُغيرون على بلاد النصاري بالساحل وما هو بقربه فيأسرون أهلها ذكورهم وإناثهم ، ويأتون بهم بلاد المسلمين ، فيبرزون بهم ويحملونهم إلى غرناطة إلى السلطان فيأخذ منهم ما يشاء ويهدي ويبيع .

وقد كانت لهم وقعة في الإفرنج سنة تسع عشرة وسبعائة على مرج غرناطة قتل فيها من الإفرنج أكثر من ستين ألفاً ومكان : هما بطرة وجوان عمه فقديت جيفة جوان بأموال عظيمة ، وحملت جثة بطرة إلى غرناطة ، فعلق على باب قلعتها في تابوت ، واستمرت معلقة هناك ، وحاز المسلمون غنيمة من أموالهم قلما يذكر مثلها في تاريخ ، ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ .

وقد تقدم في المقالة الأولى في الكلام على النوع الرابع مما يحتاج إليه الكاتب : وهو حفظ كتاب الله تعالى : أن بعض ملوك الفرنج كتب إلى ابن الأحمر : صاحب غرناطة كتاباً يهدده فيه ، فكان جوابه أن قلبه وكتب على ظهره ﴿ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون﴾ .

وأما ملوك الفرنج به فعلى ترتيب سائر ممالك الفرنج مما هو غير معلوم لنا .

الفصل الثالث

من المقالة الثانية

في الجهة الجنوبيّة عن مملكة الديار المصرية : من مصر والشام والحجاز ،
ومضافاتها مما هو واقع في الثاني والثالث والرابع من الأقاليم السبعة)
اعلم أنه قد دخل في جهتي الشرق والغرب المتقدمتين ذكرًا أما كنّ مما هو في جهة
الجنوب عن مملكة الديار المصرية ومضافاتها ، أنساق الكلام إليها استطرادا
واستنباعا : كأطراف اليمن ، والهند ، والصين الجنوبية الخارجة عن الإقليم الثاني
إلى جهة الجنوب مما استتبعته ممالك الشرق ، والمقصود الآن الكلام على ما عدا
ذلك ، وهو بلاد السودان .

وهي بلاد متسعة الأرجاء ، رَحْبَة الجَوَانِب ، حدّها من الغرب البحر المحيطُ
الغربيّ ؛ ومن الجنوب الحَرَاب مما يلي خطّ الاستواء ؛ ومن [الشرق] بحر القلزم
مما يُقابل بلاد اليمن والأمكنة المجهولة الحال شرق بلاد الزنج في جنوبيّ البحر
الهنديّ ؛ ومن الشمال البراريّ الممتدة فيما بين الديار المصرية وأرض بركة ، وبلاد
البربر ، من جنوبيّ المغرب إلى البحر المحيط .
والمشهور منها ستُّ ممالك :

المملكة الأولى

(بلاد البجّ)

والبجّا بضم الباء الموحدة وفتح الجيم وألف في الآخر . وهم من أصفى السودان
لونا . قال ابن سعيد : وهم مساهون ونصارى وأصحاب أوثان ؛ ومواطنهم

في جنوبي صعيد مصر مما يلي الشرق، فيما بين بحر القلزم وبين نهر النيل، على القُرب من الديار المصرية .

وقاعدتهم (سَوَاكُنْ) بفتح السين المهملة والواو وكسر الكاف ونون في الآخر . قال في " تقويم البلدان " في الكلام على بحر القلزم : وهي بليدة للسودان، حيث الطول ثمان وخمسون درجة، والعرض إحدى وعشرون درجة .

قلت وقد أخبرني من رآها أنها جزيرة على طرف بحر القلزم من جهته الغربية قريبة من البر يسكنها التجار. وصاحبها الآن من العرب المعروفين بالحداربة - بالحاء والdal المهملتين المفتوحتين وألف ثم راء مهملة وباء موحدة مفتوحة وهاء في الآخر، وله مكتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية، ويقال في تعريفه الحُدُرِيّ بضم الحاء وسكون الدال وضم الراء، على ماسياتي ذكره في الكلام على المكاتب في المقالة الرابعة فيما بعد، إن شاء الله تعالى .

وقد عدّ في " تقويم البلدان " من مُدُن البجَا (العَلَّاقِي) بفتح العين المهملة واللام المشددة ثم ألف وقاف مكسورة ثم ياء مشناة من تحت . من آخر الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " : حيث الطول ثمان وخمسون درجة، والعرض ست وعشرون درجة . قال في " تقويم البلدان " : وهي بالقُرب من بحر القلزم ، ولها مَغَاصٌ ليس بالحيّد ، ويجلبها مِدُنٌ ذهب ، يتحصّل منه بقدر ما يُنْفَق في استخراجه . قال المهلبي : إذا أخذت من أسوان في سمت المشرق تصل إلى العَلَّاقِي بعد اثنتي عشرة مرحلة . قال : وبين العَلَّاقِي وعِيذاب ثمان مراحل ومن العَلَّاقِي يُدْخَل إلى بلاد البجَا .

المملكة الثانية

(بلاد النوبة)

بضم النون وسكون الواو وفتح الباء الموحدة وهاء في الآخر . ولون بعضهم يميل إلى الصفاء ، وبعضهم شديد السواد . قال في "مسالك الأبصار" : وبلادهم مما يلي مصر في نهاية جنوبيها مما يلي المغرب على ضفتي النيل الجارى إلى مصر . قال في "تقويم البلدان" في الكلام على الجانب الجنوبي : وبينها وبين بلاد النوبة جبال منيعة .

وقاعدتها مدينة (دُقْلَة) . قال في "تقويم البلدان" : الظاهر أنها بضم الدال المهملة وسكون النون وقاف مضمومة ولام مفتوحة وهاء في الآخر . وما قاله هو الجارى على ألسنة أهل الديار المصرية ، ورأيتهما في "الروض المعطار" مكتوبة (دَمَقْلَة) بإبدال النون ميما ، مضبوطة بفتح الدال ، وباقي الضبط على ما تقدم . وأنشد بيت شعر شاهدا لذلك . وموقعها في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد : حيث الطول ثمان وخمسون درجة وعشر دقائق ، والعرض أربع عشرة درجة وخمس عشرة دقيقة . قال : وفي جنوبيها وغربيها مجالات زنج النوبة الذين قاعدتهم (كوشة) خلف الخط ، وفي غربي دُقْلَة وشمالها مدنهم المذكورة في الكتب . قال الإدريسي : وهى في غربي النيل على ضفته وشرب أهلها منه . قال : وأهلها سودان لكنهم أحسن السودان وجوهاً ، وأجملهم شكلاً ، وطعامهم الشعير والذرة والتمر يجلب إليهم ، واللحوم التى يستعملونها لحوم الإبل : طرية ومقددة ، ومطبوخة . وفي بلادهم القبيلة ، والزراريف ، والغزلان .

(١) في التقويم "ومطبوخة" وهو تصحيف .

قال في "مسالك الأبصار" : ومُدُنُهَا أَشْبَهُ بِالْقُرَى وَالضِّيَاعِ مِنَ الْمُدُنِ ، قَلِيلَةٌ الْخَيْرِ وَالْخِصْبِ ، يَابِسَةُ الْهَوَاءِ . قال : وَحَدَّثَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ دَخَلَ النَّوْبَةَ : أَنَّ مَدِينَةَ دُنُقَلَةَ مُمْتَدَّةٌ عَلَى النَّيْلِ ، وَأَهْلُهَا فِي شَطَفٍ مِنَ الْعَيْشِ ، وَالْحَبُوبُ عَنْدهُمْ قَلِيلَةٌ إِلَّا الذَّرَّةَ ، وَإِنَّمَا تَكْثُرُ عَنْدهُمْ اللَّحُومُ وَالْأَلْبَانُ وَالسَّمَكُ . وَأَخْبَرَا طَبِخْتَهُمْ أَنَّ تَطْبِخَ اللَّوْبِيَا فِي مَرَقِ اللَّحْمِ ، وَيُثْرَدُ وَيُصَفَّفُ اللَّحْمُ وَاللُّوبِيَا عَلَى وَجْهِ الثَّرِيدِ . وَرَبَّمَا عُمِلَتِ اللَّوْبِيَا بِوَرَقِهَا وَعُزْوَوقِهَا . قال : وَلَهُمْ أَنَّهُمَا عَلَى السُّكَّرِ بِالْمَزْرِ وَمِثْلَ عَظِيمٍ إِلَى الطَّرَبِ .

ولما خاف بنو أيوب نور الدين الشهيد صاحب الشام على أنفسهم حين هم بقصدهم ، بعث السلطان صلاح الدين أخاه شمس الدولة إلى (النوبة) ليأخذها لتكون مؤنلا لهم إذا قصدهم ، فرأوها لاتصلح لمثلهم ، فعدلوا إلى اليمن وأستولوا عليها ، وجعلوها كالمعقل لهم . قال ابن سعيد : ودين أهل هذه البلاد النصرانية . قال في "مسالك الأبصار" : ومن هذه البلاد نجم "لقمان الحكيم" ثم سكن مدينة أيلة ، ثم دخل إلى بيت المقدس . ومنها أيضا "ذو النون المصري" الزاهد المشهور ، وإنما سمي المصري لأنه سكن مصر فنسب إليها . وكان ملوكها في الزمن القديم وسائر أهلها على دين النصرانية ، فلما فتح عمرو بن العاص رضي الله عنه مصر غزاهم . قال في "الروض المعطار" : فرآهم يرءون الحدق بالنبل ، فكف عنهم ، وقرر عليهم إتاوة في كل سنة . قال صاحب "العبر" : وعلى ذلك جرى ملوك مصر بعده ، وربما كانوا يماطلون بذلك ويمتنعون من أدائه ، فتغزوهم عساكر المسلمين من مصر حتى يطيعوا ، إلى أن كان ملكهم في أيام الظاهر بيبرس رحمه الله ، رجلا اسمه (مرقششكر) وكان له ابن أخ اسمه (داود) فتغلب عليه ، وأنتزع الملك من يده ، وأستفحل ملكه بها ، وتجاوز حدود مملكته قريب (أسوان) من آخر صعيد

الديار المصرية ؛ فقدم (مرقشنگز) المذكور على الظاهر بيبرس بالديار المصرية ،
 واستنجد به على ابن أخيه (داود) المذكور ؛ فجهز معه العساكر إلى بلاد النوبة ،
 فانهزم (داود) ولحق بمملكة الأبواب من بلاد السودان ، فقبض عليه ملكها
 وبعث به مقيداً إلى الظاهر بيبرس ؛ فاعتقل بالقلعة حتى مات ؛ واستقر (مرقشنگز)
 في ملك النوبة على جزية يؤديها في كل سنة ؛ إلى أن كانت دولة المنصور (قلاوون)
 ثم استقر بمملكة دنقلة في الدولة المنصورية (قلاوون) رجل اسمه سيماون وغزته
 عساكر قلاوون سنة ثمانين وستمائة .

ثم ملكهم في أيام الناصر "محمد بن قلاوون" رجل اسمه (أمي) وبقي حتى توفي
 سنة ست عشرة وسبعائة .

وملك بعده دنقلة أخوه (كرنيس) .

ثم خرج من بيت الملك منهم رجل اسمه (نشلي) فهاجر إلى مصر ، وأسلم وحسن
 إسلامه ، وأقام بمصر بالأبواب السلطانية ، وأجرى عليه السلطان الملك الناصر
 رزقا ، ولم يزل حتى امتنع (كرنيس) من أداء الجزية سنة ست عشرة وسبعائة ،
 فجهز إليه السلطان العساكر مع نشلي المقدم ذكره ، وقد تسمى عبد الله ففر كرنيس
 إلى بلاد الأبواب ، فاستقر (عبد الله نشلي) في ملك دنقلة على دين الإسلام ،
 ورجعت العساكر إلى مصر ، وبعث الملك الناصر إلى ملك الأبواب في أمر كرنيس
 فبعث به إليه ، فأسلم وأقام بباب السلطان ، وبقي نشلي في الملك حتى قتله أهل
 مملكته سنة تسع عشرة وسبعائة ، فبعث السلطان كرنيس إليهم فملكهم وأنقطعت
 الجزية عنهم من حين أسلم ملوكهم . قال في "العبر" : ثم أنتشرت أحياء جهينة
 من العرب في بلادهم وأستوطنوها ، وعاثوا فساداً ، وعجز ملوك النوبة عن مدافعهم ،

فصاهروهم مصانعةً لهم ، وتذوق بسبب ذلك ملكهم حتى صار لبعض جهينة من أمهاتهم على رأى العجم فى تملك الأخت وابن الأخت ، فتمزق ملكهم وأستولت جهينة على بلادهم ، ولم يحسنوا سياسة الملك ، ولم ينقذ بعضهم إلى بعض ، فصاروا شيعاً ولم يبق لهم رسم ملك ، وصاروا رحالة بادية على عادة العرب إلى هذا الزمان .

وذكر فى "مسالك الأبصار" : أن ملكها الآن مسلم من أولاد (كتر الدولة) قال : وأولاد الكتر هؤلاء أهل بيت ثارت لهم نواثر مرّات . فيحتمل أن أولاد الكتر من جهينة أيضاً جمعاً بين المقاتلين .

وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" : أن سلطانهم كواحد من العاقمة ، وأنه يأوى الغرباء إلى جامع دُنْقَلَة فيُرْسِل إليهم ، فيأتونه فيُضِيفُهُمْ وَيُنْعِم عليهم هو وأمرأؤه ، وأن غالب عطائهم الدّكّاديك : وهى أكسية غلاظ غالبها سود . وربما أعطوا عبداً أوجاريةً .

(وقد ذكر فى "الروض المعطار" : أن عمرو بن العاص رضى الله عنه قصد قتال النّوبة فرآهم يردون الحَدَق بالنّبل فكف عنهم ، وقدر عليهم إتاوة من الرّقيق (١) فى كل سنة) ، ولم تزل ملوك مصر تأخذ منهم هذه الإتاوة فى أكثر الأوقات حتى ذكر فى "مسالك الأبصار" أنه كان عليهم فى زمنه مُقَرَّرٌ لصاحب مصر فى كلّ سنة من العبيد ، والإماء ، والحِرَاب ، والوحوش النّوبية -

قلت : أمّا الآن فقد آنقطع ذلك . ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ .

(١) هذه الجملة مضرب عليها فى القطعة الأزهرية إشارة الى الاستغناء عنها .

المملكة الثالثة

(بلاد البرنو)

وبلاد البرنو - بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وضم النون وسكون الواو .
 وهم مسلمون والغالب على ألوانهم السواد قال في " التعريف " : وبلاده يحدُّ بلاد
 التَّكُّور من الشرق ؛ ثم يكون حدها من الشمال بلادَ أفريقية ؛ ومن الجنوب المَمَج .
 وقاعدتهم مدينة (كَا كَا) بكافين بعد كلٍّ منهما ألف فيما ذكر لي رسولُ سلطانهم
 الواصلُ إلى الديار المصرية صحبةَ الجحجج في الدولة الظاهرية (بَرْقُوق) . وقد
 تعرَّض إليها في " مسالك الأَبصار " في تحديد مملكة مالى على ما يأتي ذكره
 إن شاء الله تعالى .

ومن مدنها أيضا مدينة (كُتْنِسِكِي) بكاف مضمومة وتاء مشناة فوقية ساكنة
 ونون مكسورة وسين مهملة ساكنة وكاف مكسورة بعدها ياء مشناة تحتية . وهي
 شرقى (كَا كَا) على مسيرة يوم واحدٍ منها .

قلت : وقد وصل كتاب ملك البرنو في أواخر الدولة الظاهرية (بَرْقُوق) يذكر
 فيه أنه من ذرية " سيف بن ذى يزن " إلا أنه لم يحقق النسب فذكر أنه من
 قريش وهو غلط منهم فإن " سيف بن ذى يزن " من أعقاب تبابعة اليمن من حمير .
 على ما يأتي ذكره في الكلام على المكاتبات ، في المقالة الرابعة فيما بعد ، إن شاء
 الله تعالى .

ولصاحب البرنو هذا مكتبةٌ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية ، يأتي ذكرها
 هناك إن شاء الله تعالى .

المملكة الرابعة

(بلاد الكانم)

والكانم بكاف بعدها ألف ثم نون مكسورة وميم في الآخر . وهم مسلمون أيضا والغالب على ألوانهم السواد . قال في "مسالك الأبصار" : وبلادهم بين أفريقية وبرقة ، ممتدة في الجنوب إلى سمت الغرب الأوسط . قال : وهي بلاد حيط ، وشظف ، وسوء مزاج مستول عليها . وغالب عيشهم الأرز ، والقمح ، والذرة ، وبلادهم التين ، والليمون ، واللنت ، والبادنجان ، والرطب . وذكر عن أبي عبد الله السلاحي ، عن الشيخ عثمان الكانمي وغيره أن الأرز ينبت عندهم من غير بذر . ومما اشتهر بهم القماش ينسج عندهم اسمه دندى ، طول كل ثوب عشرة أذرع فأكثر . قال : ويتعاملون أيضا بالودع ، والحرز ، والنحاس المكسور ، والورق ، لكنه جميعه يسعر بذلك القماش .

وذكر ابن سعيد : أن في جنوبيها صحارى فيها أشخاص متوحشة ، كالغول أقرب الحيوانات إلى الشكل الآدمي ، تؤذى بنى آدم ولا يلحقها الفارس .

وذكر أبو عبد الله المرأكشي في كتابه "الكلمة" عن أبي إسحاق إبراهيم الكانمي الأديب الشاعر : أنه يظهر ببلاد الكانم في الليل أمام الماشى بالقرب منه قُلل نار تُضيء ، فإذا مشى بعدت منه ، فلا يصل إليها ولو جرى ، بل لا تزال أمامه . وربما رماها بحجر فأصابها ، فيتشظى منها شرارات . قال في "مسالك الأبصار" : وأحوالها وأحوال أهلها حسنة ، وربما كان فيهم من أخذ في التعليم ، ونظر من الأدب نظرة النجوم قتال إني سقيم ، فما يزال يداوى عليل فهمه ، ويُدَارى جامع علمه ، حتى تشرق عليه أشعتها ، ويطرز بدياجه أمتعها .

وقاعدتها (مدينة جيمي) . قال في "تقويم البلدان" : بكسر الجيم وبالياء المشاة تحت الساكنة وكسر الميم ثم ياء مشاة تحية في الآخر. حسب مادو في خط ابن سعيد . وموقعها في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول ثلاث وخمسون درجة ، والعرض تسع درج ، وبها مقبرة سلطانهم . قال في "مسالك الأبصار" : ومبدأ هذه المملكة من جهة مصر بلدة اسمها (دلا) وأخرها طولاً بلدة يقال لها (كاكّا) وبينهما نحو ثلاثة أشهر . وقد تقدم أن كاكّا هي قاعدة سلطان البرنو . وبينها وبين جيمي أربعون ميلاً . قال وبها فواكه لا تشبه فواكه بلادنا ، وبها الرمان ، والخبوخ ، وقصب السكر . قال في "مسالك الأبصار" : وسلطان هذه البلاد رجل مسلم . قال في "تقويم البلدان" : وهو من ولد «سيف بن ذى زن» . قال في "مسالك الأبصار" : وأول من بث الإسلام فيهم الهادي العثماني ، ادعى أنه من ولد «عثمان بن عفان» رضى الله عنه وملكها ، ثم صارت بعده لليزيين .

وذكر في "التعريف" : أن سلطان الكايم من بيت قديم في الإسلام ، وقد جاء منهم من ادعى النسب العلوي في بني الحسن . ثم قال : وتمذهب بمذهب «الشافعي» رضى الله عنه . قال في "مسالك الأبصار" : وملكهم على حقارة سلطانهم ، وسوء بقعة مكانه ، في غاية لا تدرك من الكبرياء ، يمسح برأسه عنان السماء ، مع ضعف أجناده ، وقلة متحصلي بلاد ، لا يراه أحد إلا في يوم العيدين بكرة وعند العصر . أما في سائر السنة فلا يكلمه أحد ولو كان أميراً إلا من وراء حجاب . قال : والعدل قائم في بلادهم ، ويتمذهبون بمذهب الإمام «مالك» رضى الله عنه ، وهم ذوو اختصار في اللباس ، يلبسون في الدين ، وعسكرهم يتلثمون ، وقد بنوا مدرسة للملكية بالفسطاط ينزل بها وفودهم .

المملكة الخامسة

(بلاد مالى ومُضافاتها)

و(مالى) بفتح الميم وألف بعدها لأم مشددة مَفَحَّمة وياء مشناة تحت في الآخر .
وهى المعروفة عند العامة ببلاد (التَّكُور) . قال فى "مسالك الأبصار" : وهذه المملكة
فى جنوب المغرب ، متَّصلةً بالبحر المحيط . قال فى "التعريف" : وحدَّها فى الغرب
البحر المحيط ، وفى الشرق بلاد البرُّنوب وفى الشمال جبال البرُّبر ، وفى الجنوب الحَمَج .
ونقل عن الشيخ سعيد الدَّكَّالى : أنها تقع فى جنوب مَرَّاكُش ودواخل بَرِّ العُدوة
جنوباً بغرب إلى البحر المحيط . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى شديدةُ الحرِّ ،
قَشِفةُ المعيشة ، قليلةُ أنواعِ الأقوات ، وأهلها طَوَّال فى غاية السَّواد وتَفْلُقُ
الشُّعُوب ؛ وغالبُ طول أهلها من سُوقِهِمْ ، لا من هَيَاكل أبدانهم . قال ابن سعيد :
والتَّكُور قسيمان : قسم حَضَر يسكنون المَدَن ، وقسم رَحَّالة فى البَوَادى .

وقد حكى فى "مسالك الأبصار" عن الشيخ سعيد الدَّكَّالى : أن هذه المملكة
مُرَبَّعة ، طولها أربعة أشهر أو أزيد ، وعرضها مثل ذلك ، وجميعها مسكونة
إلا ماقل ، وهذه المملكة هى أعظم ممالك السودان المسلمين .

وتشتمل على ثمانِ جُمَل :

الجملة الأولى

(فى ذكر أقاليمها ومُدُنُها)

وقد ذكر صاحب "العبر" : أنها تشتمل على خمسة أقاليم كل إقليم منها
مملكة بذاتها .

الإقليم الأول (مالى)

وقد تقدّم ضبطه . وهو إقليم واسطة الأقاليم السبعة الداخلة في هذه المملكة ، واقع بين إقليم صوصو وإقليم كوكو : صوصو من غربيه ، وكوكو من شرقيه .

وقاعدته على ما ذكره في "مسالك الأبصار" : مدينة (بنى) ^(١) قال في "مسالك الأبصار" : بالباء الموحدة والنون ثم الباء الموحدة أيضا . قال : وهي ممتدة تقدير طول بريد في عرض مثل ذلك ، ومبانيها متفرقة ، وبنائها بالبالستا . وهو أنه يبنى بالطين بقدر ثلثي ذراع ، ثم يترك حتى يجف ، ثم يبنى عليه مثله ، وكذلك حتى ينتهى ، وسقفوها بالخشب والفصص ، وغالبها قباب أو جملونات كالأقباء ، وأرضها تراب مرميل ، وليس لها سور ، بل يستدير بها عدة فروع من النيل من جهاتها الأربع ، بعضها يخاض في أيام قلة الماء ، وبعضها لا يعبر فيه إلا في السن . وللك عدة قصور يدور بها سور واحد .

الإقليم الثانى (صوصو)

بصادين مهملتين مضمومتين ، بعد كل منهما واو ساكنة . وربما أبدلوا الصاد سينا مهملة سمي بذلك باسم سكانه . قال في "العبر" : وهم يسمونها الانكارية . وهو في الغرب عن إقليم مالى المقدم ذكره فيما ذكره في "العبر" عن بعض النقلة .

(١) في القطعة الأزهرية "مدينة بنى بكسر الياء المثناة تحت وسكون الياء الثانية وكسر المثناة فوق وياء مثناة تحت في الآخر" .

الإقليم الثالث (بلاد غانة)

بفتح الغين المعجمة وألف ثم نون مفتوحة وهاء في الآخر . وهي غربي إقليم صوصو المقدم ذكره تُجاور البحر المحيط الغربي .

وقاعدته (مدينة غانة) التي قد أُضيف إليها . قال في "تقويم البلدان" : وموقعها خارج الإقليم الأول من الأقاليم السبعة إلى الجنوب . قال ابن سعيد : حيثُ الطول [تسع وعشرون درجة ^(١)] والعرض عشر درج . قال في "تقويم البلدان" : وهي محلُّ سلطان بلاد غانة .

وقد حكى ابن سعيد : أن لغانة نيلًا شقيق نيل مصر ، يصب في البحر المحيط الغربي عند طول عشر درج ونصف ، وعرض أربع عشرة . وإليها تسير التجار المغاربة من سبلماسة في برمقفر ومفاوز عظيمة في جنوب الغرب نحو خمسين يومًا ، فيكون بين غانة وبين مصبه نحو أربع درج . وهي مبنية على ضفتي نيلها هذا . قال في "العبر" : وكان أهلها قد أسلموا في أول الفتح الإسلامي .

وقد ذكر في "تقويم البلدان" : أنها مدينتان على ضفتي نيلها ، إحداهما يسكنها المسلمون والثانية يسكنها الكفار .

وقد ذكر في "الروض المعطار" : أن لصاحب غانة معلفين من ذهب ، يُربط عليهما فرسان له أيام مقعده .

(١) الزيادة عن التقويم نقلًا عن ابن سعيد .

الإقليم الرابع (بلاد كوكو)

وهي شرقي إقليم مالى المقدم ذكره . قال في "الروض المعطار" : ومليكها قائم بنفسه ، له حشم وقواد وأجناد وزى كامل ، وهم يركبون الخيل والجمال ، ولهم بأس وقهر لمن جاورهم من الأمم . قال : وبها ينبت عود الحية : وهو عود يشبه العاقِرَ قرحاً ، إلا أنه أسود ، من خاصته أنه إذا وُضع على جُحر الحية خرجت إليه بسرعة ، ومن أمسكه بيده أخذ من الحيات ما شاء من غير جزع يُدركه أو يقع في نفسه . ثم قال : والصحيح عند أهل المغرب الأقصى أن هذا العود إذا أمسكه مُمسِك بيده أو علّقه في عنقه لم تقربه حية البتة .

وقاعدته (مدينة كوكو) بفتح الكاف وسكون الواو وفتح الكاف الثانية وسكون الواو بعدها . وموقعها في الجنوب عن الإقليم الأول قال ابن سعيد : حيث الطول أربع وأربعون درجة ، والعرض عشر درج . قال : وهي مقر صاحب تلك البلاد . قال : وهو كافر يقاتل من غربيه من مسلمي غانة ومن شرقيه من مسلمي الكانم .

وذكر المهلب في العزيزي أنهم مسلمون ، وبينها وبين مدينة غانة مسيرة شهر ونصف . قال في "الروض المعطار" : وهي مدينة كبيرة على ضفة نهر يخرج من ناحية الشمال ، يمر بها ويجاوزها بأيام كثيرة ، ثم يغوص في الصحراء في رمال كما يغوص الفرات في بطائح العراق . قال ابن سعيد : وكوكو في شرقي النهر ، ولباس عامة أهلها الجلود يسترون بها عوراتهم ، وتجارهم يلبسون الأكسية ، وعلى رؤوسهم الكرازين ، وليس خواصهم الأزرق . قال في "مسالك الأبصار" : وسكانها قبائل يران من السودان .

الإقليم الخامس (بلاد تَكُرُور)

وهي شرقي إقليم (كوكو) المقدم ذكره ، ويليه من جهة الغرب مملكة (البرنو) المتقدمة الذكر ، وبها عُرفت هذه المملكة على كبرها واشتهرت .

وقاعدته (مدينة تَكُرُور) ^(١) بفتح التاء المشناة فوق وسكون الكاف وضم الراء المهملة وسكون الواو وراء مهملة في الآخر . قال في "الروض المعطار" : وهي مدينة على الدِّل على القرب من صِفَافِه أكبر من مدينة سَلَا من بلاد المغرب ، وطعام أهلها السمك ، والدُّرة ، والألبان ، وأكثر مواشيهم الجمال ، والمعز ، ولباس عامة أهلها الصُوف ، وعلى رؤوسهم كَرَازِينُ صُوف ، ولباس خاصتهم القُطن والمآزر . قال : وبينها وبين سِيَّلماسة من بلاد المغرب أربعون يوما بسير القوافل ، وأقرب البلاد إليها من بلاد لَمْتُونَة بالصحراء آسَفِي بينهما خمس وعشرون مرحلة . قال : وأكثر ما يسافر به تجار الغرب الأقصى إليها الصُوف ، والنحاس ، والحرز ، ويخرجون منها بالتبر ، والخدَم . قلت : وذكر في "مسالك الأبصار" : أن هذه المملكة تشتمل على أربعة عشر إقليما . وهي غانة ، وزافون ، وترنكا ، وتكُور ، وسنغانة ، وبانغو ، وزرنطابنا ، وبيترا ، ودمورا ، وزاغا ، وكابرا ، وبراغودي ، وكوكو ، ومالي . فذكر أربعة من الأقاليم الخمسة المتقدمة الذكر ، وأسقط إقليم صُصُو ، وكأنها قد أضمحت وزاد باقي ذلك ، فيحتمل أنها أنضافت إلى صاحبها يومئذ بالفتح والاستيلاء عليها . قال في "مسالك الأبصار" : وفي شمالي بلاد مالي قبائل من البربر بيض تحت حكم سلطانها : وهم نيتمصر ، ونيتمغراس ، ومدوسة ، ولَمْتُونَة ، ولهم أشياخ تحكم عليهم

(١) ضبطه المجد بالضم ولم يتعقبه شرحه ففيه لغتان .

إلا ينتصر ، فإنهم يتداولهم ملوكٌ منهم تحت حكم صاحب مالى . قال : وكذلك فى طاعته قوم من الكفار بعضهم يأكل لحمَ الآدميين . ونقل عن الشيخ سعيد الدكالى : أن فى طاعة سلطانها بلاد مغارة الذهب . وهم بلاد حميج ، وعليهم إتلاوة من التبر تُحل إليه فى كل سنة ، ولو شاء أخذهم ولكن ملوك هذه المملكة قد جزبوا أنه ما فُتحت مدينة من هذه المُدن وفشا بها الإسلام . ونطق بها داعى الأذان ، إلا قلَّ بها وجودُ الذهب ثم يتلاشى حتى يعدم ، ويزداد فيما يليه من بلاد الكفار ، فرضوا منهم ببذل الطاعة ، وحمل قُرر عليهم . وذكر نحو ذلك فى ” التعريف “ فى الكلام على غانة .

الجملة الثانية

(فى الموجود بهذه المملكة)

قد ذكر فى ” مسالك الأبصار “ عن الشيخ سعيد الدكالى ^(١) : أن بها الخيل من نوع الأكاديش التترية . قال : وتُجأب الخيل العرب إلى ملكهم ، يتغالبون فى أثمانها ، وكذلك عندهم الإبل ، والحير ، والبقر ، والغنم ، ولكنها كلها صغيرة الجثثة ، وتلد الواحدة من المعز عندهم السبعة والثمانية ، ولا مرعى لمواشيهم ، إنما هى جلالة على القمات والمزابل . وبها من الوحوش الفيلة ، والآساد ، والثور ، وكثما لا تُؤذى من بنى آدم إلا من تعرض لها . وعندهم وحش يسمى (ترمى) بضم التاء المشناة والراء المهملة وتشديد الميم ، فى قدر الذئب ، يترلد بين الذئب والضبع لا يكون إلا خنثى : له ذكر وفرج ، متى وجد فى الليل آدمياً صغيراً أو مراهقاً أكله . ولا يتعرض إلى أحد فى النهار ، وهو ينعر كالثور ، وأسنانه متداخلة . وعندهم تماسيح عظام منها ما يكون

(١) نسبة إلى دكالة قال فى القادوس كرمانة . وفى المعجم بالفتح بلد بالمغرب

طوله عشرة أذرع وأكثر، ومرارته عندهم سم قاتل تحمل إلى خزانة ملكهم .
وعندهم بقر الوحش، وحير الوحش، والغزلان . وفيما يسامت سائمة من بلادهم
جواميس متوحشة تصاد كما يُصاد الوحش . وبها من الطيور الدواجن الإوز،
والدجاج، والحمائم . وبها من الحبوب الأرز، والبنو، وهو دق مزغب، يدرس
فيخرج منه حب أبيض شبيه بالخردل في المقدار أو أصغر منه، فيغسل ثم يطحن
ويعمل منه الخبز، وهذا الحب هو والأرز هما غالب قوتهم، وعندهم الدرة وهي
أكثر حبوبهم، ومنها قوتهم ولبق خيولهم ودوابهم، وعندهم الحنطة دلى قلة فيها،
أما الشعير فلا وجود له عندهم البتة، وعندهم من الفواكه البستانية الجوز وهو
كثير لديهم، وعندهم أشجار برية ذوات ثمار ما كولة مستطابة، منها شجر يسمى
تادموت يحمل شيئاً مثل القواويس كبراً في داخلها شيء شبيه بدقيق الحنطة، ساطع
البياض، طعمه مرن لذيد يأكلون منه، وإذا جف جعلوه على الحناء فيسوده
كالنوشادر، ومنها شجر يسمى زيزور تخرج ثمرته مثل قرون الخروب فيخرج منها
شيء شبيه بدقيق الترمس حلو لذيد الطعم، له نوى . ومنها شجر يسمى قومي،
يحمل شبيه السفرجل، لذيد الطعم يشبه طعم الموز، وله نوى شبيه بغضروف العظم،
يأكله بعضهم معه . ومنها شجر اسمه فاريتي، حمله شبيه بالليمون وطعمه يشبه طعم
الكمثرى بداخله نوى ملح، يؤخذ ذلك النوى وهو طري، فيطحن فيخرج منه شيء
شبيه بالسمن يجمد، وتبيض به البيوت، وتوقد منه السرح، ويعدل منه الصابون،
وإذا قصد أكله وضع في قدر دلى نار لينة، ويسقى الماء حتى يقوى ذليانه وهو
مغطى الرأس، ويسارق كشف النطاء في أفنقاده، فانه متى كشف القدر فار ولحق
بالسقف . وربما انعقد منه نار فأحرق البيت، فإذا أصبح برده، وجعل في ظروف
القرع، وصار يستعمل في المأكّل كالسمن . ومتى جعل في غير ظروف القرع

من الآنية حرقها . ويُوجد بها من الثمرات البرية ما هو شبيه بكل الفواكه البستانية على اختلاف أنواعها ، ولكنها حريفة لا تُستطاب ، يأكلها الحميج من السودان ، وهي قوت كثير منهم .

وبها من الخضراوات اللوبياء ، واللّفت ، والثوم ، والبصل ، والباذنجان ، والكُرنب ، أما الملوخية فلا تطلع عندهم إلا برية ، والقرع عندهم بكثرة . وعندهم شيء شبيه بالقلقاس إلا أنه ألد من القلقاس ، يُزرع في الحلاء فإن سرق منه سارق ، قطع الملك رأسه وعلقه مكان ما قُطع منه ، عادة عندهم يتوارثونها خلفا عن سلف ، لا توجد فيها رخصة ، ولا تنفع فيها شفاة .

وجبالها ذوات أشجار مشبكة ، غليظة السوق إلى الغاية ، تُظلل الواحدة منها خمسمائة فارس . وفيها بغانة وما وراءها في الجنوب من بلاد السودان الحميج معادن الذهب .

وقد حكى في "مسالك الأبصار" عن الأمير أبي الحسن علي بن أمير حاجب عن السلطان (منسا موبى) سلطان هذه المملكة : أنه سأل عند قدومه الديار المصرية حاجا عن معادن الذهب عندهم — فقال : توجد على نوعين : نوع في زمان الربيع ينبت في الصحراء ، له ورق شبيه بالنجيل ، أصوله التبر . والشانى يوجد في أماكن معروفة على ضفّات مجارى النيل ، تُحفر هناك حفائر فيوجد فيها الذهب كاللحجارة والحصى ، فيؤخذ . قال : وكلاهما هو المسمى بالتبر . ثم قال : والأول أحل في العيار ، وأفضل في القيمة . وذكر في "التعريف" نحوه . وذكر عن الشيخ عيسى الزواوى عن السلطان (منسا موبى) المقدم ذكره أيضا أنه يُحفر في معادن الذهب كل حفيرة عمق قامة أو ما يقاربها ، فيوجد الذهب في جنباتها . وربما وجد مجتمعاً في سُفل

(١) في الأصل والأقول ... في الخيار والتصحيح عن "التعريف" و "المسالك" .

الحفيرة؛ وأنَّ في مملكته أُمًّا من الكُفَّار لا يأخذ منهم جزيةً، إنما يستعملهم في إخراج الذهب من معادنه . ثم قد ذكر في ”مسالك الأبصار“ : أن النوع الأول من الذهب يُوجد في زمن الربيع عقيب [الأمطار] ^(١) ينبت في مواقعها، والثاني يوجد في جميع السنة في ضفّات مجارى النيل . وذكر في ”التعريف“ : أن نبات الذهب بهذه البلاد يبدأ في شهر (أغشت) حيث سلطان الشمس قاهرٌ، وذلك عند أخذ النيل في الارتفاع والزيادة . فإذا انحطَّ النيل تُتبع حيث ركب عليه من الأرض؛ فيوجد منه ما هو نبات يُشبه النجيل وليس به . ومنه ما يوجد كالخضى . فجعل الجميع مما يحدث في هذا الزمن في أماكن النيل خاصّةً . وفيه مخالفة لما تقدّم . بل قد قال : إن شهر (أغشت) الذى يطلّع فيه الذهب وهو من شهور الروم ، ويقع - والله أعلم - أنه يُركب من (تموز) و(آب) يعنى من شهور السريان، وهذا غلط فاحش . فقد تقدّم في المقالة الأولى أن شهور الروم منطبقة على شهور السريان في الابتداء وال انتهاء، دون ابتداء أول السنة؛ وشهر (أغشت) من شهور الروم هو شهر (آب) من شهور السريان بعينه .

ثم قد حكى في ”مسالك الأبصار“ عن والى مصر عن (منسا موسى) المقدم ذكره : أن الذهب ببلاده حى له، يجمع له متحصّله كالتقطيعة، إلا ما يأخذه أهل تلك البلاد منه على سبيل السرقة .

وحكى عن الشيخ سعيد الدكالى : أنه إنما يهادى بشيء منه كالمصانعة، وأنه يتكسب عليهم في المسيعات لأن بلادهم لاشيء بها . ثم قال : وكلام الدكالى أثبت وعليه ينطبق كلامه في ”التعريف“ حيث ذكر غانة ثم قال : وله عليها إناوة متمررة

(١) بياض بالاصل والتصحيح من ”المسالك“ .

تَحْمَلُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ . وَبِهَذِهِ الْبِلَادِ أَيْضًا مَعْدَنُ نُحَاسٍ وَلَيْسَ يُوجَدُ فِي السُّودَانِ إِلَّا عِنْدَهُمْ . قَالَ الشَّيْخُ عَيْسَى الزَّوَاوِي : قَالَ لِي السُّلْطَانُ مُوسَى : إِنْ عِنْدَهُ فِي مَدِينَةٍ اسْمُهَا (نَكْوَا) مَعْدَنُ نُحَاسٍ أَحْمَرٍ يَجْلِبُ مِنْهُ قُضْبَانٌ إِلَى مَدِينَةِ بَنِي قَاعِدَةَ مَالِي فَيُبَاعُ مِنْهُ إِلَى بِلَادِ السُّودَانِ الْكُفَّارِ ، فَيُبَاعُ وَزَنٌ مِثْقَالُ بَثْنَى وَزَنُهُ مِنَ الذَّهَبِ ، يُبَاعُ كُلُّ مِائَةِ مِثْقَالٍ مِنْ هَذَا النُّحَاسِ بِسِتَّةِ وَسْتِينَ مِثْقَالًا وَثَلَاثِينَ مِثْقَالًا مِنَ الذَّهَبِ .

وبهذه البلاد (مَعْدِنُ مِلْحٍ) وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنَ السُّودَانِ الْوَاجِدِينَ فِي الْجَنُوبِ وَالْمُسَامِتِينَ لِسِحْرِ الْمَاسَةِ وَمَا وَرَاءَهَا مِلْحٌ سِوَاهُ . قَالَ "الْمَقَرُّ الشَّهَابِيُّ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ" : حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الصَّائِغِ ، أَنَّ الْمَلِيحَ مَعْدُونٌ فِي دَاخِلِ بِلَادِ السُّودَانِ ، فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُغَرَّرُ وَيَصِلُ بِهِ إِلَى أَنْاسٍ مِنْهُمْ يَبْدَأُونَ نَظِيرَ كُلِّ صُبْرَةٍ مِلْحٍ مِثْلَهُ مِنَ الذَّهَبِ . قَالَ ابْنُ الصَّائِغِ : وَحَدَّثْتُ أَنَّ مِنْ أُمَمِ السُّودَانِ الدَّاخِلَةِ مَنْ لَا يَظْهَرُ لَهُمْ بَلٌّ إِذَا جَاءَ التَّجَارُ بِالْمِلْحِ وَضَعُوهُ ثُمَّ غَابُوا ، فَيَجِيءُ السُّودَانُ فَيَضَعُونَ إِزَاءَهُ الذَّهَبَ ، فَإِذَا أَخَذَ التَّجَارُ الذَّهَبَ ، أَخَذَ السُّودَانُ الْمِلْحَ . قَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : قَالَ لِي الدَّكَّالِيُّ : وَأَهْلُ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ كَثِيرٌ فِيهِمُ السَّحَرُ ، وَلَهُمْ بِهِ عِنَايَةٌ حَتَّى إِنْهُمْ فِي بِلَادِ الْكُفَّارِ مِنْهُمْ يَصِيدُونَ الْفِيلَ بِالسَّحَرِ حَقِيقَةً لَا مَجَازًا ، وَفِي كُلِّ وَقْتٍ يَتَحَاكُمُونَ عِنْدَ مُلْكِهِمْ بِسَبَبِهِ ، وَيَقُولُ أَحَدُهُمْ : إِنْ فَلَانًا قَتَلَ أَحَدًا أَوْ وَلَدًا بِالسَّحَرِ ، وَالسُّلْطَانُ يَحْكُمُ عَلَى الْقَاتِلِ بِالْقِصَاصِ وَقَتْلِ السَّاحِرِ .

وَحَكَى عَنْهُ أَيْضًا : أَنَّ السُّمُومَ بِهَذِهِ الْمَمْلَكَةِ كَثِيرَةٌ ، فَإِنْ عِنْدَهُمْ حَشَائِشٌ وَحَيَوَانَاتٌ يَرْكَبُونَ مِنْهَا السُّمُومَ الْقَتَالَةَ ، وَلَا سِوَا مِنْ سَمَكٍ يُوْجَدُ عِنْدَهُمْ . قَالَ الشَّيْخُ سَعِيدُ الدَّكَّالِيُّ : وَمَنْ خَصَّصَتْ هَذِهِ الْبِلَادُ أَنْ يَسْرَعَ فِيهَا فَسَادُ الْمَتَخَرَاتِ لَا سِوَا السَّمْنِ فَإِنَّهُ يَفْسُدُ وَيَتَنَفَّسُ فِيهَا فِي يَوْمَيْنِ .

الجملة الثالثة

(في معاملة هذه المملكة)

ذكر في "مسالك الأبصار" عن ابن أمير حاجب : أن المعاملة عندهم بالودع وأن التجار تجلبه إليهم كثيراً ، فترج فيه الرّبح الكثير . وكأن هذا في المعاملات النازلة من مثل المأكّل وما في معناها ، وإلا فالذهب عندهم على ما تقدّم من الكثرة .

الجملة الرابعة

(في ذكر ملوك هذه المملكة)

قد تقدّم أن هذه المملكة قد اجتمع بها خمسة أقاليم ^(١) ، وهي : إقليم مالى ، وإقليم صوصو ، وإقليم غانة من الجانب الغربى عن مالى ، وإقليم كوكو ، وإقليم تكورور في الجانب الشرقى عن مالى ، وأن كلّ إقليم من هذه الخمسة كان مملكة مستقلة ، ثم اجتمع الكلّ في مملكة صاحب هذه المملكة ، وأن مالى هي أصل مملكته . قال في "مسالك الأبصار" : وهو وإن غلب عليه عند أهل مصر اسم سلطان التّكورور فإنه لو سمع هذا انف منه ، لأن التّكورور إنما هو إقليم من أقاليم مملكته ، والأحبّ إليه أن يقال (صاحب مالى) لأنه الإقليم الأكبر ، وهو به أشهر . ونقل عن الشيخ سعيد الدّكالى : أنه ليس بمملكته من يطلق عليه اسم ملك إلا صاحب غانة وهو كالنائب له وإن كان ملكاً . وكأنه إنما بقى اسم الملك على صاحب غانة دون غيره لعدم انتزاعها منه والاستيلاء عليها استيلاء كلياً . فقد قال في "التعريف" : وأما غانة فإنه لا يملكها وكأنه مالكتها ، يتركها عن قُدرة عليها : لأن بها وبما وراءها جنوباً منابت الذهب . وذكر ما تقدّم من أن بلاد منابت الذهب متى نشأ فيها الإسلام

(١) في الاصل سبعة ، وهو سهو من النسخ لان المحدود هنا والمتقدم هناك خمسة .

والأذان، عُدِمَ فيها نبات الذهب، وصاحب مالى يتركها لذلك لأنه مسلم، وله عليها إتاوة كبيرة مقررة تحمّل إليه في كل سنة .

وقد ذكر صاحب "العبر" : أن هذه الممالك كانت بيد ملوك متفرقة، وكان من أعظمها مملكة غانة . فلما أسلم المشرمون من البربر، تسلطوا عليهم بالغزو حتى دان كثير منهم بالإسلام، وأعطى الجزية آخرون، وضعف بذلك ملك غانة وأضمحل، فتغلب عليهم أهل صوصو المجاورون لهم، وملكوا غانة من أيدي أهلها . وكان ملوك مالى قد دخلوا في الإسلام من زمن قديم .

قال : ويقال إن أول من أسلم منهم ملك اسمه (برمندانة) بياء موحدة وراء مهملة مفتوحتين وميم مكسورة ونون ساكنة ودال مهملة بعدها ألف ثم نون مشددة مفتوحة وهاء في الآخر فيا ضبطه بعض علماءهم . ثم حجّ بعد إسلامه، فاقتفى سننه في الحج ملوكهم من بعده .

ثم جاء منهم ملك اسمه (مارى جازة) ومعنى (مارى) الأمير الذى يكون من نسل السلطان ومعنى (جازة) الأسد، فقوى ملكه وغلب على صوصو، وانتزع ما كان بأيديهم من ملكهم القديم وملك غانة الذى يليه إلى البحر المحيط . ويقال : إنه ملك عليهم خمسين سنة .

ثم ملك بعده ابنه (منسا ولى) ومعنى (منسا) بلغت السلطان، ومعنى (ولى) على، وكان من أعظم ملوكهم، وحجّ أيام الظاهر بيبرس صاحب مصر .

ثم ملك من بعده أخوه (والى) .

ثم ملك من بعده أخوه (خليفة) وكان أحق، يغلب عليه الحق فيرمى الناس بالسهم فيقتلهم، فوثب به أهل مملكته فقتلوه .

وملك بعده سبط من أسباط « ماري جازة » المقدم ذكره، اسمه (أبو بكر) على قاعدة العجم في تملك البنت وابن البنت .

ثم تغلب على الملك مولى من موالهم اسمه (ساكبورة) . ويقال (سيكره) فاتسع نطاق مملكته وغلب على البلاد المجاورة له ، وفتح بلاد كوكو وأستضافها إلى مملكته ، وأتصل ملكه من البحر المحيط الغربى إلى بلاد التكرور ، فقوى سلطانه ، وهابه أمم السودان ورحل إليه التجار من بلاد الغرب وأفريقية . وجَّأ أيام السلطان الملك الناصر « محمد بن قلاوون » ورجع فقتل في أثر عوده .

وملك بعده (قو) بن السلطان « ماري جازة » .

ثم ملك من بعده (محمد بن قو) ثم أنتقل الملك من ولد ماري جازة إلى ولد أخيه أبى بكر .

فولى منهم (منسا موسى) بن أبى بكر . قال فى "العبر" : وكان رجلا صالحا ، ومليكا عظيما ، له أخبار فى العدل تؤثر عنه ، وعظمت المملكة فى أيامه إلى الغاية ، وأفتتح الكثير من البلاد .

قال فى "مسالك الأبصار" : حكى ابن أمير حاجب والى مصر عنه ، أنه فتح بسيفه وحده أربعاً وعشرين مدينة من مدن السودان ذوات أعمال وقرى وضياع . قال فى "مسالك الأبصار" : قال ابن أمير حاجب : سألته عن سبب انتقال الملك إليه - فقال : إن الذى قبل كان يظن أن البحر المحيط له غاية تدرك ، فجهاز مئين سفن ، وشحنها بالرجال والأزواد التى تكفيهم سنين ، وأمر من فيها أن لا يرجعوا حتى يبلغوا نهايته أو تنفذ أزوادهم ، فعابوا مدة طويلة ، ثم عاد منهم سفينة واحدة وحضر مقدمها ، فسأله عن أمرهم . فقال : سارت السفن زمانا طويلا حتى عرض

لها في البحر في وسط المُلَّةِ وادٍ له جُرية عظيمة ، فابتلع تلك المراكب وكنت أحرَّ القوم فرجعت بسفينتي ، فلم يصدقه : فجَهَزَ أَلْفَى سَفِينَةً أَلْفًا لِلرَّجَالِ وَأَلْفًا لِلزُّوَادِ ، وأستخلفني وسافر بنفسه ليعلم حقيقة ذلك ، فكان آخر العهد به وبمن معه . قال في " العبر " : وكان حُجَّه في سنة أربع وعشرين وسبعائه في الأيام الناصرية « محمد بن قلاوون » .

قال في " مسالك الأبصار " : قال لي المهيمندار خرجتُ لِمُلتَقاه من جهة السلطان فأكرمني إكراما عظيما ، وعاملني بأجل الآداب ، ولكنه كان لا يحدثني إلا بترجُمان مع إجادته اللسان العربي . قال : ولما قَدِمَ ، قَدِمَ لِلخِزَانَةِ السلطانية حِمْلًا من التَّبر ، ولم يترك أميرا ولا رَبَّ وظيفة سلطانية إلا وبعث إليه بالذهب . وكنتُ أحاوله في طُلُوع القلعة للاجتماع بالسلطان حسب الأوامر السلطانية فيأبى خَشْيَةً تقبيل الأرض للسلطان ويقول : جئتُ للبيح لا لغيره ، ولم أزل به حتى وافق على ذلك .

فلما صار إلى الحضرة السلطانية . قيل له : قَبِّلْ الأرض ، فتوقف وأبى إباءً ظاهرا . وقال : كيف يجوز هذا ؟ فأسرَّ إليه رجلٌ كان إلى جانبه كلاما . فقال : أنا أسجدُ لله الذي خلقني وفطرني ثم سجد ، وتقدم إلى السلطان ، فقام له بعض القيام وأجلسه إلى جانبه وتحدثنا طويلا ، ثم قام السلطان موسى فبعث إليه السلطان بالخلع الكاملة له ولأصحابه ، وخيلا مُسَرَّجَةً مُلَجمَةً . وكانت خِلْعَتُهُ طَرْدَ وَحْشٍ بقصَب كثير ، بسِنْجَابٍ مُقَنَّسٍ ، مطرّز بزركش ، على مفرج إسكندري ، وكلُّوتة زركش ، وكلاليب ذهب ، وشاش بحري ، ورقم خليفتي ، ومنطقة ذهب مرصعة ، وسيف محلي ، ومنديل مُذهب نخر ، وفرسين مُسَرَّجين مُلَجمين بمراكب بغل محلاة وأعلام ، وأجرى عليه الأنزال والإقامات الوافرة مدّة مقامه .

ولما آن أوان الحج بعث إليه بمبلغ كبير من الدراهم ، وُجُنَّ جليلة كاملة الأكوار
والعُدَّة لمركبه ، وُجُنَّ أتباع لأصحابه وأزواجه ، وركَّز له العليق في الطرق ،
وأمر أمير الركب بأكرامه واحترامه .

ولما عاد ، بعث إلى السلطان من هدية الحجاز تبركا ، فبعث إليه بالجلع الكاملة
له ولأصحابه ، والتَّحَف والألطف من البر السَّكندري والأمتعة الفاخرة ،
وعاد إلى بلاده .

وذَكَر عن ابن أمير حاجب والى مصر أنه كان معه مائة حُل ذهب أنفقها
في سفرته تلك على مَنْ بطريقه إلى مصر من القبائل ثم بمصر ، ثم من مصر إلى الحجاز
توجُّها وعودا حتَّى احتاج إلى القرض ، فاستدان على ذمته من تجَّار مصر بمالهم
عليه فيه المكاسب الكثيرة ، بحيث يحصل لأحدهم في كلِّ ثلثائة دينار سبعمائة دينار
رِجًا ، وبعث إليهم بذلك بعد توجُّهه إلى بلاده . قال في "العبر" ويقال : إنه كان
يحمل آتته اثنا عشر ألف وصيفة لابسات أقيية الديباج .

قال في "مسالك الأبصار" : وذَكَر لي عنه ابن أمير حاجب : أنه حكى له
أن من عادة أهل مملكته أنه إذا نشأ لأحد منهم بنتٌ حسناء ، قدَّمها له أمةٌ
موطوءة ، فيملكها بغير تزويج مثل ملك أيمن - فقلت له : إن هذا لا يحل لمسلم
شرعا - فقال : ولا لللوك ؟ - فقلت : ولا للملوك وآسال العلماء . فقال :
والله ما كنت أعلم ذلك ! وقد تركته من الآن . قال في "العبر" : ودام ملكه
عليهم خمسا وعشرين سنة ومات .

فملك بعده ابنه (منسا مغا) ومعنى مغا عندهم محمد ، يعنون السلطان محمدا ،
ومات لأربع سنين من ولايته .

وملك بعده أخوه (منسا سليمان) بن أبي بكر، وهو أخو منسا موسى المقدم ذكره. قال في "مسالك الأبصار": واجتمع له ما كان أخوه أفتتحه من بلاد السودان وأضافه إلى يد الإسلام، وبني به المساجد والجوامع والمنازل، وأقام به الجمع والجماعات والأذان، وجلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، وتفقه في الدين. قال في "العبر" ودام ملكه أربعاً وعشرين سنة، ثم مات. وولى بعده ابنه (قنبتا بن سليمان) ^(١) ومات لتسعة أشهر من ملكه.

وملك بعده (مارى جازله) بن منسا مغا بن منسا موسى فأقام أربع عشرة سنة أساء فيها السيرة، وأفسد ملكهم، وأتلف ذخائرهم بسرفه وتبذيره، حتى انتهى به الحال في السرف أنه كان بخزائنها حجر ذهب، زنته عشرون قنطاراً منقولا من المعدن من غير سبك ولا علاج بالنار. وكانوا يروونه من أنف ذخيرهم لندور وجود مثله في المعدن، فباعه على تجار مصر المترددين إليه بأخمس ثمن، وصرف ذلك كله في الفسوق، وكان آخر أمره أن أصابته علة النوم وهو مرض كثيرا ما يصيب أهل تلك البلاد لا سيما الرؤساء منهم، يأخذ أحدهم النوم حتى لا يكاد يفيق، فأقام به سنتين حتى مات سنة خمس وسبعين وسبعائة.

وملك بعده ابنه (موسى) فنكح عن طريق أبيه، وأقبل على العدل وحسن السيرة.

وتغلب على دولته وزيره (مارى جازلة) فحجّره وقام بتدبير الدولة، وكان له فيها أحسن تدبير، وبقي منسا موسى حتى مات سنة تسع وثمانين وسبعائة. وملك بعده أخوه (منسا مغا) وقتل بعده بسنة أو نحوها.

(١) وقع في العبر ج ٦ ص ٢٠١، ٢٠٢ "قنبا".

وملك بعده (صندكى) زوج أم موسى المقدم ذكره، ومعنى (صندكى) الوزير؛
ووثب عليه بعد أشهر رجل من بيت ماري جازطة .

ثم خرج من ورائهم من بلاد الكفرة رجل اسمه (محمود) ينسب إلى (منسا قو)
آبن منسا ولى، بن ماري جازطة، ولقبه منسا مغا، وغلب على الملك في سنة ثلاث
وتسعين وسبعمائة .

قال في "التعريف" : وصاحب التكرور هذا يدعى نسباً إلى عبد الله بن صالح،
آبن الحسن، بن علي بن أبي طالب كرم الله وجوهرهم . قلت : هو صالح بن عبد الله
آبن موسى، بن عبد الله أبي الكرام، بن موسى الجون، بن عبد الله، بن حسن المثنى،
آبن الحسن السبط، آبن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه .

وقد ذكر في "تقويم البلدان" : أن سلطان غانة يدعى النسب إلى الحسن بن علي
عليهما السلام، فيحتمل أنه أراد صاحب هذه المملكة لأن من جملة من هو في طاعته
غانة، أو من كان بها في الزمن القديم قبل استيلاء أهل الكفر عليها .

الجملة الخامسة

(في أرباب الوظائف بهذه المملكة)

قد ذكر في "مسالك الأبصار" أن بهذه المملكة : الوزراء، والقضاة، والكتّاب،
والدواوين، وأن السلطان لا يكتب شيئاً في الغالب، بل يكل كل أمر إلى صاحب
وظيفته من هؤلاء فيفصله . وكتابتهم بالخط العربي على طريقة المغاربة .

الجملة السادسة

(في عساكر سلطان هذه المملكة ، وأرزاقهم)

أما مقدار العساكر، فقد ذكر الشيخ سعيد الدكالي : أن مقدار عسكره مائة ألف نفر، منهم خيالة نحو عشرة آلاف فارس، وباقيهم رجالة لا خيل لهم .
وأما الإقطاعات لأمرأء هذا السلطان وجنده والإنعامات عليهم ، فقد قال الدكالي : إن من أكابرهم من يبلغ جملة ماله على الملك في كل سنة خمسين ألف مثقال من الذهب ، وأنه يتفقددهم مع ذلك بالخيول والنماش ، وإن همته كلها في تجميل زيهم وتمصير مدنهم .

الجملة السابعة

(في زي أهل هذه المملكة)

قال الدكالي : لباسهم عمامٌ بحدك مثل الغرب ، وقماشهم بياض من ثياب قطن تُنسج عندهم في نهاية الرقة واللفظ تسمى الكمصيا وليسهم شبيه بلبس المغاربة جباب ودراريح بلا تفريح والأبطال من فرسانهم تلبس أساور من ذهب ، فمن زادت فروسيته ليس معها أطواقاً من ذهب فإن زادت ليس مع ذلك خلاخل من ذهب ، وكلما زادت فروسيته البطل ألبسه الملك سراويل متسعة وسراويلاتهم ضيقة أكام الساقين متسعة الشرج ، وأهل هذه المملكة يركبون بالسروج وهم في غالب أحوالهم في الركوب كأنهم من العرب ، إلا أن هؤلاء يبدئون في الركوب بأرجلهم اليمنى بخلاف غيرهم من سائر الناس جميعاً ، ولا يعرف عندهم ركوبٌ جمَل بكور .

الجملة الثامنة

(في ترتيب هذه المملكة)

أما جلوس السُّلطان في قَصْره فإنه يجلس على مَصْطبة كبيرة، على دِكَّة كبيرة من آبنوس، كالتخت على قدر المجلس العظيم المتسع، عليها أنياب الفيلة في جميع جوانبها، النَّابُ إلى النَّاب، وعنده سِلَاحٌ له من ذهب كله : سَيْفٌ، ومِزْرَاقٌ، وقَوْسٌ، وتركَاشٌ، ونَشَّابٌ، وعليه سراويلٌ كبيرة، مفصَّل من نحو عشرين نصفية، لا يلبس مثله أحدٌ منهم، بل هو من خصوصيته، ويقف خلفه نحو ثلاثين مملوكاً من الترك وغيرهم ممن تُبتاع له من مصر، بيد واحد منهم يحتر من حرير عليه قُبَّة، وطائرٌ من ذهب صَفَّةٌ بازى يحمل على يساره، وأمرأؤه جلوس حوله يمينا وشمالاً، ثم دونهم أعيانٌ من فرسانٍ عسكريه جلوس، وبين يديه شخصٌ يغني له وهو سيَّافه، وآخرٌ سفيرٌ بينه وبين الناس يسمى الشاعر، وتنتهى إليه الشكاوى والمظالم فيفصلها بنفسه، ولا يكتب شيئاً في الغالب، بل يأمر بالقول بلسانه، وحوله أناسٌ بأيديهم طُبول يدقُّون بها، وأناسٌ يرقصون وهو يضحك منهم، وخلفه صَنَجَقان منشوران، وأمامه فرسانٌ مشدودان محصَّان لركوبه متى أحبَّ، ومن عطس في مجلسه ضُرب ضرباً مؤلماً، لا يُسَاحُ أحدٌ في مثل ذلك، فإن بغت أحدًا منهم العطاس، أنبطح في الأرض وعطس حتى لا يُعلم به. أما الملك فإنه إذا عطس ضرب الحاضرون بأيديهم على صدورهم. ولا يدخل أحد دار السلطان متعللاً كائناً من كان، ومن لم يخلع نعليه قُتل بلا عفو: عامداً كان أو ساهياً، وإذا قدم عليه أحد من أمرائه أو غيرهم، وقف أمامه زماناً، ثم يُومى القادم بيده اليمنى مثل من يضرب الجوك ببلاد توران وإيران من بلاد المشرق. وصفة ذلك أن يكشف مقدّم رأسه ويرفع

الذى يضربُ الجولُكُ يده اليمنى إلى قريبِ أذنه ، ثم يضعها وهي قائمة متصبية ،
ويُلقيها بيده اليسرى فوق فخذه ، واليد اليسرى مبسوطة الكف لتلقى مرفق اليمنى
مبسوطة الكف مضغوطة الأصابع بعضها إلى جانب بعض كالمشط ، تَمَاشُ شَحْمَةُ
الأذن . قال ابن أمير حاجب : وقد رأيت هذا عند خدمتهم للسلطان « موسى »
لما قدم الديار المصرية . فإذا أنعم على أحد بإنعام أو وعدة وعدا جميلا أو شكره
على فعل ، تَمَرَّغُ المنعم عليه بين يديه من أول المكان إلى آخره ، فإذا وصل إلى آخر
المكان ، أخذ غِلْمَانُ المنعم عليه أو مَنْ هو من أصحابه من رَمَادٍ يكون موضوعا
في آخر مجلس الملك مُعَدًّا لهذا الشأن ، فيذُرُ في رأس المنعم عليه ، ثم يعود و يتمرغ ،
إلى أن يصل بين يدي الملك ، ويضرب جوكا آخر بيده ثم يقوم .

وأما في الركوب فقد جرت عادة سلطان هذه المملكة أنه إذا قدم من سفر أن يجلس
على رأسه اِلْتِزَازًا كَبًّا ، ويُشَرُّ على رأسه علم ، وتُضَرَّبُ أمامه الطبول ، والطناوير ،
والبوقات بقرون لهم فيها صناعة محكمة . قال ابن أمير حاجب : وشعار هذا السلطان
أعلامٌ وألويةٌ كبار جدًا ، ورَنَكُهُ أَصْفَرُ في أرض حمراء .

وأما غير ذلك من سائر أموره ، فقد ذكر الشيخ سعيد الدكالي : أن من عادة هذا
السلطان أنه إذا ناد إليه أحد ممن بعثه في شغل له أو أمرٍ مهمٍّ أن يسأله عن كلِّ
ما حدث له من حين مفارقتة له وإلى حين عودته مُفَصَّلًا . قال ابن أمير حاجب :
وقد رأيت السلطان موسى وهو بمصر لا يأكل إلا منفردا وحده ، لا يحضره عند
الأكل أحد البتة .

المملكة السادسة

(من ممالك بلاد السودان، مملكة الحبشة)

بفتح الحاء المهملة والباء الموحدة والشين المعجمة وهاء في الآخر .

وهي مملكة عظيمة جليلة المقدار ، متسعة الأرجاء ، فسيحة الجوانب . قال في "مسالك الأبصار" : وأرضها صعبة المسلك : لكثرة جبالها الشاخنة ، وعظم أشجارها ، وأشتباك بعضها ببعض ، حتى إن ملكها إذا أراد الخروج إلى جهة من جهاتها ، تقدمه قوم مرصدون لإصلاح الطرق بآلات لقطع الأشجار وإحراقها بالنار . قال : وهم قوم كثير عددهم ، ولم يملك بلادهم غيرهم من النوع الإنساني ، لأنهم أجبر بني حام ، وأخبر بالتوغل في القتال والافتحام ، طول زمنهم في الأسفار ، وصيد الوحش ، وقتالهم إنما يكون عرياً من غير لامة تدفع عنهم ولا عن خيلهم . ثم وصفهم بعد ذلك بأوصاف أولاً ما هم عليه من الشرك لكانوا في الرتبة العليا من مراتب بني آدم : فذكر أن المشهور عنهم مع ما هم عليه من المجاعة أنهم يقبلون الحسب ويصفحون عن الجرائم . ومن عاداتهم أن من رمى سلاحه في القتال حرم قتاله ، ويكرمون الضيف ، ولا ينقض الصديق منهم عهد صديقه ، وإذا أحبوا أظهروا المحبة ، وإذا أبغضوا أظهروا البغض ، والغالب عليهم الذكاء والفطنة وصدق الحدس ، ولهم علوم وصناعات خاصة بهم ، ولهم قلم يكتبون به من اليمن إلى الشمال كما في العربي ، عدة حروفه ستة عشر حرفاً ، لكل حرف منها سبعة فروع ، فيكون عدتها مائة وأثنين وثمانين حرفاً ، سوى حروف أخر مستقلة بذاتها لا تفتقر إلى حرف من الحروف المذكورة ، مضبوطة بحركات نحوية متصلة بالخط لا منفصلة عنه . ومع كونهم جنساً واحداً

(١) كذا في المسالك أيضاً غير أنه قال : الجملة من ذلك مائة ومائون فتأمله .

فُلُغَاتُهُمْ تَرِيدُ عَلَى خَمْسِينَ لِسَانًا ، وَيَمِيلُ الْكَثِيرُ مِنْ أَلْوَانِهِمْ إِلَى الصَّفَاءِ ، وَلِكُلِّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ وَشَمٌ فِي وَجْهِهِمْ يَعْبُرُ عَنْهُ بِالتَّلْعِيطِ ، بَعْضُهُمْ يَسِمُ فِي الْخَدَّيْنِ وَشَمًا خَفِيفًا ، وَأَمْحَرًا يَسِمُونَ فِي الْخَدَّيْنِ وَالْجَبْهَةِ إِلَى الْأَنْفِ خُطُوطًا طَوَالًا . وَيُقَالُ : إِنْ أَوَّلَ بِلَادِهِمْ مِنَ الْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ بِلَادُ التَّكْوَرِ مِمَّا يَلِي جِهَةَ الْيَمَنِ ، وَأَوَّلَهَا مِنَ الْجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ الْمَائِلَةِ إِلَى بَعْضِ الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ بَحْرُ الْهِنْدِ وَالْيَمَنِ ، وَفِيهَا يَمُرُّ النَّهْرُ الْمُسَمَّى سَيْحُونَ الَّذِي يَرْفُدُ مِنْهُ نَيْلُ مِصْرَ . وَقَدْ عَدَّ مِنْهَا أَحَدَ عَشَرَ إِقْلِيمًا مِنْ جِهَةِ الْغَرْبِ بِمَفَازَةِ بِمَكَانٍ يُسَمَّى (وَادِي بَرَكَهَ) يُتَوَصَّلُ مِنْهُ إِلَى إِقْلِيمٍ يُسَمَّى (سَحْرَتَ) وَيُسَمَّى قَدِيمًا تِكْرَايَ ، وَكَانَ بِهِ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ مَدِينَةٌ أَسَمَهَا (أَحْسَرَمَ) بِلُغَةٍ أُخْرَى مِنْ لُغَاتِهِمْ ، وَتُسَمَّى أَيْضًا (زَرْفَرَتَا) .

بِهَا كَانَ كُرْسِيُّ مُلْكِ النَّجَاشِيِّ ، وَكَانَ مُسْتَوِلِيًا عَلَى أَقْلَامِ الْحَبَشَةِ . وَيَلِيهِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ إِقْلِيمٌ (أَمْحَرًا) الَّذِي بِهِ الْآنَ مَدِينَةُ الْمُلْكَةِ ، ثُمَّ إِقْلِيمُ شَاوَةَ ، ثُمَّ إِقْلِيمُ دَامُوتَ ، ثُمَّ إِقْلِيمُ لَامْنَانَ ، ثُمَّ إِقْلِيمُ السَّيْهَوِ ، ثُمَّ إِقْلِيمُ الزَّخِ ، ثُمَّ إِقْلِيمُ عَدْلَ الْأَمْرَاءِ ، ثُمَّ إِقْلِيمُ حَمَاسَا ، ثُمَّ إِقْلِيمُ بَارِيَا ، ثُمَّ إِقْلِيمُ الطَّرَازِ الْإِسْلَامِيِّ . قَالَ : وَبِهَا أَقْلَامٌ كَثِيرَةٌ الْعَدَدِ ، مَجْهُولَةٌ الْأَسْمَاءِ ، غَيْرُ مَشْهُورَةٍ وَلَا مَعْلُومَةٍ .

ثُمَّ هِيَ عَلَى قِسْمَيْنِ :

القسم الأول

(بِلَادُ النَّصْرَانِيَّةِ)

وَهِيَ الْقِسْمُ الْأَوْفَرُ عَدَدًا ، الْأَوْسَعُ مَجَالًا ، وَهُوَ الَّذِي يَمْلِكُهُ مَلِكُ (أَمْحَرًا) بِفَتْحِ الْأَلْفِ وَسُكُونِ الْمِيمِ وَفَتْحِ الْهَاءِ وَالرَّاءِ الْمُهْمَلَتَيْنِ وَأَلْفٍ فِي الْآخِرِ . وَهُمْ جَنْسٌ مِنَ الْحَبَشَةِ .

وَيَشْتَمِلُ عَلَى سِتِّ جُمَلٍ :

(١) فِي الْقِطْعَةِ الْأَزْهَرِيَّةِ مَصَاحِحٌ هَكَذَا [وَأَوَّلَهَا مِنْ جِهَةِ الْغَرْبِ مَفَازَةُ الْخِ] .

الجملة الأولى

(في ذكر قواعدها)

وقاعدتها مدينة (مَرَعْدَى) بفتح الميم وكسر الراء وسكون الهمزة وكسر الدال المهملتين وياء مشناة تحت في الآخر . وهى مدينة بإقليم أَمْحَرَا المَقْدَم ذكره فيما ذكره في "مسالك الأبصار" إلا أنه لم يذكر صفتها ، والذي ذكره في "تقويم البلدان" : أن قاعدة الحبشة (مدينة جَرْمَى) بالجيم المفتوحة والراء المهملة الساكنة ثم ميم مكسورة ثم ياء مشناة تحتية في الآخر كما ضبطه ابن سعيد . وموقعها في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول خمس وخمسون درجة ، والعرض تسع درج وثلاثون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهى مدينة ذكرها أكثر المصنفين في كتب المسالك والممالك والأطوال والعروض ، وأنها كرسى مملكة الحبشة وقاعدتهم ، ولم يزد على ذلك ، فيحتمل أنها قاعدة قديمة ، ويحتمل أنها القاعدة المستقرة .

الجملة الثانية

(في الموجود بها)

قد ذكر في "مسالك الأبصار" : أن بها من المَوَاشِي ذوات الأربع : الخيل ، والبغال ، والبقر ، والغنم وما فى معناها ، وأغنامهم تُشَبِّهُ أَغْنَامَ عِيذابَ واليمن . ومن الوحوش الأسد ، والنمر ، والفهد ، والفيل ، والزرافة ، والغزال ، وبقر الوحش ، وحمار الوحش ، والقردة ، وغيرها من الوحوش .

وبها من الطيور الجوية : الصُّقُورَة ، والبَزَاة بكثرة ، والنُّسُور البيض والسود ، والغُرَاب ، والحَجَل ، وطير الواجب بجمته ، والحَمَام ، والعُصْفُور ، وغير ذلك مما لم يُوجَد بالديار المصرية . ومن الطيور البرية دَجَاج الحَبَش وأمثالها . ومن الطيور المائية البَطُّ ، وعندهم بَنَهرهم سَمَك يشبه البُورِي ، وسَمَكٌ يُشَبِّه الثُّعْبَان ، يطول إلى مقدار ذراعين ونصف ، ويُفْلَظ إلى مقدار كبار الخشب ، وبَنَهرهم أيضا التَّسَاح وفرس البحر ، وغير ذلك .

وبها من الحبوب : الحِنْطَة ، والشَّعِير ، والحِمَص ، والعَدَس ، والبَسِلَّاء ، والذَّرَّة ، وبعض الباقلاء ، وحبوب أخرى غير ذلك منها حبٌ يسمَّى (قَنَابُول) يستعملونه قُوَّةً كالحنطة . والحنطة عندهم على مثال الحنطة الشامية ، والشعير حبه عندهم أكبر من حب الشعير بالديار المصرية والشامية ، ومنه ضَرْبٌ يسمَّى طَمِجَة . ولَوْنُ الحِمَص عندهم إلى الحمرة . والبائلاء عندهم عزيز الوجود في أكثر البلاد ، ولكنهم لا يفتقرون إليه للعلف لكثرة المراعى ببلادهم .

وعندهم حَبٌ يسمَّى (طَافِي) على قَدَر الخردل ، ولونه إلى الحمرة ، ومكسره إلى السَّوَاد ، يتخذون منه الخُبْز . وعندهم ببعض الأقاليم حَبٌ شَبِيه بالحنطة إلا أنَّ له قِشْرَيْن ، يُنَزَّع قِشْره بالهَرَس كالأرز ، ويَتَّخِذُونَ منه طعاما يكون مُغْنِيًا عن الحِنْطَة . وعندهم بَزْر الكَثَّان وحبُّ الرِّشَاد ، وهم يَزْرَعُونَ على المَطَر في كل سنة مرتين : مرَّةً في الصيف ، ومرَّةً في الشتاء ، تتحصل في كل مرة الغلات . ونقل البطرك (بنيامين) أنه يقع عندهم المَطَر الكثير ، وتُحْصَل مع المطر الصواعق العظيمة .

وعندهم من أصناف المَقَائِي القَرَع ، وفي بعض الأقاليم بِطِّيخ صغير .

وعندهم من البقول : الثُّوم ، والبَصَل ، والكُزْبُرَةُ الخضراء ، ومن الرياحين
الرَّيْحَان ، والقرْنَفُل ، ونبات أبيض يسمى بَعْتَرَان . وعندهم الياسمين البرّي ،
ولكنه ليس بمشعوم لهم .

وعندهم من الفواكه العنب الأسود على قِلة ، والتين الوزيري ، وأصناف
الحوامض خلا النَّارَنج .

وعندهم شجر يسمى (چان) يجيم بين الجيم والشين لا ثمرة له ، وإنما له قلوب
تشبه قلوب النَّارَنج تُؤكل فتزيد في الذكاء والفهم ، وتفرّج ، إلا أنها تقلل الأكل ،
والنَّوم ، والجماع . وعنايتهم به عناية أهل الهند بالتَّنبُل وإن كان بينهما مبانة .
وأى نفع فيما فائدته تقليل النَّوم والأكل والجماع ، اللاتي هي لذات الدنيا ، حتى
يحكى أنه وُصف لبعض ملوك اليمن - فقال : أنا لا يذهب متحصِّل مُلكي إلا على
هذه الثلاث ، فكيف أَسعى في ذهابها بأكل هذا ؟

ومن أشجارهم الزَّيتون ، والصَّنَوْبَر ، والجَمَيز ، وفي بعض بلادهم الآبنوس ،
وفي بعضها المقل ، وفي بعضها القنأ المجوف والمسدود . وما كلُّهم شحوم البقر والمعز ،
وبعض شحوم الضأن ، ومشروهم اللَّبن البقري ، وفي ضعفهم يتداوون باللبن
المُداف بالماء وسمن البقر .

وعندهم غسل النحل بكثرة في جميع الأقاليم ، تختلف ألوانه باختلاف المَراعى :
منه ما يوجد في الجبال فيؤخذ من غير حَجَر على أخذه . ومنه ماله خلايا من خشب
منقورة ، له مُلاك يختصون به . ووقود مصابيهم شحوم البقر . أما الزيت الطيب
فيجلب إليهم . وادِّهانهم بالسَّمْن . وأواني طعامهم فخار مدهون أسود . وأغتسلهم
بالماء البارد ، وربما استعملوا الحار منه .

وحكى البطرك (بنيامين) أن عندهم من المعادن معدن الذهب، ومعدن الحديد .
وحكى عن الشريف عز الدين التاجر: أن في بعض بلادهم يوجد معدن الفضة .
ومصاغهم الذهب، والفضة، والنحاس، والرصاص، كل أحد منهم بحسبه .

الجملة الثالثة

(في ذكر معاملاتهم وأسعار بلادهم)

أما معاملاتهم، فقد ذكر في "مسالك الأبصار" أن معاملتهم مقايضة بالأبقار والأغنام والحبوب وغير ذلك . وأما الأسعار فالقمح والشعير اللذان هما أصل المطعومات ليس لهما عندهم قيمة تذكر، لاستغنائهم عن ذلك باللحم واللبن . وسيأتى ذكر معاملة الطراز الإسلامى فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الجملة الرابعة

(في ذكر زيئهم وسلاحهم)

أما زيئهم، فقد ذكر في "المسالك" أن لباسهم في الشتاء والصيف واحد: لكل واحد منهم ثوبان غير مخيطين: أحدهما يشد به وسطه، والآخر يلتحف به، ولا يعرفون لبس المخيط جملة، إلا أن الخواص والأجناد يفضلون في اللبس، فيلبسون الحرير والأبراد اليمنية، والعوام يلبسون ثياب القطن على ما تقدم .

وأما سلاح المقاتلة منهم، فالسيوف، والخراشيف، والمزاريق، والقسي، يرمون عنها بالنبل: وهو شهاب صغير، وربما رمى بعضهم بالنبل عن قوس طويل يشبه قوس البندق، ولهم درق مدورة، ودراق طوال يتقون بها .

الجملة الخامسة

(في ذكر بطارقة الإسكندرية، الذين عن توليتهم تنشأ ولاية ملوك الحبشة)

اعلم أنه قد تقدم في المقالة الأولى في الكلام على ما يحتاج إليه الكاتب عند ذكر النحل والملل أن البطارقة عند النصارى عبارة عن خلفاء الحواريين الذين هم أصحاب المسيح عليه السلام، وأنه كان لهم في القديم أربعة كراسى : كرسي برومية : قاعدة الروم ، وكرسي بالإسكندرية من الديار المصرية ، وكرسي أنطاكية : قاعدة العواصم من بلاد الشام ، وكرسي بيت المقدس . وأن كرسي رومية قد صار لطائفة الملكانية وبه بطركهم المعبر عنه بالبابا إلى الآن . وكرسي الإسكندرية قد صار آخرًا لبطرك اليعاقبة تحت ذمة المسلمين بالديار المصرية من لدن الفتح الإسلامي وهلم جرا إلى زماننا . وأن كرسي بيت المقدس وكرسي أنطاكية قد بطلا باستيلاء دين الإسلام عليهما . ثم كرسي الإسكندرية بعد مـصيره إلى اليعاقبة قد تبع البطرك القائم به على مذهب اليعاقبة الحبشة والنوبة وسائر متنصرة السودان ، وصار لديهم كاخليفة على دين النصرانية عندهم ، يتصرف فيهم بالولاية والعزل ، لا تصح ولاية ملك منهم إلا بتوليته، حتى قال في "التعريف" في الكلام على مكتبة ملك الحبشة : وأولا أن معتقد دين النصرانية لطائفة اليعاقبة أنه لا يصح تعمد معمودي إلا باتصال من البطريك، وأن كرسي البطريك كنيسة الإسكندرية، فيحتاج إلى أخذ مطران [بعد مطران ^(١)] من عنده ، وإلا كان شـمخ بأنفه على المكتبة ، لكنه مضطر إلى ذلك . قال : ولأوامر البطريك عنده ما لشريعته من الحرمة ، وإذا كتب إليه كتابا فأتى ذلك الكتاب إلى أول مملكته ، خرج عـميد تلك الأرض فحمل الكتاب على رأس

(١) الزيادة عن "التعريف" .

عَلَمَ ، ولا يزال يَحْمِلُهُ بيده حتى يُخْرِجَهُ من أرضه وأربابُ الدولة في تلك الأرض كالنُسُوس والشَّامِسة حوله مُشاةً بالأُدخنة ، فإذا خرجوا من حَدِّ أرضهم تَلَمَّاهم مَنْ يليهم أبداً كذلك في كل أرض بعد أرض حتى يَصِلُوا إلى أُنْحَرَا ، فيخرج صاحبها بنفسه ، ويفعل مثل ذلك الفيل الأول ، إلا أن المُطْران هو الذى يحمل الكتاب لعظمته لا لِتَابِي المَلِك ؛ ثم لا يتصرف المَلِك في أمرٍ ولا نَهْيٍ ولا قليل ولا كثير حتى يُنادى للكتاب ويجمع له يوم الأحد في الكنيسة ، ويُقرأ والمَلِك واقف ، ثم لا يجاس مجلسه حتى ينفذ ما أمره به .

ولما تعذر الوقوف على معرفة تواريخ ملوكهم ، اكتفينا بذكر البطارقة الذين عنهم تنشأ ولاياتهم ، فكانوا هم مُلُوكُهُمْ حقيقةً .

اعلم أن أول مَنْ وَلِيَ من البطارقة كنيسة الإسكندرية مَرْقُصُ الإنجيلي : تلميذ بطرس الحواري ، الذى أرسله المسيح عليه السلام إلى رومية . وإنما سُمِّيَ بمَرْقُص الإنجيلي لأن بطرس الحواري حين كتب إنجيله كتبه بالرومية ونسبه إلى مَرْقُص المذكور فتلقب بالإنجيلي ، وأقام مرقص المذكور في بطركية الإسكندرية سبع سنين يدعو إلى النصرانية بالإسكندرية ومصر وبرقة والمغرب ثم قتله نبروت قيصر ابن اقليوديش قيصر سادس القياصرة .

وولي مكانه (حنانيا) ويسمى بالعبرانية أنانيو ثم مات لسبع وثمانين سنة للمسيح .

(١) وولي مكانه (فلبو) فأقام ثلاث عشرة سنة ثم مات .

فولي مكانه (كرتيانو) ومات لإحدى عشرة سنة من ولايته في أيام (طرنش

قيصر) .

(١) في الخطط المقرزية ج ٢ ص ٨٤ مينيرو .

وولي مكانه (إيريمو) ثلثي عشرة سنة .

ثم ولي بعده (نسطس) في أيام (أندريانوس قيصر) ، وكان حكيما فاضلا فأقام في البطركية إحدى عشرة سنة ثم مات .

وولي مكانه (أرمانيون) إحدى عشرة سنة أيضا [ومات] في أيام (أندريانوس) قيصر أيضا .

وولي بعده (موقيانو) فلبث تسع سنين ومات في أيام (أنطونيس قيصر) في الخامسة من ملكه .

وولي بعده (كلوتيانو) فأقام أربع عشرة سنة في أيام أنطونيس قيصر ومات .

وولي بعده (أغريتوس) فبقي اثنتي عشرة سنة ومات .

وولي بعده (يليانس) في أيام [أوراليانس] ^(١) قيصر فلبث عشر سنين ومات .

فولي مكانه في أيام أوراليانس (ديميتريوس) فأقام ثلاثا وثلاثين سنة .

وولي بعده (تاوكلا) فأقام ست عشرة سنة ومات .

فولي بعده (دونوشوش) فلبث تسع عشرة سنة [ومات] .

وولي مكانه (مكسيموس) فأقام ثلثي عشرة سنة ومات .

وولي مكانه (ثاونا) فلبث عشر سنين [ومات] وكان النصراني إذ ذاك يُقيمون الدين خفية فلما صار بطرغا صانع الروم ولاطفهم بالهدايا فأذنوا له في بناء كنيسة مريم ، وأعلنوا فيها بالصلاة .

ثم ولي بعده (بطرس) فلبث عشر سنين وقتله (ديقلاديانوس قيصر) .

(١) بيض له في الأصل والتكميل عن المقرئ في القطعة الأثرية [في أيام طرغش] ولكنه ضُرب عليها بالشطب .

وولي مكانه تلميذه (إسكندروس) وكان كبير تلامذته فلبث ثلاثاً وعشرين سنة .
وقيل ثنتين وعشرين سنة ، وقيل ست عشرة سنة ، وكسر صم النحاس الذي
كان في هيكل زحل بالإسكندرية وبني مكانه كنيسة ، وبقيت حتى هدمها العبيدئون
عند ملكهم الإسكندرية ، ومات لإحدى وعشرين سنة من ملك (قسطنطين)
ملك الروم .

وولي مكانه تلميذه (ايناسيوس) ووثب عليه أهل إسكندرية ليقتلوه لانتحاله
مذهباً غير مذهبهم فهرب .

وتولى مكانه (لوقيوش) ثم رُدَّ (ايناسيوس) المتقدم ذكره إلى كرسيه بعد خمسة أشهر
وطرد لوقيوس ، وأقام ايناسيوس بطركا إلى أن مات .

فتولى بعده تلميذه (بطرس) سنتين ووثب عليه أصحاب لوقيوس فهرب ورُدَّ
لوقيوس إلى كرسيه ، فأقام ثلاث سنين ، ثم وثبوا عليه وردوا بطرس ومات
لسنة من إعادته ، وقيل إنه حُيس وأقيم مكانه (أريوس) من أهل سُميساط .

ثم ولي (طياناواس) أخو بطرس ، فلبث فيهم سبع سنين ومات . ويقال :
إن ايناسيوس المتقدم ذكره رُدَّ إلى كرسيه ثم مات .

فولى مكانه كاتبه (تاوفينا) [فأقام سبعا وعشرين سنة] ومات .^(١)

وتولى مكانه (كيرلس) ابن أخته [فأقام ثنتين وثلاثين سنة] ومات .^(١)

فولى مكانه (ديسقرس) فأحدث بدعة في الأمانة التي يعتقدهونها فأجمعوا
على نفيه .

وَوَلَّوْا مَكَانَهُ (بِرطارس) وَأَفْتَرَقَتِ النَّصَارَى مِنْ حَيْثُ نْذ إِلَى يَعْقُوبِيَّةَ وَمَلَكَانِيَّةَ .
 وَوُثِبَ أَهْلُ الْإِسْكَندَرِيَّةِ عَلَى بِرطَارِسَ الْبَطْرِكِ فَقَتَلُوهُ لَسِت سَنِينَ مِنْ وَلَايَتِهِ
 وَأَقَامُوا مَكَانَهُ (طِيْمَانَاوَسَ) وَكَانَ يَعْقُوبِيًّا ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ وَلِيَ الْبَطْرِكِيَّةَ مِنَ الْيَعَاقِبَةِ
 بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ فَأَقَامَ فِيهَا ثَلَاثَ سَنِينَ ثُمَّ جَاءَ قَائِدٌ مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فَنَفَاهُ وَأَقَامَ مَكَانَهُ
 (سُورِيَسَ) مِنَ الْمَلَكِيَّةِ ، فَأَقَامَ تَسْعَ سَنِينَ . ثُمَّ عَادَ (طِيْمَانَاوَسَ) الْمَتَقَدِّمَ ذَكَرَهُ إِلَى
 كُرْسِيِّهِ بِأَمْرِ لَاوْنِ قَيْصَرَ . وَيُقَالُ أَنَّهُ بَقِيَ فِي الْبَطْرِكِيَّةِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً وَمَاتَ .
 فَوَلِيَ مَكَانَهُ (بَطْرَسَ) وَهَلَكَ بَعْدَ ثَمَانِ سَنِينَ .

وَوَلِيَ مَكَانَهُ (اِثْنَاوَسِيُوسَ) وَهَلَكَ لِسَبْعِ سَنِينَ ، وَكَانَ قِيًّا بَعْضَ الْبَيْعِ فِي بَطْرِكِيَّةِ
 بَطْرَسَ وَمَاتَ .

فَوَلِيَ مَكَانَهُ (يُوحَنَّا) وَكَانَ يَعْقُوبِيًّا ، وَمَاتَ بَعْدَ سَبْعِ سَنِينَ .
 وَوَلِيَ مَكَانَهُ (يُوحَنَّا الْحَبِيسَ) وَمَاتَ بَعْدَ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً .
 فَوَلِيَ مَكَانَهُ (دِيسْقُرْسَ الْجَدِيدَ) وَمَاتَ بَعْدَ سَتَيْنِ وَنِصْفٍ .
 ثُمَّ وَلِيَ مَكَانَهُ (طِيْمَانَاوَسَ) وَكَانَ يَعْقُوبِيًّا ، فَهَكَثَ فِيهِمْ ثَلَاثَ سَنِينَ ، وَقِيلَ
 سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، ثُمَّ نَفَى .

وَوَلِيَ مَكَانَهُ (بُولُصَ) وَكَانَ مَلِكِيًّا فَلَمْ تَقْبَلْهُ الْيَعَاقِبَةُ ، وَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ سَتَيْنِ .
 ثُمَّ وَلَّى قَيْصَرَ قَائِدًا مِنْ قَوَادِهِ أَسْمُهُ (أَثُولِينَارِيُوسَ) فَدَخَلَ الْكَنِيسَةَ عَلَى زِيَّ
 الْجُنْدِ ، ثُمَّ لَبَسَ زِيَّ الْبَطَارِكَةِ وَحَمَلَهُمْ عَلَى رَأْيِ الْيَعْقُوبِيَّةِ ، وَقَتَلَ مِنْ أَمْتَنَعِ وَكَانُوا
 مَائَتِينَ ، وَمَاتَ لِسَبْعِ عَشْرَةَ سَنَةً مِنْ وَلَايَتِهِ .
 (١)

(١) فِي خَطِّ الْمَقْرِيْزِيِّ مَائَتَا أَلْفِ نَسَانِ .

وولي مكانه (يوحنا) وهلك لثلاث سنين .

وأنفرد اليعاقبة بالإسكندرية وكان أكثرهم القبط وقدموا عليهم طودوشوش بطركا، فمكث فيهم ثنتين وثلاثين سنة . ثم جعل الملكية بطركهم داقيانوس وطرده طودوشوش عن كرسيه ستة أشهر ، ثم أمر قيصر بأن يعاد فأعيد ، ثم نفاه بعد ذلك .

وولي مكانه (بولس التَّيسِّي) فلم يقبله أهل الإسكندرية ولا ماجاء به ، ثم مات وعُظمت كنائس القبط اليعقوبية ، وأقاموا شدة من الملكية ، ومات (طودوشوش) الذي كان قد نُفي .

وتولى البطركية (بطرس) ومات بعد سنتين .

وولي مكانه (داميانو) فمكث ستا وثلاثين سنة ، وخربت الديرة في أيامه .

ثم ولي على الملكية بالإسكندرية ومصر (يوحنا الرَّحوم) وهو الذي عمل البيمارستان للرضى بالإسكندرية ، ولما سمع بمسير الفرس إلى مصر هرب إلى قبرس فمات بها لعشر سنين من ولايته ، وخلا كرسي الملكية بعده بالإسكندرية سبع سنين .

وكانت اليعاقبة بالإسكندرية قدموا عليهم (انسطانيوس) فمكث فيهم ثلثي عشرة سنة ، وأسترد ما كانت الملكية أستولوا عليه من كنائس اليعقوبية ومات .

ثم ولي (اندرانيكون) بطركا على اليعاقبة فأقام ست سنين خربت فيها الديرة ، ثم مات .

وولي مكانه لأول الهجرة (بنيامين) فمكث تسعا وثلاثين سنة . وفي خلال أيامه غلب هرقل ملك الروم على مصر وملكها .

وولى أخاه (منانيا) بطركا على الاسكندرية وواليا وكان ملكيا . ورأى بنيامين
البطرك في نومه من يأمره بالاختفاء فاختفى . ثم غضب (هرقل) على أخيه (منانيا)
لمعتقد في الدين فأحرقه بالنار ثم رمى بجثته في البحر ، وبقى (بنيامين) مختفيا إلى
أن فتح المسلمون الإسكندرية فكتب له عمرو بن العاص بالأمان ، فرجع إلى
الإسكندرية بعد أن غاب عن كرسيه ثلاث عشرة سنة ، وبقى حتى مات في سنة
تسع وثلاثين من الهجرة ، واستمرت البطركية بعده في اليعقوبية بمفردهم وغلبوا
على مصر ، وأقاموا بجميع كراسيهم أساقفة يعاقبة ، وأرسلوا أساقفتهم إلى النوبة
والحبشة فصاروا يعاقبة .

وخلفه في مكانه (أغاثوا) فكتب سبع عشرة سنة ، ثم مات في سنة ست وخمسين
من الهجرة ، وهو الذي في أيامه قد انتزعت كنائس الملكية من اليعاقبة ، وولى عليهم
بطرك بعد أن أقاموا من لدن خلافة عمر بغير بطرك نحوًا من مائة سنة ورياسة
البطرك لليعاقبة وهم الذين يبعثون الأساقفة إلى النواحي . ومن هنا صارت النوبة
ومن وراءهم من الحبشة يعاقبة ، وهو الذي بنى كنيسة مرقص وبقيت حتى
هدمت أيام العادل أبي بكر بن أيوب .

وولى مكانه بطرك اسمه (يوحنا) .

ثم ولى البطركية بعده (ايساك) فأقام سنتين وأحد عشر شهرا [ومات] .
وكانت تقدمته في الثامنة عشرة ليوشطيان ملك الروم ، وتقرر أن لا يقدم بطرك
إلا يوم الأحد .

(١) عبارة "العبرج ٢ ص ٢٢٧" وفي أيام هشام ردت كنائس الملكية من أيدي اليعاقبة وولى

عليهم الخ .

وقُدِّمَ عوضه (سيمون السرياني) فأقام سبع سنين ونصفا ، ومات في الرابع والعشرين من أبيب سنة أربعمئة وستَّ عشرة للشهداء في خلافة عبد الملك ابن مروان .

ويقال : إنه وصَّلَ إليه رسولٌ من الهند يطلبُ منه أن يقدمَ لهم أسقفاً وقُسوساً فامتنع إلى أن يأمره صاحبُ مصر ، فمضى إلى غيره ففعل له ذلك .

وقُدِّمَ بعده في البطركية (الاسكندروس) في سنة إحدى وثمانين من الهجرة في يوم عيد مرقص الإنجيلي سنة أربعمئة وعشرين للشهداء ، فمكث أربعاً وعشرين سنة ونصفا ، وقيل خمساً وعشرين سنة ، وقاسى شدة عظيمة ، وصودر دفتين ، أخذ منه في كل دفعة ثلاثة آلاف دينار ، ومات في سنة ثمان ومائة ، وكانت وفاته بالإسكندرية .

وقُدِّمَ عوضه (قسيا) فأقام خمسة عشر شهرا ومات .

فقدَّم مكانه (تادرس) في سنة تسع ومائة فأقام إحدى عشرة سنة ومات .

فقدَّم مكانه (ميخائيل)^(١) في سنة عشرين ومائة فأقام ثلاثاً وعشرين سنة ولقى شدايد من عبد الملك بن موسى نائب مروان الجعدي على مصر ثم من مروان لما دخل إلى مصر إلى أن قُتِلَ في أبي صير وأطلق البطرك والنصارى نائبُ أبي العباس السفاح .

وفي سنة إحدى وثلاثين ومائة رُسم بإعادة ما استولى عليه اليعاقبة من كنائس الملكية بالديار المصرية إليهم ، فأعيدت وأقيم لهم بطرك ، وكانت الملكية قد أقاموا بغير بطرك سبعا وتسعين سنة من خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين الفتح الإسلامي إلى خلافة هشام بن عبد الملك .

(١) في الأصل جاتيل والتصحيح عن المقرئ .

وفي سنة سبع وأربعين ومائة هـ رف أبو جعفر المنصور (ميخائيل) بطرك اليعاقبة ،
وأقام عوضه (مينا) فأقام تسع سنين ، ومات في خلافة الهادي «محمد بن المهدي» .
وقُدِّم مكانه (يوحنا) فأقام ثلاثا وعشرين سنة ، ومات سادس عشر طوبة سنة
خمسائة وخمس عشرة للشهداء .

ثم في سنة اثنتين وسبعين ومائة في خلافة الرشيد قُدِّم في البطركية (مُرْقَص الحديد)
فأقام عشرين سنة وسبعين يوما . وفي أيامه رسم الرشيد بإعادة كنائس الملكية التي
أستولى عليها اليعاقبة ثانيا إليهم ، وثارت العُربان والمغاربة وخرَّبوا الديرة بوادي هبيب
ولم يبق فيها من الرهبان إلا اليسير ثم مات في سنة إحدى عشرة ومائتين .

وقُدِّم عوضه في البطركية (يعقوب) قيل في السنة الثالثة من خلافة المأمون .
وفي أيامه عُمرت الديارات وعادت الرهبان إليها ، ومات في سنة اثنتين وعشرين
ومائتين .

وقُدِّم عوضه (سيماون) في السنة المذكورة في خلافة المعتصم فأقام سنة واحدة .
وقيل سبعة شهور وستة عشر يوما . وخلا الكرسي بعده سنة واحدة وتسعة
وعشرين يوما .

وفي سنة سبع وعشرين ومائتين قُدِّم في البطركية (بطرس) ويقال (يوساب)
وكانت تقدمته في دير (بومتار) بوادي هبيب حادي عشرى هاتور سنة خمسائة
وسبعة وأربعين للشهداء . وقيل : إنه قُدِّم في أيام المأمون ، وإنه أقام ثمانى عشرة
سنة ، وسير أساقفة إلى أفريقية والقيروان ، ومات سنة اثنتين وأربعين ومائتين ،
وخلا الكرسي بعده ثلاثين يوما .

وَقَدَّمَ عَوْضَهُ ^(١) (جَاتِيل) فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنْ خِلَافَةِ الْمُتَوَكِّل . وَيُقَالُ : إِنَّهُ كَانَ قُسًا بَدِيرًا بُوْحَنَسَ ، فَأَقَامَ سَنَةً وَاحِدَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرَ ، ثُمَّ مَاتَ وَدُفِنَ بِدِيرِ بُوْمَقَارَ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ دُفِنَ [فِيهِ] مِنَ الْبَطَارِكَةِ . وَخَلَا الْكَرْسِيُّ بَعْدَهُ أَحَدًا وَثَمَانِينَ يَوْمًا .

وَقَدَّمَ عَوْضَهُ (قَسِيمًا) فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ مِنَ الْهِجْرَةِ ، وَهِيَ الثَّانِيَّةُ عَشْرَةَ مِنْ خِلَافَةِ الْمُتَوَكِّلَ ، وَكَانَ شَمْسًا بَدِيرًا بُوْمَقَارَ ، فَأَقَامَ سَبْعَ سِنِينَ وَخَمْسَةَ شَهْرٍ ثُمَّ مَاتَ وَدُفِنَ بِدُنُوشَرِ ، وَخَلَا الْكَرْسِيُّ بَعْدَهُ أَحَدًا وَخَمْسِينَ يَوْمًا .

وَقَدَّمَ مَكَانَهُ بِطَرِكِ اسْمِهِ (إِسَاسُو) وَيُقَالُ (سَالُوسُو) فِي أَوَّلِ سَنَةِ مِنْ خِلَافَةِ الْمُعْتَزِّ وَأَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ بِمِصْرَ ، فَأَقَامَ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرَ وَمَاتَ ، وَهُوَ الَّذِي عَمِلَ مَجَارِيَ الْمِيَاهِ الَّتِي تَجْرِي تَحْتَ الْأَرْضِ مِنْ خَلِيجِ الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ إِلَى أَدْرِهَا .

وَلَمَّا مَاتَ قَدَّمَ مَكَانَهُ (مِيخَائِيلُ) فِي خِلَافَةِ الْمُعْتَمِدِ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَأَقَامَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً . وَصَادَرَهُ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ فِي عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارَ ، فَبَاعَ فِي الْمُصَادَرَةِ رِبَاعَ الْكُنَاسِ بِالْإِسْكََنْدَرِيَّةِ ، وَبَرَكَةَ الْحَبَشِ بِظَاهِرِ مِصْرَ ، وَمَاتَ .

فَبَقِيَ الْكَرْسِيُّ بَعْدَهُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً شَاغِرًا إِلَى سَنَةِ ثَلَاثِمِائَةٍ . [وَفِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ثَالِثِ شَوَّالِ سَنَةِ ثَلَاثِمِائَةٍ ^(٢)] أَحْتَرَقَتِ الْكَنِيسَةُ الْعُظْمَى بِالْإِسْكََنْدَرِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَنَتْهَا (كَلَا بَطْرَهُ) مَلِكَةُ مِصْرَ هِيكَلًا لِزُحَلِّ .

ثُمَّ قَدَّمَ الْبَطْرِكُ (غَبْرِيَالُ) فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنْ خِلَافَةِ الْمُقْتَدِرِ ، وَهِيَ سَنَةُ إِحْدَى وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَأَقَامَ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً وَمَاتَ .

(١) فِي الْمَقْرِيزِيِّ مِيكَائِيلُ .

(٢) الزِّيَادَةُ عَنْ الْمَقْرِيزِيِّ لِيَتَضَحَّ الْكَلَامُ .

فُقِّدَ مكانه البطرك (قسيسا) فأقام اثنتي عشرة سنة ومات . وفي السنة الأخيرة من رياسته (وهي سنة ثلاث عشرة وثلثمائة) أحرق المسلمون كنيسة صريم بدمشق ونهبوا ما فيها وتبعوا كنائس اليعاقبة والنساطرة .

ولما مات قسيسا المذكور قدموا عليهم بطركا لم أقف على اسمه ، فأقام عشرين سنة ، ثم مات .

وقدَّم في البطركية (تاوفانيوس) من أهل إسكندرية في السنة الحادية عشرة من خلافة المطيع فأقام أربع سنين وستة أشهر ، ومات مقتولا في سنة ثمان وأربعين وثلثمائة .

وقدَّم مكانه البطرك (ميناس) في السنة الخامسة عشرة من خلافة المطيع ، والأخشيذ نائب بمصر ، فأقام إحدى عشرة سنة ثم مات . وخلا كرسي اليعاقبة بعد موته سنة واحدة .

ثم قدَّم مكانه بطرك اسمه (أفراهام السرياني) في سنة ست وستين وثلثمائة ، فأقام ثلاث سنين وستة أشهر ، ومات في أيام العزيز الفاطمي بمصر مسموما من بعض كُتَّاب النصاري : لإنكاره عليه التسرّي ، وقُطِعَتْ يَدُ ذلك الكاتب بعد موته ، ومات لوقته . وخلا الكرسي بعده ستة أشهر .

وقدَّم عوضه بطرك اسمه (فيلايوس) في سنة تسع وستين وثلثمائة . وقيل : في السنة الخامسة للعزيز الفاطمي فأقام أربعاً وعشرين سنة وسبعة أشهر ومات .

وقدَّم بعده بطرك اسمه (دخريس) في سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة في أيام الحاكم الفاطمي ، فأقام ثماناً وعشرين سنة ، ثم مات ودفن ببركة الحبش . وخلا كرسي

اليَعاقبة بعده أربعة وسبعين يوما . [ثم قُدِّم اليَعاقبة بعده (سابونين) بطركا في سنة
إحدى وعشرين وأربعمائة ، فأقام خمس عشرة سنة ومات ، فخلا الكرسي بعده سنة
(١) وخمسة أشهر] .

ثم قُدِّم بعده بطرك اسمه (انخسطوديس) في سنة سبع وثلاثين وأربعمائة في خلافة
المستنصر الفاطمي ، فأقام ثلاثين سنة ، ومات في السنة الحادية والأربعين من خلافة
المستنصر المذكور بالكنيسة المعلقة بمصر . وهو الذي جعل كنيسة بومرقورة بمصر
وكنيسة السيدة بحارة الروم بطركية . وخلا الكرسي بعده اثنين وسبعين يوما .

ثم قُدِّم بعده البطرك (كيرلس) فأقام أربع عشرة سنة وثلاثة أشهر ونصفا ،
ومات بكنيسة المختارة بجزيرة مصر سلخ ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وأربعمائة .
وخلا الكرسي بعده مائة وأربعة وعشرين يوما .

وقدَّم عوضه بطرك اسمه (ميخائيل) في سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة ، في أيام
المستنصر الفاطمي صاحب مصر ، وكان قبل ذلك حبيسا بسنجار ، فأقام تسع سنين
وثمانية أشهر ، ومات في المعلقة بمصر .

وقدَّموا عوضه بطركا اسمه (مقاري) سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة بدير بومقار ،
ثم كل بالإسكندرية ، وعاد إلى مصر وقدس بدير بومقار ثم في الكنيسة المعلقة .
وفي أيامه هدم الأفضل بن أمير الجيوش كنيسة بجزيرة مصر كانت في بستان اشتراه .

ولما مات قدَّم عوضه بطرك اسمه (غبريال) أبو العلا صاعد ، سنة خمس وعشرين
وخمسمائة في أيام الحافظ الفاطمي ، وكان قبل ذلك شماسا بكنيسة بومرقورة ، فُقِّدَم

(١) الزيادة عن المقرئ ، وهي لازمة بها يتم الكلام .

بالمعلقة ، وكُمِّل بالإسكندرية ، فأقام أربع عشرة سنة ، ومات بكنيسة بومرقورة .
وخلا الكرسي بعده ثلاثة أشهر .

وقدَّم بعده بطرك اسمه (ميخائيل) بن التقدوسي في السنة الخامسة عشرة من
خلافة الحافظ أيضا ، وكان قبل ذلك راهبا بقلاية دنشري ، قدَّم بالمعلقة وكُمِّل
بالإسكندرية ، ومات بدير بومقار في رابع شوال سنة إحدى وأربعين وخمسمائة .
وخلا الكرسي بعده سنة واحدة وسبعين يوما .

وقدَّم عوضه بطرك اسمه (يونس) بن أبي الفتح بالمعلقة بمصر وكُمِّل بالإسكندرية ،
فأقام تسع عشرة سنة ، ومات في السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى
وخمسين وخمسمائة . وخلا الكرسي بعده ثلاثة وأربعين يوما .

وقدَّم بعده بطرك اسمه (مرقص) أبو الفرج بن زرعة في سنة إحدى وستين
 وخمسمائة بمصر وكُمِّل بالإسكندرية ، فأقام اثنين وعشرين سنة وستة أشهر وخمسة
وعشرين يوما ، وفي أيامه أُحرقت كنيسة بومرقورة بمصر ، ثم مات . وخلا الكرسي
بعده سبعة وعشرين يوما .

وقدَّم بعده بطرك اسمه (يونس) بن أبي غالب في عاشر ذي الحجة سنة أربع وثمانين
 وخمسمائة بمصر وكُمِّل بالإسكندرية ، وأقام سنًا وعشرين سنة وأحد عشر شهرا
 وثلاثة عشر يوما ، ومات في رابع عشر رمضان المعظم قدره ، سنة ثنتي عشرة وستمائة
 بالمعلقة بمصر ، ودُفن ببركة الحبش .

وقدَّم بعده بطرك اسمه (داود) بن يوحنا ، ويعرف بابن لقلق بأمر العادل بن
 الكامل ، فلم يُوافق عليه المصريون فأبطلت بطركيته ، وبقي الكرسي بغير بطرك
 تسع عشرة سنة .

ثم قُدِّم بطرك اسمه (كيرلس) ^(١) داود بن لقلق في التاسع والعشرين من رمضان المعظم سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، فأقام سبع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام ، ومات في السابع عشر من رمضان المعظم سنة أربعين وستمائة ، ودُفِن بدير الشمع بالحيزة . وخلا الكرسي بعده سبع سنين وستة أشهر وستة وعشرين يوما .

وقدَّم بعده بطرك اسمه (سيوس) بن القس أبي المكارم ، في رابع رجب سنة ثمان وأربعين وستمائة وكُل بالإسكندرية ، وأقام إحدى عشرة سنة وخمسة وخمسين يوما ، ومات في ثالث المحرم سنة ستين وستمائة . وخلا الكرسي من بعده خمسة وثلاثين يوما ^(٣) .

ثم قُدِّم بعده في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون البطرك (بنيامين) وهو الذي كان معاصرا للقرن الشهابي بن فضل الله ، ونقل عنه بعض أخبار الحبشة . ثم قُدِّم بعده المؤمن (جرجس) بن القس مفضل في شهر سنة أربع وستين وسبعمائة .

ثم قُدِّم بعده البطرك متى وطالت مدته في البطركية ثم مات في شهر سنة اثنتي عشرة وثمانمائة .

وأستقر بعده الشيخ الأجدد (رفايل) في أواخر السنة المذكورة ، وهو القائم بها إلى الآن .

(١) عبارة المقرئ بعد ما تقدم "ثم قدم هذا القس" يعنى به داود بن لقلق المتقدم فانه بعد أن منع عنها المدة المذكورة قدم إليها في التاريخ المذكور .

(٢) في الأصل إحدى وعشرين وهو خطأ ، والتصحيح عن المقرئ .

(٣) في المقرئ خمسة وثمانين يوما .



أما ملوكهم القائمون ببلادهم ، فلم يتَّصِلْ بنا تفاصيل أخبارهم ، غير أنَّ المشهور أنَّ ملكهم في الزمن المتقدم كان يلقَّب النَّجَاشِيَّ ، سَمَةً لِكُلِّ مَنْ ملك عليهم ، إلى أن كان آخرهم (النجاشي) الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم وكتب إليه بإسلامه ، ومات وصَلَّى عليه صلاة الغائب ، وكان اسمُه بالحِشْيَة (أَصْحَمَة) ويقال (صَحْمَة) ومعناه بالعربية عَطِيَّة .

وقد ذكر المقر الشهابي بن فضل الله في "مسالك الأبصار" : أن الملك الأكبر الحاكم على جميع أقطارهم يسمَّى بلغتهم (الحَطِّي) بفتح الحاء المهملة وتشديد الطاء المهملة المكسورة وياء مشناة تحت في الآخر . ومعناه السلطان اسمًا موضوعًا لكل مَنْ قام عليهم ملكًا كبيرًا . ثم قال : ويقال : إن تحت يده تسعة وتسعين ملكًا ، وهو لهم تمام المائة . وذكر أن الملك القائم بمملكته في زمانه اسمه (عمدسيون) ومعناه ركن صهيون . قال : وصهيون بيعة قديمة البناء بالإسكندرية معظمة عندهم . قال : ويقال : إنه من الشجاعة على أوفر قسم ، وإنه حسن السيرة ، عادل في رعيته . قال في "التعريف" : وقد بلغنا أن الملك القائم عليهم أسلم سرًا ، واستمر على إظهار دين النصرانية إبقاءً للملكة . فيحتمل أنه (عمدسيون) المقدم ذكره ، ويحتمل أنه غيره . قال في "التعريف" : ومدبر دولته رجل يقرب إلى بني الأرشى الأطباء بدمشق . قال في "مسالك الأبصار" : ومع ما هم عليه من سعة البلاد ، وكثرة الخلق والأجناد ، مفتقرون إلى العناية والملاحظة من صاحب مصر . لأن المطران الذي هو حاكم شريعتهم في جميع بلادهم من أهل النصرانية لا يُقام إلا من الأقباط اليعاقبة بالديار المصرية ، بحيث تخرج الأوامر السلطانية من مصر

للبطرك المذكور بارسال مُطْرانٍ إليهم . وذلك بعد تقدّم سؤال ملك الحبشة الذى هو الحطّى وإرسال رُسُلِهِ وَهَدَايَاهُ . قال : وهم يدعون أنهم يحفظون مجارى النيل المنحدر إلى مصر ، ويساعدون على إصلاح سُلوكه تقرباً لصاحب مصر .

وقد ذكر ابن العميد مؤرّخ النصارى فى تاريخه : أنه لما توقف النيل فى زمن المستنصر بالله الفاطمى ، كان ذلك بسبب فساد مجارىه من بلادهم ، وأنّ المستنصر أرسل البطرك الذى كان فى زمانه إلى الحبشة حتى أصلحوه واستقامت مجارىه . لكن قد تقدّم فى الكلام على النيل عند ذكر مملكة الديار المصرية من هذه المقالة ما يخالف ذلك .

الجملة السادسة

(فى ترتيب مملكتهم)

قال فى "مسالك الأبصار" : يُقال إن الحطّى المذكور وجيشه لهم خيام ينقلونها معهم فى الأسفار والتنزّهات ، وإنه إذا جلس الملك يجلس على كرسى ، ويجلس حول كُرسِيّه أمراء مملكته وكبّراؤها على كراسى من حديد : منها ما هو مُطعم بالذهب ، ومنها ما هو ساذج على قدر مراتبهم . قال : ويُقال إن الملك مع نفاذ أمره فيهم يتشبّه فى أحكامه . ولم يزد فى ترتيب مملكتهم على ذلك .

ولمّا ملك الحبشة هذا مكتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية ، يأتى ذكرها فى الكلام على المكتبات فى المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

القسم الثاني

(من بلاد الحبشة ما بيد مسلمي الحبشة)

وهي البلادُ المقابلةُ لبرِّ اليمنِ على أعالي بحرِ القلزمِ ، وما يتصلُّ به من بحر الهند ، ويعبرُ عنها " بالطراز الإسلامي " لأنها على جانب البحر كالطراز له . قال في " مسالك الأبصار " : وهي البلاد التي يُقال لها بمصرَ والشَّام بلاد الزَّيلع . قال : والزَّيلع إنما هي قريةٌ من قراها ، وجزيرةٌ من جزائها ، غلب عليها اسمُها . قال الشيخ عبد المؤمن الزَّيلعيُّ الفقيه : وطولُها برًّا وبحرًا خاصًّا بها نحو شهرين ، وعَرْضُها يمتدُّ أكثر من ذلك ، لكن الغالب في عَرْضِها أنه مُقْفَرٌ ، أما مقدار العِمارة فهو ثلاثة وأربعون يومًا طولًا ، وأربعون يومًا عَرْضًا . قال في " مسالك الأبصار " : وبيوتُهم من طين وأحجار وأخشاب ، مسقَّفةٌ بجملونات وقباب ، وليست بذوات أسوار ولا لها نخامةٌ بناءً ، ومع ذلك فلها الجوامعُ ، والمساجدُ ، وتقامُ بها الخطبُ والجمع والجماعاتُ ، وعند أهلها محافظةٌ على الدين ، إلا أنه لا تُعرف عندهم مدرَّسة ، ولا خانقاه ، ولا رباط ، ولا زاويةٌ . وهي بلادٌ شديدةُ الحرِّ ، وألوانُ أهلها إلى الصَّفَاء ، وليست شعورهم في غاية التَّفَلُّل كما في أهل مالئ وما يليها من جنوب المغرب ، وفِطْنُهم أنبَه من غيرهم من السودان ، وفِطْرُهم أذكى ، وفيهم الزُّهاد ، والأبرار ، والفُقهاء والعلماء ، ويتمدُّهَبُونَ بمذهب أبي حنيفة ، خلا وفات فان ملكها وغالب أهلها شافعيةٌ .

وتشتمل على ستِّ جمل :

الجملة الأولى

(فيما أشتملت عليه من القواعد والأعمال)

مقتضى ما ذكره في "مسالك الأبصار" و"التعريف" أن هذه البلاد تشتمل على سبع قواعد ، كل قاعدة منها مملكة مستقلة بها ملك مستقل :

القاعدة الأولى

(وفات)

قال في "تقويم البلدان" : بالواو المفتوحة والفاء ثم ألف وتاء مشناة فوق في الآخر ، والعامة تسميها (أوفات) . ويقال لها أيضا (جبرة) بفتح الجيم والباء الموحدة والراء المهملة ثم هاء في الآخر ، والنسبة إلى جبرة جبرتي . وموقعها بين الإقليم الأول وخط الاستواء . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول سبع وخمسون درجة ، والعرض ثمان درج . قال : وعن بعض المسافرين أنها من أكبر مدن الحبشة . وهي على نثر من الأرض ، وعمارتها متفرقة ، ودار الملك فيها على تل والقلعة على تل ، ولها وادٍ فيه نهر صغير ، وتطر في الليل غالباً مطراً كثيراً ، وبها قصب السكر . قال في "مسالك الأبصار" : وقال الشيخ عبدالله الزياحي : وطول مملكتها خمسة عشر يوماً وعرضها عشرون يوماً بالسير المعتاد . قال : وكلها عامرة أهلة بقرى متصلة ، وهي أقرب أخواتها إلى الديار المصرية وإلى السواحل المسامطة لليمن ، وهي أوسع الممالك السبع أرضاً ، والإجلاب إليها أكثر لقربها من البلاد . قال في "مسالك الأبصار" : وعسكرها خمسة عشر ألفاً من الفرسان ، ويتبعهم عشرون ألفاً أكثر من الرجال ، وسيأتي الكلام على سائر أحوالها عند ذكر أحوال سائر أخواتها فيما بعد إن شاء الله تعالى .

ومن مضافاتها (زَيْلَعُ) . قال في "تقويم البلدان" : الظاهر أنها بفتح الزاي المعجمة وسكون الياء المشاة التحتية وفتح اللام ثم عين مهملة في الآخر، وهي فُرْضة من فُرْض هذه البلاد، وموقعها بين الإقليم الأول وَخَطَّ الاستواء . قال في "القانون" : حيثُ الطولُ إحدى وستون درجةً، والعرضُ ثمانُ درَج . قال في "تقويم البلدان" : وهي في جهة الشرق عن (وَقَات) وبينهما نحو عشرين مرحلةً . قال ابن سعيد : وهي مدينة مشهورة وأهلها مسلمون ، وهي على رُكن من البحر في وطاعة من الأرض . قال في "تقويم البلدان" : وعن بعض مَنْ رآها أنها مدينةٌ صغيرة نحو عِيذاب في القَدْر ، وهي على الساحل والتَّجَار تنزل عندهم فيُضيفونهم ويتأعون لهم . قال ابن سعيد : وهي شديدة الحرِّ ومأواها عذبي من جفارات ، وليس لهم بساتين، ولا يَعْرِفون الفواكِه . قال في "القانون" : وفيها مغاصٌ لؤلؤي . وقد ذكر في "مسالك الأبصار" أنها في مملكة صاحب أوفات . وذكر في "تقويم البلدان" عن بعض من رآها أن فيها شيوخاً يحْكُمون بين أهلها، وقال : إن بينها وبين عَدَن من اليمن في البحر ثلاث مجارٍ، وهي عن عَدَن في جهة الغرب بميلة إلى الجنوب .

القاعدة الثانية

(دَوَارو)

بفتح الدال المهملة وواو ثم ألف وراء مهملة وواو وهي مدينة ذكرها في "مسالك الأبصار" و "التعريف" : ولم يتعرض لصفحتها . وذكر في "مسالك الأبصار" : أنها تلي أوفات المقدمة الذكر ، وإن مملكتها طولها

خمسة أيام ، وعرضها يومان . ثم قال : وهى على هذا الضيق ذات عسكرٍ جَمٍّ ،
نظير عسكر أوفات فى الفارس والراجل . وسيأتى الكلام على تفصيل أحوالها
مع أخواتها فيما بعد إن شاء الله تعالى .

القاعدة الثالثة

(أرابينى)

وهى مدينة ذكرها فى " المسالك " و " التعريف " أيضا ، ولم يذكر شيئا من
صفاتها . ثم ذكر أن مملكته مربعة : طولها أربعة أيام ، وعرضها كذلك ، وعسكرها
يقارب عشرة آلاف فارس . أما الرجالة فكثيرة للغاية .

القاعدة الرابعة

(هندية)

قال فى " تقويم البلدان " : بالهاء والذال المهمله والياء المشنة التحتية ثم هاء
فى الآخر على ما ذكره بعض من رآها . وموقعها بين الإقليم الأول من الأقاليم السبعة
وبين خط الاستواء . قال : والقياس أنها حيث طول سبع وخمسون درجة ،
والعرض سبع درجات . وذكر عن بعض المسافرين أنها جنوبي (وفات) . قال
فى " مسالك الأبصار " : وهى تلى أرابينى المقدم ذكرها ، وطول مملكته ثمانية أيام ،
وعرضها تسعة أيام ، وصاحبها أقوى إخوانه من ملوك هذه الممالك السبعة ،
وأكثر خيلا ورجالا ، وأشد بأسا على ضيق بلاده عن مقدار أوفات . قال :
ولملكها من العسكر نحو أربعين ألف فارس سوى الرجالة ، فإنهم خلق كثير مثل
الفرسان مرتين أو أكثر . قال فى " تقويم البلدان " : ومنها تجلب الخدام ، وذكر

أنهم يَخْصُونَهُمْ بقريةٍ قريبةٍ منها . وذكر في "مسالك الأبصار" : أن الخُدَّامَ يُجَلِّبُ إليها من بلاد الكُفَّار . ثم حكى عن الحاج فرج الفؤى التاجر : أنه حدّثه أن ملكاً أمحرأ يمنع من خصى العبيد ويُكرِّك ذلك ويُشدّد فيه . وإنما السَّرَّاقُ تقصّد بهم مدينة أسمها (وَسَلَوُ) بفتح الواو والشين المعجمة واللام ، أهلها حمج لادين عندهم فتخصى بها العبيد ، لا يُقدِّم على هذا في جميع بلاد الحبشة سواهم . قال : ولذلك التجار إذا اشتروا العبيد يخرجون بهم إلى (وَسَلَوُ) فيخصّصونهم بها لأجل زيادة الثمن ؛ ثم يحمل من خصى منهم إلى مدينة (هَدْيَة) لقربها من (وَسَلَوُ) فتعاد عليهم الموسى مرة ثانية لينفتح مجرى البول لأنه يكون قد استدّ عند الخصى بالقبح ، فيعالجون بهدية إلى أن يبرءوا ، ولأن أهل (وَسَلَوُ) وإن كان لهم معرفة بالخصى فليس لهم معرفة بالعلاج ، بخلاف أهل هدية فإنهم قد درّبوا [على] ذلك وعرفوه . ثم قال : ومع هذا فالذى يموت منهم أكثر من الذى يعيش ؛ وأضر ما عليهم حملهم بلامعالجة من مكان إلى مكان ، فإنهم لو عولجوا في مكان خصّصهم كان أرفق بهم .

القاعدة الخامسة

(شرحاً)

بفتح الشين المعجمة وسكون الراء المهملة وحاء ثم ألف .

وهى مدينة تلي (هَدْيَة) المقدمة الذكر . ذكرها في "مسالك الأبصار" و"التعريف" ولم يصرّح لها بوصف . قال في "مسالك الأبصار" : وطول مملكتها ثلاثة أيام ، وعرضها أربعة أيام . قال : وعسكرها ثلاثة آلاف فارس ، ورجالة مثل ذلك صرتين فأكثر ، وسياتى الكلام على سائر أحوالها مع سائر أخواتها فيما بعد إن شاء الله تعالى .

القاعدة السادسة

(بالى)

بفتح الباء الموحدة وألف ثم لام وياء آخر الحروف .

وهى مدينة تلى شرحا المقدمة المذكور كرها فى " المسالك " و " التعريف " قال فى المسالك : ولكنها أكثر خصبا ، وأطيب سكنا ، وأبرد هواء ، وسيأتى الكلام على سائر أحوالها مع سائر أخواتها فيما بعد إن شاء الله تعالى .

القاعدة السابعة

(دارة)

بفتح الدال المهملة وألف بعدها راء ثم هاء . وهى مدينة تلى (بالى) المقدمة الذكر، ذكرها فى " المسالك " و " التعريف " . قال فى " المسالك " : وطولها ثلاثة أيام، وعرضها كذلك . وهى أضعف أخواتها حالا ، وأقلها خيلا ورجالا . قال : وعسكرها لا يزيد على ألفى فارس ، ورجالة كذلك ؛ وسيأتى الكلام على سائر أحوالها فى الكلام على سائر أخواتها فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الجملة الثانية

(فى الموجود بهذه الممالك ، على ما ذكره فى " مسالك الأبصار ")

قد ذكر أن عندهم من المواشى الخيل العراب ، والبغال ، والحمير ، والبقر ، والغنم بكثرة . أما المعز فقليل عندهم . ومن الوحش : البقر ، والحمير ، والغزلان ،

والمها، والإيل، والكركدن، والفهد، والأسد، والضبعة العرجاء، وتسمى عندهم
مرعيف، وعندهم جواميس برية تُصاد كما تقدم في إقليم مالى. وعندهم من الطيور
الدواجن الدجاج، ولكن لا رغبة لهم في أكله استقذاراً له : لأكله القمامات والزبالات،
ودجاج الحبش يصيدونه ويأكلونه، وهو عندهم مستطاب. وعندهم من الحبوب
الحنطة، والشعير، والذرة، والطاقي : وهو حبٌ نحو الخردل أحمر اللون على ما تقدم
ذكره في الكلام على القسم الأول من بلاد الحبشة. وعندهم الخردل أيضاً. وعندهم
من الفواكه العنب الأسود على قلة، والموز، والرمان الحامض، والتوت الأسود
على قلة فيه، والجميز بكثرة. وعندهم من الحمضات : الأترج، والليمون، والقليل
من النارج. وعندهم تين برى، وخوخ برى، ولكنهم لا يأكلون الخوخ دون
التين. وعندهم فواكه أخرى لا تُعرف بمصر والشام والعراق، منها شجري يسمى
كشباد، ثمرة أحمر على صفة البسر، وهو حلو ماوى، وشجري يسمى كوشى، ثمرة مستدير
كالبرقوق، ولونه أصفر خالوقى كالشمش، وهو من ماوى، وشجري يسمى طانة، ثمرة
أصغر من البسر، وفي وسطه شبه النوى، وهو حلو صادق الحلاوة ونواه يؤكل معه
لعدم صلابته. وشجر اسمه أوجاق - بفتح الواو والجيم - ثمرة أكبر من حب الفلفل
وطعمه شبيه به في الحرافة مع بعض حلاوة. وعندهم شجيران المقدم ذكره
في القسم الأول من بلاد الحبشة، وهو الذى يؤكل عندهم للدكاء والنطنة، ولكنه
يقل النوم والنكاح على ما تقدم ذكره هناك. وعندهم من أنواع المقائى البطيخ
الأخضر، والخيار، والقرع. ومن الخضروات اللوبيا، والكرنب، والباذنجان،
والشمار، والصعتر. أما الملوخيا فإنها تطلع عندهم برية.

الجملة الثالثة

(في معاملاتهم وأسعارهم)

أما معاملاتهم فعلى ثلاثة أنواع . منها ماهو بالأعراض مُقايضةً : تباع البقر بالغنم ونحو ذلك كما في القسم الأول من بلاد الحبشة . ومنها ماهو بالدنانير والدرهم كمصر والشام ونحوهما ، وهو (وَقَات) وأعمالها خاصة . قال في "مسالك الأبصار" : وليس بأَوْقَات سِكَّةٌ تضرب بل معاملاتهم بدنانير مصر ودرهمها الواصلة إليهم صحبة التجار . وذلك أنه لو ضرب أحد منهم سِكَّةً في بلاده لم تُرْجَ في بلد غيره . ومنها ماهو بالحُكُنَات ، جمع حُكْنَة - بفتح الحاء المهملة وضم الكاف والنون - كما ضبطه في "مسالك الأبصار" وهي قِطْع حديد في طُول الإبرة ، ولكنها أَعْرَضُ منها بحيث تكون في عَرْض ثلاث إبر ، يُتَعَامَلُ بها في سائر هذه البلاد سوى ما تقدّم ذكره . قال : وليس لهذه الحُكْنَة عندهم سعر مضبوط بل تُباع البقرة الجيدة بسبعة آلاف حُكْنَة ، والشاة الجيدة بثلاثة آلاف حُكْنَة . وتُكَال غَلَّتْهم بِكِل اسمها الرابعة ، بمقدار وِيَّة من الكيل المِصرى . وزنة أُرطالهم اثنتا عشرة أوقية كل أوقية عشرة دراهم بصنجة مصر .

وأما الأسعار فكلها رخيصة حتى قال في "مسالك الأبصار" : إنه يُباع بالدرهم الواحد عندهم من الحنطة بمقدار حِمْل بغل ، والشعير لاقيمة له . وعلى هذا فقس .

الجملة الرابعة

(في ملوكهم)

قد تقدّم في الكلام على القسم الأول من بلاد الحبشة أن الحطّي الذي هو سلطانهم الأكبر تحت يده تسعة وتسعون ملكاً وهو لهم تمام المائة . وقد ذكر في "التعريف" : أن هذه السبعة من جملة التسعة والتسعين الذين هم تحت يده . قال في "مسالك الأبصار" : والمُلك منهم في بيوت محفوظة إلا بالي اليوم ، فإن المُلك بها صار إلى رجل ليس من أهل بيت المُلك ، تقرب إلى سلطان أحرار حتى ولّاه مملكة بالي فاستقلّ ملكاً بها . على أنه قد وليها من أهل بيت المُلك رجال أكفاء ، ولكن الأرض لله يورثها من يشاء . قال : وجميع ملوك هذه الممالك وإن توارثوها لا يستقلّ منهم بملك إلا من أقامه سلطان أحرار ، وإذا مات منهم ملك ومن أهله رجال قصدوا جميعهم سلطان أحرار ، وتقربوا إليه جهداً الطاقة ، فيختار منهم رجلاً يوليّه ، فإذا ولّاه سمع البقية له وأطاعوا ، فهم له كالنواب ، وأمرهم راجع إليه . ثم كلّهم متفقون على تعظيم صاحب أوفات ، مُتقادون إليه . ثم قال : وهذه الممالك السبع ضعيفة البناء ، قليلة الغناء ، لضعف تركيب أهلها ، وقلة محصول بلادهم ، وتسلب الحطّي سلطان أحرار عليهم ، مع ما بينهم من عداوة الدين ، ومباينة ما بين النصاري والمسلمين . قال : وهم مع ذلك كلهم متفرقة ، وذات بينهم فاسدة .

ثم حكى عن الشيخ عبد الله الزياحي وغيره : أنه لو اتفقت هذه الملوك السبعة واجتمعت ذات بينهم ، قدروا على مدافعة الحطّي أو التماسك معه ، ولكنهم مع ما هم عليه من الضعف وأفتراق الكلمة بينهم تنافس . قال : وهم على ما هم عليه

من الدِّلَّة والمَسْكَنَة للخطي سلطان أمحرا عليهم قطائع مقررة ، تحمل إليه في كل سنة من القماش الحرير والكتان ، مما يُجَلَّب إليهم من مصر واليمن والعراق . ثم قال : وقد كان الفقيه « عبد الله الزيلعي » قد سعى في الأبواب السلطانية بمصر عند وصول رسول سلطان أمحرا إلى مصر في تنجز كتاب البطريك إليه ، بكف أذيتِه عمن في بلاده من المسلمين وعن أخذ حريمهم . وبرزت المراسيم السلطانية للبطريك بكتابة ذلك ، فكتب إليه عن نفسه كتابا بليغا شافيا ، فيه معنى الإنكار لهذه الأفعال ، وأنه حرم هذا على من يفعله ، بعبارات أجاد فيها ، ثم قال : وفي هذا دلالة على الحال .

قلت : وقد كُتِب في أوائل الدولة الظاهرية « برقوق » كتاب عن السلطان في معنى ذلك ، وقرينه كتاب من البطريك (متى) بطريك الإسكندرية يومئذ بمعناه . وتوجه به إلى الخطي سلطان الحبشة ، « برهان الدين الديماطي » فذهب وعاد بالحباء من جهة الملك ، لكن ذكر عنه أنه أتى أمورا هناك تقدح في عقيدة ديانته ، والله أعلم بحقيقة ذلك . وستأتي الإشارة إلى المكتبة إلى هؤلاء الملوك السبعة في المقالة الرابعة في الكلام على المكتبات إن شاء الله تعالى .

الجملة الخامسة

(في زى أهل هذه المملكة)

أما لبسهم ، فإنه قد جرت عادتهم أن الملك يعصب رأسه بعصابة من حرير ، تدور بدائر رأسه ، ويبقى وسط رأسه مكشوفًا ، والأمراء والجنود يعصبون رؤوسهم كذلك بعصائب من قطن ، والفقهاء يلبسون العائم ، والعامَّة يلبسون كوافي بيضا

طاقيات ، والسلطان والجند يترزون بثياب غير مخيطة : يُشدّ وسطه بثوب ، ويتر
 بآخر ، ويلبسون مع ذلك سراويلات . ومنّ عداهم من الناس يقتصرّون على شدّ
 الوسط والآزر خاصةً بلا لبس سراويل . وربما ليس القمصان منهم بعض
 الفقهاء وأرباب النعم .

وأما ركوبهم الخيل ، فإنهم يركبونها بغير سروج ، بل يوطأ لهم على ظهورها يجلود
 مرعزى حتى ملوكهم .

وأما سلاحهم فغالبة الحراب والنشاب .

الجملة السادسة

(فى شعار الملك وترتيبه)

أما شعار الملك ، فقد جرت عادتهم أن الملك إذا ركب تقدّم قدامه الحجاب
 والنقباء لطرد الناس ، ويضرب بالسبابة أمامه ، ويضرب معها ببوقات من خشب ،
 فى رؤوسها قرون مجوّفة ، ويدقّ مع ذلك طبول معلقة فى أعناق الرجال تسمى عندهم
 الوطواط . ويتقدّم أمام الكل بوق عظيم يسمى الجنباء ، وهو بوق ملوى من قرن
 وحش عندهم من نوع بقر الوحش اسمه (عجّرين) فى طول ثلاثة أذرع ، مجوّف
 يُسمع على مسيرة نصف يوم ، يعلم من سمعه ركوب الملك ، فيبادر إلى الركوب
 معه من له عادة به .

وأما ترتيب الملك عندهم ، فإن من عادتهم أن الملك يجلس على كرسي من حديد
 مطعم بالذهب ، علوه أربعة أذرع من الأرض ، ويجلس أكابر الأمراء حوله

على كراسيٍّ أخفض من كرسية ، وبقيةُ الأمراء وقوفُ أمامه ، ويحمل رجلان السلاح على رأسه . ويختص صاحب (وفات) بأنه إذا ركب حُمِلَ على رأسه جتر على عادة الملوك .

ثم إن كان الملك راكبا فرسا ، كان حاملُ الجتر ماضيا بازائه والجتر بيده ، وإن كان راكبا بغلا ، كان حاملُ الجتر رديفه والجتر بيده على رأس الملك .

وبالجملة فإنه يُعد من حشمة الملك أو الأمير عندهم أنه إذا كان راكبا بغلا أن يُرَدِّف غلامه خلفه ، بخلاف ما إذا كان راكبا فرسا فإنه لا يُرَدِّف خلفه أحدا . ومما يُعد (وفات) من حشمة الملك أو الأمير أنه إذا مشى يتوكأ على يدي رجلين . وملوكهم تنصت للحكم بأنفسهم وإن كان عندهم القضاة والعلماء . وليس لأحد من الأمراء ولا سائر الجنود إقطاعات على السلطان ولا نقود كما بمصر والشام ، بل لهم الدواب السائمة . ومن شاء منهم زرع وأستغل ولا يُعارض في ذلك . وليس لأحد من ملوكهم سباط عام ، بل إنما يمد سباطه له وخاصته ، ولكنه يفرق على أمرائه بقرا عوضا عن أمر أكلهم على السباط . وأكثر ما يعطى الأمير الكبير منهم مائتا بقرة .

قلت : وأهمل المقر الشهابي بن فضل الله في "مسالك الأبصار" و"التعريف" عدة بلاد من ممالك الحبشة المسلمين .

منها (جزيرة دهلك) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الدال المهملة وسكون الهاء ثم لام مفتوحة وكاف . وهي جزيرة في بحر القلزم ، واقعة في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول إحدى وستون درجة ، والعرض أربع عشرة درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي جزيرة مشهورة على

طريق المسافرين في بحر عَذَاب إلى اليمن . قال ابن سعيد : غربي مدينة (حلي) من بلاد اليمن ، فطولها نحو مائتي ميل ، وبينها وبين بر اليمن نحو ثلاثين ميلاً [وملك دَهْلَك من الحبش المسلمين] وهو يُدَارَى صاحب اليمن .^(١)

ومنها (مدينة عَوَان) بفتح العين المهملة والواو وألف ثم نون . وهي مدينة على ساحل بحر القلزم مقابل (تِهَامَة اليمن) حيث الطول ثمان وسبعون درجة ، والعرض ثلاث عشرة درجة ونصف درجة . قال في "تقويم البلدان" : وإذا كان وقت الضحى ظهر منها (الجَنَاح) وهو جبل عال في البحر .

ومنها (مدينة مَقْدِشُو) بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال المهملة ثم شين معجمة وواو في الآخر كما نقله في "تقويم البلدان" عن ضبطه في "مُزِيل الأرتياب" بالشكل . وموقعها بين الإقليم الأول من الأقاليم السبعة وخط الاستواء . قال ابن سعيد : حيث الطول اثنتان وسبعون درجة ، والعرض درجتان . قال في "مُزِيل الأرتياب" : وهي مدينة كبيرة بين الزَّجج والحبشة . قال : وهي على [بحر] الهند ، ولها نهر عظيم شبيه بنيل مصر في زيادته في الصيف . قال : وقد ذكر أنه شقيق لنيل مصر في مخرجه من بحيرة كورا ، ومصبه ببحر الهند على القرب من مَقْدِشُو .

قلت : وقد أتى الخطي ملك الحبشة النصاري على معظم هذه الممالك بعد الثمانمائة وخرَّبها وقتل أهلها وحرَّق ما بها من المصاحف وأكره الكثير منهم على الدخول في دين النصرانية ، ولم يبق من ملوكها سوى ابن مسمار المقابلة بلاده لجزيرة دَهْلَك تحت طاعة الخطي ملك الحبشة وله عليه إتاوة مقررة ، والسلطان سعد الدين

(١) الزيادة عن تقويم البلدان .

(٢) ضبطها ياقوت بفتح الدال .

صاحب زليح وما معها وهو عاص له خارج عن طاعته بينه وبينه الحروب لا تنقطع ،
وللسلاطان سعد الدين في كثير من الأوقات النصرة عليه والغبلة والله يؤيد بنصره
من يشاء .



وأعلم أن ما تقدم ذكره من ممالك السودان هو المشهور منها ، وإلا فوراء ذلك
بلاد نائية الجوانب بعيدة المرمى منقطعة الأخبار .

منها (بلاد الزنج) . وهي بلاد شرقي الخليج البربري المقدم ذكره في الكلام
على البحار، تقابل بلاد الحبشة من البر الآخر .

وقاعدتها (سفالة الزنج) . قال في "تقويم البلدان" بالسین المهمله والفاء ثم ألف
ولام وهاء في الآخر . وموقعها جنوبي خط الاستواء . قال في "القانون" :
حيث الطول خمسون درجة ، والعرض في الجنوب درجتان . قال في "القانون" :
وأهلها مسلمون . قال ابن سعيد : وأكثر معاشيهم من الذهب والحديد ، ولباسهم
جلود الثور . وذكر المسعودي أن الخيل لا تعيش عندهم ، وعسكرهم رجالة ، وربما
قاتلوا على البقر .

ومنها (بلاد الهمج) جنوبي بلاد التكرور . فقد ذكر ابن سعيد أنه خرج على أصناف
السودان طائفة منهم يقال لهم [الدَّما دم] ^(١) يشبهون التتر ، خرجوا في زمن خروجهم
فأهلكوا ما جاورهم من البلدان . وذكر في "مسالك الأبصار" عن ابن أمير حاجب
والى مصر عن منسا موسى ملك التكرور أنهم كالتتر في تدوير وجوههم ، وأنهم يركبون
خيولا مشققة الأنوف كالأكاديش ، وأن همج السودان عدد لا يستوعبهم الزمان
وأن منهم قوما يأكلون لحم الناس .

(١) بياض بالأصل والتصحيح من مسالك الأبصار .

الفصل الرابع

من الباب الرابع من المقالة الثانية

(في الجهة الشمالية عن ممالك الديار المصرية ومضافاتها، خلا ما تقدم ذكره
 مما انضم إلى ممالك المشرق من شمالي الشرق، نحو أرمينية، وأران،
 وأذربيجان، وشمالي خراسان، وشمالي مملكة توران: من خوارزم،
 وما وراء النهر، وبلاد الأَزَق، وبلاد القرم، وما إلى ذلك
 وما انضم إلى ممالك المغرب من شمالي الغرب،
 وهو الأندلس)

وينقسم ذلك إلى قسمين :

القسم الأول

(ما بيد المسلمين مما في شرقي الخليج القُسْطَنْطِينِيّ فيما بينه وبين أرمينية
 وهي البلاد المعروفة ببلاد الروم)

قال في "التعريف": وتُعرف الآن ببلاد الدَّرَبَنْدَات . وقد سماها في "التعريف"
 و"مسالك الأبصار" بلاد الأتراك، وكأنه يريد بالأتراك التُّركُكَّانَ، فإنهم هم الذين
 أنضاف مُلكُها بعد ذلك إليهم، على ما سيأتى بيانه فيما بعد إن شاء الله تعالى .
 وقد ذكر في "تقويم البلدان" أنه يُحيط بهذه البلاد من جهة الغرب بحر الروم،
 وعامة الخليج القُسْطَنْطِينِيّ، وبحر القرم . ومن جهة الجنوب بلاد الشام والجزيرة .
 ومن جهة الشرق أرمينية . ومن جهة الشمال بلاد الكُرْج وبحر القرم . وذكر

في "التعريف" ما يخالف ذلك فقال : إنها منحصرة بين بحري القرم والخليج القسطنطيني ، تنتهي من شرقها إلى بحر القرم المسمى بحر نيطش وما نيطش ؛ وفي الغرب إلى الخليج القسطنطيني ، وتنتهي متشاملة إلى القسطنطينية ؛ وتنتهي جنوبا إلى بلاد لاؤن^(١) : وهي بلاد الأرمن يحدها البحر الشامي . وبالجملة فإنها مفارقة ما تسامت شرقها من بلاد الأرمن المضافة إلى بلاد الشام من ممالك الديار المصرية . والحاصل أن هذه البلاد مبتدؤها من الشرق مما يلي المغرب حدود أرمينية في شمالي بلاد الجزيرة وما والاها من بلاد الأرمن المضافة الآن إلى مملكة حلب ، وتأخذ في جهة الغرب إلى بحر الروم ، فيصير البحر في جانبها من الجنوب ويمتد عليها حتى يتصل بالخليج القسطنطيني ، فيدور عليها الخليج وما يتصل به من بحر القرم من جهة الغرب ثم من جهة الشمال كالجزيرة ويحيط بها البحر من جميع جوانبها خلا جهة الشرق .

وقد كانت هذه البلاد في زمان الروم من مضافات القسطنطينية وأعمالها . قال في "مسالك الأبصار" : وقد كانت هذه البلاد على عهد الروم محتك الأعنة ، ومشتبك الأسنة ، دار القياصره ، ومكسر الأكاسره . ثم وصفها بأتم الأوصاف ، فقال بعد أن ذكر أنها أثرى البلاد : تخورها تتفجر ماء ، وجوها يسخر أنواء ، تعقد دون السماء سماء ، فيخصب زرعها ، ويخصم المحل ضرعها ، ويخسف ورق الجنة على الحدائق ثمرها وينعها ، ويطرب ورقها منظرها البديع ، ويحبرها من صناعة صنعاء الربيع ، فلا تسمع إلا كل مطربة تنجي النجي ، وتشجي الشجي ، وتخلب قلب الخلي ، وتهب الغواني ما في أطواقها من الحلي ، يعجب ثوبها السندسي ، ونباتها المتعلق بذيل البهار بسجافها القنديسي . فلا تجول في أرضها إلا على أرائك ، ولا تنظر

(١) في التعريف ابن لاون .

إلا نساء كالحُور العين وولَدانا كالمَلانِك . ثم قال بعد كلام طويل : وهى شديدةُ
البرد لا يُوصَفُ شتاؤها ، إلا أن سُكَّانها تستعدُّ للشتاء بها قبل دُخُوله ، وتحصِّلُ
ما تحتاج إليه ، وتذخِرُه فى بيوتها ، وتستكثِرُ من القديد والأدهان والخمور ، فتأكلُ
وتشربُ مدَّةَ أيام الشتاء ، ولا تخرجُ من بيوتها ، ولو أرادت ذلك لم تقدرُ عليه ،
حتى تذوبَ الثلوج . قال وهذه الأيام هى بُلَهْنِيَّة العيش عندهم .
ويُحصِرُ المقصودُ من ذلك فى خمس جمل :

الجملة الأولى

(فيما اشتملت عليه من القواعد ، وهى على ضربين)

الضرب الأول

(القواعد المستقرَّة بها الملوك والحكام)

ممن يكتتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية)

فأما ما ذكره المقرَّ الشهابى بن فضل الله من ذلك فى " التعريف " و
" مسالك الأبصار " ، فست عشرة قاعدةً عبَّرَ عنها فى " مسالك الأبصار " :
بمالك . ونحن نُوردها على ما أوردها وإن كان قد أخلَّ بها فى الترتيب .

القاعدة الأولى — (كرميان) بكسر الكاف وسكون الراء المهملة والميم وفتح
المشاة تحت وألف ثم نون فى الآخر . وهى مدينة فى شرق هذه البلاد ، متوسطةً
فى المقدار ، مبنية بالحجر ، عليها سُور دائر . وبها مساجد وأسواق وحمامات ،
وبوسطها قلعةٌ حصينة على جبل مرتفع ، وخارجها أنهار تجري وبساتين ذات
أشجار وفواكه متنوعة ، وأراضٍ مزروعة .

القاعدة الثانية — (طَنْغَزَلُو) بضم الطاء المهملة وسكون النون وضم الذين المعجمة وسكون الراء المعجمة وضم اللام وواو في الآخر . وهى مدينة متوسطة فى أوساط هذه البلاد ، وبنائها بالحجر ، وليس لها سور . وبها المساجد والأسواق والحمامات ، وخارجها أنهار تجرى وبساتين محدقة ذات فواكه وثمار .

القاعدة الثالثة — (تَوَازَا) بضم التاء المشناة فوق وواو مفتوحة بعدها ألف ثم زى معجمة وألف فى الآخر وهى مدينة عظيمة . قال فى "مسالك الأبصار" : وهذه المملكة تقع شرقى كرميان محضا ، وموقعها ما بين جنوبى بركى إلى قوله ، وكسبه تَوَازَا . قال : ولصاحبها أربع قلاع ونحو ستمائة قرية ، وعساكره نحو أربعة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل . وقد عدها فى "مسالك الأبصار" من جملة مضافات كَسْطُمُونِيَّةِ الآتى ذكرها . وذكر أنه كان بها إذ ذاك أميرٌ من قبل صاحبها اسمه (مراد بك) . وذكر فى "التعريف" أن اسمه أرينة .

القاعدة الرابعة — (حميدلى) . قال فى "مسالك الأبصار" وحميدلى اسم للإقليم ، وقاعدته مدينة (بركو) وموقعها من قوله إلى قرصار . قال : ولصاحبها أيضا إقليم بلواج وإقليم قراغاج وإقليم اكرى دوز . قال : وهذه البلاد مدنها قليلة وقراها كثيرة ، وبها خمس عشرة قلعة ، وعسكر صاحبها خمسة عشر ألف فارس ومثلهم رجالة وهى نهاية ما أخذ إلى الشمال وقد ذكر فى "التعريف" : أن صاحبها كان اسمه فى زمانه دندار . قال : وهو أخو يونس صاحب أنطاليا ، وحينئذ فتكون من مملكة بنى الحميد .

القاعدة الخامسة — (قَسْطُمُونِيَّةُ) . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح التاف وسكون السين وبالطاء المهملتين وضم الميم وسكون الواو وكسر النون وبالياء المشناة

من تحت وهاء في الآخر، وربما أبدلوا القاف كافًا، وعليه جرى في "التعريف" و"مسالك الأبصار": وهي مدينة في شرقي هذه البلاد داخلية في حدودها، موقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد: حيث الطول خمس وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ست وأربعون درجة وثمان وأربعون دقيقة. قال: وهي قاعدة التركان، وتراكمتها يغزون (القُسْطَنْطِينِيَّة) وهي شرقي (هَرْقَلَة) وفي الجنوب عن سنوب على ثلاث مراحل منها، وقيل خمس مراحل. وهي في الشرق عن أنكوريه على خمسة أيام منها. وقد أخبرني بعض أهل تلك النواحي أنها مدينة متوسطة المقدار، مبنية بالحجر، ذات مساجد وأسواق وحمامات، وليس عليها سور، وخارجها أنهر وبساتين ذات فواكه. قال في "مسالك الأبصار": وبها الأكاديش الرومية الفاتكة، المفضل بعضها على كل سابق من الخيل العرب، ولها أنساب محفوظة عندهم تكيل العرب، يتغالي في أثمانها لا سيما في بلادها، حتى تبلغ قيمة الواحد منها ألف دينار فما فوقه، بل لا يستكثر فيها من يعرفها بذل مال. قال في "التعريف": وكانت آخر وقت (إسليمان باشاه) وكان أميرًا كبيرًا كثير العدد، مؤفور المدد، ذا هيبة وتمتع، ثم مات

وورث ملكه ابنه (إبراهيم شاه) وكان عاقًا لأبيه، خارجًا عن مراضيه، وكان في حياته يتفرد بمملكة سنوب. قال: وهي الآن داخلية في ملكه، متخرطة في سلكه. قال: وعسكره على ما يقال لنا ويبلغنا نحو ثلاثين ألف فارس.

القاعدة السادسة — (فاويا). قال في "مسالك الأبصار": ومملكتها تجاور سمسون من غربها. قال: ولصاحبها عشر مدن ومثلها قلاع، وعسكره نحو سبعة آلاف فارس أما الرجال فكثر عددهم ودرهمها نصف درهم فضة خالصة، ورطلها

سنة عشر رطلا بالمصرى ، ومدها نحو إردب بالمصرى ، وأسعارها رخيّة وقد ذكر في "التعريف" : أن أسم صاحبها في زمانه (مراد الدين حمزة) . قال : وهو ملك مضعوف ، ورجل يجالس أنسه مشغوف .

القاعدة السابعة — (برسا) بضم الباء الموحدة وسكون الراء وفتح السين المهملتين وألف في الآخر . وربما أبدلت السين صاداً مهملةً . والموجود في "التعريف" و"مسالك الأبصار" وغيرهما إثبات السين دون الصاد . وهى مدينة كبيرة فى شمالى هذه البلاد ، مبنية بالطوب والحجر ، وسقوفها من الخشب ، وغالبها جملونات ، وبها مساجد وأسواق وحمامات ، وبعض حماماتها من أعين حارة تنبع من الأرض كذلك كما فى طبرية بالشام ، ولها سور عظيم ، وبوسطها قلعة شاهقة مرتفعة البناء بها سكن سلطانها ، وفيها قصور عظيمة متعددة ، وجامع وثلاث حمامات .

وخارج ربض المدينة نهران :

أحدهما — يسمى (ككدرآ) بضم الكاف الأولى وسكون الثانية وفتح الدال والراء المهملتين وألف فى الآخر . ومعناه وادٍ أزرق ، سُمى بذلك لأنه يخرج من جبل أزرق ، وتقطع منه الحجارة بشدة جريه ، فتجرى منه بجرىان الماء ، فيأخذها من عليه من أهل تلك النواحي فيعمر بها ، ومعظم عمارة برسا منها .

والنهر الثانى — يسمى (منرباشى) فى قدر الفرات ، يُشَقُّ المدينة ويمرّ فى جامعها ، وبها جبل عظيم اسمه (كمش) به معدن فضة سُمى باسم الفضة .

وبرسا هذه هى مقتر مملكة أولاد (عثمان جق) الذين هم الآن رؤوس ملوك تلك البلاد ، وإليهم انقياد جميعهم على ما سيأتى ذكره فى الكلام على ملوكها . وقد ذكر فى "التعريف" : أن صاحبها فى زمانه كان أرخان بن عثمان . وذكر فى "مسالك

الأبصار“ عن الشيخ حيدر العريان : أن عسكره نحو خمسة وعشرين الفاً ، وأن بينه وبين صاحب القسطنطينية الحروب ، وأيامها بينهم تارات ، له في غالبها على صاحب القسطنطينية الغلب ، وملك الروم يُداريه على مال ، يحمله إليه في كل هلال . قال : ولقد جاز الجزيرة إلى بلاد النصاري وعاث في نواحيها ، وشد على بطارقتها لاعلى فلاحها ، وألقى علوجها بحيث تغتلع سيول الدماء ، وتختلع سيوف النصير من الأعداء ، وسيأتي ذكر ما انتهى إليه فتحه من بر القسطنطينية بعد هذا في الكلام على ملوك هذه المملكة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

القاعدة الثامنة — (أكيرا) . قال في ”مسالك الأبصار“ : وهي تجاور مملكة برسا آخذة إلى الشمال وجبل القسيس جنوبها وسنوب شمالها وهي طريق من طرق سنوب وقلاعها وعساكرها كثيرة . ومنها يخرج الحرير الكثير واللاذن إلى غيرها من البلاد ، ورطلها ثمانية أرتال بالمصرى ، ومدها نحو إردب ونصف وأسعارها رخيصة وقد ذكر في ”التعريف“ : أن صاحبها في زمانه كان (صاروخان بن قرآسى) ولم يبين من أى طوائف التركمان هو .

القاعدة التاسعة — (مرمرا) بفتح الميم وسكون الراء المهملة وفتح الميم الثانية والراء المهملة الثانية وألف في الآخر . وهي مدينة في شمالي هذه البلاد ، بها جبل فيه مقطع رخام . قال في ”الروض المعطار“ : والروم تسمى الرخام مرمرا ، فسميت بذلك . وذكر في ”التعريف“ : أن صاحبها في زمانه كان اسمه (بنخشى بن قرآسى) ولم يبين من أى طوائف التركمان هو . وقد أخبرني بعض أهل تلك البلاد أنها قد خربت ودثرت ، ولم يبق بها عمارة .

القاعدة العاشرة — (مغنيسيا) بفتح الميم وسكون الغين المعجمة وكسر النون وسكون الياء المشناة تحت وكسر السين المهملة وفتح الياء الثانية وألف في الآخر .

وهى مدينة فى أوساط هذه البلاد، متوسطة فى المقدار، مبنية بالحجر، وعليها سور دائر، وبها مساجد وأسواق وحمامات وبساتين ومروج. وقد ذكر فى "التعريف": أنه كان اسم صاحبها فى زمانه (صاروخان) ولم يزد على ذلك.

القاعدة الحادية عشرة — (نَيْف) بكسر النون وسكون الياء المشناة تحت وفاء فى الآخر. وهى مدينة لطيفة بأوساط هذه البلاد، بالقرب من (مَغْنِيَسِيَا) المقدم ذكرها على نحو مرحلتين منها. وهى مبنية بالحجر، وبها المساجد والأسواق والحمامات وخارجها الأنهار والزروع والبساتين المختلفة الفواكه.

القاعدة الثانية عشرة — (بَرَكِي) بفتح الباء الموحدة وكسر الراء المهملة وكسر الكاف وياء مشناة تحت فى الآخر. وهى مدينة متوسطة القدر على القرب من نيف المقدم ذكرها على نحو مرحلتين منها؛ وبها المساجد والأسواق والحمامات والمياه والبساتين والزروع.

القاعدة الثالثة عشرة — (فُوكِه) . وقد ذكر فى "التعريف": أن صاحبها فى زمانه كان اسمه (أرخان بن منتشا) واقتصر على ذلك.

القاعدة الرابعة عشرة — (أَنْطَالِيَا) . قال فى "تقويم البلدان": بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الطاء المهملة وألف ولام مكسورة وهاء فى الآخر. وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة. قال فى "تقويم البلدان": والقياس أنها حيث الطول أربع وخمسون درجةً وأثنان وثلاثون دقيقةً، والعرض إحدى وأربعون درجةً وأربعون دقيقةً. قال ابن سعيد: وهى بلدة مشهورة. وقال ابن حوقل: هى حصن [للروم على شط البحر منيع واسع الرستاق كثير الأهل] ^(٢). قال

(١) الذى فى التقويم وألف فى الآخر.

(٢) الزيادة عن التقويم.

في "تقويم البلدان" : وهي على دَخْلَةٍ في البحر، وسورها من حجر في غاية الحصانة، ولها بابان : بابٌ إلى البحر، وبابٌ إلى البر . وأخبرني من رآها أنها ذاتُ أشجار وبساتين ومياهٍ تجري ، وبها قلعة حصينة بوسطها ، وبها نهر يُعرف بالصَّبَاب . قال في "تقويم البلدان" : وهي كثيرة المحمضات : من الأُتْرَج، والنَّارَنْج، والليمون، وما أشبه ذلك . قال ابن سعيد : وكانت للروم فاستولى عليها المسلمون في عصرنا . قال : وبها أسطول صاحب الدُّروب، ومينأها غيرُ مأمونةٍ في الأنواء . قال في "تقويم البلدان" : وكان الحاكم بها شخصاً من أهل تلك البلاد فخرج منها إلى بعض جهاتها، فكبسها التُّركمان وملكوها ثم أمسكوه فقتلوه . قال : وصاحبها في زماننا واحد من بني الحميد ملوك التُّركمان . وقد ذكر في "التعريف" : أن صاحبها في زمانه كان اسمه (خَضِر بن يُونُس) . وذكر في "مسالك الأبصار" : أن صاحبها في زمانه كان اسمه (خَضِر بن دندار) من أولاد (منتشا) . وقال : إن عسكره نحو أربعين ألف فارس . ثم قال : إن لبني دندار هؤلاء إلى ملوك مصر آتباءً ، وكان بمصر منهم من له إمرةٌ ثم عاد إلى بلاده .

القاعدة الخامسة عشرة — (قَرَاصار) بفتح القاف والراء المهملة وألف ثم صاد مهملة مفتوحة بعدها ألف ثم راء مهملة في الآخر . وتُعرف بقراصار التَّكا بفتح التاء المثناة فوق . وهي قلعة على جبل مرتفع يحفُّ بها ربَضُ الجبل ، وحول الرِّبَض في الجبل زراعتهم وبساتينهم . وقد ذكر في "التعريف" : أن اسم صاحبها في زمانه (زكريا) ولم يزد على ذلك . وهي غير مدينة قَرَاصار الصاحب . وهي مدينة لطيفة بأوساط بلاد الروم في الغرب عن قَرَاصار هذه وفي الشمال عن أنطاليا .

القاعدة السادسة عشرة — (أَرْمَنَّاك) بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وكسر الميم وفتح النون وألف ثم كاف في الآخر . وهي مدينة في مَشارِق الروم، مبنية

بالحجر غير مسورة ؛ وبها مساجد واسواق وحمّات ؛ وبها بساتين كثيرة وفواكه
بحّة إلا أنها شديدة البرد . وقد ذكر في " التعريف " : أنها بيد أولاد قرمان .
وذكر في " مسالك الأبصار " : أن الملكة كانت بيد (محمد بن قرمان) . وذكر
في " التثقيف " : أن آخر من استقر بها في شوال سنة سبع وستين وسبعائة
(علاء الدين على بك) بن قرمان .



وأما ما زاد ذكره في " التثقيف " : فخمس قواعد :

القاعدة الأولى - (العَلَايَا) بفتح العين المهملة واللام وألف بعدها ثم ياء
مشناة تحت وألف في الآخر . وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة .
قال في " تقويم البلدان " : والقياس أنها حيث الطول اثنتان وخمسون درجة ،
والعرض تسع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال : وهي بلدة محدثة أنشأها
(علاء الدين على) بعض ملوك بني سلجوق بالروم فنُسبت إليه . وقيل لها (العَلَايَا)
على النسب ، ثم خففها الناس ، فقالوا : (العَلَايَا) ثم قال : والذي تحقق عندي
من جماعة قدموا منها أنها بليدة صغيرة أصغر من أنطاليا على دخلة في بحر الروم .
وهي من فرض تلك البلاد . وذكر أنها في الجنوب عن أنطاليا على مسيرة يومين ،
وعليها سور دائر ، وأنها كثيرة المياه والبساتين . وقد ذكر في " التثقيف " : أن الحاكم
بها في زمانه كان اسمه (حسام الدين محمود) بن علاء الدين . وقال : إنه كتب إليه
عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية في شوال سنة سبع وستين وسبعائة ، ولم يبين
من أي طوائف التتركان هو . وذكر في " مسالك الأبصار " : أنها في ساحل بلاد
بنى قرمان ، وأن الحاكم بها من قبلهم حينئذ كان اسمه (يوسف) .

القاعدة الثانية — (بَلَّاط) بفتح الباء الموحدة واللام وألف ثم طاء مهملة في الآخر . وهي بلدة بأوساط الروم على نحو ثمانٍ مراحلٍ من بُرسَا ، وهي مدينة صغيرة بغير سور ، وبها قلعةٌ خرابٌ كانت مبنيةً بالرخام ، وبها مساجدٌ وأسواقٌ وأربعُ حَمَّاماتٍ . ذكر لي بعضُ أهل تلك البلاد أنها بيد أولاد (منتشا) من ملوك التُّركان .

القاعدة الثالثة — (أَكْرَدُور) بفتح الهمزة والكاف وسكون الراء وضم الدال المهملتين وسكون الواو وراء مهملة في الآخر . قال في "التثقيف" : ويقال أكردون بالنون بدل الراء الأخيرة . وهي بلدة غير مسورة بها قلعة عظيمة على جبل شاهق ، وبها مساجدٌ وأسواقٌ وحَمَّاماتٌ ، إلا أن بسايتينها قليلة ، وبها بُرجٌ عظيم .

القاعدة الرابعة — (أَيَّاسُ لُوقُ) بفتح الهمزة والياء المشناة تحت وألف ثم سين مهملة ساكنة ولام مضمومة بعدها واو ساكنة ثم قاف في الآخر . وهي مدينة عظيمة على ساحل البحر الرومي ، بها المساجد والأسواق والحَمَّامات ، وبها أعينٌ وأنهارٌ تجري وبسايتين ذاتُ فواكه . وقد أخبرني بعض أهل تلك البلاد أنها في ملك بني أيدين .

القاعدة الخامسة — (سُنُوب) . قال في "تقويم البُلدان" : بالسین المهملة والنون والواو وباء موحدة في الآخر ولم يقيدها بالضبط . وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيثُ الطول سبع وخمسون درجة ، والعرض ست وأربعون درجةً وأربعون دقيقة . قال في "تقويم البُلدان" : وهي فُرْضة مشهورة (يعنى على بحر القيرم) . ثم قال : وهي في الشمال عن كَسْطُمُونِيَّة وفي الغرب عن سَامْسُون . قال : وعن بعض الثقات أن بسنوب سُورًا حصينًا ، يضربُ البحرُ في بعض أبراجه . ولها بسايتين كثيرٌ إلى الغاية ، وبينها وبين سَامْسُون نحو

(١) أربع مراحِل . ثم قال : وصاحب سنوب في زماننا من ولد البرواناه ، وله شوان يغزوها في البحر ولا يكاد أن ينقهر . وذكر في "مسالك الأبصار" : أنها من مضافات كَسْطُمُونِيَّة المقدم ذكرها ، وأنه كان بها في زمانه نائب من جهة (إبراهيم ابن سليمان باشاه) صاحب كَسْطُمُونِيَّة اسمه غازي چايي . وقال في "التثيف" : يقال إن بها إبراهيم بك بن سليمان باشاه ، فإن كان يريد الذي كان في زمن صاحب "مسالك الأبصار" : بكَسْطُمُونِيَّة ، فقد أبعد المرمى . وإن كان آخر بعده كان سُمِّي باسمه ، فيحتمل أنه في "التعريف" قد ذكر صاحبها في جملة ملوك الكُفَر وكان ذلك كان قبل أن تُفتح .

الضرب الثاني

(من هذه البلاد ما لم يَسْبِقْ إلى صاحبه مكاتبه
عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية ، ممن هو بصدد أن تطرأ له
مكاتبه ، فيحتاج إلى معرفته)

وهي عدة قواعِد :

منها (سيواس) . قال في "تقويم البلدان" : بكسر السين المهملة وسكون الياء المشناة تحت وفتح الواو ثم ألف وسين مهملة في الآخر . وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول إحدى وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض أربعون درجة وعشر دقائق . قال ابن سعيد : وهي من أممات البلاد مشهورة على ألسنة التجار ، وهي في بَسِيط من الأرض . قال في "تقويم البلدان" : وهي بلدة كبيرة مسورة ، وبها قلعة صغيرة ذات أعين ، والشجر

(١) في التقويم سامسون ، والصواب ما هنا .

بها قليل، ونهرها الكبير بعيدٌ عنها بمقدار نصف فرسخ . قال : ويقول المسافرون :
إن فيها [أربعاً^(١)] وعشرين خاناً للسبيل ، وهي شديدة البرد ، وبينها وبين قيسارية
ستون ميلاً ، وكانت سيواس هذه قد غلب عليها في الأيام الظاهرية « برقوق »
صاحب الديار المصرية قاضياً (القاضي إبراهيم) وملكها .

ومنها (أماسية) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الهمزة والميم وألف وكسر
السين المهملة ثم ياء مشناة تحتية مفتوحة وهاء في الآخر . وموقعها في الإقليم الخامس
من الأقاليم السبعة قال في "رسم المعمور" : حيث الطول سبع وخمسون درجة
وثلاثون دقيقة ، والعرض خمس وأربعون درجة . قال في "تقويم البلدان" : ذكر
بعض من رآها أنها بلدة كبيرة ذات سور وقلعة ، وفيها بساتين ونهر كبير عليه
نواعير ، يمر عليها ثم يصب في بحر سنوب يعني بحر القرم . قال ابن سعيد :
وهي من مدن الحكماء ، وهي مشهورة بالحسن وكثرة المياه والبساتين والكروم ، وهي
في الشرق عن سنوب وبينهما ستة أيام . ثم قال : وذكر بعض من رآها أن بها
معدن فضة .

ومنها (هرقلة) . قال في "تقويم البلدان" : بكسر الهاء وفتح الراء المهملة
وسكون القاف وفتح اللام ثم هاء في الآخر . وموقعها في الإقليم السابع من الأقاليم
السبعة قال في "الأطوال" : حيث الطول سبع وخمسون درجة وعشرون دقيقة ،
والعرض إحدى وأربعون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن سعيد : وهي في شرقي
نهر ينزل من جبل العالاي إلى نحو سنوب وهرقلة عليه في قرب البحر . قال :
وهي التي هدمها الرشيد . قال : وفي شرقيها جبل الكهف .

(١) الزيادة عن التقويم .

وقد حكى ابن خردادبة في كتابه "المسالك والممالك" عن بعضهم أنه سار إلى هذا الكهف ودخل بمساعدة صاحب الروم فوجد به أمواتاً برواق في كهف في جبل عليهم مسوح قد طال عليها الزمن حتى صارت تتفرك باليد ، وقد طليت أجسادهم بالمرّ والصبر فلم يبلوا ، ولصقت جلودهم بعظامهم ، وجفت ، وعندهم سادنٌ يخدمهم ، وأنه أنكر أن يكون أولئك هم أهل الكهف المذكورون في القرآن ، للاختلاف في محل الكهف هل هو في هذه البلاد أو غيرها .

ومنها (أَقَسْرَا) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الهمزة وسكون القاف وفتح السين والراء المهملتين وألف في الآخر، وربما أبدلت السين صاداً مهملة . قال : ويقال إن أصلها (أَخْ سَرَا) يعني بالخاء المعجمة بدل القاف . وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيثُ الطولُ خمس وسبعون درجةً ، والعرضُ أربعون درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي مدينة ذاتُ أشجار وفواكه ، ولها نهر كبير ينجرُّ وسط البلد ويدخل الماء منه بعض بيوتها ، ولها قلعة حصينة في وسطها . قال ابن سعيد : وبها تعمل البُسْطُ الأَقْصَرِيَّةُ الفائقة ، ومنها إلى قُونِيَّة ثمانية وأربعون فرسخاً ، وكذلك بينها وبين قَيْسَارِيَّة .

ومنها (قَيْسَارِيَّة) . قال في "اللباب" : بفتح القاف وسكون المثناة من تحتها وفتح السين المهملة وألف ثم راء مهملة وياء مثناة تحتية مفتوحة مشددة وهاء في الآخر قال في "تقويم البلدان" : وتقال بالصاد المهملة بدل السين . قال ابن سعيد : وهي منسوبة إلى قَيْسَرٍ ، وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيثُ الطولُ ستون درجة والعرضُ أربعون درجة . قال ابن سعيد : وهي مدينة جليلة يحلُّها سلطان البلاد . قال في "تقويم البلدان" : وهي بلدة كبيرة

ذاتُ أشجار وبساتين ونواكٍ وعيون تدخلُ إليها . وداخلها قلعةٌ حصينة ،
وبها دارُ للسلطنة .

وقيساريةُ هذه كان بها تختُ السلطنة لبني سلجوق بهذه البلاد . ولما ملك التترُ
هذه البلاد بقوا ببقاياهم في المُلْك إلى أن دخلها السلطانُ الملك (الظاهر بيبرس)
صاحبُ الديار المصرية ، وجلس على تخت آل سلجوق بها ، ثم عاد إلى الديار
المصرية فزال مُلْك السلجوقيَّة منها من حينئذ ، على ما سيأتى ذكره في الكلام على
ملوك هذه البلاد .

ومنها (قونية) . قال في " تقويم البلدان " : بضم القاف وسكون الواو وكسر
النون وبعدها ياء مشناة من تحت مفتوحة وهاء في الآخر . وموقعها في الإقليم الخامس
من الأقاليم السبعة قال في " الأطوال " : حيثُ الطول ستُّ وخمسون درجة ،
والعرض تسعٌ وثلاثون درجة . قال ابن سعيد : وهي مدينةٌ مشهورة ، وبها دار
للسلطنة ، والجبال مُطيفةٌ بها من كل جانب ، وتبعدُ عنها من جهة الشمال . وينزل
من الجبل الجنوبي منها نهرٌ يدخلُ إليها من غربيها ، وبها البساتينُ من جهة الجبل
على نحو ستة فراسخ ، ونهرها يسقى بساتينها ، ثم يصير بحيرةً ومروجاً ، وبها الفواكهُ
الكثيرة ، وفيها يُوجدُ المشمشُ المعروف بتمر الدين ، وهي ثاني قاعدةٍ مملكة
السلجوقيَّة ببلاد الروم ، كان الملك ينتقل منها إلى قيسارية ، ومن قيسارية إليها .
قال ابن سعيد [وبتلعتها تربة ^(١)] أفلاطون الحكيم .

ومنها (أقي شهر) بفتح الهمزة ثم قاف ساكنة وشين معجمة مفتوحة وهاء
ساكنة وراء مهملة في الآخر ، كما في " تقويم البلدان " : عمن يُوثق به من

(١) بياض بالأصل والتصحيح عن تقويم البلدان .

أهل المعرفة ، وربما أبدلوا الهاء ألفا فقالوا (أقشار) . وفي كتاب " الأطوال " :
(أخ شهر) بابدال القاف خاء معجمة . وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم
السبعة ، قال في " الأطوال " : حيثُ الطولُ خمس وخمسون درجةً ، والعرضُ
إحدى وأربعون درجةً . قال ابن سعيد : وهي من أتره البلدان ، وبها بساتين
كثيرة وفواكه مفضلة . قال في " تقويم البلدان " : وأخبرني من رآها أنها على
ثلاثة أيام من قونية شمالاً بغرب .

ومنها (عمورية) . قال في " تقويم البلدان " : بفتح العين المهملة وميم مشددة
مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة مكسورة ثم ياء مشناة من تحت مفتوحة وهاء
في الآخر . قال : وهي بلدة كبيرة ، ولها قلعة داخلها حصينة ، وأكثر ساكنيها
التركان وبها بساتين قليلة ، ولها نهر وأعينٌ جارية ، وهي التي فتحها « المعتصم
ابن الرشيد » : أحد خلفاء بني العباس ، وكان المنجمون قد زعموا أنها لا تفتح
إلا في زمان التين والعنب ، فلما فتحها أشده أبو تمام قصيدته التي أولها :

السيفُ أصدقُ إنباءٍ من الكتبِ * في حدِّه الحدُّ بين الحدِّ واللَّعبِ !

ومنها (أنكورية) . قال في " تقويم البلدان " : بفتح الهمزة وسكون النون وضم
الكاف وسكون الواو وكسر الراء المهملة ثم ياء مشناة تحتية مكسورة وهاء في الآخر .
ويقال لها (أنقرة) أيضا بفتح الهمزة وسكون النون ثم قاف وراء مهملة وهاء
في الآخر . وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " :
حيثُ الطولُ أربع وخمسون درجةً ، والعرضُ إحدى وأربعون درجةً . قال ابن

(١) كذا في التقويم أيضا مضببا عليه بعلامة التوقف ولعله مصحف عن مفتوحة ونظائرهما كثيرة مثل
أرمينية وعمورية وانطاكية الخ .

سعيد : وهي بلدة لها قلعة على تل عالٍ ، وهي بين الجبال ، وليس بها بساتين ولا ماء ، وشرب أهلها من الآبار ، وهي عن قسطنطينية في جهة الغرب على خمسة أيام .

ومنها (فلك بار) . قال في "تقويم البلدان" : الفلك معروف ، وبار بباء موحدة وألف وراء مهملة في آخرها . قال : وهي مدينة أنشأها ملك من ملوك بني الحميد اسمه (فلك الدين) وهي في مستوي من الأرض في وسط الجبال على قريب من منتصف الطريق بين قونية والعلايا ، في الغرب من قونية على مسيرة خمسة أيام ، وهي في الشرق عن أنطاليا على مسيرة خمسة أيام . قال : وليس في تلك الجبال الآن مدينة أكبر منها ، وقد صارت قاعدة لبني الحميد : ملوك التركان بتلك الناحية .

ومنها (لارندة) . قال في "تقويم البلدان" : بلام وألف وراء مهملة مفتوحة ونون ساكنة ثم دال مهملة وهاء في الآخر . قال : وهي قريبة من قونية على مسافة يوم من الشرق والشمال ، حيث الطول سبع وخمسون درجة ، والعرض أربعون درجة وثلاثون دقيقة .

وقد تقدم في الكلام على مملكة الشام من مضافات الديار المصرية أن مدينة ملطية دخلت في مملكة مصر ومضافاتها فصارت في معاملة حلب .

والعلم انه قد تقدم أن خليج القسطنطينية وما اتصل به من بحر نيطش - المعروف ببحر البيرم - يطيف بهذه البلاد من غربيها وشماليها ، وعلى ساحل هذا البحر عدة قرى منتظمة في سلك هذه البلاد قد ذكرها في "تقويم البلدان" في الكلام على مملكة أرمينية وماعها ، وأشار إليها في الكلام على هذا البحر عند ذكره له في جملة البحار على ما تقدمت الإشارة إليه في الكلام على البحار في أول هذه المقالة ، غالبها في مملكة ابن عثمان صاحب برسا .

أولها (الجرون) . وهي قلعة خراب عند فم الخليج القسطنطيني من الجهة الشمالية مقابل القسطنطينية ، حيثُ الطول خمسون درجة ، والعرضُ خمس وأربعون درجة وعشر دقائق .

ويليها من جهة الشمال بميلة إلى الشرق مدينة أسمها (كري) بكاف وراء مهملة ثم باء موحدة وياء مشناة تحت في الآخر .

ويليها في الشرق مدينة أسمها (بنتر) بباء موحدة ونون وتاء مشناة فوق وراء مهملة . ويليها في الشرق والشمال بلدة أسمها (سامصري) بسين مهملة وألف ثم ميم وصاد وراء مهملتين وألف في الآخر .

ويليها في الشرق أيضا مدينة أسمها (كترو) بكاف وتاء مشناة من فوق ثم راء وواو في الآخر وهي آخر أعمال قسطنطينية .

ويليها في الشرق مدينة أسمها (كينولي) بكسر الكاف وسكون المشناة التحتية وضم النون وسكون الواو وكسر اللام وياء مشناة من تحت في الآخر .

ويليها في جهة الغرب (فرضة سنوب) المقدم ذكرها في الكلام على ما زاده في "التتيف" .

ويليها من جهة الشرق مدينة (سامسون) المقدم ذكرها في الكلام على الضرب الثاني من هذه البلاد .

ويليها في جهة الشرق أيضا مدينة (أطرازون) بألف وطاء وراء مهملتين وباء موحدة بعدها زاي معجمة ثم واو ونون . وهي آخر مدن هذه البلاد على الساحل ، ومنها ينتهي إلى ساحل بلاد الكرج على ما تقدم الكلام عليه في الكلام على بحر نيطش .

الجملة الثانية

(في ذكر الموجود بهذه البلاد)

قد ذكر في "مسالك الأبصار" عن الشيخ حيدر العريان الرومي : أن بها من المواشي الخيل ، والبقر ، والغنم مالا يقع عليه عدد ولا يدخل تحت الإحصاء ، ويتاج بلادهم من الخيل هي البراذين الرومية الفائقة . وقد تقدم الكلام على القسطنطينيات منها في الكلام على قسطنطينية ، ويحلب إليهم العربيات من بلاد الشام وغيرها ، وأكثر مواشيهم نتاجا الغنم . قال في "مسالك الأبصار" : وهي مما ينسبط فرش الأرض [منها] . قال : ومنها المعز المرعزي ، ذوات الأوبار المضاهية لأنعم الحرير . ثم قال : وغالب قنية أهل الشام وديار بكر والعراق وبلاد العجم وذبايحهم مما يفضل عنها ويحلب إليها منها ، وهي أطيب أغنام البلاد لحما ، وأشهاها شحما ، ويترتب على ذلك في كثرة الوجود الألبان وما يتحصل عنها من السمن والجبن وغير ذلك . وبها من الحبوب القمح ، والشعير ، والباقل ونحوها ، ويزرع بها الكتان ، والقطن الكثير ، وبها من الفواكه كل ما يوجد بمصر والشام من التفاح ، والسفرجل ، والكمثرى ، والقراصيا ، والإجاص ، والرمان : الحلو والمز والحامض ، وغير ذلك . أما الحمضيات فلا توجد إلا ببلاد السواحل من بلادهم على ما تقدم ذكره ، والموز والنخيل لا يوجد ببلادهم ، وبها من العسل ما يضاهي الثلج بياضا والسكر لذادة وطعما ، لاحدة فيه ولا إفراط حلاوة تُوقف الأكل عنه ، إلى غير ذلك من الأشياء التي يطول ذكرها . وقد تقدم أن بها معدن فضة بمدينة برسا ، ومعدن فضة بأماسية . وذكر في "مسالك الأبصار" عن الشيخ حيدر العريان أن بها ثلاثة معادن فضة مستمرة العمل : معدن بمدينة ركوة ، ومعدن بمدينة كش ، ومعدن بأراضي مدينة تانرت .

الجملة الثالثة

(في معاملاتها وأسعارها)

أما معاملاتها، فقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن الشيخ حيدر العريان أن لملوك التتركان هؤلاء نقودا ولكن لا يروج نقد واحد منهم في بلاد الآخر. قال : ودرهمهم في الغالب تقدير نصف وربع درهم من نقد مصر، وأرطالهم مختلفة، وأكثرها بالتقريب زنة اثني عشر رطلا بالمصرية، وأقلها ثمانية أرطال، ويكيلهم الذي تباع به الغلات يسمى الوط تقدير إردب ونصف بالمصرية .

وأما أسعارها، فقد ذكر أنها رخيصة الأعمار للغاية لقلّة المكوس وكثرة المراعى وأنساع أسباب التجارة وأكثرها البحر لها من كل جانب بحيث يحمل إليها على ظهره كل شيء مما لا يوجد فيها . قال : وقيمة الغلات بها دون قيمتها بمصر والشام أو مثلهما في الغالب . والأغنام في غاية الرخص، حتى إن الرأس الغنم الجيد لا يجاوز اثني عشر درهما من درهمهم، يكون بنحو تسعة دراهم من دراهم مصر إلى ما دون ذلك، ويترتب على ذلك رخص اللحم . أما اللبن وما يعمل منه فإنه لا يكاد يوجد من يشتريه : لاستغناء كل أحد بما عنده من لبن مواشيه ، لا سيما في زمن الربيع . قال : والعسل لا يتجاوز الرطل منه ثلاثة دراهم برطلهم ودرهمهم ، وهو (ذلك الرطل الكبير والدرهم الصغير) والفواكه في أوانها في حكم اللبن وما في معناه في زمن الربيع ، في عدم وجود من يشتريه . ثم قال : وبالجملة فبلاد الروم إذا غلت وأحطت كانت كسعر الشام إذا أقبل وأرخص .

الجملة الرابعة

(في ذكر مَنْ ملك هذه البلاد)

قد ذكر ابن سعيد : أن هذه البلاد كانت بيد اليونان ، وهم بنو يونان بن علجان ابن يافت بن نوح عليه السلام من جملة ما بيدهم قبل أن يغلب عليهم الروم ؛ ثم غلب عليها الروم بعد ذلك فيما غلبوهم عليه ، واستمرت بأيديهم في مملكة صاحب القسطنطينية على ما سيأتي ذكره في الكلام على مملكة القسطنطينية فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وكان كل مَنْ ملك هذه البلاد التي شرقيّ الخليج القسطنطيني يسمى (الدستق) بضم الدال المهملة وفتح الميم وسكون السين المهملة والتاء المثناة فوق وقاف في الآخر، وله ذكر في حروب الإسلام . قال في "العبر" : وكان تغور المسلمين حينئذ من جهة الشام (ملطية) ومن جهة أذربيجان (أرمينية) إلى أن دخل بعض قرابة (طغرل بك) أحد ملوك السلجوقية في عسكر إلى بلاد الروم هذه فلم يظفروا منها بشيء .

ثم دخلها بعد ذلك (ممانى) أحد أمراءهم بعد الثلاثين وأربعائة ، ففتح وغنم وأتتهى في بلادهم حتى صار من القسطنطينية على خمس عشرة مرحلة ، وبلغ سببه مائة ألف رأس ، والغنائم عشرة آلاف عجلة ، والظهر مالا يُحصى .

ثم فتح (قطامش) بن إسرائيل بن ساجوق قونية ، وأقصر ، وأعمالها ، ثم وقعت الفتنة بين قطامش وبين (ألب أرسلان) السلجوقي بعد طغرل بك ، وقُتل قطامش في حربه في سنة ست وخمسين وأربعائة .

وملك البلاد من بعده (أبنة سليمان) ثم كان بين سليمان ومسلم بن قريش صاحب الشام حروبٌ أنهزم سليمان في بعضها وطعن نفسه بخنجر فمات في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة .

وملك بعده أبنة (قليج أرسلان) تلك البلاد ، ثم قُتل قليج أرسلان في بعض الوقائع .

وولي مكانه بقونية وأقصرًا وسائر بلاد الروم أبنة (مسعود) وأستقام له ملكها ، ثم توفى مسعود بن قليج أرسلان سنة إحدى وخمسين وخمسمائة .

وملك بعده أبنة (قليج أرسلان) .

ثم قسم قليج أرسلان المذكور هذه البلاد بين أولاده : فأعطى قونية وأعمالها لأبنة (غياث الدين كيخسرو) وأقصرًا وسيواس لأبنة (قطب الدين) ودوفاط لأبنة (ركن الدين سليمان) وأنكورية لأبنة (محي الدين) وملطية لأبنة (عز الدين قيصر شاه) والبلستين لأبنة (غياث الدين) وقيسارية لأبنة (نور الدين محمود) وأعطى أماسية لابن أخيه . ثم ندم على هذه القسمة ، وأراد أنتراع الأعمال من أولاده فخرجوا عن طاعته إلا أبنة غياث الدين كيخسرو صاحب قونية فإنه بقي معه . وحاصر أبنة محمودا في قيسارية فتوفى وهو محاصر لها في منتصف شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة .

وأستقل (غياث الدين كيخسرو) بقونية وما والاها .

ثم ملكها من يده أخوه (نور الدين محمود) .

ثم ملك (قطب الدين) صاحب أقصرًا وسيواس قيسارية من يد أخيه محمود غدرا ، ثم مات قطب الدين في أثر ذلك .

فملك أخوه (ركن الدين سليمان) صاحب دُوقاط ما كان بيد أخيه قطب الدين من سيواس وأقصرًا وقيسارية . ثم ملك قونية بعد ذلك من يد أخيه غياث الدين . ثم ملك أماسية ، ثم سار إلى ملطية ، فملكها من يد عز الدين قيصر شاه سنة سبع وتسعين وخمسة . ثم ملك أنكورية بعد ذلك في سنة إحدى وستمئة ، واجتمع لركن الدين سليمان سائر أعمال إخوته وتوفي عقب ذلك .

وتولى بعده ابنه (قليج أرسلان) فأقام يسيرا ثم قبض عليه أهل قونية وملكوا عمه غياث الدين كيخسرو مكانه فقوى ملكه وعظم شأنه ، وبقي حتى قُتل في حرب صاحب القسطنطينية سنة سبع وستمئة .

وملك بعده ابنه (كيكاوس) وتلقب الغالب بالله ، وبقي حتى مات سنة ست عشرة وستمئة ، وخلف بنين صغارًا .

وملك بعده أخوه (علاء الدين كيقيباد محمد شاه) وبقي حتى توفي سنة أربع وثلاثين وستمئة .

وملك بعده ابنه (غياث الدين كيخسرو) وتوفي سنة أربع وخمسين وستمئة .
وملك بعده ابنه (علاء الدين كيقيباد) بعهد من أبيه . وفي أيامه أرسل القان (منكوقان بن جنكزخان) صاحب التخت بقراقوم عسكرا فاستولوا على قيسارية ومسيرة شهر معها ورجعوا إلى بلادهم . ثم عادوا في سنة خمس وخمسين وستمئة واستولوا على ما كانوا استولوا عليه أولا وزادوا عليه ، فسار علاء الدين كيقيباد إلى القان بهدايا استصحبها معه مصانعًا له فمات في طريقه ، فوصل رفقة بمهم من الهدايا إلى القان ، فأخبروه الخبر ، ورغبوا إليه في ولاية (عز الدين كيكاوس) أنحى كيقيباد المذكور فكتب القان إليه بالولاية ، ثم أشرك بعد ذلك بينه وبين أخيه

(ركن الدين قليج أرسلان) على أن يكون من سيواس إلى تُخوم القسطنطينية غربا لعز الدين كيكافوس . ومن سيواس إلى أرزن الروم شرقا متصلا ببلاد التتر ، لركن الدين قليج أرسلان ، على إتاقوة تُحمّل إلى القان بقراقوم ، وجهاز القان من أمراءه أميراً اسمه (بيدو) على أن يكون شحنة له ببلاد الروم ، لا ينفذون في شيء إلا عن رأيه ، ورجعوا إلى بلادهم ، وقد حملوا معهم جثة كيكافاد إلى قونية فدفنوه بها . ولم يزل الأمر على ذلك حتى سار هولاء كو بن طولى بن جنكرخان بعد استيلائه على بغداد إلى الشام في سنة ثمان وخمسين وستائة ، بعث إلى عز الدين كيكافوس ، وركن الدين قليج أرسلان المذكورين بالطلب ، فحضرأ إليه وحضرأ معه فتح حلب ، ومعهما معين الدين سليمان البرواناه صاحب دقليم ، فاخترأ هولاء كو أن يكون البرواناه المذكور سفيراً بينه وبينهما ، ثم هلك بيدو الشحنة ببلاد الروم .

وولى بعده ابنه (صمغان) ثم غلب ركن الدين قليج أرسلان على أخيه (عز الدين كيكافوس) وبقي في الملك وحده ، وفتر كيكافوس إلى (ميخائيل اللشكري) صاحب القسطنطينية ، فأقام عنده حتى بلغه عنه ما غير خاطره عليه فقبض عليه وأعتقله حتى مات .

وأستبد ركن الدين قليج أرسلان بسائر بلاد الروم ، فغلب على أمره معين الدين سليمان البرواناه المقدم ذكره ، ولم يزل حتى قتله .

وأقام ابنه (غياث الدين كيخسرو) بن قليج أرسلان مكانه وأستولى عليه وحجره ، وصار البرواناه هو المستولى على بلاد الروم والقائم بملكها .

ثم دخل (الظاهر بيبرس) صاحب الديار المصرية إلى بلاد الروم في سنة خمس وسبعين وستائة ، ولقيه صمغان بن بيدو الشحنة من جهة التتار على بلاد الروم

في جيش التتر، فهزمهم وقتل وأسّر، وسار إلى قيسارية فملكها وجلس على تخت آل سلاجوق بها، ثم رجع إلى بلاده .

وبلغ ذلك (أبغا) بن هولاكو صاحب إيران، فسار في جموعه إلى قيسارية ورأى مصارع قومه فشق عليه، وآتهم البرواناه في مملأة الظاهر، فقبض عليه وقتله .

وأستقل (غياث الدين كيخسرو) بن ركن الدين قليج أرسلان بالملك بعده .

ثم لما ولي (أرغون) بن أبغا مملكة إيران بعد أبيه، قبض على غياث الدين كيخسرو وقتله في سنة إحدى وثمانين وستمائة .

وأقام مكانه (مسعودا) ابن عمه كيكائوس، وعزل صفغان بن بيدو الشحنة . وولى مكانه أميرا اسمه (أولاكو) وبقى مسعود بن كيخسرو في الملك وليس له منه سوى الأسم، والمتحدث هو الشحنة الذي من جهة التتر إلى أن مات في سنة ثمان عشرة وسبعائة، وأستقل الشحنة بالمملكة . وبقى أمراء التتر يتغالبون على الشحنة واحدة بعد واحد إلى أن كان منهم الأمير (سلامش) وبقي بها مدة . ثم انحرف عن طاعة بيت هولاكو صاحب إيران، وكتب إلى الملك المنصور لاجين صاحب الديار المصرية يطلب تقليدا بأن يكون حاكما بجميع بلاد الروم، وأن يكون (أولاد قرمان) ومن عداهم في طاعته، فكتب له تقليد بذلك بإنشاء الشيخ شهاب الدين «محمود الحلبي» على ماسياتي ذكره في الكلام على التقاليد فيما بعد إن شاء الله تعالى في المقالة الخامسة .

ثم خاف على نفسه من (غازان) صاحب إيران، ففر إلى الديار المصرية في الدولة المنصورية لاجين، ثم عاد إلى بلاد الروم لإحضار من تأخر من أهله فقبضت عليه

عساكر غازان وحملته إليه فقتله . ولم يزل أمرهم على التنقل من أمير إلى أمير من أمراء التتر إلى أن كان منهم الأمير (برغلي) وهو الذي قتل هيتوم ملك الأرمن صاحب سيس . ثم كان بعده في سنة عشرين وسبعمئة الأمير (إتشبغا) .

ثم ولّى أبو سعيد صاحب إيران بعد ذلك على بلاد الروم هذه (دمرداش) ابن جوبان سنة ثلاث وعشرين وسبعمئة فقوى بها ملكه . ثم قتل أبو سعيد جوبان والد دمرداش المذكور ، فهرب دمرداش إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية . وكان سُنقر الأشقر أحد أمراء الملك الناصر قد هرب إلى السلطان أبي سعيد فوقع الصلح بين السلطانين على أن كلا منهما يقتل الذي عنده ففعل ذلك .

وكان قد بقي ببلاد الروم أمير من أمراء دمرداش اسمه (أرتنا) فبعث إلى أبي سعيد بطاعته ، فولاه البلاد فملكها ، فنزل سيواس وأخذها كرسيا لملكه ، ثم خرج عن طاعة أبي سعيد وكتب إلى الناصر «محمد بن قلاوون» صاحب الديار المصرية ، وسأله كتابة تقليد بالبلاد ، فكتب إليه بذلك وجّهت إليه الخلع ، فأقام دعوة الخطبة الناصرية على منابر البلاد الرومية ، وضرب السكة باسمه ، وجّهت بعض الدراهم المضروبة إلى الديار المصرية ، وصارت بلاد الروم هذه من مضافات الديار المصرية ، ولم يزل (أرتنا) على ذلك إلى أن توفى سنة ثلاث وخمسين وسبعمئة .

وأستولى على الروم أولاده من بعده إلى أن كان بها (محمد بن أرتنا) في سنة ست وستين وسبعمئة ، وبقي حتى توفى في حدود الثمانين والسبعمئة وخلف أبنا صغيرا .

فاستولى عليه الأمير (قليج أرسلان) أحد أمراء دولتهم وكفله .

ثم غدر به (القاضي إبراهيم) صاحب سيواس وقتله في سنة اثنتين وتسعين وسبعائة وأستولى على مملكة سيواس .

قال في "العبر" : وكان من طوائف التُّركان بلاد الروم جموعٌ كثيرة ، كانوا يستعينون بهم في حروبهم على أعدائهم ، وكان كبيرهم في المائة الرابعة أميرا من أمراءهم اسمه (جق) فلما ملك سليمان بن قطلمش المقدم ذكره قونية وأقصرًا بعد أبيه على ماتقدم ذكره ، خرج جق هذا مع « مسلم بن قريش » صاحب الموصل على سليمان بن قطلمش . فلما آلتى الجمعان مال (جق) بمن معه من التُّركان إلى سليمان بن قطلمش ، فأنهزم مسلم بن قريش وقتل ، وأقام أولئك التُّركان أيام سليمان بن قطلمش يجبال تلك البلاد وسواحلها . فلما ملك التتر هذه البلاد وصار الملك لقلج أرسلان بعد غلبة أخيه كيكائوس ، كان أمراء التُّركان يومئذ (محمد بك) وأخوه (إلياس بك) وصهره (علي بك) وقريبه (سونج) فخرجوا عن طاعة قليج أرسلان وبعثوا بطاعتهم إلى هولاكو صاحب إيران وتقرير إتاقية عليهم على أن يبعث إليهم بلواء الملك على عادة الملوك ، وأن يبعث شحنة من التتر تختص بهم ، فأجابهم إلى ذلك وقلدهم الملك وبعث إليهم بلواء . فملكوا عليهم (محمد بك) .

ثم أرسل هولاكو يطلب محمد بك ، فامتنع عليه وخالفه صهره على بك فقدم على هولاكو فقدمه على قومه مكان محمد بك . ثم جاء محمد بك إلى قليج أرسلان صاحب بلاد الروم مستأمنًا فأمنه ثم قتله ، وأستقر على بك في إمرة التُّركان .

ولما تناقص أمر التتر وضعف بلاد الروم المذكورة وأستقر بنو أرتنا بسيواس وأعمالها ، غلب هولاكو^(١) على ما وراء الدروب وما كان فتحه التتر من نواحي الشمال إلى خليج القسطنطينية .

وأشتهر من ملوكهم ست طوائف :

(١) في الأصل «ثم غلب هولاكو الخ» وهو خطأ والصواب ما أثبتناه نقلا عن "العبر ج ٥ ص ٥٦٢" .

الطائفة الأولى

(أولاد قرمان)

وهم أصحاب أَرْمَنَّاك وقَسْطَمُونِيَّة وما والاها من شرق هذه البلاد كما تقدّم . قال في "مسالك الأبصار" : وهم أهل بيت توارثوا هذه البلاد ، ولا يُخاطَب قائم منهم إلا بالإمارة . قال في "التعريف" : وهم أجَلُّ من لدى ملوكنا من التُّركمان : لقرب ديارهم ، وتواصل أخبارهم ، ولنكائيتهم في مملكتك سِيس وأهل بلاد الأرمن ، وأجتياحهم لهم من ذلك الجانب ، مثل أجتياح عساكرنا لهم من هذا الجانب . قال : وأكبرهم قَدْرًا ، وأفتكهم نابًا وظُفْرًا ، الأمير (بهاء الدين موسى) وحضر إلى باب السلطان وتلقّى بالإجلال ، وأُحِلَّ في ممتدّ الظلال ، وأُورِد موارد الزلال ، وأُرى ميامن أسعد من طلعة الهلال ، وجَّع مع الركب المِصرى وقضى المناسك ، وأسبَل في ثرى تلك الربا بقيّة دمه المتناسك ، وشكر أمراء الركب دينه المتين ، وذكروا مافيه من حُسن اليقين ، وعاد إلى الأبواب السلطانية ، وأجلس في المرتين مع أمراء المشورة ، فأشرك في الرأي وسأل السلطان في منشور يكتب له بما يفتح بسيفه من بلاد الأرمن ليقاتل بعلمه المنشور ، ويحتني من شجر المُرّان جنى عسله المنشور ، فكتبه له .

ثم قال : وهم على ما هم عليه يدارون ملوك التتار ، وهو ومن سلف من أهل بيته مع ملوك مصر لا تُغيب المكاتبات بينهم ، ولا يتقطع بذل خدمته لهم ، وإقبالهم عليه ، واعتدادهم بمولاته .

قال في "مسالك الأبصار" : وهم عُصبة ذات أيدٍ ويَدٍ ، وجُيوش كثيرة العدد ، وهم أصحاب الحروب التي ضُعُضعت الجبال ، ولهم مع الأرمن وبلاد التَّكفور ، وقائع

لا يَحْدُهَا إِلَّا الْكَفُورُ ؛ نَخْطِفُهُمْ عِقْبَانَهُمُ الْقَشَاعِمُ [وَتَلْتَرِمُهُمْ] ^(١) أَسُودَهُمُ الضَّرَاغِمُ .
 قال : وهم أهل بيت ألقى الله عليهم محبةً منه ، وإذا شاء أميرهم جمع أربعين ألفاً .
 ثم ذكر بعد ذلك بكلام طويل أنهم هم الذين كانوا ألقوا بين سلامش وبين المنصور
 لاجين ، وأنهم هم الذين لا يُرتاب في رأيهم ، ولا يُطعن في دينهم ، بل مهما ورد
 من جهتهم تُلَقَّى بالقبول ، وحمل على أحسن المحامل . ثم قال : وحكى عمن تردّد
 إليهم وعرف ما هم عليه أنهم رجالٌ صدق ، وقومٌ صبر ، لا تُستخفُّ لهم حفيظه ،
 ولا تُردّ بحتفها لهم صدورٌ منيظه ؛ ولهذا أمراء الروم لا يطئون لهم موطئاً يغيظ ،
 ولا يواطئون لهم عدّة شهور في مشقٍّ ولا مقيظ ؛ وما أحدٌ ممن يحسدُّهم على ما آتاهم الله
 من فضله إلا من يستجيش عليهم بالتتار ، ويعتدُّ عليهم عظام الذنوب الكبار ،
 ووقاية الله تكفيهم ، وحياطته عن عيون القوم تُخفيهم ؛ ولذلك كان السلطان
 (محمود غازان) يقول : أنا أطلب الباغي شرقاً وغرباً ، والباغي في ثوبي ، يريد
 أولاد قرمان وترنجان الروم [ومع هذا لم يسلط عليهم] ^(٢) .

وحكى عن الصدر شمس الدين عبد اللطيف أنى النجيب أنه قال يوما : لولا
 الأكراد وأولاد قرمان وترنجان الروم ، دُستُ بجحلي مغرب الشمس .

الطائفة الثانية

(بنو الحميد)

وهم أصحاب أنطاليا وفلك بار على ما تقدّم ذكره ، وهم من عظماء ملوك الترنجان .

(١) بياض بالاصل والتصحيح عن "مسالك الابصار" .

(٢) الزيادة من المسالك .

الطائفة الثالثة

(بنو أيدين)

وهم أصحاب برى وما معها، على ما تقدم ذكره . قال فى "مسالك الأبصار" وقد ذكر محمد بن أيدين صاحب برى المذكورة : وهذا ابن أيدين ما أعرف أن له بمن حوله من ملوك الممالك المما، ولا أن له أخبارا ترد طروقا ولا المما، بل هو فى عزلة من كل جانب، لا مخالطة ولا مجانب .

الطائفة الرابعة

(بنو منتشا . وهم أصحاب فوكة وما معها)

وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" : أن منهم أولاد دندار . ثم قال : ول هؤلاء بنى دندار إلى ملوك مصر أنتماء، ولهم من تحف سلاطينها نعاء . قال : وكان بمصر منهم من له إمرة فيها ثم عاد إلى بلاده بعد مهلك تمرتاش بن جوبان ، لأنه كان قد ترك بلاده لأجله ، وفر هارباً من يده لعداوة كان قد اضطربت بينهما شروها، واضطربت أمورها، فلما خلت من مجاورة تمرتاش تلك البلاد، عاد . ويقال : إنه قتل ولم يصل إلى بلاده .

الطائفة الخامسة

(بنو أورخان بن عثمان جق)

وهو صاحب برسا على ما تقدم ذكره . قال فى "العبر" : وكان قد اتخذ برسا داراً للملكة ، ولكنه لم يفارق الحيام إلى القصور ، وإنما كان ينزل بنخيامه فى بسيطها وضواحيها ولم يزل على ذلك إلى أن مات .

وملك بعده أبْنُه (مراد بك) وتوغَّل في بلاد النصرانية فيما وراء الخَلِيج القُسْطَنْطِينِيَّ في الجانب الغربي ، وفتح بلادهم إلى أن قُرب من خَلِيج البنادقة ، وجبال جَنَوَة ، وصير أكثرهم أُمراء ورعايا له ، وعاث في بلاد الكُفَّار بما لم يُعهد قبله من مثله ، وأحاط بالقُسْطَنْطِينِيَّة من كل جانب حتَّى أعطاه صاحبها الحزِيَّة . ولم يزل على ذلك حتَّى قُتل في حرب الصَّقالبة سنة إحدى وتسعين وسبعمائة .

وملك بعده أبْنُه (أبو يَزِيد) بخرى على سَنَن أبيه ، وغلب على قِطْعَةٍ من بلاد الروم هذه فيما بين سِيوَاَس وأنطاليا والعَلَايا ، بساحل البحر إلى قريب مدينة بنى قَرْمَان ، ثم تزوج في بنى قَرْمَان بنت أحدهم وغلب على ما بيده من تلك النواحي ، ودخل بنو قَرْمَان وسائر التُّركمان في طاعته ، ولم يبق خارجاً عن مُلكه إلا سِيوَاَس التي كانت بيد قاضيها (إبراهيم) المتغلب عليها ومَطْيَةُ الداخلة في مملكة الديار المصرية ومضافاتها على ما تقدّم . ولم يزل على ذلك حتَّى قصده ثمرلنك بعد تخريب الشام في سنة ثلاث وثمانمئة وقبض عليه ، فبقى في يده حتَّى مات .

وملك بعده أبْنُه (سليمان جلي) وبقى حتَّى مات .

فلك بعده أخوه (محمد بن أبي يزيد) بن مُراد بك بن عثمان جق ، وهو القائم بمملكتهما إلى الآن .

قال في "مسالك الأبصار" : ولو قد اجتمعت هذه البلاد لسلطان واحد ، وكُفَّت بها أْكُفُّ المفاصد ، لما وسع ملوك الأرض إلا آتِجَاعُ سَحَابِهِ ، وأرتِجَاعُ كل زمانٍ ذاهِبٍ في غير جَنَابِهِ ، ثم قال : الله أكبر إن ذلك لَمُلْكٌ عَظِيمٌ ، وسِلْكٌ نَظِيمٌ ، وسلطنة كبرى ودنيا أخرى ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ .

الجميلة الخامسة

(في زى أهل هذه المملكة ، وترتيب الملك بها)

أما زى أهلها فإن لبس السلطان والأمراء والجند أقبية تربية ضيقة الأكم،
مزندة على الأكف، والأمراء منهم يلبسون فوق ذلك أقبية قصار الأكم من رقيق
الخام مضرية تضريباً واسعاً، وعلى رؤسهم عمام من لانس متوسطة المقدار بين الكبر
والصغر، مكورة تكويراً خاصاً، حسن الصنعة، متداخل بعض اللقات في بعض،
ويلبسون خفافاً من آدم؛ وقد شاهدت أميراً من أمرائهم ورد رسولاً عن أبي يزيد
ابن مراد بك بن عثمان إلى الظاهر « برقوق » صاحب الديار المصرية وهو على هذه
الهيئة، وكثير من الجند يلبسون الطرايطير البيض والحمر المتخذة من اللبد .



وأما ترتيب مملكتهم فلم تتحرر لى كيفية ذلك إلا أنه قد تقدم نقلاً عن صاحب
« العبر » أنهم كانوا يسكنون الخيم ثم نزلوا المدن بعد ذلك؛ فلا يبعد أن يكون
ترتيب ملكهم على نحو من ترتيب التتروا لله أعلم .

القسم الثانى

(من الجهة الشمالية عن الديار المصرية ، ما بيد ملوك النصارى)

وهو ثلاثة أضرب :

الضرب الأول

(جزائر بحر الروم)

وهو البحر الشامى الممتد من البحر المحيط الغربى ، المسمى (بحر أوقيانوس) إلى
ساحل الشام وما على ستمته من بلاد الأرمن الممتد ساحله الجنوبى على ساحل

الديار المصرية، ثم على ساحل بركة، ثم على ساحل أفريقية، ثم على ساحل الغرب الأوسط، ثم على ساحل الغرب الأقصى إلى البحر المحيط. وساحله الشمالي على بلاد الروم التي شرقي الخليج القسطنطيني، ثم على سواحل بلاد الروم والفرنجية من غربي الخليج المذكور إلى ساحل الأندلس إلى البحر المحيط، على ما تقدم ذكره في الكلام على البحار في أول هذه المقالة.

وبه إحدى عشرة جزيرة:

إحداها — جزيرة (قبرس). قال في "اللباب": بضم القاف وسكون الباء الموحدة وضم الراء المهملة وفي آخرها سين مهملة. وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال في "الأطوال": حيث الطول سبع وخمسون درجة، والعرض خمس وثلاثون درجة. وهي جزيرة في مشارق هذا البحر. قال ابن سعيد: على القرب من ساحل الشام بينها وبين الكرك^(١) (بضم الكاف وسكون الراء المهملة من بلاد الأرمن) نحو نصف مجرى. قال: وطولها من الغرب إلى الشرق مائتا ميل، ولها ذنب دقيق في شريقها. قال الإدريسي: ودورها مائتان وخمسون ميلا، ولصاحبها مكتبة تخصه عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية، على ما سيأتي ذكره في الكلام على المكتبات، في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى.

الثانية — (جزيرة رودس). قال في "تقويم البلدان": بضم الراء المهملة ثم واو ساكنة ودال مهملة ويقال معجمة مكسورة ثم سين مهملة. وموقعها في الإقليم^(٢) [الرابع] من الأقاليم السبعة قال في "الأطوال": حيث الطول إحدى وخمسون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ست وثلاثون درجة. قال في "تقويم البلدان": وهي

(١) كذا في التقويم أيضا بالكاف في الآخر ولعله بالجم.

(٢) يياض بالأصل، والتصحيح عن "تقويم البلدان".

على حيال الإسكندرية ، بين جزيرة المَضْطَكِي وجزيرة أقريطش . قال : وأمتدادها من الشمال إلى الجنوب بانحراف نحو خمسين ميلا ، وعرضها نصف ذلك . وبين هذه الجزيرة وبين ذنب جزيرة أقريطش مجرى واحد ، وهي في الغرب عن جزيرة قُبرس بانحراف إلى الشمال . قال : وبعضها للفرنج ، وبعضها لصاحب اصطنبول (وهي القُسْطَنْطِينِيَّة) ومن رُودِس يُجَلِّبُ العسل الطيب العديم النظير ، ولصاحبها مكتبة تخصه عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

الثالثة — (جزيرة أقريطش) . قال في ” الباب “ : بفتح الألف وسكون القاف وكسر الراء المهملة وسكون الياء المثناة من تحت وكسر الطاء وشين معجمة في الآخر . قال في ” الروض المعطار “ : سُمِّيَتْ بذلك لأن أول من عمَّرها كان اسمه (قراطى) قال : وتسمى أيضا (أقريطش البترليش) ومعناها بالعربية مائة مدينة . وهي على سُمْتِ بَرْقَة ، وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة ، قال ابن سعيد : ومدينتها حيث الطول سبع وأربعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض أربعون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن سعيد : وهي جزيرة عظيمة مشهورة ، وأمتدادها من الغرب إلى الشرق ودورها ثلثمائة وخمسون ميلا . وقيل : هذه الأميال إنما هي طولها شرقا بغرب لادورها ، وذكر في ” كتاب الأطوال “ أن دورها سبعة عشر يوما . قال في ” تقويم البلدان “ : ومنها يجلب إلى الإسكندرية العسل والجُبن وغير ذلك . قال في ” الروض المعطار “ : وهي جزيرة عامرة ، كثيرة الخصب ، ذات كروم وأشجار ، وبها معدن ذهب . وأكثر مواشيتها المعز ، وليس بها إبل ، ولم يكن بها سَع ولا ثعلب ولا غيرها من الدواب الدابة بالليل ، وكذلك ليس بها حية ، وإن دخلت إليها حية ماتت في عامها . ويقال : إن صناعة الموسيقى أول ما ظهرت بها ، وبينها وبين ساحل بَرْقَة يوم وليلة ، وبينها وبين قُبرس أربعة مجارٍ ،

وإليها ينسب الأتيمون الأفریطشيّ المستعمل في الأدوية . وكان « عبد الله بن أبي سرح » أمير مصر قد أفتتحها في زمان إمارته في خلافة « عثمان » رضى الله عنه ، وبقيت بأيدي المسلمين حتى تغلب عليها النصارى في سنة خمس وأربعين وثلثمائة . قال في « الروض المغطار » : وهي بيد صاحب القسطنطينية .

الرابعة — (جزيرة المصطكى) بفتح الميم وسكون الصاد وفتح الطاء المهملة والكاف وألف في الآخر . وسميت بذلك لأنه ينبت بها شجر المصطكى . قال في « تقويم البلدان » : وهي جزيرة بالقرب من فم الخليج القسطنطيني . وقال ابن سعيد : هي داخلية في بحر الروم على مائة وخمسين ميلا من فم الخليج القسطنطيني . قال : وطولها من الشمال إلى الجنوب نحو ستين ميلا . قال : وهي شرقى (جزيرة التغريب) وبينهما نحو ثلاثين ميلا . قال في « تقويم البلدان » : وبها ديرة وقرى ، ومنها تجلب المصطكى إلى البلاد ، وهي صمغ شجر ينبت بها يشبه شجر الفستق الصغار ، يشرط في فصل الربيع بمشاريط قسيل منها المصطكى ، ثم تجدد على الشجر ، وربما قطر منه شيء على الأرض ، والأول أجود .

الخامسة — (جزيرة التغريب ^(١)) بالثاء المثناة فوق المفتوحة وسكون الغين المعجمة وكسر الراء المهملة وياء مثناة تحت وباء موحدة في الآخر . قال في « تقويم البلدان » : وهي من الغرب ، وموقعها في أواخر الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد : وطرفها الشرق حيث الطول ثمان وأربعون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض اثنتان وأربعون درجة وخمسة وخمسون دقيقة . وهي جزيرة كبيرة في الغرب عن جزيرة المصطكى المقدم ذكرها ، وامتدادها من المغرب إلى المشرق بانحراف إلى

(١) سماها في تقويم البلدان « جزيرة القربنت » وذكر أن في بعض النسخ « التغريب » كما هنا .

الجنوب مائة وخمسون ميلاً ، وفي العرض من عشرين ميلاً إلى نحو ذلك . قال في "تقويم البلدان" : وهي معروفة بخروج الشوانى والقطائع منها .

السادسة — (جزيرة لَمْرِيَا) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح اللام وسكون الميم وكسر الراء المهملة ثم ياء مثناة تحتية وألف في الآخر . قال : وعن بعض المسافرين أن بعد المثناة هاء . قال ابن سعيد : وتُعرف في الكتب بجزيرة بلونس ، وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد : ووسطها حيثُ الطولُ خمس وأربعون درجة وأثنان وأربعون دقيقة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة وثلاث عشرة دقيقة . قال : وهي أكبر جزائر الروم ودورها على التحقيق سبعمائة ميل ، وفيها أخوار وتعريجات ، ومدينتها في وسطها .

السابعة — (جزيرة صَقْلِيَّة) . قال في "اللباب" : بفتح الصاد المهملة والقاف (١) ولام وياء مثناة من تحت وهاء في الآخر . وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة ، وبين ذنبها الغربى وبين تونس مجرى وستون ميلاً ، ودورها خمسمائة ميل . وهي على صورة شكلٍ مثلثٍ حادّ الزاوية : فالزاوية الأولى شمالية ، وهناك المجاز الضيق إلى الأرض الكبيرة (يعنى التى وراء الأندلس) وهو نحو ستة أميال . والزاوية الثانية جنوبيّة ، وهي تقابلُ برّ طرابلس من أفريقيا من بلاد الغرب . والزاوية الثالثة غربيّة ، وهناك (بركان النار) في جزيرة صغيرة متقطعة شماليّ الزاوية المذكورة ، وشماليّ صَقْلِيَّة بلاد قلفريّة الآتى ذكرها في الكلام على الضرب الثانى . قال في "تقويم البلدان" : وصاحب صَقْلِيَّة في زماننا هذا فرنجيٌّ من الكيتلان اسمه الريد افريك .

(١) ضبطها ياقوت بثلاث كمرات وتشديد اللام والياء ثم قال وأكثر أهل صَقْلِيَّة يفتحون الصاد واللام .

وقاعدتها مدينة (بَلَزَم) بفتح الباء الموحدة واللام وسكون الزاي المعجمة وميم في الآخر. قال ابن سعيد : وهي حيثُ الطولُ خمس وثلاثون درجةً ، والعرضُ ست وثلاثون درجةً وثلاثون دقيقة . وبها عِدَّةُ مَدُنٍ غير هذه القاعدة .

منها مدينة (مازر) . قال في "المشترك" : بفتح الزاي المعجمة وبعدها راء مهملة ، وإليها ينسب "الإمام المازريُّ المالكي" شارح "موطأ مالك" وغيره . ومنها (قَصْرُ يَانَّة) بلفظ قصر المعروف ، ويَانَّةُ بفتح الياء المشناة تحت وألف ونون مشددة ، وهي مدينة كبيرة على سِنِّ جبل .

الثامنة — (جزيرة سُردانية) . قال في "تقويم البلدان" : بضم السين وكسر الراء وفتح الدال المهملات ثم ألف ونون مكسورة وياء مشناة تحت مفتوحة وهاء في الآخر. قال : وأسمها بالفرنجية صُرْدَانِي ، يعني ببدال السين صادًا مهملةً وحذف الهاء من الآخر. وهي غربيّ الجزر المتقدم ذكره . وموقعها في الإقليم الرابع بين مَرَسِيّ الحَرَز من البر الجنوبيّ وبين مملكة يَزَة من البر الشماليّ . قال في "الأطوال" : وطولها إحدى وثلاثون درجة ، وعرضها ثمان وعشرون درجة . قال ابن سعيد : وأمتدادها من الطول من الشمال إلى الجنوب مجرى ونصف ، وفي غربيها مَغَاص المَرْجَان الفائق الذي ليس له نظيرٌ، وبها معدنُ فِضَّة، وهي الآن بيد الفرنج الكيطلانيين ، ولملك الكيطلان نائبٌ بها .

التاسعة — (جزيرة قَرْسَقَة) بفتح القاف وسكون الراء المهملة وفتح السين المهملة والقاف وهاء في الآخر . وهي مقابل (جَنَوَة) الآتي ذكرها في الضرب الثاني ؛

(١) في المعجم بفتح أوله وسكون ثانيه .

وبينها وبين سَرْدَانِيَّةِ المتقدمة الذكر مجازٌ نحو عشرة أميال ؛ وأمتدادها من الشمال إلى الجنوب مجرّى ونصف ، ووسطها متّسع ، ورأسها من جهة جَنَوَة ضيّق .

العاشرة — (جزيرة أنكلطرة) بألف ونون ساكنة وكاف مفتوحة ولام مفتوحة وطاء مهملة ساكنة وراء مهملة مفتوحة وهاء في الآخر . قال ابن سعيد : ويقال (أنكلترة) بابدال الطاء تاء مثناة من فوق . قال : وطول هذه الجزيرة من الجنوب إلى الشمال بانحراف قليل أربعمئة وثلاثون ميلا ، وآتساعها في الوسط نحو مائتي ميل ، وفيها معدن [الذهب] ^(١) والفضة والنحاس ^(١) [والقصدير] وليس فيها كروم لشدّة البرد بها ، وأهلها يحملون الذهب إلى بلاد الفرنج ، ويعتاضون عنه الخمر لعدمه عندهم .

وقاعدتها (مدينة لندرس) بلام ونون ودال وراء وسين مهملات . وصاحب هذه الجزيرة يسمى (الانكتار) بنون وكاف وتاء مثناة فوقية وألف وراء مهملة في الآخر . وهو الذي عقد الهدنة بينه وبين الملك العادل « أبي بكر بن أيوب » في سنة ثمان وثمانين وخمسمئة ، والملك العادل على عسقلان . وكان من أمره أنه لم يحلف على الهدنة بل أخذت يده وعاهدوه ، واحتج بأن الملوك لا يحلفون ؛ وكانت الهدنة بينهما ثلاث سنين وثلاثة أشهر ، أولها كانون الأول الموافق لحادي عشر شعبان من السنة المذكورة .

الحادية عشرة — (جزيرة السنقر) . جمع سنقر وهو الجارح المعروف المقدم ذكره في الكلام على ما يحتاج الكاتب إلى وصفه في المقالة الأولى . وهي جزيرة على القرب من (جزيرة أنكلترة) المقدمة الذكر . قال ابن سعيد : وأمتدادها في الطول شرقا بغرب سبعة أيام ، وفي العرض أربعة أيام . قال في «تقويم البلدان» : ومنها

(١) الزيادة عن التقويم .

ومن الجزائر التي شمالها تجلب السناقر التي هي أشرف أنواع الجوارح ، وإلى ذلك أشار في "التعريف" في الكلام على أوصاف السناقر بقوله وهي مجلوبة من البحر الشامي . قلت : وجزيرة حربة تقدم ذكرها مع بلاد أفريقية . وجزيرة ميوزقة وجزيرة يانسة وجزيرة قادس تقدم ذكرها مع جزيرة الأندلس .

الضرب الثاني

(ماشمالاً بحر الروم المقدم ذكره من غربي الخليج المِسْطَنِيّ مما يمتد غرباً إلى البحر المحيط الغربي ، وما يتصل بذلك مما شمالاً بحر نيطش المعروف بحر القرم إلى أقصى الشمال ، وهو جهتان)

الجهة الأولى

(ما هو في جهة الغرب عن الخليج المِسْطَنِيّ . وهو قُطْران)

القُطْر الأول

(ما بين الخليج المذكور وبين جزيرة الأندلس ، وما على سمت ذلك . ويشتمل على ممالك كَبَار وممالك صِغار)
فأما الممالك الكبار ، فالمشهور منها خمس ممالك :

الملكة الأولى

(مملكة القُسْطَنْطِينِيَّة)

قال في "اللباب" : بضم القاف وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وسكون النون وكسر الطاء الثانية وسكون المشاة من تحت ثم نون (يعني مفتوحة) ثم هاء في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : وتسمى بُوزَنْطِيَا يعني بالباء الموحدة والواو

والزاي المعجمة والنون والطاء المهملة ثم ياء مشاة من تحت وألف في الآخر .
 وربما قالوا : بُوزَنْطِيَّةُ ببدال الألف هاء . وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم
 السبعة قال في " رسم المعمور " : حيث الطرل ثمان وأربعون درجة ، والعرض
 خمس وأربعون درجة ، وواقفه على ذلك صاحب " الأطوال " وصاحب " القانون " .
 وابن سبيد : وهي قاعدة الروم بعد رومية وعمورية ، وهي المستقرة قاعدة ملك
 لهم إلى الآن .

قال في " الروض المعطار " : نزل رومية من ملوك الروم عشرون ملكاً ، ثم نزل
 عمورية منهم ملكاً ، ثم عادت الملكة إلى رومية فترها منهم ملكاً ، ثم ملك
 (قسطنطين) بن هيلاني ، فجدد بناء بوزنطية وزاد في بنائها ، وسماها قسطنطينية نسبة
 إليه ونزل بها فصارت دار ملك للروم بعده إلى الآن . قال : وهي على ضفة الخليج
 المنصب من بحر نيطش ومانيطش إلى بحر الروم ، وقد صار هذا الخليج مشهوراً بها .
 فيقال فيه (الخليج القسطنطيني) كما تقدم . وجهاؤها الثلاث من الشرق والغرب
 والجنوب إلى البحر ، والجهة الرابعة وهي الشمال إلى البر ، وقطرها من الشرق إلى
 الغرب ثمانية وعشرون ميلاً ، ولها سوران من حجارة بينهما فضاء ستون ذراعاً ،
 وعرض السور الداخل اثنا عشر ذراعاً ، وارتفاعه اثنا وسبعون ذراعاً ، وعرض
 السور الخارج ثمانية أذرع ، وارتفاعه اثنا وأربعون ذراعاً ، وفيما بين السورين
 نهر يسمى (قسطنطينيانوس) مغطى ببلاط من نحاس ، يشتمل على اثنين وأربعين
 ألف بلاطة ، طول كل بلاطة ستة وأربعون ذراعاً ، وعمق النهر اثنا وأربعون
 ذراعاً . ولها نحو مائة باب أكبرها باب الذهب : وهو باب في شمالها ، طوله
 أحد وعشرون ذراعاً ، وهو مضرب بالحديد ، وبه أعمدة من ذهب ، وبها قصر
 في غاية الكبر والعلو ، وطريقه الذي يتوصل إليه منه يعرف بالبدندون . وهو من

عجائب الدنيا، يُمشى فيه بين سَطْرَيْن من صُور مفرَّغة من النحاس البديع الصَّناعة على صُور الآدميين وأنواع الخيل والسَّباع وغير ذلك ، وفي القصر ضروب من عجائب المصنوعات .

قال في "تقويم البلدان" : وحكى لى بعض من سافر إليها أن داخلها مزدرع وبساتين، وبها خراب كثير ، وأكثَر عمارتها في الجانب الشرقى الشَّمالى ؛ وكنيستها مستطيلةٌ ، وإلى جانب الكنيسة عمودٌ عالٍ دَوْرُهُ أَكْثَر من ثلاثة باعات ، وعلى رأسه فارسٌ وفرسٌ من نُحاس ، وفي إحدى يديه حربة كبيرة ، وقد فتح أصابع يده الأخرى وهو مشير بها . قيل : إن ذلك صورةُ (قُسْطَنْطِين) باني المدينة . قال في العزيرى : ولها أربع عشرةَ معاملةً .

وأعلم أن هذه الملكة كانت أولاً بيد اليونان . قال البيهقي : وهم بنو يُونانَ بن علجان ، بن يافث ، بن نوح عليه السلام . وفي التوراة أن يُونانَ ابنُ يافثَ لصلبه ، وأسمه فيها (ياثان) بقاء تقرب من الواو . وخالف الكندي فنسبهم إلى عابر بن فالغ فجعل يُونانَ أَخاً لَقُحْطَانَ ؛ وذكر أنه خرج من اليمن بأهله وولده مُغاضِباً لأخيه قُحْطَانَ فنزل ما بين إفريقية والروم ، فاختلط نسبه بنسبهم . وردَّ عليه أبو العباس^(١) الناشئ في ذلك بقوله :

[و] تَحَاطُّ يُونانًا بِقُحْطَانَ ضِلَّةً * لَعَمْرِي لَقَدْ باعَدْتَ بَيْنَهُمَا جِدًّا !

(١) هو عبد الله بن محمد الناشئ وأول الأبيات :

أبا يوسف إني نظرت فلم أجده * على الفحص رأيا صح منك ولا عقدا

وصرت حكما عند قوم إذا أمرؤ * بلاهم جميعا لم يجد عندهم عندا

أتقرت الحادا بدين محمد * لقد جئت شيئا يا أخا كندة إذا

وتخلط الخاه من مروج الذهب (ج ١ ص ١٣٨) .

وقيل إنهم إنما تجمّوا من رجل يقال له (الكن) ولد سنة سبع وأربعين لوفاة موسى عليه السلام .

وكانت قاعدة ملكهم الأولى (مدينة أغريقية) . وهى مدينة بناها (أغريقش) ابن يونان المقدم ذكره على الجانب الغربى من الخليج القسطنطينى ، وهى أول مدنها ، ثم هدمها هيلوس أحد ملوكهم وبنى (مدينة مقدونية^(١)) فى وسط المملكة بالجانب الغربى أيضا ونزلها فصارت منزلا لملوكهم من بعده ، وإليها ينسب ملوكهم فيقال ملوك مقدونية ؛ وقد كان يقال للإسكندر بن فيلبس المقدونى نسبة إلى مقدونية هذه . ومن طائفة اليونان كان معظم الحكماء الذين عنهم أخذت علوم الفلسفة ، ومنهم بقراط وسقراط وأفلاطن وأرسطوطاليس وإقليدس وغيرهم من الحكماء .

وكان لهم عدة ملوك ، أولهم (يُونان) بن يافث بن نوح .
ثم ملك بعده ابنه (أغريقش) وهو الذى بنى مدينة أغريقية المتقدم ذكرها .
وتوالى الملك فى ولده ، وقهروا اللطينيين ودال ملكهم فى أرمينية .
ثم ملك (هرقل الجبار) بن ملكان ، بن سلقوس ، بن أغريقش .
ثم ملك بعده ابنه (بلاق) وإليه تنسب الأمة البلاقية التى هى الآن على بحر سوداق ؛ واتصل الملك فى عقب بلاق المذكور إلى أن ظهر عليهم إخوانهم الروم واستبدوا بالملك .
فكان أولهم (هردوس) بن مطرون ، بن رومى ، بن يونان ؛ فملك الأئم الثلاثة ، وصار اسمه لقباً لكل من ملك بعده .

(١) قال ياقوت : يفتح أوله وثانية وضم الذال المعجمة الخ .

ثم ملك بعده أبْنُه (هرمس) وحاربه الفُرس فقهره وضربوا عليه الإتاوة .

ثم ملك بعده أبْنُه (مطرنوس) فحمل الإتاوة للفرس .

ثم ملك بعده (فيلبوس) فظهر على الأعداء وهدم مدينة أغريقية، وبني مدينة مقدونية المتقدم ذكرها، وكان محباً في الحكمة فكثر الحكماء في دولته .

ثم ملك بعده أبْنُه (الإسكندر) فاستقام له الأمر وملك الشام، وبيت المقدس، والهند، والسند، وبلاد الصين، والتبت، وخراسان، وبلاد الترك، وذلت له سائر الملوك، وهاداه أهل المغرب والأندلس والسودان، وبني مدينة الإسكندرية بالديار المصرية عند مصب النيل على ساحل البحر الرومي، وبني بالسند أيضاً مدينة سماها الإسكندرية، ورجع إلى بابل فمات بها، وعرض الملك على أبْنِه إسكندروس فأبى واختار الرهبانية .

ثم ملك بعده (لوعوس) من بيت الملك، وتلقب (بطليموس) فصار ذلك علماً على كل من ملك منهم . وقيل : هو بطليموس بن لاوى صاحب عسكر الإسكندرية، وهلك لأربعين سنة من ملكه .

وملك بعده أبْنُه (فلديفش) فأقام ثمانيا وثلاثين سنة، وترجمت له التوراة من العبراني إلى الرومي .

ثم ملك بعده أبْنُه (أنطريطش) ^(١) فأقام ستاً وعشرين سنة وهلك .

فملك بعده أخوه (قلوباظر) ^(٢) فأقام سبع عشرة سنة وهلك .

فملك بعده أبْنُه (أيفانش) فأقام أربعاً وعشرين سنة .

(١) في "العبرج ٢ ص ١٨٩" انطريس .

(٢) في "العبرج ٢ ص ١٨٩" فلوبادى .

وملك بعده ابنه (قلو. اظر) فأقام نحسًا وثلاثين سنة . وكان مقره الإسكندرية
وهلك .

فملك بعده ابنه (إبرياطش) فأقام سبعا وعشرين سنة . وعلى عهده أستفحل
ملك رومة، وملكوا الأندلس وأفريقية وهلك .

فملك بعده ابنه (شوظا) ^(١) فأقام سبع عشرة سنة، وهلك .

فملك بعده أخوه (الإسكندر) فأقام عشر سنين وهلك .

فملك بعده (دئونشيش) بن شوظا، فأقام ثمانيا وثلاثين سنة، وفي أيامه ملك
الروم بيت المقدس وأنطاكية، وهلك .

فملك بعده بنته (كلاطرة) فأقامت سنتين، وكان سكنها الإسكندرية . وكان
الملك على الروم يومئذ أغشطش قيصر ملك الروم، فقصدها، فاحتالت بأن آتخذت
حية توجد بين الحجاز والشام، فلمست الحية فيبست مكانها، وبقيت الحية
في رياحين حولها، وحضر أغشطش فوجدتها جالسة ولم يشعر بموتها، فتناول من
الرياحين ليشمها فلسعته الحية فمات . ^(٢) وزالت دولة اليونان بزوالها .

هكذا رتبهم (هروشيوش مؤرخ الروم) وسبب ذلك أن الروم واليونان كانوا
متجاورين متلاصقين لعلاقة النسب فقد نقل ابن سعيد عن البيهقي أن الروم
من ولد رومي بن يونان المقدم ذكره . وقيل هم بنو لطين بن يونان أنحى رومي
المذكور، ولذلك يقال لهم اللطينيون . وقيل هم من بنى كيم بن ياثان وهو يونان .
وقيل بل هم من بنى عيصو بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام .

(١) في "البرج ٢ ص ١٩٠" شوطار .

(٢) في القطعة الأزهرية إصلاح على هذا الوجه [فبطل شقه ولم يمت إذ كانت الحية قد أفرغت سمها
في كلاطرة قبله] .

قال صاحب حماة في تاريخه : وكان أول ظهورهم في سنة ست وتسعين وثلثمائة
 لوفاة موسى عليه السلام . قال : وهم يعرفون بنى الأصفر ، والأصفر هو رؤيم
 ابن العيص . قال في "العبر" : وذلك أنه لما خرج يوسف عليه السلام من مصر
 بأبيه يعقوب ليدفنه بالشام عند الخليل عليه السلام ، أعترضه بنو عيصو فخار بهم
 وهزمهم ، وأسر منهم صفوا بن إليفار بن عيصو ، وبعث به إلى أفريقية ، فأقام بها
 واتصل بميلكها واشتهر بالشجاعة ، ثم هرب من أفريقية إلى أسبانية ، فزوجه
 وملكوه عليهم ، فأقام في الملك خمسا وخمسين سنة ، وبقي الملك في عقبه إلى أن كان
 منهم ملك اسمه (روميش) فبنى مدينة رومية وسكنها فعرفت به . وبالجملة فإنهم كانوا
 مجاورين لهم : الروم في المغرب ، واليونان في المشرق ، ف وقعت الحرب بينهم ، وكانت
 الغلبة للروم على اليونان مرة بعد أخرى إلى أن كانت غلبة أغسطس على قلوبطرا
 على ما تقدم ذكره .

ثم ملوك الروم على طبقات :

الطبقة الأولى

(من ملك منهم قبل القيامة)

قال "هروشيوش" مؤرخ الروم : وأول من ملك منهم (بيقش) بن شطونش^(١)
 ابن يوب ، في آخر الألف الرابع من أول العالم على زمن تيه بنى إسرائيل .
 ثم ملك بعده ابنه (بريامش) واتصل الملك في عقب بيقش المذكور وإخوته
 إلى أن كان منهم كرمش بن مرسية بن شين بن مركة ، بعد أربعة آلاف وخمسين

(١) في العبرج ٢ ص ١٤٦ "الفنش" .

لأول العالم في زمن بار بن كلعاد من ملوك بني إسرائيل ، وهو الذي ألف حروف اللسان اللطيني ولم تكن قبله .

ثم كان منهم (أناش) من عقب بريامش بن بيقش المتقدم ذكره لأربعة آلاف ومائة وعشرين للعالم .

وفي أيامه حرب الأغريقيون مدينة طروبة المتقدم ذكرها في قواعد مملكتهم .

ثم ملك بعده أبنه (أشكانيش) وهو الذي بنى مدينة ألبا ، ثم اتصل الملك فيهم إلى أن أفترق أمرهم ؛ ثم كان من أعقابهم برقاش على عهد عزريا بن أمصيا من ملوك بني إسرائيل . واتصل الملك لأبنه ثم لحافديه روملش وراملش لأربعة آلاف وخمسمائة سنة للعالم . وهما اللذان اختطتا مدينة رومية ، وكان الروم بعد روملش وراملش وأنقراض عقبهم قد ستموا ولاية الملوك عليهم ، فصيروا أمرهم شورى بين سبعين وزيراً . وقال ابن العميد : كانوا يقدمون شيخا بعد شيخ ، ولم يزل أمرهم على ذلك مدة سبعمائة سنة ، تقترع الوزراء في كل سنة ، فيخرج قائد منهم إلى كل ناحية على ما توجه القرعة ؛ فيحاربون الأثم والطوائف ، ويفتحون الممالك حتى ملكوا الأندلس وأثنخوا في الجلالة ، وملكوا سمورية مدينة القوط ، وأستولوا على الشام وأرض الحجاز ، وأفتتحوا بيت المقدس وأسروا ملكها ، وكانت الحرب بينهم وبين الفرس سجالا إلى أن كانت القياصرة كما سيأتى إن شاء الله تعالى .

(١) في العبرج ٢ ص ١٤٦ "الفنش" .

(٢) في القاموس والمعجم سمورة أى بدون ياء فاعلمها من النسخ .

الطبقة الثانية

(القياصرة قبل ظهور دين النصرانية فيهم)

قال ابن العميد : لم يزل تدير المشايخ الذين رتبوهم نافذاً فيهم ، إلى أن كان آخرهم أغانيوش فدبرهم أربع سنين وتسمى قيصر ، وهو أول من تسمى بذلك من ملوكهم ، ثم صار سمة لمن بعده . وسأتى الكلام على معنى هذه اللفظة .

ثم ملك بعده (بوايوش قيصر) ثلاث سنين .

ثم ملك بعده (أوغسطس قيصر) بن مونوخس ، وهو وشيوش يسميه (أكتيان قيصر) وهو الثاني من القياصرة ، وهو الذي سلب ملك كلابطرا آخر ملوك اليونان المقدم ذكرها . وأستولى على مصر والإسكندرية وسائر ممالك اليونان الروم . ويقال : إنه كان آخر قواد الشيخ مدبر رومة ، وإنه توجه بالعساكر لفتح الأندلس ففتحها ثم عاد إلى رومة فملكها وطرده الشيخ عنها ، ووافقته الناس على ذلك ، ثم قتل نائبه بناحية المشرق واستولى عليها لثقتي عشرة سنة من ملكه [ولثنتين وأربعين سنة من ملك أغسطس ولد المسيح بعد مولد يحيى بثلاثة أشهر وذلك]^(٢) لتنام خمسة آلاف وخمسمائة سنة شمسية للعالم .

ثم ملك من بعده ابنه (طباريش قيصر) فاستولى على النواحي ، وفي أيامه كان رفع المسيح عليه السلام وأقترأ الحواريين في الآفاق لإقامة الدين وحمل الأمم على عبادة الله تعالى . ومات لثلاث وعشرين سنة من ملكه بعد أن جدد مدينة طبرية وأشتق اسمها من اسمه .

(١) هنا انتهت القطعة الأزهرية وتوحد الأصل والله المستعان .

(٢) الزيادة من "البرج ٢ ص ٢٠٠" ليم الكلام وفيه في بعض أسماء الملوك مغايرة لما في الأصل .

ثم ملك من بعده (غابيش قيصر) وهو الرابع من القياصرة . وقال هرشيوش :
وهو أخو طباريش ، وسماه غابيش قليفة بن أكتيان . قال ابن العميد : ووقعت
في أيامه شدة على النصارى ، وقتل يعقوب أخاه يوحنا من الحواريين ، وحبس
بطرس رأسهم ، ثم وثب عليه بعض قواده فقتله .

وملك من بعده (فلوديش قيصر) وهو الخامس من القياصرة . قال هرشيوش :
هو ابن طباريش المتقدم ذكره فيكون أخا غابيش^(١) ، وعلى عهده كتب متى الحوارى
إنجيله في بيت المقدس بالعبرانية ، ونقله يوحنا بن زندي إلى الرومية ، وكتب
بطرس رأس الحواريين إنجيله بالرومية وبعث به إلى بعض أكابر الروم ، وهلك
فلوديش قيصر لأربع عشرة سنة من ملكه .

وملك بعده ابنه (نيرون قيصر) وهو السادس من القياصرة ، وكان غشوما فاسقا ،
فأنكر على من أخذ بدين المسيح وقتلهم ، وقتل بطرس وبولس الحواريين ،
وقتل مرقس الإنجيلي : بطرك الإسكندرية لثنتي عشرة سنة من ملكه . وفي أيامه
هدم اليهود كنيسة النصارى بالقدس ، ودفنوا خشبتي الصليب بزعمهم في الزباله .
قال هرشيوش : وقتله جماعة من قواده لأربع عشرة سنة من ملكه ، وأنقطع
ملك آل يوليوش قيصر لمائة وست عشرة سنة من أول ملكهم . قال هرشيوش :
وكان نيرون قيصر قد وجه قائدا إلى جهة الأندلس فافتتحها وعاد إلى رومة بعد مهلك
نيرون قيصر فملكه الروم عليهم . وكان لنيرون قيصر صهر على أخته يسمى
(يشبشيان) وابن العميد يسميه (إشباشيانس) وكان نيرون قيصر قد وجهه لفتح
بيت المقدس ففتحه وعاد فقتل ذلك القائد الذي استولى على المملكة بعد نيرون

(٢) لعل الصواب فيكون ابن أنى غابيش .

قيصر، ومَلِك مكانه، وتسمى قيصر كمن كان قبله وأستقام له الملك، هكذا ذكره هرشيوش .

والذي ذكره ابن العميد أنه لما هلك نيرون قيصر وإشباشيانس الذي سماه هرشيوش يشبشيان [محاصر للقدس^(١)] مَلِك الروم عليهم غلياش قيصر، فأقام تسعة أشهر وكان ردىء السيرة فقتله بعض خدَمه .

ثم مَلِكُوا عَوْضَه (أنون) ثلاثة أشهر، ومَلِكُوا (بطالس) ثمانية أشهر، وسار إليه اشباشيانس الذي يسميه هرشيوش يشبشيان فقتله، وهلك اشباشيانس المذكور لتسع سنين من مُلكه .

وملك بعده ابنه (طيطش قيصر) لأربعمائة سنة من مُلك الإسكندر، فأقام فيهم سنين وقيل ثلاثا وقيل أربعا، وكان حسن السيرة متفنا في العلوم .

ثم ملك بعده أخوه (دومريان قيصر) وقيل اسمه دوسطيانوس، وقيل دوماطيانوس، فأقام خمس عشرة سنة، وقيل ست عشرة سنة، وقيل تسع سنين، وهو ابن أخت نيرون قيصر المتقدم ذكره، وكان ظلوما غاشما فحبس يوحنا الحواري، وأمر بقتل النصارى ونفيهم، وقتل اليهود من نسل داود حذار أن يَمْلِكُوا، وهلك في حرب الفرنج .

وملك بعده (نربا) ابن أخيه طيطش، وقيل اسمه تاوداس، وقيل قارون، وقيل : برسطوس، فأقام نحواً من ستين أو سنة ونصفاً، فأحسن السيرة وأمر برَد مَنْ نَفَى من النصارى وخَلَّاهم ودينهم، ولم يكن له ولد .

(١) الزيادة من المبرج ٢ ص ٢٠٢ يستقيم الكلام .

فَعَهْدَ الْمَلِكِ إِلَى (طريانش) من عظماء قواده . وقيل : اسمه أنديانوش ، وقيل
 طرينوس ، فملك بعده وتسمى قيصر ، فأقام تسع عشرة سنة ، ولقى النصارى
 في أيامه شدة وتبع أئمتهم بالقتل واستعبد عاقتهم . وفي زمنه كتب يوحنا إنجيله
 برومة في بعض الجزائر ، وهلك طريانش المذكور لتسع عشرة سنة من ولايته .

وملك بعده (أندريانوس)^(١) فأقام إحدى وعشرين سنة ، وقيل عشرين سنة
 وهو الذى بنى مدينة القدس وسماها إيليا ، وكان شديداً على النصارى وقتل منهم
 خلقا كثيرا ، وأخذ الناس بعبادة الأوثان ، وألزم أهل مصر حفر خليج من النيل
 إلى القلزم فحفروه وأجروا فيه ماء النيل ثم ارتدم بعد ذلك .

ولما جاء الفتح الإسلامى ألزمهم عمرو بن العاص رضى الله عنه حفره فحفروه
 وجرى فيه الماء ثم ارتدم أيضا ، وبقي على ذلك مردوما إلى زماننا . ومات
 أندريانوس لاحدى وعشرين سنة من ملكه .

فملك بعده ابنه (أنطونيش) وتسمى (قيصر الرحيم) فأقام ثنتين وعشرين سنة ،
 وقيل إحدى وعشرين سنة وهلك .

فملك بعده أخوه (أوراليانس) وقيل اسمه أورالش ، وقيل اسمه أنطونيش
 الأصغر ، وأصاب الأرض في زمنه قحط ووباء عظيم ، وأصاب النصارى في أيامه
 شدة عظيمة ، وقتل منهم خلقا كثيرا ، وهلك لتسع عشرة سنة من ملكه .

وملك من بعده ابنه (كمودة) ويقال بالثقاف بدل الكاف ، فأقام ثلاث عشرة
 سنة ، وقيل ثنى عشرة سنة . وفي دأشرة ملكه ظهر « أردشير بن بابك » أول

(١) فى الأصل إحدى عشرة والتصحيح من العبرج ٢ ص ٢٠٤ .

ملوك الساسانية من الفُرس . وفي زمنه كان «جالينوس» اليوناني المشهور بالطب ،
و «بقراطس» الحكيم ، ومات كمودة المذكور .

فملك بعده (ورميتلوش قيصر) وقيل اسمه برطنوش ، وقيل اسمه فرطيخوس ،
وقيل برطانوس ، وقيل أليش بن طنجيش فأقام ثلاثة أشهر ، وقيل شهرين ، وقيل
سنة ، وقتله بعض قواده .

فملك بعده (يوليانوس قيصر) فأقام شهرين ومات .

فملك بعده (سوريانوس قيصر) وقيل اسمه سورس ، وقيل طباريش ، فأقام
تسع عشرة سنة ، وقيل ثمان عشرة ، وقيل ست عشرة ، وقيل ثلاث عشرة ، وقيل
ست سنين ، واشتد على النصراني وقتك فيهم وسار إلى مصر والإسكندرية فقتلهم ،
وهدم كنائسهم وشردهم في البلاد ، وهلك .

فملك من بعده (أنطونيش قيصر) وقيل أنطونيش قسطنطس لخمس وعشرين سنة
ونحسبائه لغلبة الإسكندر ، فأقام ست سنين ، وقيل سبع سنين ، وضعف عن
مقاومة الفُرس فغلبوا على أكثر مدن الشام ونواحي أرمينية ، وهلك في حروبهم .

فملك بعده (مقرين قيصر) بن مزركة ، وقيل اسمه مقرونيوس ، وقيل مرقيانوس ،
فأقام سنة وقتله قواد رومة .

ثم ملك من بعده (أنطونيش) قيل ثلاث سنين ، وقيل أربع سنين ، وفي أول
سنة من ملكه بنيت مدينة عمّاس^(١) بأرض فلسطين من الشام وملك سابور
ابن أردشير مدناً كثيرة من الشام ، ومات .

(١) وقع في العبرج ٢ ص ٢٠٦ عمان والصواب ما في الاصل لان عمواس هي التي من أرض فلسطين
أنظر معجم ياقوت .

فملك من بعده (اسكندروس) فأقام ثلاث عشرة سنة ، وقيل عشرين سنة ،
وكانت أمه نصرانية ، فكانت النصراني معه في سعة من أمرهم . قال هرودشوش :
ولعشر من ملكه غزا فارس وقتل سابور بن أردشير ملك الفرس ، وثار عليه أهل
رومة فقتلوه .

وملك بعده (مخشيان) بن لوجيه ، وقيل اسمه تقيموس ، فأقام ثلاث سنين
ولقي النصراني منه شدة عظيمة . قال ابن العميد : وفي ثالثة ملكه مات سابور
ابن أردشير ، وهو خلاف ما تقدم من كلام هرودشوش أنه قتله [اسكندروس]
في العاشرة من ملكه ، وهلك .

فملك بعده (يونيوش) وقيل اسمه لوكيوش قيصر ، وقيل بليناوس ، فأقام
ثلاثة أشهر وقيل .

ثم ملك بعده (غرديانوس قيصر) وقيل اسمه فودينوس ، وقيل فرطانوس
وقيل غرديان بن بلنسيان ، فأقام ست سنين ، وقيل سبع سنين ، وطالت حروبه
مع الفرس ، وقتله أصحابه على نهر الفرات .

وملك بعده (فلنش قيصر) بن أوليان بن أنطونيش ، فأقام سبع سنين ، وقيل
ست سنين ، وقيل تسع سنين ، ودان بدين النصرانية . وهو أول من تنصر من ملوك
الروم ، وقتله قائد من قواده .

وملك ذلك القائد الذي قتله مكانه ، وكان من أولاد الملوك . وأسمه داجية
ابن مخشيان فأقام خمس سنين ، وقيل ستين ، وقيل سنة ، وكان يعبد الأصنام ولقي
النصارى منه شدة ، قيل وفي أيامه كانت قصة أهل الكهف مع ملكهم ، وهلك .

فملك من بعده (غالش قيصر) فأقام سنتين ، وقيل ثلاث سنين ، واستتبع في قتل
النصارى . وكان في أيامه وباءٌ عظيمٌ أقفرَتْ منه المدُن ، ومات .

فملك بعده (والاريانس) لسبعين وخمسمائة لَغَلْبَةُ الإسكندر ، وقيل اسمه غالوش ،
وقيل أقيوس وغاليوش أبه ، وقيل أورليوس ، وقيل غليوش ، وقيل أدرياليانوس ،
فأقام إحدى عشرة سنةً ، وقيل خمس عشرة سنةً ، وقيل أربع عشرة سنةً ، وقيل
خمس سنين ؛ وكان يعبد الأصنام فلحق النصارى منه شِدَّةٌ عظيمةٌ ، ووقع في أيامه
وباءٌ عظيمٌ فرَفَعَ الطلبُ عن النصارى بسببه . وفي أيامه خرج القُوطُ من بلادهم
وتغلبوا على بلاد مَقْدُونِيَّةَ وبلاد النَّبَطِ وأقتلعوها منه ؛ وقتله بعضُ قَوَادِ رُومَةٍ .

وملك بعده (افلوديوش قيصر) لثلاثين وخمسمائة للإسكندر ، فأقام سنةً
واحدةً ، وقيل سنةً وتسعة أشهر ، وقيل هو فلوديوش بن بلاريان ولم يكن من بيت
الملك وأقام سنتين ، وقيل ملك [بعده أخوه ^(١)] قنطل فأقام سبعة عشر يوماً ، ودفع
القُوطَ عن مَقْدُونِيَّةَ وأرمينية ، وقتله بعضُ قَوَادِهِ .

ثم ملك (أوريليانس) وقيل اسمه أوراليوس ، وقيل أورينوس ، وقيل أوروليوس ،
وقيل أوراليان بن بلنسيان ، فأقام ست سنين ، وقيل خمس سنين ، وأشستد على
النصارى وجدد بناء رُومَةٍ ؛ وفي سادسة ملكه ولد قُسْطَنْطِينُ ، ثم قتل .

وملك بعده (طافيش بن اليش) وقيل اسمه طافسيوس ، وقيل طافساس ،
فأقام نحو سنة ، وقيل تسعة أشهر ، وقيل ستة أشهر .

(١) الزيادة عن المبرج ٢ ص ٢٠٨ .

ثم ملك بعده (فروفس قيصر) وقيل اسمه فرويس ، وقيل برويش ، وقيل ولا كيوش . وقيل ارفيون ، فأقام خمس سنين ، وقيل ست سنين ، وقيل سبع سنين ، وقتله قواد رومة .

ثم ملك بعده (قاريوش قيصر) وقيل اسمه قوروش ، وقيل قاروش لخمسائة وثلثين وتسعين للإسكندر في زمن سابور ذي الأكتاف : أحد ملوك الساسانية من الفرس ، فأقام سنتين ، وقيل ثلاث سنين ، وتغلب على كثير من بلاد الفرس ، وأشتد على النصارى وقتل منهم خلقا كثيرا وهلك في الحرب .

فملك بعده ابنه (مناريان) وقُتل لوقته .

ثم ملك من بعده (ديقلاديانوس) لخمسائة وخمس وتسعين سنة للإسكندر ، وقيل اسمه دقلطيانوس ، وقيل غرنيطا ، فأقام إحدى وعشرين سنة ، وقيل عشرين سنة ، وقيل ثمان عشرة ، ولقى النصارى منه شدة وأمر بعلق الكائس ، وقتل جملة من أعيان النصارى ، وهلك .

فملك بعده ابنه (مقسيمانوس قيصر) فأقام سبع سنين ، وقيل سنة واحدة .

وكان شريكه في الملك (مفطوس) وهو أشد كفرا منه ، ولقى النصارى منهما شدة عظيمة وقتل منهم خلقا كثيرا ، ووقع في كلام هر وشيوش ما يخالف هذا الترتيب ، ولا حاجة بنا إلى ذكره .

الطبقة الثالثة

(القيصرية المنتصرة إلى الفتح الإسلامي)

وكانوا يدينون أولاً بدين الصابئة ، ثم دانوا بدين المجوسية ، ثم بعد ظهور
الحواريين وتسلمتهم عليهم مرة بعد أخرى أخذوا بدين النصرانية . وكان أول من
أخذ منهم به قسطنطين بن قسطنش بن ولتنوش ، وكان قد خرج على مقسيانوس
قيصر: آخر القياصرة من الطبقة الثانية ، فهزمه ورجع مقسيانوس إلى رومة ، فازدحم
عسكره على الجسر فغرق فيمن غرق ، ودخل قسطنطين رومة وملكها فبسط
العدل ، ورفع الجور ، وتنصر لثنتي عشرة سنة من ملكه ، وهدم بيوت الأصنام ،
وتوجهت أمه (هلانة)^(١) إلى القدس وأستخرجت خشبة الصليبوت بزعمهم من تحت
القمامات ، وبنت مكانها كنيسة قمامة ، وذلك لثلاثمائة وثمان وعشرين سنة من مولد
المسيح عليه السلام . وفي السنة التاسعة عشرة من ملكه كان جمع الأساقفة بيقية .
ولما تنصر قسطنطين وخرج عن دين المجوسية ، خاف من قومه فارتحل من رومة
إلى مدينة بوزنطية فجدها وزاد فيها وسمها القسطنطينية باسمه ، وأقام في الملك
خمسين سنة : منها بوزنطية ست وعشرون سنة قبل غلبة مقسيانوس ، وأربع وعشرون
بعد أستيلائه على الروم ، وهلك لستمائة وخمسين للإسكندر .

وملك بعده ابنه (قسطنطين الأصغر) بن قسطنطين ، بن قسطنطين^(٢) ، فأقام أربعاً وعشرين سنة ومات .

(١) الذي في تاريخ أبي الفداء أن اسمها "هيلاني" .

(٢) لعل هذا اللفظ زائد من قلم الناسخ .

فملك بعده ابن عمه (يوليانش) فأقام سنة واحدة، وقيل سنتين، فكان على غير دين النصرانية : فقتل النصارى وعزّلهم عن الكنائس وأطرحهم من الديوان، وسار لقتال الفرس فمات من سهم أصابه، وقيل ضلّ في مفازة فقتله أعداؤه .

وملك بعده (يليان) بن قسطنطين سنة واحدة وهلك .

فملك بعده (بوشانوش) فأقام سنة واحدة، وقيل إنما هو بلنسيان بن قسطنطين، وقيل واليطينوش، وأنه ملك ثلثي عشرة سنة أو خمس عشرة سنة ثم هلك بالفالج .

وملك بعده أخوه (واليش) وقيل اسمه والآش فأقام أربع سنين، وقيل ثلاث سنين، وقيل سنتين، وقيل إنه كان شريك واليطينوش المتقدم ذكره في الملأ، ثم خرج على واليش خارج من العرب وقُتل في حربه .

وملك بعده (اغراديانوس قيصر) وهو أخو واليش، ويقال إن ولنطيانوش ويقال والنطوش بن واليش كان شريكاً له في الملك فأقام سنة واحدة، وقيل سنتين، وقيل ثلاث سنين، ومات اغراديانوس وابن أخيه في سنة واحدة .

وملك بعدهما (تاوداسيوس) ويقال إنه طودوشوش لستمائة وتسعين من ملك الإسكندر، فأقام سبع عشرة سنة، وفي الخامسة عشرة من ملكه ظهر أهل الكهف وأفاقوا من نومهم، فأرسل في طلبهم فوجدتهم قد ماتوا فأمر أن تبنى عليهم كنيسة ويُتخذ يوم ظهورهم عيداً . وفي أيامه كان المجمع بقسطنطينية لمائتين وخمسين سنة من [مجمع] نيقية .

ثم ملك (اركاديش) بن تاوداسيوس، فأقام ثلاث عشرة سنة، وولد له ولد سماه طودوشوش، فلما كبر هرب إلى مصر وترهب، وأقام في مغارة في الجبل المقطم ومات، فبنى الملك على قبره كنيسة وديرا يسمى دير القصير، وهو دير البغل، وهلك .

فملك بعده أبنيه (طودوشيش قيصر) الأصغر، فأقام ثنتين وأربعين سنة .
وفي أيامه كان المجمع الثالث للنصارى بمدينة أفسس، وولى أخاه أنوريش على رومة
وأقسما الملك بينهما، وقيل إن أركاديش بن طودوشيش ولى أخاه أنوريش على
رومة وأقسما الملك وإنه لما هلك أركاديش استبد أخوه أنوريش قيصر بالملك
خمس عشرة سنة؛ وإنه لما هلك ملك من بعده طودوشيش المقدم ذكره .

ثم ملك (مرقيان قيصر) ويقال بالكاف بدل القاف، فأقام ست سنين .
وفي أيامه كان المجمع الرابع بخلقونية وأنقسم النصارى إلى يعقوبية وملكية،
ونسطورية . وفي أيامه سكن شمعون الحبس الصومعة بأنطاكية وترهب فيها
وهو أول من فعل ذلك من النصارى؛ ثم مات مرقيان .

وملك بعده (لاون قيصر) ويعرف بلاون الكبير لسبعماية وسبعين سنة من ملك
الإسكندر، وقيل اسمه ليون بن شميخلية، وكان ملكاً فأقام ست عشرة سنة ومات .
وملك بعده (لاون قيصر) ويعرف بلاون الصغير، وكان يعقوبياً فأقام سنة
واحدة وهلك .

فملك بعده (زينون قيصر) وقيل اسمه سينون بالسين المهملة بدل الزاي، وكان
يعقوبياً فأقام سبع عشرة سنة وهلك .

فملك بعده (نسطاش قيصر) لثمانمائة وثلاث سنين للإسكندر، فأقام سبعاً
وعشرين سنة، وكان يعقوبياً، وسكن حماة من الشام، وأمر أن تشاد وتحصن
فبذبت في سنتين، وأمر بقتل كل امرأة قارية كاتبة، وهلك .

(١) تقدم أن اسمه "ناوداسيوس" .

فملك بعده (يشطيانش قيصر) ثمانمائة وثلاثين للإسكندر ، وكان ملكاً فأقام تسع سنين ، وقيل سبع سنين ، ويقال إنه كان معه شريك في ملكه يقال له يشطيان ، وهلك .

فملك بعده (يشطيانش قيصر) ثمانمائة وأربعين للإسكندر ، وكان ملكاً وهو ابن عم يشطيانش الملك قبله ، وقيل كان شريكه فأقام أربعين سنة ، وقيل ثلاثاً وثلاثين سنة ، وأمر بأن يُتخذ عيد الميلاد في الرابع والعشرين من كانون ، والفطاس في ست منه ، وكانا قبل ذلك جميعاً في سادسه ، وكانت كنيسة بيت لحم بالقدس صغيرة فزاد فيها ووسّعها حتى صارت على ما هي عليه الآن . وفي أيامه كان المجمع الخامس للنصارى بالقُسطنطينية ، وهلك .

فملك بعده (يوشطونش قيصر) ثمانمائة وثمانين سنة للإسكندر في زمن كسرى أنوشروان فأقام ثلاث عشرة سنة ، وقيل إحدى عشرة سنة ، وهلك .

فملك بعده (طباريش قيصر) ثمانمائة وثلثين وتسعين للإسكندر ، فأقام ثلاث سنين ، وقيل أربع سنين ، وهلك .

فملك بعده (موريكش قيصر) ثمانمائة وخميس وتسعين للإسكندر ، فأقام عشرين سنة ، وكان حسن السيرة ، ووثب عليه بعض مماليكه فقتله .

وملك بعده (قوقاص قيصر) قريب موريكش الملك قبله ، وكان هو الذي بعث مملوكه على قتله . وفي أيامه ثار كسرى أبرويز على بلاد الروم ، وملك الشام ومصر ، فأقاما في مملكة الفرس عشر سنين ، وحاصر القُسطنطينية طلباً لثأر موريكش لمصاهرة كانت بينهما ، فثار الروم على قوقاص فقتلته بسبب ما جابهه إليهم من الفتنة .

وملك بعده (هَرَقل) بن أنطونيش ، وقيل هَرَقل بن هَرَقل بن أنطونيش
لستمائة وإحدى عشرة من تاريخ المسيح ، ولألف ومائة من بناء رُومة ، ولتسعمائة
وثنتين وعشرين سنة للإسكندر ، ولأول سنة من الهجرة ، وقيل لإحدى عشرة
سنة منها ، وقيل لتسع سنين . فارتحل أبرويز عن القُسطنطينية راجعا إلى بلاده ،
وأقام هَرَقل في الملك إحدى وثلاثين سنة ونصفا ، وقيل ثنتين وثلاثين سنة ، وثار
على بلاد الفُرس نحرهم في غيبة كسرى ، وضعفت مملكة الفُرس بسبب ذلك ،
وآستولى هَرَقل على ما كان كسرى آستولى عليه من بلاده : وهو مصر والشام ،
وأعاد بناء ما كان نحر من الكنائس فيهما ، وكتب إليه النبي ﷺ عليه وسلم
يدعوه للإسلام .

قال المسعودي ، وقيل إن مَوْلِد النبي ﷺ عليه وسلم كان في أيام يوشطيانش ،
وإن ملكه كان عشرين سنة . ثم ملك (هَرَقل بن نوسطيونس) خمس عشرة سنة ،
وإليه تُنسب الدراهم الهِرَقْلِيَّة . ثم ملك بعده (مورق بن هَرَقل) . قال : والمشهور
بين الناس أن الهجرة وأيام الشيخين كان مُلك الروم لِهَرَقل . قال : وفي كتب السير
أن الهجرة كانت على عهد قيصَر بن مورق ، ثم كان بعده قيصَر بن قيصَر [أيام أبي بكر
ثم هَرَقل بن قيصَر^(١) أيام عمر ، وعليه كان الفتح وهو المخرج من الشام .

(١) الزيادة من (العبرج ٢ ص ٢٢٢) .

الطبقة الرابعة

(ملوك الروم بعد الفتح الإسلامي إلى زماننا)

قد تقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث وهاجر وهرقل ملك الروم ، وكتب إليه يدعوهُ إلى الإسلام . وبقى هرقل إلى أن أفتح المسلمون الشام في خلافة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه . فلما غلب المسلمون على أكثر بلاد الشام ، خرج إلى الرها ، ثم علا على نسر من الأرض وألقت إلى الشام وقال : ” السلام عليك يا سوريا سلام لا اجتماع بعده ، ولا يعود إليك رومي بعدها إلا خائفاً “ وسار حتى بلغ القسطنطينية فأقام بها ، وأستولى المسلمون على الشام ومصر والإسكندرية وأفريقية والأندلس ، وأستولوا على جزائر البحر الرومي : مثل صقلية ، ودانية ، وميوزقة وغيرها مما كان بيد الروم . وأقام في الملك إحدى وثلاثين سنة ، وهلك لإحدى وعشرين سنة من الهجرة .

وملك بعده على الروم قسطنطينية ابنه (قسطنطين) بن هرقل فأقام ستة أشهر وقتله بعض نساء أبيه .

وملك بعده أخوه (هرقل) بن هرقل ، فتشاءم به الروم فخلعوه وقتلوه . وملكوا عليهم (قسطينو بن قسطنطين) فأقام ست عشرة سنة . وفي أيامه غزا معاوية ابن أبي سفيان بلاد الروم وهو أمير على الشام من قبل عمر بن الخطاب في سنة أربع وعشرين من الهجرة فدوخ البلاد وفتح منها مدناً كثيرة ، ثم أغزى عساكر المسلمين إلى قبرص في البحر في سنة سبع وعشرين ، ففتح منها حصونا ، وضرب الجزية على أهلها . ومات قسطينو سنة سبع وثلاثين من الهجرة .

فملك بعده آبنه (يوطيانس) فأقام اثنتي عشرة سنة ، ومات سنة ثمان وأربعين من الهجرة .

وملك بعده آبنه (لاون) فأقام ثلاث سنين ، ومات سنة خمسين من الهجرة ^(١) .
فملك بعده (طيباريوس قيصر) فمكث سبع سنين . وفي أيامه غزا يزيد بن معاوية القسطنطينية في عساكر المسلمين وحاصرها مدة ، ثم أفرج عنها واستشهد أبو أيوب الأنصاري في حصارها ودُفن في ساحتها ، وقُتل طيباريوس المذكور سنة ثمان وخمسين من الهجرة .

وملك بعده (أغسطس قيصر) فذبجه بعض عبيده .

وملك بعده آبنه (إصطفانيوس) في أيام عبد الملك بن مروان ثم خلع .

وملك بعده (لاون) ومات سنة ثمان وسبعين من الهجرة .

وملك بعده (طيباريوس) سبع سنين ، ومات سنة ست وثمانين من الهجرة .

وملك بعده (سطيانوس) في أيام الوليد بن عبد الملك باني الجامع الأموي بدمشق .

ثم ملك بعده (تداوس) في سنة إحدى ومائة من الهجرة ، فأقام سنة ونصفا .

ثم ملك بعده (لاون) فأقام أربعاً وعشرين سنة .

وملك بعده آبنه (قسطنطين) . وفي أيامه غزا هشام بن عبد الملك الصائفة اليسرى من بلاد الروم ، وأخوه سليمان الصائفة اليمنى في سنة ثلاث عشرة ومائة ، فلقبهم قسطنطين المذكور في جموع الروم فانهزم وأخذ أسيراً ثم أطلق .

(١) كذا في العبر أيضاً إلا أنه جعله تاريخاً لوفاة يوطيانس وأسقط لاون من البين .

ثم ملك بعده رجل اسمه (جرجس) من غير بيت الملك فبقى أيام السَّفَّاح ،
والمنصور وأمره مضطرب ثم مات .

وملك بعده (قسطنطين) بن لاون ، وبني المَدُن وأسكنها أهل أرمينية وغيرهم ،
ثم مات .

وملك بعده ابنه (لاون) وهلك .

فملك بعده (نقفور) وهلك في خلافة الأمين بن الرشيد .

وملك بعده ابنه (استيراق قيصر) وأقام إلى خلافة المأمون . وفي أيام المأمون
غلب قسطنطين [بن قلفط^(١)] على مملكة الروم ، وطرد ابن نقفور ، هكذا رتبته ابن
العميد . وفي كلام المسعودي ما يخالفه .

قال المسعودي : ثم ملك بعد قسطنطين (نوفيل) أيام المعتصم .

ثم ملك من بعده (ميخائيل) بن نوفيل أيام الواثق ، والمتوكل ، والمتنصر ،
والمستعين .

ثم تنازع الروم وملكو عليهم (نوفيل بن ميخائيل) أيام المعتز ، والمهتدي ، وبعض
أيام المعتصم .

ثم ملك من بعده ابنه (أليون) بن نوفيل [بقية] أيام المعتصم وصَدْرًا من أيام
المعتضد .

ثم ملك من بعده (الإسكندروس) بن أليون ، فتَقَمَّوا سيرته ، فخلعوه .

وملَّكوا عليهم أخاه [لاوي^(١)] بن أليون ، فأقام [بقية] أيام المعتضد والمكتفي ،
وصدرا من أيام المقتدر ثم هلك .

(١) الزيادة عن " العبرج ٢ ص ٢٢٩ نقلا عن المسعودي " لتمام الفائدة .

وملك أبْنُه (قسطنطين) صغيراً ، وقام بتدبير دولته أرمنوس بِطريق البحر ، وزوجه أبنته وتسمى بالدمستق ، والدمستق هو الذي يلي شرق الخليج القسطنطيني ، وآتصل ذلك أيامَ المقتدر ، والقاهر ، والراضي ، والمتقى . ثم أفرق أمرُ الروم .

ثم ظاهرُ كلام ابن الأثير أن أرمنوس المتقدم ذكره صار إليه الملك بعد قسطنطين . قال : وكان التمسق على عهده قوقاس فملك مَلْطِيَّةَ من يد المسلمين بالأمان في سنة ثنتين وعشرين وثلاثمائة ، وولى تقفور دمستقا ، وهلك أرمنوس وترك ولدين صغيرين وكان تقفور التمسق غائباً ببلاد المسلمين فلم يرجع آجتماع إليه زعماء الروم وقدموه لتدبير أمر الصغيرين وألبسوه التاج ، ثم دسَّت عليه (١) أم زوجة أرمنوس أم الصغيرين ، فقتلته في سنة ستين وثلاثمائة .

وقام أبْنُها الأكبر وهو (بسيل بن أرمنوس) بتدبير ملكه فطالت مدته ، وأقام في الملك نيِّفاً وسبعين سنة ، وهلك بسيل سنة عشر وأربعمائة .

وملك بعده أخوه (قسطنطين) فأقام تسع سنين ، ثم هلك عن ثلاث بنات .

فملك الروم عليهم الكُبرى منهم ، وقام بأمرها ابنُ خالها (أرمانوس) وتزوجت به فاستولى على مملكة الروم ، ثم مالت زوجته إلى المتحكِّم في دولته ، وأسمه ميخائيل فدسَّته عليه فقتله وأستولى على الأمر ، ثم أصابه الصَّرع ودام به .

فعُهد لابن أخت له اسمه (ميخائيل) فأحسن السَّيرة وطلب من زوجة خاله أن تخلع نفسها عن الملك فأبت فنفاها إلى بعض الجُزر ، وأستولى على المملكة سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، وأنكر عليه البطرك خلع المرأة فهم بقتله ، فنادى البطركُ

(١) لعل لفظ أم زائد ، أنظر العبر .

في النصارى بخلعه نخلعوه، وأستدعى الملكة التي خلعتها وأعادها إلى الملك، ونفت ميخائيل كما نفاها، ثم اتفق البطرك والروم على خلعتها نخلعت.

وملكوا عليهم أختها (ندورة) وسملوا ميخائيل فوق الخلف بسبب ذلك، فأقرعوا بين المترشحين للملك منهم فخرجت على رجل منهم اسمه (قسطنطين) فملكوه عليهم وزوجوه بندورة الملكة في سنة أربع وثلاثين وأربعمائة، ثم توفي قسطنطين المذكور سنة ست وأربعين وأربعمائة.

وملك على الروم (أرمانوس) وذلك لأول دولة السلجوقية، وخرج لبلاد الإسلام [فزحف إليه ألب أرسلان من أذربيجان^(١) فهزمه وحصل في أسره، ثم فاداه على مال يعطيه وأجروه عليه وعقد معه صلحا].

فوثب (ميخائيل) بعده على مملكة الروم. فلما أنطلق من الأسر وعاد إلى قسطنطينية، دفعه ميخائيل عن الملك، وألزم لألب أرسلان ما أنعقد عليه الصلح. وترهب أرمانوس وترك الملك. إلى هنا انتهى كلام ابن الأثير.

ثم توالى عليها ملوك الروم واحداً بعد واحد إلى آخر المائة السادسة. وكان ملك القسطنطينية يومئذ قد تزوج أخت الفرنسيس ملك الفرنجة، فولد له منها ابن ذكر.

ثم وثب بالملك أخوه فسمله وملك مكانه، ولحق الابن بحاله الفرنسيس، فوجده قد جهز الأساطيل لارتجاع بيت المقدس وفيها ثلاثة من ملوك الفرنجة وهم كيدقليس: أحد ملوكهم، وهو أكبرهم، ودوقس البنادقة، والمركين مقدم الفرنسيس. فأمرهم الفرنسيس بالحوار على القسطنطينية ليصالحوا بين ابن أخته

(١) الزيادة عن العبرج ٢ ص ١٣١ ليتضح المقام.

وبين عمه ملك الروم . فلما وصلوا إلى مرسى القسطنطينية خرج إليهم عمه وحاربهم فهزموه ودخلوا البلد ، وأجلسوا الصبي على سرير الملك ، وساء أمرهم في البلد ، وصادروا أهل النعم ، وأخذوا أموال الكنائس ، وثقلت وطأتهم على الروم ، فعتلوا الصبي وأخرجوه من البلد ، وأعادوا عم الصبي إلى الملك . ثم هجم الفرنج البلد واستباحوها ثمانية أيام حتى أقفرت ، وقتلوا من بها من القسيسين والرهبان والأساقفة ، وخلصوا الصبي ، وأقترع ملوك الفرنج الثلاثة على الملك ، فخرجت القرعة على كيدقليس كبيرهم فملكوه على القسطنطينية وما يجاورها . وجعلوا لدوقس البنادقة الجزائر البحرية : مثل أقريطش ورودس وغيرهما ، وللمركين البلاد التي في شرق الخليج : مثل أرسوا ولارتو في جوار سليمان بن قليج أرسلان ، فلم يحصل لأحد منهم شيء من ذلك إلا لمن أخذ شرق الخليج . ثم تغلب على القسطنطينية بطريق من بطارقة الروم شهرته لشكري واسمه (ميخائيل) فدفع عنها الفرنج وملكها وقتل الذي كان ملكا قبله ، وعقد معه الصلح الملك المنصور « قلاوون الصالح » صاحب مصر والشام ، وتوفي سنة إحدى وثمانين وستمائة .

وملك بعده ابنه (ياندر) وتلقب الدوقس ، وشهرتهم جميعا للشكري ، وبقي بنوه في ملكها إلى الآن . ولم أقف على تفاصيل أخبارهم غير أنه لم يبق بيدهم سوى قسطنطينية وبعض أعمالها المجاورة لها . وقد استولى الفرنج على جهاتها الغربية ، واستولى المسلمون على ما هو شرق الخليج القسطنطيني وعلى أعمال كثيرة من غربيته إلى ما يقارب خليج البنادقة على ما تقدم بيانه في الكلام على القسم الأول من هذا المقصد ، مع تسلط صاحب السراي ملك تتر الشمال من بني جنكركان عليه بالبعوث والسرايا قبل ذلك ، حتى إن « القان أزبك » صاحب هذه المملكة قرر عليه إتاوة تحل إليه في كل سنة ليكف عنه ، كما أشار إليه في « التعريف » في الكلام على

مكتبة صاحب القسطنطينية . قال ابن سعيد : ومنتهى حكم الشكرى صاحب القسطنطينية الآن إلى إثنية . قال في "تقويم البلدان" : بالهمزة والياء المشناة التحتية والياء المشناة ونون ثم ياء مشناة تحتية ثانية وهاء في الآخر . قال ابن سعيد : وهي غربي الخليج القسطنطيني بشمال . قال ابن حوقل : وهي مدينة بها مجمع النصارى بقرب البحر ، وهي دار حكمة اليونان في القديم ، وبها تحفظ علومهم ، وحكمهم .

ولصاحب القسطنطينية المستقر بها مكتبة تخصه من الأبواب السلطانية بالديار المصرية ، على ما يأتي بيانه في الكلام على مكاتبات ملوك الكفر في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

المملكة الثانية

(مملكة الألمان)

قال المؤيد صاحب حمة في تاريخه : وهم من أكبر أمم النصارى ، يسكنون في غربي القسطنطينية إلى الشمال ، وملكهم كثير الجنود . قال : وهو الذي سار إلى الشام في زمن السلطان صلاح الدين «يوسف بن أيوب» في سنة ست وثمانين وخمسمائة ، فهلك قبل وصوله إلى الشام . وكان قد خرج بمائة ألف مقاتل فسلط الله عليهم الغلاء والوباء فمات أكثرهم في الطريق ، ولما وصل إلى بلاد الأرمن نزل يغتسل في نهر هناك فغرق فيه ، وبقي من عسكره قدر ألف مقاتل لا غير فعادوا إلى بلادهم . ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ﴾ .

وقاعدتهم فيما ذكر ابن سعيد (مدينة برشان) . قال في "تقويم البلدان" : بضم الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح الشين المعجمة ثم ألف ونون في الآخر . قال : ويقال لها أيضا (برجان) بالجيم وذكر ابن سعيد : أنه كان بها الأمة المسماة برجان في قديم الزمان فاستولت عليهم الألمانية وأبادوهم حتى لم يبق منهم أحد ، ولم يبق لهم أثر . وهؤلاء البرجان هم الذين كان يقاتلهم قسطنطين ورأى في منامه أعلاما عليها صلبان فتنصّر .

المملكة الثالثة

(مملكة البنادقة)

وهم طائفة مشهورة من الفرنج ، وبلادهم شرق بلاد (الأبردية) الآتي ذكرهم . وقاعدة مملكتهم (البندقية) . قال في "تقويم البلدان" : بضم الباء الموحدة وسكون النون ثم دال مهملة وقاف ومثناة تحتية وهاء في الآخر . وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول اثنتان وثلاثون درجة ، والعرض أربع وأربعون درجة . قال ابن سعيد : وهي على طرف الخليج المعروف بجون البنادقة ، وقد تقدم الكلام عليه عند ذكره في الكلام على بحر الروم . قال : وعمارتها في البحر ، وتخرق المراكب أكثرها ، تتردد بين الدور ، ومركب الإنسان على باب داره ، وليس لهم مكان يتمشون فيه إلا الساباط الذي فيه سوق الصرّف ، صنعوه لراحتهم إذا أرادوا التمشي ، وملّكهم من أنفسهم يقال له الدوك ، يعني بضم الدال المهملة وسكون الواو وكاف في الآخر . ودنانيرهم أفضل دنانير الفرنجة ، وقد تقدم في الكلام على معاملة الديار المصرية في أول هذه المقالة أن دينارهم

يقال له (دُوكَات) نسبة الى الدوك الذى هو ملكهم ، وإليها يُنسب الجُوخُ البندقيّ .
الفائق لكل نوع من الجُوخ .

قال السلطان عمادُ الدين صاحب حماة فى تاريخه : وهى قريبة من جنوة
فى البر ، وبينهما نحو ثمانية أيام . أما فى البحر فينبهما أمدٌ بعيدٌ أكثر من شهرين ،
وذلك أنهم يخرُجون إلى بحر الرُوم فى جهة الشرق ثم يسرون فى بحر الرُوم إلى
جهة الغرب .

قال فى "تقويم البلدان" : ومن أعمال البندقية (جزائر النقربنت) بفتح النون
وسكون القاف والراء المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون النون وتاء مثناة فوقية
فى الآخر . قال : وكثيرا مايكن بين تلك الجزائر شوانى الحرّامية .

ثم قال : وفى شمالى هذه الجزائر مملكة (أستيب) بفتح الهمزة وسكون السين
المهملة وكسر المثناة فوقية وسكون المثناة التحتية وباء موحدة فى الآخر . وفى مملكة
أستيب هذه يعمل الأطلس المعدنى .

المملكة الرابعة

(مملكة الجنوين)

وهم طائفة من الفرنج مشهورة أيضا .

وقاعدة مملكتهم (مدينة جنوة) . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الجيم والنون
والواو ثم هاء فى الآخر . وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد :
حيثُ الطولُ إحدى وثلاثون درجةً ، والعرضُ إحدى وأربعون درجةً وعشرون
دقيقة . قال : وهى على غربى جُون عظيم من البحر الرومى ، والبحر فيما بينها وبين

الأندلس يدخل في الشمال . وهي غربيّ (بلاد البيازنة) . قال الشريف الإدريسيّ :
 وبها جنّات وأودية ، وبها مرّسى جيّد مأمونٌ ، ومدخله من الغرب . قال
 في "تقويم البلدان" : وعن بعض أهلها أنها في ذيل جبل عظيم ، وهي على حافة
 البحر ، ومينائها عليها سورٌ ، وأنها مدينة كبيرة إلى الغاية ، وفيها أنواع الفواكه ،
 ودور أهلها عظيمة ، كلّ دار بمنزلة قلعة ، ولذلك آغتنوا عن عمل سور عليها ، ولها
 عيون ماء ، منها شربهم وشرب بسايتهم . قال المؤيد صاحب حماة في تاريخه :
 ولها بلاد كثيرة .

المملكة الخامسة

(بلاد رومية)

(١)
 بضم الراء المهملة وسكون الواو وكسر الميم وفتح الياء المثناة تحت المشددة وهاء
 في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : ويقال لها أيضا رُومَة (يعني بضم الراء وسكون
 الواو وفتح الميم وهاء في الآخر) . وهي مدينة عظيمة واقعة في الإقليم الخامس من
 الأقاليم السبعة قال في "القانون" : حيث الطول خمس وثلاثون درجة وعشرون
 دقيقة ، والعرض أربعون درجة وخمسون دقيقة . قال ابن سعيد : وهي مدينة
 مشهورة في جنوبيّ جَوْن البنادقة على جانبيّ نهر يعرف بنهر الصُفْر .

وقد ذكر « هرودوتوس » مؤرخ الروم أنها بُنيت لأربعة آلاف وخمسمائة سنة
 من أول العالم ، على زمن حرقيا بن احاز رابع عشر ملوك بني إسرائيل . وذكر ابن
 كريون : أنها بُنيت في زمن داود عليه السلام ، وبينهما تفاوت كثير في المدة . قال

(١) ضبطها ياقوت بخفيف الياء ونقل عن الأصمعي أنها مثل أنطاكية وأفامية إلى أن قال وهو كثير

في كلام الروم وبلادهم فانظره ج ٢ ص ٨٦٦ .

فى "الروض المعطار" : وهى من أعظم المدن وأحفاها . يقال : إنه كان طولها من الشمال إلى الجنوب عشرين ميلا ، وعرضها من الشرق إلى الغرب اثنى عشر ميلا . وقيل : دورها أربعون ميلا ، وقطرها اثنا عشر ميلا ، وارتفاع سورها ثمانية وأربعون ذراعا . وقيل اثنا وسبعون ذراعا ، فى عرض اثنى عشر شبرا مبنى بالحجر ، وهى فى سهل من الأرض تُحيط بها الجبال على بُعد ، وبينها وبين البحر الرومى اثنا عشر ميلا ، ويُشققها نهر ينقسم داخلها قسمين ثم يلتقيان آخرها ، وأرضه مفروشة بالنحاس الأصفر مسافة عشرين ميلا ، وفى وسطها صحن فى صخرة مرتفعة لم يظفر به عدو قط .

وفى داخلها كنيسة طولها ثلثمائة ذراع وارتفاعها مائتا ذراع ، لها أربعة ابواب من فضة سبك واحد ، مُسَقَّفة بالنحاس الأصفر المُلصق بالقصدير ، وحيطانها ملبسة بصفايح النحاس ، وبها كنيسة أخرى بها برج طوله فى الهواء مائة ذراع ، وعلى راس ذلك البرج قبة مبنية بالرصاص ، وعلى رأس القبة زُرُور من نحاس إذا أدرك الزيتون انحشرت إليه الزرازير من الأفطار البعيدة ، فى منقار كل زُرُور زيتونة وفى رجليه زيتونتان ، فيطرحها على ذلك البرج فيعصر ويؤخذ زيتته ، فيستصبَح به فى الكنيسة جميع السنة . قال : وأهل رومية أجبن خلق الله تعالى ، ومن ستتهم أنهم لا يدفنون موتاهم ، وإنما يدخلونهم فى مغائر ويتركونهم فيها فيستوي هواؤهم ويقع الدباب على الموتى ، ثم يقع على ثمارهم فيفسدها ، ولذلك هم أكثر بلاد الله تعالى طواعين ، حتى إن الطاعون يقع فيها ولا يتعداها إلى غيرها فوق عشرين ميلا ، وجميع أهلها يخلقون لحاهم ، ويزعمون أن كل من لا يخلق لحيته

(١) لعل الصواب "مغارات" أو "مغاور" فان وزنها مفعلة لا فعالة حتى تجمع هذا الجمع ولم ينبه عليها اللغويون فى الشواذ .

فليس نصرانياً كاملاً ، زاعمين أن سبب ذلك أن شمعون الصفا والحواريين جاءوهم وهم قوم مساكين ليس مع كل واحد منهم إلا عصا وجراب ، فدعّوهم إلى النصرانية فلم يُجيبوهم ، وأخذوهم فعذبوهم وحلقوا رؤوسهم وحلّاهم . فلما ظهر لهم صدق قولهم وأسوهم بأن فعلوا بأنفسهم مثل ذلك .

ولم تزل رومية هي القاعدة العظمى للروم حتى بنيت القُسطنطينية وتحول إليها قُسطنطين ، وصارت قسطنطينية هي دار ملك الروم على ما تقدّم ذكره في الكلام عليها ، مع بقاء رومية عندهم على رفعة المحلّ وعِظَم الشأن إلى أن غلب عليها الفرنج وأنزعوها من أيديهم ، ورفعوا منها قواعدهم واستولوا على ما وراءها من النواحي والبلدان والجزائر : بكنوة ، والبندقية ، وأقريطش ، ورودس ، واسترجعوا كثيراً مما كان المسلمون استولوا عليه من بلاد الروم كغالب الأندلس . ثم حدثت الفتن بينهم وبين الروم بالقُسطنطينية ، وعظمت الفتن بينهم ودامت نحواً من مائة سنة «وملك الروم بالقُسطنطينية معهم في تناقص» حتى إن رجلاً صاحب جزيرة صقلية صار يغزو القسطنطينية بأساطيله ويأخذ ما يجد في مينائها من سفن التجار وشواني المدينة ، وأنتهى أمره أن جرجا بن ميخائيل صاحب أساطيله دخل إلى ميناء القسطنطينية في سنة أربع وأربعين وخمسة ورمى قصر الملك بالسهم ، فكان ذلك أنكى على الروم من كل نكابة . ثم تزايد الحال إلى أن استولى الفرنج على القسطنطينية نفسها في آخر المائة السادسة ، وأوقعوا بأهلها وقتلوا وحربوا على ما تقدّم بيانه في الكلام على ملوك القسطنطينية . وبالجملة فرومية اليوم من قواعد الفرنج ، وهي مقتر (بابهم) الذي هو خليفة النصارى المملكانية وإليه مرجعهم في التحليل والتحريم .

ولهذا الباب مكتبةٌ تخصُّه عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية ، كما سيأتى ذكره فى الكلام على المكتبات فى المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .



وأما الممالك الصغار فسبعُ ممالك :

الأولى

(مملكة المَرَا)

قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الميم والراء المهملة وألف . وهى مملكة تبندى من الخليج القُسطنطينى من الغرب على ساحل بحر الروم وتمتد مغرباً [وتشتمل على (١) قطعة من] ساحل بحر الروم وعلى بلادٍ وجبالٍ خارجةٍ عن البحر . قال : وهذه المملكة مناصفة بين صاحب قسطنطينية وبين جنس من الفرنج يقال لهم (القيتلان) بالقاف والياء الساكنة آخر الحروف والمثناة الفوقية ولام ألف ونون ، ويقال (الكيتلان) بإبدال القاف كافاً ، وهذا هو الجارى على ألسنة الناس فى النطق بهم .

الثانية

(بلاد المَلْفَجُوط)

قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الميم وسكون اللام وفتح الفاء وضم الجيم وسكون الواو وطاء مهملة فى الآخر . وهم جنس من الروم لهم لسان ينفردون به ، وبلادهم من أعمال قُسطنطينية على ساحل بحر الروم مما يلي مملكة المَرَا المقدم ذكرها من جهة الغرب فى مقابلة مشاريق برقة من البر الآخر ، على ما تقدم ذكره فى الكلام على بحر الروم فى أول هذه المقالة .

(١) الزيادة من التقويم ص ١٩٨ ليستقيم الكلام .

الثالثة

(بلاد إفليرنس)

قال في "تقويم البلدان": بكسر الهمزة وسكون القاف وكسر اللام والراء المهملة وسكون النون وسين مهملة في الآخر. وهي بلاد على ساحل بحر الروم غربي بلاد الملفجوط المقدم ذكرها وشرقي بلاد الباسليسة الآتي ذكرها، وهم في مملكة الباسليسة المذكورة.

الرابعة

(مملكة بوليصة)

بضم الباء الموحدة وسكون الواو ولام وياء آخر الحروف وهاء. قال: ويقال لها أنبُولِيَّةُ أيضا يعني بزيادة همزة في أولها ونون ساكنة بعدها. وهي مملكة على بحر الروم عند فم جَوْن البنادقة من غربيَّه، في مقابل مملكة الباسليسة من برالجون المذكور من الجهة الشرقية، وببُولِيَّة هذه يُعرف الزيت المعروف بالبوليصة. قال في "تقويم البلدان": وملك بوليصة هذه في زماننا يقال له الريدشار.

الخامسة

(بلاد قلفورية)

قال في "تقويم البلدان": بفتح القاف واللام وسكون الفاء وكسر الراء المهملة وفتح المثناة تحت وهاء في الآخر. قال: ويقال لها قَلَوْرِيَّةُ أيضا بابدال الفاء واوا. وهي من جملة بُولِيَّة المقسّمة الذكر، واقعة في غربيها وشرقي مملكة رُومِيَّة المتقدمة الذكر، وقد تقدّم في الكلام على بحر الروم أنه يقابلها طرابُلُس الغرب من البر الآخر.

السادسة

(بلاد التُّسْقَان)

قال في "تقويم البلدان" : بضم المثناة الفوقية وسكون السين المهملة وقاف وألف ونون . قال : وهم جنس من الفَرَنْج ليس لهم ملكٌ بعينه يحكم عليهم بل لهم أكابرٌ يحكمون بينهم ، ثم قال : وبتلك البلاد يكون نباتُ الزعفران ، وقد تقدّم في الكلام على البحر الروميّ أنه يقابلها مدينة تُونُس من البرّ الآخر .

السابعة

(بلاد البِيَّازِنَة)

بفتح الباء الموحدة والياء المثناة تحت وألف ثم زاي معجمة مكسورة ونون مفتوحة وهاء في الآخر . وهم فرقة من الفَرَنْج .

وقاعدة مُلكهم (مدينة بِيَزَة) . قال في "تقويم البلدان" : بياء موحدة مكسورة وياء آخر الحروف ساكنة وزاي معجمة يعنى وهاء في الآخر . قال : وقد تُبدل الزاي شينا معجمة . وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة قال : والقياس أنها حيثُ الطولُ اثنتان وثلاثون درجةً ، والعرضُ ستُّ وأربعون درجةً وسبعٌ وعشرون دقيقةً . وقد ذكر في "تقويم البلدان" أنها على الركن الشماليّ من بلاد الأندلس في مقابل جزيرة سِرْدَانِيَّة المقدّمة الذكر . وهي غربيّ بلاد رُومِيَّة ؛ وليس لهم ملك وإنما مرجعهم إلى الباب : خليفة النصاريّ ؛ وإلى بِيَزَة هذه تُنسب الفَرَنْج البِيَّازِنَة والحديد البِيَّازِنِيّ . وقد تقدّم في الكلام على البحر الروميّ أنه يقابلها من البرّ الآخر مَرَسِيّ الحَرَز .

القطر الثاني

(مما غربي الخليج القسطنطيني الأرض الكبيرة)

قال صاحب حماة : وهي أرض متسعة في شمالي الأندلس ، بها ألسن كثيرة مختلفة . وقد ذكر في " التعريف " أنها في شرق الأندلس ، ولا يصح ذلك إلا أن يريد منها ما هو شرق شمالي الأندلس .

ويتعلق الغرض منها بثلاث ممالك :

المملكة الأولى

(مملكة الفرنج القديمة)

وقاعدتها (مدينة قرنجة) بالفاء والراء المهملة المفتوحتين وسكون النون وفتح الجيم وهاء في الآخر، وقد تبدل الجيم منها سينا مهملة فيقال فرنسة . ويقال لملكهم ريد إفرنس ، ومعناه ملك إفرنس ، والعاقة تقول الفرئيس . وهو الذي قصد ديار مصر وأخذ دمياط وأسره المسلمون ثم أطلقوه . يشير بذلك إلى قضية تاريخية ، وهي أن الفرنج في سنة خمس عشرة وستمائة وهم مستولون على سواحل الشام يومئذ سار منهم نحو عشرين ملكاً من عكا وقصدوا دمياط في أيام الملك العادل «أبي بكر بن أيوب» رحمه الله ، وسار العادل من مصر إليهم فنزل مقابلهم ، وأقاموا على ذلك أربعة أشهر ، ومات العادل في أثناء ذلك ، واستقر بعده في الملك ابنه الملك «الكامل محمد» فوقع في عسكره اختلاف تشاغل به ، فهجم الفرنج دمياط وملكوها عنوة في سنة ست عشرة وستمائة ، وطمعوا بذلك في مملكة الديار المصرية ، فبنى الملك الكامل بلدة عند مفرق النيل : الفرقة الذاهبة إلى دمياط ، والفرقة الذاهبة إلى أشموم طنّاح ، وسماها (المنصورة) ونزلها بعساكره ، ولم يزل الأمر على ذلك إلى

أن دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة، وقد اشتد طمع الفرنج في الديار المصرية، وتقدموا عن دمياط إلى المنصورة وضايقوا المسلمين إلى أن سألهم الملك الكامل في الصلح على أن يكون لهم القدس، وعسقلان، وطبرية، واللاذقية، وجبلة، وسائر ما فتحه السلطان صلاح الدين من سواحل الشام، خلا الكرك والشوبك، فأبوا إلا أن يكون لهم الكرك والشوبك أيضا، وأن يعطوا مع ذلك ثلثمائة ألف دينار في نظير ما حاربوه من سور القدس، فأعمل المسلمون حينئذ الحيلة في إرسال فرع من النيل في إبان زيادته، حال بين الفرنج وبين دمياط، أقطع بسببه الميرة عنهم، وأشرفوا على الهلاك، وكان آخر أمرهم أن أعرضوا عن جميع ما كانوا سئلوا به من الأماكن المتقدمة الذكر ونزلوا عن دمياط للمسلمين، وتسلمها الملك الكامل منهم، ثم عاد إلى مصر وبقيت دمياط بيد المسلمين إلى أن قصدها الفرنسي في خمسين ألف مقاتل، ومعه الأذفونش صاحب طليطلة في أيام الملك «الصلاح أيوب» بن الكامل محمد، بن العادل أبي بكر، بن أيوب في سنة سبع وأربعين وستمائة، وهجم دمياط وملكها عنوة، وسار الملك الصالح فنزل بالمنصورة، وسار الفرنج فنزلوا مقابلته، ثم قصدوا دمياط فتبعهم المسلمون وبنلوا فيهم السيف، فقتلوا منهم نحو ثلاثين ألفا، وأسير الفرنسي وحبس بالمنصورة بدار الصاحب «نحر الدين إبراهيم بن لقمان» صاحب ديوان الإنشاء، ووكل به الطواشي صبيح «المعظمي» ومات الصالح في أثناء ذلك، وأستقر أبنه الملك المعظم مكانه في الملك، ثم قتل عن قريب، وفوض الأمر إلى «شجرة الدر» زوجة الملك الصالح، وقام بتدبير المملكة معها «أبيك التتركاني» ثم تسلم المسلمون دمياط من الفرنسي وأطلقوه فسار إلى بلاده فيمن بقي معه من جماعته . وفي ذلك يقول جمال الدين يحيى بن مطروح الشاعر :

(١) قُلْ لِلْفَرَنْسِيِّسِ إِذَا جِئْتَهُ * مَقَالَ صَدِيقٍ مِنْ قَوْلِ نَصُوح:
 أَتَيْتَ مِصْرًا تَبْتَغِي مُلْكَهَا * تَحْسَبُ أَنَّ الزَّمَرَ يَاطِبُلُ رِيحُ
 وَكُلَّ أَصْحَابِكَ أَوْدَعَتْهُمْ * بِحُسْنِ تَدْيِيرِكَ بَطْنِ الضَّرِيحِ!
 نَحْسِينُ أَلْفًا لَا تَرَى مِنْهُمْ * غَيْرَ قَتِيلٍ أَوْ أُسِيرٍ جَرِيحِ!
 وَفَقَّكَ اللَّهُ لِأُمِّثَالِهَا * لَعَلَّ عَيْسَى مِنْكُمْ يَسْتَرِيحُ
 أَجْرَكَ اللَّهُ عَلَى مَا جَرَى * أَفْنَيْتَ عِبَادَ يَسُوعَ الْمَسِيحِ
 فَقُلْ لَهُمْ إِنْ أَضْمَرُوا عَوْدَةً * لِأَخْذِ ثَارٍ أَوْ لِقْصْدٍ صَحِيحِ!
 دَارُ «أَبْنِ لُقْمَانَ» عَلَى حَامِطَا * وَالْقَيْدُ بَاقٍ، وَالطَّوَاثِي صَبِيحِ!

وقد تعرّض في "التعريف" للإشارة لهذه الواقعة في الكلام على مكتبة الأدفونس صاحب طليطلة من الأندلس، وأقتصر من هذه الأبيات على الأول والأخير فقط.

المملكة الثانية

(مملكة الجلالقة)

قال السلطان عماد الدين صاحب حماة في تاريخه: وهم أمة كالبهايم، يغلب عليهم الجهل والحقفاء. ومن زبيهم أنهم لا يغسلون ثيابهم، بل يتركونها عليهم إلى أن تبلى، ويدخل أحدكم دار الآخر بغير إذن. قال: وهم أشد من الفرنج، ولهم بلاد كثيرة شمالي الأندلس، ونسبتهم إلى مدينة لهم قديمة تسمى جليقية. قال في "اللباب": بكسر الجيم واللام المشددة وبعدها ياء آخر الحروف وقاف. قال في "تقويم البلدان": [ثم ياء ثانية^(٢)] وهاء.

(١) في تاريخ أبي الفداء وخطيب المقرئ "قول نصيح وفي ابن إياس فصيح".

(٢) الزيادة عن تقويم البلدان.

وقاعدتها (مدينة سمورة) بسين مهملة وميم مشددة مضمومة وراء مهمل مفتوحة وهاء في الآخر . وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول عشر درج ، والعرض ست وأربعون درجة . قال في "اللباب" : وهي من بلاد الروم المتاخمة للأندلس ، وكأنه يريد أنها كانت للروم أولا . قال في "تقويم البلدان" : وعن بعضهم أنها مدينة جليلة معظمة عندهم . قال ابن سعيد : وهي قاعدة جليقية ، أكبر مدن الفش ، في جزيرة بين فرعين من نهر يعرف بها . قال : وكان المسلمون قد ملكوها ثم أسترجعها الجلائقة زمن الفتنة ، ونهرها يصب في البحر المحيط الغربي حيث الطول خمس درج وثلاثون دقيقة من الجزائر الخالدات ، والعرض ست وأربعون درجة .

المملكة الثالثة

(مملكة النبردية)

قال في "تقويم البلدان" : باللام المشددة المضمومة والنون الساكنة والباء الموحدة المفتوحة والراء المهملة الساكنة والdal المهملة والياء المشناة التحتية والهاء . قال : ويقال لها النوبردية ، والأنبردية . وموقعها في أول الإقليم السادس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول ثلاثون درجة وسبع وثلاثون دقيقة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة وخمسون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي ناحية من الأرض الكبيرة ، وبلادها تحيط بها جبال إلى حد جنوة . قال : وملكها في زماننا صاحب القسطنطينية ، ورثها من خاله المركيش .

ثم قال : وغربيّ هذه البلاد (الرّيدراقون) بكسر الراء المهملة وسكون المشاة التحتية ثم دال مهملة وراء مهملة [وألف^(١)] وقاف مضمومة وواو ونون في الآخر . ومعناه ملك راقون ، وقد تبدّل القاف غينا معجمة . فيقال ريدراغون وهو الموجود في مكاتبات أهل الأندلس وهذّهم .

الجهة الثانية

(ماشماليّ مدينة القسطنطينية وبحر نيّطش وما نيّطش إلى نهاية المعمور في الشّمال) ويشتمل على عدّة ممالك وبلاد :

منها (بلاد الحرّكس) : قال السلطان عماد الدين صاحب حماة في تاريخه : وهم على بحر نيّطش من شرقيّه ، وهم في شطّيف من العيش . قال : والغالب عليهم دينُ النصرانية .

قلت : وقد جلب منهم «الظاهرُ برقوق» صاحبُ الديار المصرية من الممالك أيام سلطنته ما يربو على العدد حتّى صار منهم معظّمُ جنّد الديار المصرية ، وصار بهم جمالٌ مواكبها ، والمُلك باقٍ فيهم بالديار المصرية إلى الآن .

ومنها (بلادُ الآص)^(٢) : بفتح الهمزة الأولى والثانية وصاد مهملة في الآخر . وهم طائفة ، وبلادهم على بحر نيّطش .

وقاعدتهم (مدينة قرقر) . قال في «تقويم البلدان» : بكسر القاف وسكون الراء المهملة وسكون القاف الثانية وكسر الراء المهملة في الآخر . وموقعها في الشّمال

(١) الزيادة من التقويم .

(٢) تقدّم له ضبطه بمد الهمزة وبالصاد وهو الصواب .

عن الإقليم السابع أو في آخره . قال : والقياس أنها حيثُ الطولُ خمس وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، والعرضُ خمسون درجة . وهي قلعة عاصيةٌ منيعة في جبل لا يُقدر أحد على الطلوع إليه، وفي وسط الجبل وطاءة تَسُعُ ^(١) [أهل] تلك البلاد، وعندها جبل عظيم شاهق يقال له (جاطر طاغ) يظهر لأهل السفن من بحر القرم . وهي في شمالي صاري كرمان على نحو يوم منها .

ومنها (بلاد البرغال) بضم الموحدة وسكون الراء وفتح الغين المعجمة وألف ثم لام في الآخر . ويقال لهم أولاًق أيضاً بقاف في الآخر .

وقاعدتهم (مدينة طرنو) . قال في "تقويم البلدان" : بالطاء المكسورة والراء الساكنة المهملتين والنون المفتوحة وواو في الآخر . وموقعها في الإقليم السابع . قال : والقياس أنها حيثُ الطولُ ست وأربعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض خمسون درجة . وهي غربي صقجي على ثلاثة أيام وأهلها كُفار . قال بعض المسافرين وهي على خور البرغال .

ومنها (بلاد البلغار والسرب) . وهما طائفتان على بحر نيطش .

فأما البلغار فبضم الباء الموحدة وسكون اللام وفتح الغين المعجمة وألف ثم راء مهملة . قال المؤيد صاحب حماة في تاريخه : وهم منسوبون إلى المدينة التي يسكنونها . وقد سماها في كتابه "تقويم البلدان" بلار بضم الباء وفتح اللام وألف وراء مهملة في الآخر . ثم قال : ويقال لها بالعربية (بلغار) .

وأما السرب فبفتح السين وسكون الراء المهملتين وباء موحدة في الآخر . وهم في مملكة صاحب البلغار . وقاعدة ملكهم مدينة بلغار المذكورة، وموقعها في الشمال

(١) بياض بالاصول والتصحيح عن تقويم البلدان .

عن الإقليم السابع من الاقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيثُ الطول ثمانون درجة ، والعرض خمسون درجة وثلاثون دقيقة . قال : وهي بلدة في نهاية العِارة الشمالية قريبة من شطِ إثل من الجانب الشمالي الشرقي ، وهي وصرای في برّ واحد ، وبينهما فوق عشرين مَرَحَلَةً ، وهي في وطاءة ، والجبل عنها أقل من يوم ، وبها ثلاث حَمَامَات ، ولا يكون بها شيء من الفواكه ولا أشجار الفواكه من العنب وغيره لشدة بردها ، وبها الفُجَل الأسود في غاية الكبر . قال المؤيد صاحب حِماة : وحكى لي بعض أهلها أنَّ في أول فصل الصيف لا يغيب الشفق عنها ويكون ليلاً في غاية القصر . ثم قال : وهذا الذي حكاه صحيحٌ موافق لما يظهر بالأعمال الفلكية ، لأن من عَرَض ثمانية وأربعين ونصف يتبدى [عدم ^(١)] غيوبة الشفق في أول فصل الصيف ، وعرضها أكثر من ذلك ، فصَحَّ ذلك على كل تقدير .

وقد حكى في "مسالك الأبصار" عن حسن الرومي عن مسعود الموقت بها : أنَّ أقصر ليلها أربع ساعات ونصف تحريراً ، وأنهم جربوه بالآلات الرصدية فوجدوه كذلك . قال صاحب حِماة في تاريخه : وكان الغالب عليهم النصرانية ثم أسلم منهم جماعة . وذكر في "تقويم البلدان" : أنَّ أهلها مسلمون حنيفة . وذكر المسعودي في "مروج الذهب" أنه كان بالسَّرب والبُلغار دار إسلام من قديم . قال في "مسالك الأبصار" : أما الآن فقد تبدلت بإيمانها كُفراً ، وتداولها طائفة من عبَاد الصَّليب ، ووصلت منهم رُسُلٌ إلى صاحب مصر سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة بكتاب من صاحب السَّرب والبُلغار ، يعرضُ نفسه على مودته ويسأله سيفاً يتقلده ، وسَنَجَقاً يقهر أعداءه به ، فأكرم رسوله ، وأحسن نُزله ، وجَهَّز له معه خِلمة كاملة :

(١) الزيادة عن تقويم البلدان ليستقيم الكلام .

طَرْدَ وَحْشٍ بِقَصَبٍ بِسَنَجَابٍ مُقَدَّسٍ ، عَلَى مَفْرَجِ إِسْكَندَرِي ، وَكَلُوتِهِ زَرْكَشٍ ،
وَشَاشٍ بِطَرَفَيْنِ رَقْمٍ ، وَمِنْطَقَةِ ذَهَبٍ ، وَكَلَالِيْبٍ كَذَلِكَ ، وَسَيْفٍ مُحَلَّى ، وَسَنْجَقٍ
سُلْطَانِيٍّ أَصْفَرٍ مُذْهَبٍ . قَالَ فِي "التَّعْرِيفِ" : وَجَهْزَلُهُ أَيْضًا الْخَيْلَ الْمُسَرَّجَةَ الْمُلْجَمَةَ .
وَرَبَّمَا أَنَّهُ يُظْهِرُ لِصَاحِبِ السَّرَايِ الْإِتْقِيَادَ وَالطَّاعَةَ . قَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" :
وَذَلِكَ لِعَظَمَةِ سُلْطَانِهِ عَلَيْهِمْ ، وَأَخْذِهِ بِخِنَاقِهِمْ لِقُرْبِهِمْ مِنْهُ .

وَلِصَاحِبِ السَّرْبِ وَالْبُلْغَارِ مَكَاتِبَةٌ تَخْصُهُ عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ بِالْأَيَّامِ الْمَصْرِيَّةِ .
وَمِنْهَا (بِلَادُ أَفْتَكُونُ) بِأَلْفٍ وَفَاءٍ وَتَاءٍ مِثْنَاءٌ ثُمَّ كَافٍ وَوَاوٍ وَنُونٍ . وَهِيَ بِلَادٌ
تَلِي بِلَادَ الْبُلْغَارِ فِي جِهَةِ الشَّمَالِ .

وَقَاعِدَتُهُمْ مَدِينَةٌ تَسْمَى (قَصَبَةُ أَفْتَكُونُ) . وَالْقَصَبَةُ فِي مِصْطَلَحِهِمُ الْمَدِينَةُ الصَّغِيرَةُ .
قَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبُلْغَارِ مَسَافَةٌ عَشْرِينَ يَوْمًا بِالسَّيْرِ الْمُعْتَادِ .
وَحَكِي عَنْ مَسْعُودِ الْمَوْقِتِ بِالْبُلْغَارِ أَنَّهُ حَرَّرَ لَيْلَهَا فَوَجَدَ أَقْصَرَ لَيْلَهَا ثَلَاثَ سَاعَاتٍ
وَنِصْفٍ ، أَقْصَرُ مِنْ لَيْلِ الْبُلْغَارِ بِسَاعَةٍ وَاحِدَةٍ .

وَمِنْهَا (بِلَادُ الصَّبَقَالْبَةِ) بِفَتْحِ الصَّادِ الْمَهْمَلَةِ وَالْقَافِ وَأَلْفٍ وَكَسْرِ اللَّامِ وَفَتْحِ الْبَاءِ
الْمَوْحِدَةِ وَهَاءٍ فِي الْآخِرِ . وَيُقَالُ لِبَعْضِ بِلَادِهَا بِلَادُ سَبْرَاوِيرَ . وَهِيَ تَلِي بِلَادَ أَفْتَكُونُ
فِي جِهَةِ الشَّمَالِ . قَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : وَهِيَ بِلَادٌ شَدِيدَةُ الْبَرْدِ ، لَا يَفَارِقُهَا
الْتَّلُجُ مَدَّةَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ لَا يَزَالُ يَسْقُطُ عَلَى جِبَالِهِمْ وَبُيُوتِهِمْ ، وَلِهَذَا تَقُلُّ الْمَوَاشِي عَنْدهُمْ .
وَحَكِي عَنْ الْفَاضِلِ شِجَاعِ الدِّينِ : عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْخَوَارِزْمِيَّ التَّرْجَمَانِ أَنَّ مِنْهَا يُجَلَّبُ
السَّمُورُ وَالسَّنَجَابُ . ثُمَّ قَالَ : وَلَيْسَ عَنْدهُمْ فِي الْعِمَارَةِ شَيْءٌ . وَذَكَرَ أَنَّهُ جَاءَ جَدُّهُ
قُتَيْبًا مِنْ بَعْضِ أَهْلِهَا يَسْأَلُ فِيهَا كَيْفَ تَكُونُ صَلَاةُ أَهْلِ بَلَدٍ لَا يَغِيبُ عَنْدهُمْ الشَّفَقُ

حتى يطلع الصبح ؟ لسرعة انقضاء الليل وهذا ظاهر في أن هذه البلاد مسلمون أو فيهم المسلمون .

ومنها (بلاد جُولْمَان) بجيم وواو ولام ثم ميم وألف ونون . وهي تلي بلاد سبراوير المقدمة الذكر في جهة الشمال . وهي على مثل حال بلاد سبراوير في شدة البرد وكثرة الثلج وأشد من ذلك . قال في "مسالك الأبصار" قال حسن الرومي : وهؤلاء هم سُكَّان قلب الشمال ، والواصل إليهم من الناس قليل ، والأقوات عندهم قليلة حتى يحكى عنهم أن الإنسان منهم يجمع عظام أى حيوان كان ، ثم يغلي عليه بقدر كفايته ثم يتركها ، وبعد سبع مرات لا يبقى فيها شيء من الودك . قال : وهم مع ضيق العيش ليس في اجناس الرقيق أنعم من أجسامهم ، ولا أحسن من بياضهم ، وصورتهم تامة الخلقة في حسن وبياض ونعومة عجيبة ، ولكنهم زُرُق العيون . وإذا سافر المسافر من جُولْمَان إلى جهة الشرق ، وصل إلى مدينة قراقوم قاعدة القان الكبير القديمة . قال : وهي من بلاد الصين ، وإذا سافر منها إلى جهة الغرب وصل إلى بلاد الروس ، ثم إلى بلاد الفرنج .

ومنها (بلادُ الروس) بضم الراء المهملة وسكون الواو وسين مهملة في الآخر . قال في "مسالك الأبصار" : وهي بلادٌ واغلة في الشمال ، في غربي بلاد جُولْمَان المقدمة الذكر . قال صاحب حماة في تاريخه : ولهم جزائر أيضا في بحر نيطش .

ومنها (بلادُ الباشقرد) . قال صاحب حماة في تاريخه : وهم أمة كبيرة ما بين بلاد الباب وبلاد فرنجة . قال : وغالبهم نصارى وفيهم مسلمون ، وهم شرسو الأخلاق . قال في "مسالك الأبصار" : وهي مُصَاقِبَة لبلاد جُولْمَان . ثم قال : وفي باشقرد قاض مسلم معتبر .

ومنها (بلاد البرجان) بضم الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح الجيم وألف ونون، وقد تبدل الجيم شينا . قال صاحب حماة في تاريخه : وهم أمم كثيرة طاغية قد فشا فيهم التثليث . قال : وبلادهم واغلة في الشمال، وأخبارهم وسير ملوكهم منقطعة عنا لبُعدهم وجفاء طبائعهم . وقد تقدّم أن البرجان غلب على مكاثرهم الألمانية، فيحتمل أنهم هؤلاء، ويحتمل أنهم طائفة أخرى منهم غير هؤلاء .

ومنها (بلاد بَمَنخ) بباء موحدة وميم ثم خاء معجمة . قال في "مسالك الأبصار" : وهي بلاد مشتركة بين بلاد الروس والفرنج .

ومنها (بلاد بُوغَزَة) بباء موحدة ثم واو وغين وزاي ثم هاء في الآخر . قال في "مسالك الأبصار" : قال الشيخ علاء الدين بن النعمان الخوارزمي : وهي بلاد في أقصى الشمال ، وليس بعدها عمارة غير برج عظيم من بناء الإسكندر على هيئة المنارة العالية، ليس وراءه مذهب إلا الظلمات ؛ وهي صحار وجبال لا يفارقها الثلج والبرد، ولا تطلع عليها الشمس ، ولا ينبت فيها نبات ، ولا يعيش فيها حيوان أصلا، متصلة ببحر أسود لا يزال يُمطر والغيم منعقد عليه، ولا تطلع عليه الشمس أبدا . قال ابن النعمان : ويقال إن الإسكندر مرّ بأطراف أوائل جبال الظلمات الغربية من العمارة فرأى فيه أناسا من جنس الترك أشبه شيء بالوحوش لا يعرف أحد بلغتهم، وإذا أمسكهم أحد فرّوا من يده، يأكلون من نبات الجبال المجاورة لهم فإذا أقحطوا أكل بعضهم بعضا، فتربهم ولم يعترضهم .

وأعلم أنه قد ذكر في "مسالك الأبصار" عن الشيخ علاء الدين بن النعمان أن التجار المترددين إلى بلاد الديار المصرية لا يتعدّون في سفرهم بلاد البلغار، ثم يرجعون من هناك؛ ثم تجار بلغار يسافرون منها إلى بلاد جُولمان، وتجار جُولمان

يسافرون إلى بلاد بُوغْزَة التي ليس بعدها عمارة . وقد ذكر في "تقويم البلدان" أن شمالي بلاد الروس مما هو متصل بالبحر المحيط الشمالي قوماً يبيعون مغايبةً . وذكر عن بعض من سافر إلى تلك البلاد أنه إذا وصل التجار إلى تخومهم ، أقاموا حتى يعلموا بهم ، ثم يتقدمون إلى مكانٍ معروفٍ عندهم بالبيع والشراء ، فيضع كل تاجر بضاعته ، ويعلمها بعلامة ، ثم يرجعون إلى منازلهم ، ثم يحضرون أولئك القوم ويضعون مقابل تلك البضائع السمور ، والوشق ، والشعلب ، وما شاكل ذلك ، ويدعونهم ويمضون ، ثم يحضرون التجار من الغد فيأخذون ذلك أخذه وإلا تركه ، حتى يتفصلوا على الرضا . وقد تقدم ذكر مثل ذلك عن قوم بالهند وعن قوم ببلاد السودان في الكلام على مملكة مالي .

قلت : وقد تقدم في الكلام على مملكة خوارزم والقبچاق من مملكة التورانيين في القسم الثاني منها أن الجركس والروس والآص أهل مدن عامرة أهلة ، وجبال مشجرة مشمرة ، ينبت عندهم الزرع ، ويدبر الضرع ، وتجري الأنهار ، وتجنى الثمار ، ولا طاقة لهم بسلطان تلك البلاد . وإن كان فيهم ملوك فهم كالرعايا لصاحب السراي إن داروه بالطاعة والتخف والطرف كف عنهم وإلا شن عليهم الغارات وضايقتهم وحاصروهم .

المقالة الثالثة

(في ذكر أمور تشترك فيها أنواع المكاتبات ، والولايات ، وغيرهما من الأسماء ، والكنى ، والألقاب ، ومقادير قطع الورق ، وما يناسب كل مقدار منها من الأقلام ، ومقادير البياض في أول الدرج وحاشيته ، ومقدار بعد ما بين السطور في الكتابات ، وبيان المستندات التي يصدر عنها ما يكتب من ديوان الإنشاء بهذه المملكة : من مكاتبات ، وولايات ، وكتابة المملخصات ، وكيفية تعيين صاحب الديوان لها ، وبيان الفواتح ، والخواتم . وفيه أربعة أبواب) .

الباب الأول

(في الأسماء والكنى والألقاب ، وفيه فصلان)

الفصل الأول

(في الأسماء والكنى ، وفيه طرفان)

الطرف الأول

(في الأسماء)

والأسم عند النحاة ما دل على مسمى دلالة إشارة ، واشتقاقه من السمة وهي العلامة لأنه يصير علامة على المسمى يميزه عن غيره ، أو من السمول لأن الاسم يعلو المسمى باعتبار وضعه عليه .

ثم المراد هنا بالأسم أحد أقسام العلم : وهو ما ليس بكنية ولا لقب ، وفيه جملتان :

الجملة الأولى

(في أصل التسمية والمقصود منها ، وتنويع الأسماء ،
وما يُستَحْسَنُ منها ، وما يُستَقْبَحُ)

أما أصل التسمية فهي لاتخرج عن أمرين :

أحدهما أن يكون الاسم مُرتَجَلًا : بأن يَضَعُ الواضعُ على المسمى ابتداءً ، كأدَد اسم رجل ، وسُعَادَ اسم امرأة ، فإنهما ليسا بمسبوقين بالوضع على غيرهما . والرجوعُ في معرفة ذلك إلى النقل والاستقراء .

والثاني أن يكون الاسم منقولاً عن معنى آخر ، كاسدٍ إذا سُمِّيَ به الرجلُ نقلاً عن الحيوان المفترس ، وزيدٍ إذا سُمِّيَ به نقلاً عن معنى الزيادة وما أشبه ذلك . وهذا هو أكثر الأسماء الأعلام وقوعاً ، والرجوع في معرفته إلى النقل والاستقراء أيضاً كما تقدّم في المرتجل .



وأما المقصود من التسمية ، فتمييز المسمى عن غيره بالاسم الموضوع عليه ليتعرّف .



وأما تنويع الأسماء ، فيختلف باختلاف المسمين وما يدور في خرائن خيالهم مما يُلْقُونَهُ وَيُحَاوِرُونَهُ وَيَخَالِطُونَهُ .

فالعرب - أكثر أسمائهم منقولةً عما لديهم مما يدور في خرائن خيالهم إما من أسماء الحيوان كَبَكْرٍ : وهو ولدُ الناقة ، وأَسَدٍ : وهو الحيوان المفترس المعروف ، وإما من

أسماء النبات كمنظلة : وهو اسم لواحدة الحنظل الذى هو النبات المعروف من نبات البادية ، وطلحة : وهو اسم لشجرة من شجر الغضى ، وعوسجة : وهو اسم لشجرة من شجر البادية . وإما من أجزاء الأرض كحزن : وهو الغليظ من الأرض ، وصخر : وهو الصلد من الحجارة . وإما من أسماء الزمان كربيع : وهو أحد فصول السنة الأربعة . وإما من أسماء النجوم كسمك : اسم لنجم معروف . وإما من أسماء الفاعلين : كحارث فاعل من الحرث ، وهمام فاعل من هم أن يفعل كذا ، إلى غير ذلك من المنقولات التى لا تُحصى .

وكان من عادتهم أن يختاروا لأبنائهم من الأسماء ما فيه البأس والشدة ونحو ذلك : كحارب ، ومقاتل ، ومزاحم ، ومدافع ونحو ذلك ؛ ولمواليهم ما فيه معنى التقاؤل : كفلاح ، ونجاح ، وسالم ، ومبارك ، وما أشبهها ؛ ويقولون : أسماء أبنائنا لأعدائنا ، وأسماء موالينا لنا ؛ وذلك أن الإنسان أكثر ما يدعو فى ليله ونهاره مواليه للاستخدام دون أبنائه فإنه إنما يحتاج إليهم فى وقت القتال ونحوه .

والترك - راعوا فى أسمائهم ما يدل على الجلالة والقوة مما يالفونه ويجاوزونه ، وغالب ما يسمون باسم بغا ، ومعناه بلغتهم الفحل : إما مفردا كما تقدم وهو قليل ، وإما موصوفاً بحيوان من الحيوانات ، مقدمين الصفة على الموصوف على قاعدة لغتهم فى ذلك ، كطينغا بمعنى فحل مهير . وإما بمعدين من المعادن : كالطينغا بمعنى فحل ذهب ، وكشيبغا بمعنى فحل فضة ، وتمربغا بمعنى فحل حديد . وربما أبدل اسم الفحل باسم الحديد ، واسمه بلغتهم دمر كى دمر بمعنى أمير حديد ، وطى دمر بمعنى مهر حديد . وربما أفردوا الاسم بالوصف كدمر بمعنى حديد ، وأرسلان بمعنى أسد ، وشكر بمعنى بحر ، ونحو ذلك إلى غير ذلك من المفردات والمركبات التى لا يأخذها

حصر . وكذلك كلُّ أمة من أُمم الأعاجم تُراعى في التسمية ما يدور في خزانة خيالها مما يخالطونه ويُجاورونه .

وأما الأمم المتديّنة فإنهم راعوا في أسمائهم التسمية بأسماء أنبيائهم وصحّابهم .

فالمسلمون — تسمّوا باسمي النبيّ صلى الله عليه وسلم الواردين في القرآن وهما ” محمد “ و ” أحمد “ إذ يقول صلى الله عليه وسلم ، تسمّوا باسمي . وكذلك تسمّوا باسم غيره من الأنبياء عليهم السلام : إما بكثرة : إبراهيم ، وموسى ، وهارون ، وإما بقلة : كآدم ، ونوح ، ولوط . وأخذوا بوافر حظ من أسماء الصحابة رضوان الله عليهم : كأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وحسن ، وحسين ، وما أشبه ذلك .

والنصارى — تسمّوا باسم عيسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام ممن يعتقدون نبوته : إبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب ، ويوسف ، وموسى ، وكذلك أسماء الحواريين : كبطرس ، ويوحنا ، وتوما ، ومتّى ، ولوقا ، وسمعان ، وبرتلوما ، وأندراوس ، ونحوها : كمرقص ، وبولص ، وغيرهما .

واليهود — تسمّوا باسم موسى عليه السلام وغيره من الأنبياء الذين يعتقدون نبوتهم : إبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب ، ويوسف ، ولم يتسمّوا باسم عيسى عليه السلام لأنكارهم نبوته .



وأما ما يُستحسن من الأسماء فما وردت الشريعة بالنّذْب إلى التسمية به : كأسماء الأنبياء عليهم السلام ، وعبد الله ، وعبد الرحمن ، ففي سنن أبي داود والترمذي من

رواية أبي وهب الجشمي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَأَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ ، وَهَمَّامٌ ، وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ ، وَهَمْرَةٌ » .



وأما ما يُسْتَقْبَحُ فما وردت الشريعة بالنهي عنه : إما لكرَاهَةِ لفظه كحَرْبٍ وَهَمْرَةٍ ، وإما للتطير به كَرَبَاحٍ ، وَأَفْلَحٍ ، وَنَجِيجٍ ، وَرَافِعٍ ، وَنَحْوَهَا . ففي صحيح مسلم وغيره النهي عن التسمية بمثل ذلك معللاً بأنك تقول : أَثَمَّ هُوَ ؟ فيُقَالُ لا ، وإما لعَظَمَةٍ فِيهِ : كالتسمية بشَاهِنْشَاهٍ ، ومعناه بالفارسية مَلِكُ الْأَمْلاَكِ . ففي الصحيحين من رواية أبي هريرة أنه أَخْنَعُ أَسْمٍ . وقد ورد في جامع الترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها ، « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُغَيِّرُ الْأِسْمَ الْقَبِيحَ » .

الجملة الثانية

(في مواضع ذكر الأسماء في المكاتبات والولايات)

أما المكاتبات ، فالأسماء التي تذكر فيها على أربعة أنواع :

النوع الأول

(اسم المكتوب عنه)

وذكره إنما يقع في المكاتبات في موضع الخُضُوع والتواضع ، إذ من شأن المكتوب عنه ذلك ؛ وله محلان :

المحل الأول — في نفس المكتبة وذلك فيما إذا كانت المكتبة بصورة « من فلان إلى فلان » كما كان يُكْتَبُ عن النبي صلى الله عليه وسلم : من محمد رسول الله إلى

فلان ، وكما كان يُكْتَب عن الخلفاء : من عبد الله فلان أمير المؤمنين إلى فلان ، وكما يُكْتَب الآن في المكاتبات السلطانية إلى ملوك المغرب ، وما يكتب عنهم إلى الأبواب السلطانية ونحو ذلك .

المحل الثاني — العَلَامَة في المكاتبات كما يكتب المملوك فلان ، أو أخوه فلان ، أو شاكركه فلان ، أو فلان فقط ، ونحو ذلك على اختلاف المراتب الآتية على ماسياتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى .

النوع الثاني

(أسم المكتوب إليه ، وله محَلان)

المحل الأول — ابتداء المكتوبة كما يُكْتَب في بعض المكاتبات « من فلان إلى فلان ، أو إلى فلان من فلان » ونحو ذلك ؛ وكما يكتب في مكاتبات القانات ، فلان خان ؛ وكما يذكر أسم ملوك الكُفَر في مكاتباتهم عن الأبواب السلطانية ونحو ذلك . وفيما عدا ذلك من المكاتبات المصدرة بالتقيل والدعاء وغيرهما من المصطلح عليه في زماننا وما قاربه لا يُصرَّح بأسم المكتوب إليه غالبا تعظيما له عن التفوه بذكره ، إذ ترك التصريح بالأسم دليل التعظيم والتوقير والتبجيل ، بخلاف الكنية واللقب ، فإنهما يصدد التعظيم لللقب أو المكنى على ماسياتي بيانه فيما بعد إن شاء الله تعالى ولذلك لم يخاطب الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم في كتابه العزيز باسمه تشريفا لمقامه ، ورفعاً لمحلّه ، فلم يقل يا محمد ويا أحمد كما قال يا آدم ، يا نوح ، يا إبراهيم ، يا موسى ، يا عيسى . بل قال ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ . يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ وقد صرح أصحابنا الشافعية وغيرهم أنه لا يجوز ندأؤه صلى الله عليه وسلم بأسمه احتجاجا بالآية الكريمة .

وفي كتاب ابن السني عن أبي هريرة رضي الله عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً معه غلام فقال للغلام : من هذا ؟ - قال أبي - قال : فلا تمش أمامه ولا تستسب له ، ولا تجلس قبله ، ولا تدعه باسمه » .

المحل الثاني - العنوان من الأدنى إلى الأعلى . كما يكتب في عنوان بعض المكاتبات « مطالعة المملوك فلان » على ماسياتي في الكلام على العنوان . وإذا كان من تعظيم المخاطب أن لا يخاطب باسمه فكذلك في مكاتبتة : لأن المكاتبة الصادرة إلى الشخص قائمة مقام خطابه ، بل المكاتبة أجدر بالتعظيم لأصطلاحهم في القديم والحديث على ذلك .

النوع الثالث

(أسم المكتوب بسببه)

وهو مما لا نقص فيه بسبب ذكره ، إذ لا بد من التصريح باسمه ليُعرف ، اللهم إلا أن يشتهر حتى تغني شهرته عن ذكر اسمه ، وله محلان :

المحل الأول - في الطرة بأن يقال « هذا ماعهد به فلان » إما الخليفة في عهده بالخلافة أو السلطنة ، أو السلطان في عهده بالسلطنة على ماسياتي بيانه . وفي معنى ذلك البيعات بأن يقال « مبايعة شريفة لفلان » ونحو ذلك .

المحل الثاني - صدر الولاية حيث يقال : هذا ماعهد عبد الله ووليّه فلان ، أو من عبد الله ووليّه فلان ، ونحو ذلك على اختلاف المذاهب في الابتداء على ماسياتي .

النوع الرابع

(أسم من تصدر إليه الولاية، وله محلان)

المحل الأول — في الطرة إمامي اليهود حيث يقال : هذا ماعهد فلان إلى فلان .
وإما في التقاليد والتواقيع والمراسيم ، حيث يقال : أن يفوض إلى فلان ، أو أن
يستقر فلان ، أو أن يرتب فلان .

المحل الثاني — أثناء الولاية حيث يقال : أن يفوض إلى فلان ، أو أن يستقر
فلان ، أو أن يرتب فلان ، على نظير ما في الطرة ، أما المولى عليه فقل أن يذكر كما
في التحدث على شخص معين ونحوه .

الطرف الثاني

(في الكنى)

والكنية عند النحاة أحد أقسام العلم أيضا ، والمراد بها ما صدر باب أو أم ، مثل
أبي القاسم ، وأم كلثوم وما أشبه ذلك . وقد كان للعرب بالكنى أتم العناية ، حتى
إنهم كنوا جملة من الحيوان بكنى مختلفة : فكنوا الأسد بأبي الحارث ، والثعلب
بأبي الحصين ، والديك بأبي سليمان ، وكنوا الضبع بأم عامر ، والدجاجة بأم حفصة ،
والحرادة بأم عوف ونحو ذلك . وفيه ثلاث جمل :

الجملة الأولى

(في جواز الكنية ، وهى على نوعين)

النوع الأول

(كنى المسلمين)

قال الشيخ محي الدين النووى رحمه الله فى كتابه "الأذكار" : وجواز التكنى أشهر من أن نذكر فيه شيئاً منقولاً ، فإن دلائله يشترك فيها الخواص والعوام . قال : والأدب أن يخاطب أهل الفضل ومن قاربهم بالكنية ، وكذلك إن كتب إليه رسالة ، أو روى عنه رواية . فيقال : حدثنا الشيخ أو الإمام أبو فلان فلان بن فلان وما أشبهه .

وأعلم أن الأولين أكثر ما كانوا يعظمون بعضهم بعضاً فى المخاطبات ونحوها بالكنى ، ويرون ذلك فى غاية الرفعة ونهاية التعظيم حتى فى الخلفاء والملوك : فيقال : أبو فلان فلان ، وبالغوا فى ذلك حتى كنوا من أسمه فى الأصل كنية فقالوا فى أبى بكر «أبو المُنَاقِب» اعتناءً بشأن الكنية ، وربما وقف الأمر فى الزمن القديم فى تكنية خاصة الخليفة وأمرائه على ما يكنى به الخليفة ، فيكون له فى الرفعة منتهى ينتهى إليه ، ثم رجع أمرهم بعد ذلك إلى التعظيم بالألقاب . على أن التعظيم بالكنى باقٍ فى الخلفاء والملوك فمن دُونهم إلى الآن على ما ستقف عليه فى مواضعه إن شاء الله تعالى ، وكذلك القضاة والعلماء ، بخلاف الأمراء والجُند والكتاب ، فإنه لاعتناءهم بالتكنى .

ثم لا فرق في جواز التكني بين الرجال والنساء، فقد كانت «عائشة» أم المؤمنين رضي الله عنها تكني «بأم عبد الله» وكذلك غيرها من نساء الصحابة والتابعين كان لهن كُنًى يكتنن بها .

النوع الثاني

(كُنًى أهل الكُفر والفسقة والمبتدعين)

قال النووي : والكافر والفاسق والمبتدع إن كان لا يُعرف إلا بالكُنية جاز تَكْنِيَّتُهُ . قال تعالى ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ وأسمه عبد العزى ، قيل : إنه ذكر تَكْنِيَّتَهُ لكونه كان لا يُعرف إلا بها ، وقيل : كراهةً لأسمه حيث جعل عبداً للضم ، وقد تكرّر في الحديث ذكر أبي طالب بكُنْيَتِهِ ، وأسمه عبد مناف . وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم «لمّا مرّ بأرض الجحر من الشام ، قال هذا قبر أبي رغال» لعاقِرِ الناقة من قوم ثمود . قال : وكذلك إذا خيف من ذكره باسمه فتنة ، كما ثبت في الصحيحين «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار ليعود سعد بن عبادة رضي الله عنه ، فمَرَّ في طريقه على عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق ، وما كان من بدّاءته على النبي صلى الله عليه وسلم حين مرّ عليه ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم سار حتّى دخل على سعد بن عبادة - فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب ؟ (يريد عبد الله بن أبي ابن سلول) قال كذا وكذا . وذكر الحديث . قال : فإن كان يُعرف بغير الكُنية ولم يُخَفَّ فتنة لم يُزِدْ على الاسم كما ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب «من محمد عبد الله ورسوله إلى

هَرَقْلَ « فسمّاه باسمه ولم يكنّه ولا لقبه بملك الروم . قال : ونظائر هذا كثيرة ، وقد أمرنا بالإغلاظ عليهم ، ولا ينبغي لنا أن نكنّيهم ، ولا نرفق بهم ، ولا نلين لهم قولاً ، ولا نظهر لهم ودّاً ولا مؤالفة .

الجملة الثانية

(فيما يُكنّى به ، وهو على نوعين)

النوع الأول

(كُنّى الرجال ، ولها حالان)

الحال الأول — أن يكون للرجل ولدٌ أو أولادٌ . قال النووي : فإن كان له ولدٌ يُكنّى به ، ولا فرق في ذلك بين أن يكون الولد ذكراً أو أنثى ، فيجوز تسمية الرجل بأبي فلانة كما يجوز بأبي فلان . فقد تكتّى جماعة من أفاضل السلف من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم بأبي فلانة ، فمن الصحابة أبو ليلى : والد عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وأبو فاطمة الليثي ، وأبو مريم الأزدي ، وأبو رقية تميم الداري ، وأبو زرعة المقداد بن معدى كرب . ومن التابعين أبو عائشة مسروق بن الأجدع وخلائق لا يحصون . وإن كان له أولاد يُكنّى بأكبرهم : فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يُكنّى بأبي القاسم ، وكان القاسم أكبر بنيهِ .

وفي سنن أبي داود والنسائي عن شريح الحارثي أنه وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه فسمعهم يُكنّونه بأبي الحكم ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله هو الحكم وإليه الحكم ! فلم تكتّى أبا الحكم ؟ — فقال : إن قومي

اختلفوا في شيء فأتوني فحكمت بينهم فريضى كلاً الفريقين - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أحسن هذا ! فما لك من الولد؟ - قال : شريح، ومسلم، وعبد الله - قال : فمن أكبرهم؟ - قال - شريح - قال : فأنت أبو شريح»

فلو تكني بغير أولاده فلا بأس به قاله النووي . ثم قال : وهذا الباب واسع لا يحصى من يتصف به .

وقد اختلف في جواز التكني بأبي القاسم : فنص الشافعي رضي الله عنه على أنه لا يجوز التكني بذلك مطلقاً، لما ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال «تسموا بأسمي ولا تكتنوا بكنتي» . وذهب ذاهبون إلى تخصيص ذلك بحياته صلى الله عليه وسلم احتجاجاً بأن المنع فيه كان لعلته : وهي أن اليهود كانوا ينادون يا أبا القاسم ! فإذا التفت النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : لم نَعِكَ ، قصداً لإيذائه صلى الله عليه وسلم وقد زالت هذه العلة بوفاة صلى الله عليه وسلم ، واختاره النووي من أصحابنا الشافعية . وذهب آخرون إلى تخصيص المنع بما إذا جمع لواحد بين الأسم والكنية ، بأن يتسمى محمداً ويتكنى بأبي القاسم ، بخلاف ما إذا لم يكن اسمه محمداً فإنه يجوز، وهو وجه قوي .

الحال الثاني - أن لا يكون للرجل ولدٌ بأن لم يولد له ولدٌ أصلاً ، قال النووي : فيجوز تكنيته حتى الصغير . ففي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : «كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ يُقال له أبو عميرٍ (قال الراوى) : أحسبه فطياً ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جاء يقول يا أبا عمير ، ما فعل النغير؟ لغير كان يلعب به » . قال النووي : وكان من الصحابة رضوان الله عليهم جماعات لهم كنى قبل أن يولد لهم ،

كأبي هريرة وخلائق لا يُحصَوْنَ من التابعين فمن بعدهم . قال : ولا إكراهة فيه بل هو محبوب بشرطه .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَكُونُ لَهُ كُنْيَتَانِ فَكَثُرَ ، فَقَدْ كَانَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثَلَاثُ كُنًى : أَبُو عَمْرٍو ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، وَأَبُو لَيْلٍ .

النوع الثاني

(كُنًى النساء)

والحال فيه أنه إن كان للمرأة وَلَدٌ تَكُنَّتْ بِهِ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى ، كما تقدّم في الرجل . وإن كان لها أولاد تَكُنَّتْ بِأكْبَرِهِمْ مع جواز الكنية بغير أولادها كما في الرجل أيضا . قال النووي : ويجوز تَكْنِيَتُهَا ولو لم يُولَدْ لها ، ففي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَغَيْرِهِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : « يَارَسُولَ اللَّهِ كُلُّ صَوَاحِبِي لَهُنَّ كُنًى ، قَالَ : فَكُنْتِي بِابْنِكَ عَبْدُ اللَّهِ - يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِهَا أَسْمَاءَ ، وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَكْنِي ' أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ » قَالَ : هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ الْمَعْرُوفُ . وَمَا رَوَاهُ أَبُو السَّنَنِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ « أَسْقَطْتُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِقْطًا فَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ » فَحَدِيثٌ ضَعِيفٌ . ثُمَّ كَمَا تَجُوزُ تَكْنِيَةُ الرَّجُلِ بِأَبِي فَلَانَةٍ ، يَجُوزُ تَكْنِيَةُ الْمَرْأَةِ بِأُمِّ فَلَانَةٍ مِنْ بَابِ أُولَى .

الجملة الثالثة

(في التكني في المكاتبات والولايات)

فأما الكنية في المكاتبات فعلى ثلاثة أنواع :

النوع الأول

(تكني المكتوب عنه)

قال محمد بن عمر المدايني في كتاب " القلم والدواة " : أول من آكتنى في كتبه « الوليد بن عبد الملك » . قال النووي في " الأذكار " : والأدب أن لا يذكر الرجل كنيته في كتابه ولا في غيره إلا أن لا يعرف إلا بكنيته ، أو كانت الكنية أشهر من اسمه . وقال أبو جعفر النحاس : إذا كانت الكنية أشهر ، يكنى على نظيره ويسمى لمن فوقه ثم يُلحق « المعروف أبا فلان ، أو بابي فلان » .

ثم الكنية من المكتوب عنه قد تكون في صدر الكتاب كما يكتب عن الخلفاء « من عبد الله ووليه أبي فلان فلان أمير المؤمنين » أو في موضع العلامة كما يكتب في الطغرة من السلاطان ملوك الكفر بعد سياقة ألقاب السلاطان « أبو فلان فلان » أو في العنوان كما كان يكتب في المصطلح القديم « من أبي فلان فلان إلى فلان » .

النوع الثاني

(تَكْنِيَّةُ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ)

وبه كان الاعتناء في الزمن المتقدم لا سيَّاً إذا كان المكتوبُ إليه مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ التعظيمَ بالتَكْنِيَّةَ . وَكُنْيَةُ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ تَارَةً تَكُونُ فِي عُنْوَانِ الْكِتَابِ كَمَا يُكْتَبُ « إِلَى أَبِي فُلَانٍ فُلَانٍ » وَتَارَةً تَكُونُ فِي صَدْرِ الْكِتَابِ كَمَا كَانَ يَكْتَبُ « مِنْ فُلَانٍ إِلَى أَبِي فُلَانٍ فُلَانٍ » .

النوع الثالث

(تَكْنِيَّةُ الْمَكْتُوبِ بِسَبَبِهِ)

وهي تَارَةً تَذَكُرُ فِي طُرَّةِ الْكِتَابِ فَيُقَالُ فِيمَنْ قُصِدَ تَعْظِيمُهُ « بِمَا قَصَدَهُ أَبُو فُلَانٍ فُلَانٍ » وَأَسْتَعْمَلَهُ قَلِيلٌ . وَتَارَةً تَذَكُرُ فِي أَثْنَاءِ الْكِتَابِ حَيْثُ يَجْرَى ذِكْرُهُ .



وَأَمَّا الْكُنْيَةُ فِي الْوَلَايَاتِ فَلَهَا مَحَلَانِ :

أحدهما - فِي طُرَّةِ الْوَلَايَةِ ، حَيْثُ يُقَالُ : « عَهْدُ شَرِيفِ [لِأَبِي فُلَانٍ ^(٢)] فُلَانٍ » أَوْ « تَقْلِيدُ شَرِيفٍ ^(٢) بِأَنْ يُفَوَّضَ إِلَى [أَبِي فُلَانٍ] فُلَانٍ » .

والثاني - فِي أَثْنَاءِ الْوَلَايَاتِ حَيْثُ يَجْرَى ذِكْرُهُ عَلَى مَاسِيَّاتِي بَيَانِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) فِي الْأَصْلِ عَنْهُ ، وَهُوَ غَيْرُ مُنَاسِبٍ ، وَالتَّصْحِيحُ عَنْ الضَّوِّ لِلْوَلَفِ .

(٢) الزِّيَادَةُ عَنْ الضَّوِّ .

الفصل الثاني

من الباب الأول من المقالة الثالثة

(في الألقاب ، وفيه طرفان)

الطرف الأول

(في أصول الألقاب ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في معنى اللقب والنعت ، وما يجوز منه ويمتنع)

أما اللقب فأصله في اللغة النَّبَزُ - بفتح الباء . قال ابن حاجب النعمان في "ذخيرة الكتاب" : والنَّبَزُ ما يَخاطَبُ به الرجلُ الرجلَ من ذكر عيوبه وما ستره عنده أحبُّ إليه من كَشْفِهِ ، وليس من باب الشَّمِّ والقَذْفِ .



وأما النعتُ فأصله في اللغة الصِّفَةُ . يقال : نَعْتَهُ يَنْعِتُهُ نَعْتًا إذا وَصَفَهُ . قال في "ذخيرة الكتاب" : وهو مُتَّفَقٌ على أنه ما يختاره الرجل ويؤثره ويزيد في إجلاله ونبأته ، بخلاف اللَّقَبِ . قال : لكن العامةُ استعملت اللَّقَبَ في موضع النعت الحسن ، وأوقعوه مَوْقِعَهُ لكثرة استعمالهم إياه ، حتى وقع الاتفاق والأصطلاحُ على استعماله في التشريف والإجلال والتعظيم والزيادة في النبأه والتكريمة .

قلت : والتحقيق في ذلك أن اللَّقَبَ والنعت يُستعملان في المدح والذم جميعاً : فمن الألقاب والنعوت ما هو صفةٌ مدحٍ ومنها ما هو صفةٌ ذمٍّ . وقد عرفت النحاة اللَّقَبَ بأنه ما أدَّى إلى مَدْحٍ أو ذَمٍّ ، فالْمُؤَدَّى إلى المدح كأمير المؤمنين ،

وزَيْنِ العَابِدِينَ ؛ والمؤدَّى إلى الذَّمِّ كَانْفِ النّاقَةِ وسَعِيدِ كُرْزٍ وما أشبه ذلك .
والنَّعْتُ تَارَةٌ يَكُونُ صِفَةً مَدْحٍ ، وتَارَةٌ يَكُونُ صِفَةً ذَمٍّ ، ولا شكَّ أن المراد هنا
من اللَّقَبِ والنَّعْتِ ما أُدِّى إلى المَدْحِ دُونَ الذَّمِّ . وقد آصطَلَحَ الكُتَّابُ على أن سَمَّوْا
صِفَاتِ المَدْحِ التي يُوردونها في صُدُورِ المُكَاتَبَاتِ ونحوها بصِغَةِ الإِفْرَادِ كالأَمِيرِ
والأَمِيرِيِّ والأَجَلِّ والأَجَلِّيِّ والكَبِيرِ والكَبِيرِيِّ ونحو ذلك ألقاباً ؛ وصِفَاتِ المَدْحِ
التي يُوردونها على صورة التَّركِيبِ كَسَيْفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وظَهِيرِ الْمُلُوكِ والسُّلَاطِينِ
ونحو ذلك نُعُوتاً ؛ ولا معنى لتخصيص كلِّ واحدٍ منهما بالاسم الذي سَمَّوه به إلا مجرَّدُ
الاصطلاح ؛ ولا نزاع في إطلاق اللَّقَبِ والنَّعْتِ عليهما باعتبارين : فمن حيث إنها
صِفَاتٌ مُؤدِّيَةٌ إلى المَدْحِ يُطْلَقُ عليها اسمُ اللَّقَبِ ، ومن حيث إنها صِفَاتٌ لَذَوَاتٍ
قائمةٌ بها يُطْلَقُ عليها اسمُ النَّعْتِ .



وأما ما يجوز من ذلك ويمتنع ، فالجائز منه ما أُدِّى إلى المَدْحِ مما يحبُّه صاحبه
ويؤثره ، بل ربما اسْتُحِبَّ ، كما صرح به النووي في «الأذكار» للإطباق على استعماله
قديمًا وحديثًا . والممتنع منه ما أُدِّى إلى الذَّمِّ والنَّقِيسَةِ مما يكرهه الإنسان ولا يحبُّ
نسبته إليه . قال النووي : وهو حرام بالاتفاق ، سواء كان صفةً له : كالاعْمَشِ ،
والأَجَلَحِ ، والأَعْمَى ، والأَحُولِ ، والأَبْرَصِ ، والأَشَجِّ ، والأَصْفَرِ ، والأَحْدَبِ ،
والأَصَمِّ ، والأَزْرَقِ ، والأَشْتَرِ ، والأَثَرَمِ ، والأَقْطَعِ ، والزَّيْنِ ، والمُقْعَدِ ، والأَشْلِ ،
وما أشبه ذلك . أو كان صفةً لأبيه : كابنِ الأَعْمَى ، أو لأمِّه : كابنِ الصَّوْرَاءِ ونحو
ذلك مما يكرهه قال تعالى : ﴿لَا تَنَابَرُوا بِالْأَنْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾

قال : وأنفقوا على جواز ذكره بذلك على جهة التعريف لمن لا يعرفه إلا بذلك ؛ ودلائل ذكره كثيرة مشهورة ، وهو أحد المواضع التي تجوز فيها الغيبة .

الجملة الثانية

(في أصل وضع الألقاب والنعوت المؤدية إلى المدح)

وأعلم أن ألقاب المدح ونعوته لم تزل واقعة على أشرف الناس وجملة الخلق في القديم والحديث ؛ فقد ثبت تلقيب إبراهيم عليه السلام بـ «الخليل» وتلقيب موسى عليه السلام بـ «الكليم» وتلقيب عيسى عليه السلام بـ «المسيح» وتلقيب يونس عليه السلام بـ «ذي النون» وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلقب قبل البعثة بـ «الأمين» ووردت التواريخ بذكر ألقاب جماعة من العرب في الجاهلية : كذي يزن ، وذو المنار ، وذو نواس ، وذو رعين ، وذو جدن ، وغيرهم مما هو مشهور شائع . وكذلك وقعت ألقاب المدح على كثير من عظماء الإسلام وأشرفه كالصحابه رضوان الله عليهم فمن بعدهم من الخلفاء والوزراء وغيرهم : فكان لقب أبي بكر «عتيقاً» ثم لقب بـ «الصديق» بعد ذلك ، ولقب عمر «الفاروق» ولقب عثمان «ذا النورين» ولقب علي «حيدرة» ولقب حمزة بن عبدالمطلب «أسد الله» ولقب خالد بن الوليد «سيف الله» ولقب عمرو بن عمرو «ذا الدين» ولقب مالك بن النسيان الأنصاري «ذا السيفين» ولقب حزيمة بن ثابت الأنصاري «ذا الشهادتين» ولقب جعفر بن أبي طالب بعد استشهاده «ذا الجناحين» .

وأما الخلفاء ، خلفاء بني أمية لم يتلقب أحد منهم ، فلما صارت الخلافة إلى بني العباس وأخذت البيعة لإبراهيم بن محمد ، لقب بـ «الإمام» ثم تلقب من بعده من

(١) في كتب اللغة والحديث أن اسمه الحرباق فلعل فيه خلافاً .

خلفائهم : فتلقب محمد بن علي بـ «السفاح» لكثرة ماسفح من دماء بني أمية .
 وأختلف في لقبه بالخلافة : ف قيل «القائم» وقيل «المهتدي» وقيل «المرتضى»
 وألقاب الخلفاء بعده وإلى زماننا معروفة مشهورة على ما مر ذكره في المقالة الثانية .
 وعلى ذلك كانت ألقاب خلفاء بني أمية بالأندلس إلى حين انقراضهم على ما هو
 مذكور في مكتبة صاحب الأندلس ، على ما سيأتي في المكتبات في المقالة الرابعة
 إن شاء الله تعالى .

ثم تعدت ألقاب الخلافة إلى كثير من ملوك الغرب بعد ذلك ، وتلا الخلفاء
 في الألقاب الوزراء لاستقبال الدولة العباسية وما بعد ذلك : فتلقب أبو سلمة الخلال
 وزير السفاح بـ «وزير آل محمد» ولقب المهدي وزيره يعقوب بن داود بن طهمان
 «الأخ في الله» ولقب المأمون الفضل بن سهل حين استوزره «ذا الكفایتين»
 ولقب أخاه الحسن بن سهل «ذا الرياستين» ولقب المعتمد على الله وزيره صاعد
 ابن مخلد «ذا الوزارتين» إشارة إلى وزارة المعتمد والموفق ، وكان لقب إسماعيل
 ابن بلبل الشكور «الناصر لدين الله» كألقاب الخلفاء .

وكذلك وقع التلقب لجماعة من أرباب السيوف وقواد الجيوش : فتلقب
 أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة بـ «أمير آل محمد» . وقيل «سيف آل محمد»
 وتلقب أبو الطيب طاهر بن الحسين بـ «مذي اليمينين» ولقب المعتصم بالله حيدر
 ابن كاوس بـ «الأفشين» لأنه أشروسني ، والأفشين لقب على الملك بأشروسنة
 ولقب إسحاق بن كيداح أيام المعتمد بـ «مذي السيفين» ولقب مؤنس في أيام
 المقتدر بـ «المظفر» ولقب سلامة أخو مجح أيام القاهرة بـ «المؤمن» ولقب أبو بكر
 ابن محمد بن طنجح الراضي بالله بـ «الأخشيدي» والأخشيدي لقب على الملك بفرغانة .
 (١)

(١) معنى طنجح عبد الرحمن كما في ابن خلكان .

ثم وقع التلقب بالإضافة إلى الدولة في أيام المكتفي بالله : فلقب المكتفي^(١) أبا الحسين بن القاسم بن عبيد الله « ولي الدولة » ، وهو أول من لقب بالإضافة إلى الدولة ، ولقب المقتدر بالله على بن أبي الحسين المتقدم ذكره « عميد الدولة » . ووافقت الدولة البويهية أيام المطيع لله والأمر جارٍ على التلقب بالإضافة للدولة ، فافتتحت ألقاب الملوك بالإضافة إلى الدولة ، فكان أول من لقب بذلك من الملوك بنو بويه الثلاثة : فلقب أبو الحسن على بن بويه بـ « عماد الدولة » ولقب أخوه أبو على الحسن بـ « ركن الدولة » وأخوهما أبو الحسين أحمد بـ « معز الدولة » ثم وافى « عضد الدولة » من بعدهم فاقترح أن يلقب بـ « تاج الدولة » فلم يحب إليه وعُدل به إلى « عضد الدولة » ؛ فلما بذل نفسه للمعاونة على الأتراك ، اختار له أبو إسحاق الصابى صاحب ديوان الإنشاء « تاج الملة » مضافا إلى عضد الدولة ؛ فكان يقال « عضد الدولة وتاج الملة » ولقب أبو محمد الحسن بن حمدان أيام المتقي لله « ناصر الدولة » ولقب أخوه أبو الحسن على بن حمدان « سيف الدولة » .

وبقى الأمر على التلقب بالإضافة إلى الدولة إلى أيام القادر بالله فافتتح التلقب بالإضافة إلى الدين . وكان أول من لقب بالإضافة إليه أبو نصر بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه ، زيد على لقبه بهاء الدولة « نظام الدين » فكان يقال « بهاء الدولة ونظام الدين » قال ابن حاجب النعمان : ثم تزايد التلقب به وأفرط ، حتى دخل فيه الكتاب والجند والأعراب والأكراد ، وسائر من طلب وأراد ، وكره^(٢) حتى صار لقبا على الأصل . ولا شك أنه في زماننا قد خرج عن الحد

(١) لم يذكر في الضوء لفظ الاب في المحليين .

حتى تعاطاه أهل الأسواق ومن في معناهم ، ولم تصر به ميزة كبير على صغير ،
حتى قال قائلهم :

طَلَعَ الدِّينُ مُسْتَغِيثًا إِلَى اللَّهِ * وَقَالَ : الْعِبَادُ قَدْ ظَلَمُونِي !
يَتَسَمَّوْنَ بِي ، وَحَقَّكَ لَا أَعْرِفُ مِنْهُمْ شَخْصًا وَلَا يَعْرِفُونِي !

أما الديار المصرية فكان جريهم في الألقاب على ما ينتهي إليهم خبره من ألقاب
الدولة العباسية ببغداد ، فتلقب خلفاء الفاطميين بها بنحو ألقاب خلفاء بني العباس
ببغداد ، فكان لقب أول خلفائهم بها « المعز لدين الله » وثانيهم بها « العزيز بالله »
وعلى ذلك إلى أن كان لقب آخرهم « العاضد لدين الله » على ما تقدم في المقالة الثانية
في الكلام على ملوك الديار المصرية .

وتلقب وزراءهم وكُتَّابهم بالإضافة إلى الدولة ، ومن لقب بذلك في دولتهم
« ولي الدولة » بن أبي كدينة وزير المستنصر ، وأيضا « ولي الدولة » بن خيران
كاتب الإنشاء المشهور . ولما صارت الوزارة لبدر الجمالي تلقب بـ « أمير الجيوش » .
ثم تلقب الوزراء بعده بنحو « الأفضل » و « المأمون » . ثم تلقبوا بالملك الفلاني ،
كـ « الملك الأفضل » و « الملك الصالح » ونحو ذلك على ما سيأتي بيانه إن شاء
الله تعالى .

وكان الكُتَّاب في أواخر الدولة الفاطمية إلى أثناء الدولة الأيوبية يلقبون
بـ « الفاضل » و « الرشيد » و « العماد » وما أشبه ذلك ، ثم دخلوا في عموم التلقب
بالإضافة إلى الدين ، واختص التلقب بالإضافة إلى الدولة كولي الدولة بـ كُتَّاب
النصارى ، والأمر على ذلك إلى الآن .

الطرف الثاني

(في بيان معاني الألقاب ، وفيه تسعُ جمل)

الجملة الأولى

(في الألقاب الخاصة بأرباب الوظائف المعتبرة التي بها انتظامُ أمور
المملكة وقوامُها ، وهي قسمان)

القسم الأول

(الألقاب الإسلامية ؛ وهي نوعان)

النوع الأول

(الألقاب القديمة المتداولة الحُكْم إلى زماننا ، وهي صنفان)

الصنف الأول

(ألقاب أرباب السيوف ، وهي سبعة ألقاب)

الأول — الخليفة . وهو لقبُ على الزعيم الأعظم القائم بأمور الأمة ، وقد اختلف
في معناه ، ف قيل : إنه فعيل بمعنى مفعول ، كجريح بمعنى مجروح ، وقَتِيل بمعنى مقتول
ويكون المعنى أنه يخلفه من بعده ، وعليه حمل قوله تعالى ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾
على قول من قال : إن آدم عليه السلام أول من عمّر الأرض وخلفه بنوه من بعده .
وقيل : فعيل بمعنى فاعل ، ويكون المراد أنه يخلف من بعده ، وعليه حمل الآية
من قال إنه كان قبْلَه في الأرض الحنَّ وإنه خلقهم فيها ، واختاره النحّاس

(١) كذا في الضوء أيضا وفي نسخة أخرى والأظهر من قبله .

في "صناعة الكتاب" : وعليه اقتصر البغوي في "شرح السنة" ، والمأوردى في "الأحكام السلطانية" . قال النحاس : وعليه خطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه بخليفة رسول الله .

وقد أجازوا أن يقال في الخليفة « خليفة رسول الله » لأنه خلفه في أمته . وأختلفوا هل يجوز أن يقال فيه خليفة الله : فجوز بعضهم ذلك لقيامه بحقوقه في خلقه محتجين بقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ﴾ وامتنع جمهور الفقهاء من ذلك محتجين بأنه إنما يستخلف من يغيب أو يموت والله تعالى باقٍ موجود إلى الأبد لا يغيب ولا يموت . ويؤيد ما نقل عن الجمهور بما روى أنه قيل لأبي بكر رضي الله عنه : يا خليفة الله - فقال : لست بخليفة الله ولكني خليفة رسول الله ، وقال رجل لعمر بن عبد العزيز : يا خليفة الله - فقال : ويلك ! لقد تناولت متناولا بعيسدا ! إن أمي سمتني عمر ، فلودعوتني بهذا الاسم قبلت ، ثم كبرت فكسيت أبا حفص ، فلودعوتني به قبلت ، ثم وليتكموني أموركم فسميتكموني أمير المؤمنين ، فلودعوتني به كفأك . وخص البغوي جواز إطلاق ذلك بآدم وداود عليهما السلام ، محتجا بقوله تعالى في حق آدم : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ وقوله في حق داود : ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ﴾ ثم قال : ولا يسمى أحد خليفة الله بعدهما . قال في "شرح السنة" : ويسمى خليفة وإن كان مخالفا لسيرة أئمة العدل .

ثم قد كره جماعة من الفقهاء منهم « أحمد بن حنبل » إطلاق اسم الخليفة على ما بعد خلافة « الحسين بن علي » رضي الله عنهما فيما حكاه النحاس وغيره ، محتجين بحديث « الخلافة بعدى ثلاثون » يعني ثلاثين سنة ، وكان انقضاء الثلاثين بانقضاء

خِلاَفَةُ الْحَسَنِ ، وَلَمَّا انْقَضَتِ الْخِلاَفَةُ صَارَتْ مُدْكَا . قَالَ الْمَعَاذُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ فِي تَفْسِيرِهِ : وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَكَعْبًا وَسَلْمَانَ عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْخَلِيفَةِ وَالْمَلِكِ - فَقَالَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ لَا نَدْرِي - فَقَالَ سَلْمَانُ : الْخَلِيفَةُ الَّذِي يَعْدِلُ فِي الرِّعْيَةِ ، وَيُقْسِمُ بَيْنَهُم بِالسَّوِيَّةِ ، وَيُشْفِقُ عَلَيْهِمْ شَفَقَةَ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِهِ وَالْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ ، وَيَقْضِي بَيْنَهُم بِكَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى - فَقَالَ كَعْبٌ : مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ مَنْ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْخَلِيفَةِ وَالْمَلِكِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَهْمُ سَلْمَانَ حُكْمًا وَعِلْمًا ! .

وَاخْتَلَفَ فِي الْمَاءِ فِي آخِرِهِ : فَقِيلَ أُدْخِلْتَ فِيهِ لِلْبَالِغَةِ كَمَا أُدْخِلْتَ فِي رَجُلٍ دَاهِيَةٍ وَرَاوِيَةٍ وَعَلَّامَةٍ وَنَسَابَةٍ وَهُوَ قَوْلُ الْفَرَّاءِ ، وَأَسْتَحْسِنُهُ النَّحَّاسُ نَاقِلًا لَهُ عَنْ أَكْثَرِ النُّحَوِيِّينَ وَخَطَّاهُ عَلَى بَنِي سُلَيْمَانَ مُحْتَجًّا بِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ التَّأْنِيثُ فِيهِ حَقِيقِيًّا . وَقِيلَ : الْمَاءُ فِيهِ لِتَأْنِيثِ الصَّيْغَةِ . قَالَ النَّحَّاسُ : وَرَبَّمَا أَسْقَطُوا الْمَاءَ مِنْهُ وَأَضَافُوهُ فَقَالُوا «فَلَانٌ خَلِيفٌ فَلَانٌ» يَعْنُونَ خَلِيفَتَهُ .

ثُمَّ الْأَصْلُ فِيهِ التَّذْكِيرُ نَظَرًا لِلْعَنَى لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْخَلِيفَةِ رَجُلٌ وَهُوَ مَذَكَّرٌ ، فَيُقَالُ أَمْرُ الْخَلِيفَةِ بِكَذَا عَلَى التَّذْكِيرِ ، وَأُجَازَ الْكُوفِيُّونَ فِيهِ التَّأْنِيثَ عَلَى لَفْظِ خَلِيفَةٍ فَيُقَالُ أَمَرَتِ الْخَلِيفَةُ بِكَذَا ، وَأَنشَدَ الْفَرَّاءُ .

﴿ أَبُوكَ خَلِيفَةٌ وَلَدَتَهُ أُخْرَى ﴾ *

وَمَنْعَهُ الْبَصَرِيُّونَ مُحْتَجِينَ بِأَنَّهُ لَوْ جَازَ ذَلِكَ لَجَازَ قَالَتْ طَلْحَةُ فِي رَجُلٍ اسْمُهُ طَلْحَةُ وَهُوَ مَمْتَنَعٌ . فَإِنْ ظَهَرَ اسْمُ الْخَلِيفَةِ تَعَيَّنَ التَّذْكِيرُ بِاتِّفَاقٍ فَتَقُولُ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الْخَلِيفَةُ أَوْ قَالَ الرَّاضِي الْخَلِيفَةُ وَنَحْوَ ذَلِكَ . وَيَجْمَعُ عَلَى خُلَفَاءَ كَكَرِيمٍ وَكُرَمَاءَ ، وَعَلَيْهِ وَرَدُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ وَعَلَى خَلَائِفٍ كَصَحِيفَةٍ

وصَحَائِفَ ، وعليه جاء قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ﴾ والنسبةُ إليه خَلَفَى كما يُنسَب إلى حنيفة حَنَفَى . وقول العامة درهم خَلِيفَتِي ونحوه خطأ ، إذ قاعدةُ النسب أن يَحْدَفَ من المنسوب إليه الياء وهاء التانيث على ما هو مقرر في علم النحو . ومن وَهَم في ذلك المقرُّ الشهابيُّ بن فضل الله رحمه الله في كتابه " التعريف " حيث قال : وأول ما نبدأ بالمكتبة إلى الأبواب الشريفة الخليفة الخليفة ، ولعله سبق قلم منه ، وإلا فالمسألة أظهر من أن يجهلها أو تخفى عليه .

الثاني — المَلِك . وهو الزعيم الأعظم ممن لم يُطْلَق عليه اسمُ الخِلافة ، وقد نطق القراءُ بذكره في غير موضع كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات . ويقال فيه مَلِك بكسر اللام ومَلِك بإسكانها ومَلِك بزيادة ياء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ قال الجوهري : والمَلِك مقصورٌ من مالك أو مَلِك ؛ ويجمع على مُلُوك وأملاك . ويقال لموضع المَلِك المَمْلَكَة .

الثالث — السُّلْطَان . وهو اسمٌ خاصٌ في العُرف العامِّ بالملوك . ويقال : إن أول من لُقِّب به « خالد بن برمك » وزيرُ الرشيد ، لقَّبه به الرشيدُ تعظيماً له ، ثم انقطع التلقب به إلى أيام بني بويه فتلقب به ملوكهم فمن بعدهم من الملوك السلاجقة وغيرهم وهلمَّ جرّاً إلى زماننا .

وأصله في اللغة الحُجَّة قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ يعني من حُجَّة . وسمي السلطان بذلك لأنه حُجَّة على الرعية يجب عليهم الانقياد إليه .

وأختلف في اشتقاقه : ف قيل إنه مشتق من السَّلاطَة وهي القهر والغلبة : لقهره الرعية وأنقيادهم له ، وقيل مشتق من السَّليط : وهو الشَّيرج في لغة أهل اليمن

لأنه يُستضاء به في خلاص الحقوق ، وقيل من قولهم لسانٌ سايط أى حاد ماضٍ لمضى أمره ونفوذه . وقال محمد بن يزيد البصري : السلطان جمعٌ واحده سايط كقفيز ونُفزان ، وبغير وبُعران .

وحكى صاحب "ذخيرة الكتاب" : أنه يكون واحداً ويكون جمعا ، ثم هو يُذكر على معنى الرجل ، ويؤنث على معنى الحجة . وحكى الكسائي والفراء على التأنيث عن بعض العرب قضت به عليك السلطان . قال العسكري في كتابه "الفروق" : في اللغة : والفرق بينه وبين الملك أن الملك يختص بالزعم الأعظم ، والسلطان يُطلق عليه وعلى غيره . وعلى ما ذكره العسكري عُرِف الفقهاء في كتبهم ، إذ يُطلقونه على الحاكم من حيث هو حتى على القاضي فيقولون فيمن ليس لها ولي خاص يزوجه السلطان ونحو ذلك . ومن حيث إن السلطان أعم من الملك يُقدم عليه في قولهم السلطان الملك الفلاني : ليقع السلطان أولا على الملك وعلى غيره ثم يخرج غير الملك بعد ذلك بذكر الملك .

الرابع — الوزير . وهو المتحدث للملك في أمر مملكته . واختُلف في اشتقاقه : ف قيل مشتق من الوزر بفتح الواو والزاي وهو الملقأ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴾ سُمي بذلك لأن الرعية يأتجون إليه في حوائجهم ، وقيل مشتق من الأوزار وهي الأمتعة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ﴾ سُمي بذلك لأنه متقلد بخزائن الملك وأمتعته ، وقيل مشتق من الوزر بكسر الواو وإسكان الزاي وهو الثقل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ سُمي بذلك لأنه يتحمل أثقال الملك ، وقيل مشتق من الأزر : وهو الظهر ، سُمي بذلك لأن الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر ، وتكون الواو فيه على هذا التقدير منقلبة عن همزة . وقد

أوضحت القول في ذلك في "النفحات النثرية في الوزارة البدرية"، قال القضاعي في "عيون المعارف في أخبار الخلائف": وأول من لُقّب بالوزارة في الإسلام أبو سلمة: حفص بن سلمان الخلال وزير السقّاح. قال: وإنما كانوا قبل ذلك يقولون كاتب. ثم هو إما وزير تفويض: وهو الذي يفوض الإمام إليه تدبير الأمور برأيه وإمضاءها على آجتهاده كما كانت الوزراء بالديار المصرية من لدن وزارة بدر الجمالي وإلى حين أنقراضها، وإما وزير تنفيذ: وهو الذي يكون وسيطا بين الإمام والرعايا معتمدا على رأي الإمام وتديره. وهذه هي التي كان أهل الدولة الفاطمية يعبرون عنها بالوساطة. أما الوزارة في زماننا فقد تقاصرت عن ذلك كلّ حتى لم يبق منها إلا الأسم دون الرسم، ولم تزل الوزارة في الدول تتردّد بين أرباب السيوف والأقلام تارة وتارة إلا أنها في زماننا في أرباب الأقلام.

الخامس — الأمير. وهو زعيم الجيش أو الناحية ونحو ذلك ممن يولّيه الإمام. وأصله في اللغة ذو الأمر وهو فاعل بمعنى فاعل فيكون أمير بمعنى أمر، سمي بذلك لأمثال قومه أمره. يقال: أمر فلان إذا صار أميرا، والمصدر الإمرة والإمارة بالكسر فيهما، والتأمر تولية الأمير، وهي وظيفة قديمة.

السادس — الحاجب. وهو في أصل الوضع عبارة عن يبلغ الأخبار من الرعية إلى الإمام ويأخذ لهم الإذن منه، وهي وظيفة قديمة الوضع كانت لأبتداء الخلافة فقد ذكر القضاعي في "عيون المعارف" لكل خليفة حاجبا من أبتداء الأمر وإلى زمانه: فذكر أنه كان حاجب أبي بكر الصديق رضي الله عنه «شديدا» مولاه، وحاجب عمر «يرفا» مولاه، وحاجب عثمان «حمران» مولاه، وحاجب علي «قنبرا» مولاه، وعلى ذلك في كل خليفة، ماعدا الحسن بن علي رضي الله عنهما فإنه لم يذكر له حاجبا. وسمي الحاجب بذلك لأنه يحجب الخليفة أو الملك عن

يدخل إليه بغير إذن . قال زياد لحاجبه : « ولَيْتَكَ حِجَابِي وَعَزَلْتُكَ عَنْ أَرْبَع :
هذا المُنَادِي إِلَى اللَّهِ فِي الصَّلَاةِ وَالْفَلَاحِ فَلَا تُعْجِنُهُ عَنِّي وَلَا سُلْطَانُ لَكَ عَلَيْهِ ،
وطَارِقُ اللَّيْلِ فَلَا تَحْجُبُهُ فَشَرٌّ مَا جَاءَ بِهِ وَلَوْ كَانَ خَيْرًا مَا جَاءَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ ،
ورَسُولُ الثَّغْرِ فَإِنَّهُ إِنْ أَبْطَأَ سَاعَةً أَفْسَدَ عَمَلَ سَنَةٍ فَأَدْخِلْهُ عَلَيَّ وَإِنْ كُنْتُ فِي الْحَافِي ،
وصاحبُ الطَّعَامِ فَإِنَّ الطَّعَامَ إِذَا أُعِيدَ تَسَخِينُهُ فُسِدَ » .

ثم تصرّف النَّاسُ فِي هَذَا اللَّقَبِ وَوَضَعُوهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، حَتَّى كَانَ فِي أَعْقَابِ
خِلَافَةِ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ رَجُلًا أَطْلُقَ عَلَيَّ مِنْ قَامِ مَقَامِ الْخَلِيفَةِ فِي الْأَمْرِ ، وَكَانُوا
فِي الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ يَعْبرُونَ عَنْهُ بِصَاحِبِ الْبَابِ كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ
فِي الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ فِي الْكَلَامِ عَلَيَّ تَرْتِيبَ دَوْلَتِهِمْ . أَمَّا فِي زَمَانِنَا فَإِنَّهُ عِبَارَةٌ عَنْ يَقِفِ
بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ وَنَحْوِهِ فِي الْمَوَاقِبِ ، لِيَبْلُغَ ضَرُورَاتِ الرِّعْيَةِ إِلَيْهِ ، وَيَرْكَبُ أَمَامَهُ
بَعْضًا فِي يَدِهِ ، وَيَتَصَدَّى لِقَضَائِ الْمَظَالِمِ بَيْنَ الْمُنْدَاعِينَ خُصُوصًا فِيمَا لَا تَسْوِغُ الدَّعْوَى
فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الدِّيُونَانِيَّةِ وَنَحْوِهَا . وَلَهُ بِلَادُ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ أَوْضَاعٌ تَخْصُهُ
فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ ، عَلَيَّ مَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ فِي الْكَلَامِ عَلَيَّ مَكَاتِبَتِهِمْ فِي الْمَقَالَةِ الرَّابِعَةِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

السَّابِعُ — صَاحِبُ الشَّرْطَةِ . بَضْمُ الشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ وَإِسْكَانُ الرَّاءِ : وَهُوَ الْمَعْبَرُ
عَنْهُ فِي زَمَانِنَا بِالْوَالِي ، وَتَجْمَعُ الشَّرْطَةُ عَلَيَّ شَرْطِ بَضْمِ الشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ وَفَتْحِ الرَّاءِ .
وَفِي أَشْتِقَاقِهِ قَوْلَانِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ الشَّرْطِ بِفَتْحِ الشَّيْنِ وَالرَّاءِ وَهِيَ الْعَلَامَةُ ،
لَأَنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لِأَنْفُسِهِمْ عِلَامَاتٍ يُعْرِفُونَ بِهَا ، وَمِنْهُ أَشْرَاطُ السَّاعَةِ يَعْنِي عِلَامَاتُهَا ،
وَقِيلَ مِنَ الشَّرْطِ بِالْفَتْحِ أَيْضًا : وَهُوَ رُذَالُ الْمَالِ ، لِأَنَّهُمْ يَتَحَدَّثُونَ فِي أَرَادِلِ النَّاسِ
وَسِقْلَتِهِمْ مِنْ لَامَالٍ لَهُ مِنَ الْأَصْوَصِ وَنَحْوِهِمْ .

الصِّنفُ الثَّانِي

(أَلْقَابُ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ ، وَفِيهِ ثَلَاثَةُ أَلْقَابٍ)

الأول - القاضى ، وهو عبارة عن يتولى فصل الأمور بين المتداعين
 فى الأحكام الشرعية . وهى وظيفة قديمة كانت فى زمن النبىِّ صلى الله عليه وسلم .
 فقد ذكر القضاة أنه صلى الله عليه وسلم وثى القضاء بايمن على بن أبى طالب
 ومعاذ بن جبل وأبا موسى الأشعرى ؛ وأن أبا بكر رضى الله عنه وثى القضاء عمر
 ابن الخطاب رضى الله عنه .

ثم هو مشتق من القضاء ؛ واختلف فى معناه فقال أبو عبيد : هو إحكام الشيء
 والفراغ منه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ﴾ أى أخبرناهم
 بذلك وفرغنا لهم منه . قال أبو جعفر النحاس : وسمى القاض قاضياً لأنه يقال
 قضى بين الخصمين إذا فصل بينهما وفرغ ؛ وقيل معناه القطع ، يقال قضى
 الشيء إذا قطعه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾ وسمى القاضى بذلك
 لأنه يقطع الخصومة بين الخصمين بالحكم . على أن كتاب الزمان يطلقون هذا
 اللقب واللقاب المتفرعة منه كالتضائى والقاضوى على أرباب الأقلام فى الجملة ،
 سواء كان صاحب اللقب متصدياً لهذه الوظيفة أو غيرها ، كسائر العلماء والكتاب
 ومن فى معانهم ، وعلى ذلك عرفت العامة أيضا .

الثانى - المحتسب ، وهو عبارة عن يقوم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ،
 والتحدث فى أمر المكاييل والموازين ونحوهما . قال الماوردى فى " الأحكام
 السلطانية " : وهو مشتق من قولهم حسبك بمعنى اكفف^(١) ، سمي بذلك لأنه يكفى

(١) عبارة الصواب نقلا عن الماوردى هكذا (وهو مشتق من قولهم حسبك بمعنى اكفف لأنه يكف

عن الظلم وقال النحاس من قولهم أحسبه إذا كفاه لأنه يكفى الخ) وبه تعلم ما فى الأصل .

الناس مؤونة من يَحْسِبُهم حقوقهم . قال النحاس : وحقيقته في اللغة المجتهد في كفاية المسلمين ومنفعتهم إذ حقيقة أفتل عند الخليل وسيدويه بمعنى آجتهد . وأول من قام بهذا الأمر وصنع الدرّة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه في خلافته . وقد كانوا في الأيام الفاطمية بالديار المصرية يضيفونها إلى الشرطة في بعض الأحيان ، كما هو موجود في تقاليد الحسبة في زمانهم .

الثالث — الكاتب . وقد تقدّم اشتقاقه ومعناه في مقدّمة الكتاب ، وأنه كان في الزمن الأول عند الإطلاق إنما يُراد به كاتب الإنشاء ثم تغير الحال بعد ذلك إلى أن صار في العُرف العامّ بالديار المصرية عند الإطلاق يراد به كاتب المال ومن في معناه . وهو من الألقاب القديمة فقد تقدّم في الكلام على الوزارة من كلام القضاة أنهم قبل التلقيب بالوزارة في الدولة العباسية في خلافة السفّاح إنما كانوا يقولون كاتب .

قلت : ووراء ما تقدّم من الألقاب القديمة المتداولة ألقاب أخرى كانت مستعملة في الأيام الفاطمية ثم رُفِضت الآن وتركّت .

كـ «صاحب المظالم» وهو المتحدّث في فصل الخصومات .

وصاحب الصلاة : وهو المتحدّث في أمر المساجد والصلوات .

وكالمتحدّث في الوساطة ، وهي القيام بوظيفة الوزارة من لم يؤهّل لإطلاق اسم الوزارة عليه .

وصاحب الباب كنحو الحاجب .

وداعى الدعاة للشيعة ونحو ذلك .

النوع الثاني

(الألقاب المحدثه)

وهي إما عربيّة ، وإما عجميّة . والعجميّة منها إما فارسيّة ، وإما تركيّة ، وأكثرها الفارسيّة . والسبب في استعمال الفارسيّ منها وإن كانت الفُرس لم تلها في الإسلام أن الخلافة كانت ببغداد وغالب كلام أهلها الفارسيّة ، والوظائف منقولة عنها إلى هذه المملكة ، إما مضاهاة كما في الدولة الفاطمية على قلّة ، كما في الاسفَهْسلار ، وإما تبعا كما في الدولة الأيوبية فما بعدها .

وهي أربعة أصناف :

الصف الأول

(المفردة ، وهي ضربان)

الضرب الأول

(ما لفظه عربيّ ، وهو ثلاثة ألقاب)

الأول — النائب : وهو لقبٌ على القائم مقام السلطان في عامّة أموره أو غالبها ،^(١) والألف فيه متقلبة عن واو . يقال : ناب فلان عن فلان ينوب نوبا ومناوبا إذا قام مقامه فهو نائب . ويطلق هذا اللقب في العُرف العام على كل نائب عن السلطان أو غيره بحضرته أو خارجا عنها في قُرب أو بُعد ، إلا أن النائب عن السلطان بالحضرة يُوصف في عُرف الكُتّاب بالكافل : فيقال « النائب الكافل » وفي حال الإضافة « كافل الممالك الإسلاميّة » على ما سيأتي ذكره في النُعوت إن شاء الله تعالى ،

(١) مراده المهمة التي هي عين فاعل .

والنائب عنه بدمشق يقال فيه «كافل السلطنة» ومن دونه من أكابر النواب :
 كائب حلب ونائب طرابلس ونائب حماة ونائب صقند ونائب الكرك من الممالك
 الشامية ، ونائب الإسكندرية ونائبي الوجهين : القبلي والبحري بالديار المصرية .
 [يقال فيه نائب السلطنة الشريفة بكذا ليس إلا^(١)] ويقال فيمن دونهم من النواب
 بالممالك الشامية نائب حمص ونائب الرحبة وغيرهما «النائب بفلانة» .

الثاني — الساقى . وهو لقب على الذى يتولى مد السباط وتقطيع اللحم وسقى
 المشروب بعد رفع السباط ، ونحو ذلك . وكأنه وضع فى الأول لسمى المشروب فقط
 ثم استحدث له هذه الامور الأخرى تبعاً . ويجوز أن يكون لقب بذلك لأن سقى
 المشروب آخر عمله الذى يختص به وظيفته .

الثالث — المشرف . وهو الذى يتولى امر المطبخ ويقف على مشاركة
 الأطبحة فى خدمة إستادار الصُحبة الآتى ذكره ، ومعناه ظاهر .

الضرب الثانى

(ما لفظه عجمى وهو لقب واحد)

وهو «الأوجاقى» وهو لقب على الذى يتولى ركوب الخيل للتسيير والرياضة ،
 ولم أقف على معناه .

(١) الزيادة من الضوء ص ٢٤٢ ليم الكلام .

الصنف الثانى

(المركبة ، وهى ثلاثة اضراب)

الضرب الأول

(ماتمحص تركيبه من اللفظ العربى ، وفيه سبعة ألقاب)

الأول — ملك الأمراء . وهو من الألقاب التى أصطلح عليها لكفّال الممالك من نواب السلطنة ، كأكابر النواب بالممالك الشامية ومن فى معناهم . وذلك أنه قام فيهم مقام الملك فى التصرف والتنفيذ ، والأمراء فى خدمته نخدمة السلطان . وأكثر ما يخاطب به النواب فى المكاتبات ، وذلك مختص بغير المخاطبات السلطانية ، أما السلطان فلا يخاطب عنه أحد منهم بذلك .

الثانى — رأس نوبة . وهو لقب على الذى يتحدث على ممالك السلطان أو الأمير ، وتنفيذ أمره فيهم ، ويجمع على رؤوس نوب . والمراد بالرأس هنا الأعلى أخذا من رأس الإنسان لأنه أعلاه . والنوبة واحدة النوب وهى المرة بعد الأخرى ، والغامّة تقول لأعلامهم فى خدمة السلطان « رأس نوبة النوب » وهو خطأ لأن المقصود علو صاحب النوبة لا النوبة نفسها ، والصواب فيه أن يقال : « رأس رؤوس النوب » أى أعلامهم .

الثالث — أمير مجلس . وهو لقب على من يتولى أمر مجلس السلطان أو الأمير فى الترتيب وغيره ، ويجمع على أمراء ، ومعناه ظاهر ، والأحسن فيه أن يقال أمير المجلس بتعريف المضاف إليه ، وتكون الألف واللام فيه للعهد الذهنى ، إما مجلس السلطان أو غيره .

الرابع - أمير سلاح . وهو لقبٌ على الذى يتولى أمر سلاح السلطان أو الأمير . ويجمع على أمراء سلاح ، والسلاح آلة القتال . قال الجوهري : وهو مدَّكر ويجوز تأنيته .

الخامس - مُقَدَّم الممالك . وهو لقبٌ على الذى يتولى أمر الممالك للسلطان أو الأمير - من الخُدَّام الخِصَّيان المعروفين الآن بالطَّوَّاشِيَّة . ومقامه فيهم نحو مقام رأس النوبة ، ولفظ المقَدَّم والممالك معروف .

السادس - أمير علم . وهو لقبٌ على الذى يتولى أمر الأعلام السلطانية والطَّبَّاخانة وما يجري مجرى ذلك . والعلم فى اللغة يطلق بإزاء معانٍ أحدها الرأية^(١) ، وهو المراد هنا .

السابع - نقيب الجيش . وهو الذى يتكفل بإحضار مَنْ يطلبه السلطان من الأمراء وأجناد الخَلْقَة ونحوهم ، والنقيب فى اللغة العريف الذى هو ضمير القوم وفى التزييل حكاية عن بنى اسرائيل : ((وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا)) ويقال : نَقَب على قومه يَنْقُب نَقْبًا مثل كَتَب يَكْتُب كِتَابًا . والجيش العسكر ويجمع على جُيُوش . أما بالممالك الشامية فإنه يقال فى مثله نَقِيب النقباء .

الضرب الثانى

(ما تَمَحَّضَ تركيبه من اللفظ العجمي)

وقاعدة اللغات العجمية تقديم المضاف إليه على المضاف ، والصفة على الموصوف ، بخلاف اللغة العربية . ولهذا الضرب حالتان :

(١) فى الأصول التروية ، والتصحيح عن الضوء .

(٢) فى الأصول " المضاف على المضاف إليه " وهو سبق قلم .

الحالة الأولى

(أن تكون الإضافة إلى لفظ دار)

وهي لفظة فارسية معناها مُسِكَ فاعل من الإمساك . وكثير من كُتَّاب الزمان أو أكثرهم بل كلُّهم يظنون أن لفظ دار في ذلك عربي بمعنى المحلة ، كدار السلطان أو الأمير ونحو ذلك ، وهو خطأ كما سيأتي بيانه في الكلام على إستدار ، وخرندار وغيرهما .

والمضاف إلى لفظ دار من وظائف أرباب السيوف تسعة ألقاب :

الأول — الإِستدار . بكسر الهمزة وهو لقب على الذي يتولى قبض مال السلطان أو الأمير وصرقه ، ويُمثل أوامره فيه . وهو مركَّب من لفظتين فارسيتين : إحداهما إِستد ، بهمزة مكسورة وسين مهملة ساكنة بعدها تاء مثناة من فوق ثم ذال معجمة ساكنة ، ومعناها الأخذ . والثانية دار ، ومعناها المُسِكَ كما تقدّم ، فأدغمت الذال الأولى وهي المعجمة في الثانية وهي المهملة فصار إِستدار . والمعنى المتولّى للأخذ ، سمي بذلك لما تقدّم من أنه يتولى قبض المال . ويقال فيه أيضا : سِتدار بإسقاط الألف من أوله وكسر السين ، والمتشدّقون من الكُتَّاب يضمّون الهمزة في أوله ويحقّون فيه ألفاً بعد التاء ، فيقولون : «أُستادّار» وربما قالوا : «أُستاذ الدار» بادخال الألف واللام على لفظ الدار ظناً منهم أن المراد حقيقة الدار في اللفظ العربي ، وأن أُستاذ بمعنى السيد أو الكبير ، ولذلك يقولون «أُستاذار العالية» : أو «أُستاذ الدار العالية» وهو خطأ صريح لما تقدّم بيانه . على أن العامة تنطق به على الصواب ، من كسر الهمزة وحذف الألف بعد التاء . ثم قد يُراد في هذا اللقب لفظ الصُّعْبَة ، فيصير «إِستدار الصُّعْبَة» ويكون لقباً على متولّى أمر المطبخ . وكأنه لُقّب بذلك لملازمته الباب سفراً وحضراً .

الثاني — الجُوكَا نْدَار . وهو لقبٌ على الذي يحمل الجُوكَا ن مع السلطان في لعب الكرة ، ويجمع على جُوكَا ن دَارِيَّة ، وهو مركَّب من لفظتين فارسيَّتين أيضا : إحداهما جوكان ، وهو المَحْجَن الذي تُضْرَب به الكرة ، ويعبر عنه بالصَّوْلِحَان أيضا : والثانية دار ، ومعناه مُسِك كما تقدَّم . فيكون المعنى 'مسك الجُوكَا ن' . والعامَّة تقول : « جُكَنْدَار » بحذف الواو بعد الجيم والألف بعد الكاف .

الثالث — الطَّبَرْدَار . وهو الذي يحمل الطَّبر حول السلطان عند ركوبه في المَوَاكِب وغيرها . وهو مركَّب من لفظين فارسيَّين : أحدهما طَبَر ومعناه الفأس ، ولذلك يقولون في السَّكْر الصُّلْب الشديد الصَّلاَبَة طَبَرَزْد بمعنى 'يكسر بالفأس' . والثاني دار ومعناه مُسِك كما تقدَّم ، فيكون المعنى 'مُسِك الطَّبر' .

الرابع — السَّنَجَقْدَار . وهو الذي يحمل السَّنَجَق خلف السلطان . وهو مركَّب من لفظتين : أحدهما تُرْكِيٌّ وهو سَنَجَق ، ومعناه الرُّح وهو في لغتهم مصدر طَعَن ، فعبر به عن الرُّح الذي يُطَعَن به . والثاني دار ومعناه مُسِك كما تقدَّم ، ويكون المعنى 'مُسِك السَّنَجَق' وهو الرُّح . والمراد هنا العلم الذي هو الراية كما تقدَّم ، إلا أنه لما كانت الراية إنما تُجْعَل في أعلى الرُّح عبر بالروح نفسه عنها .

الخامس — البُنْدُقْدَار . وهو الذي يحمل جِراوة البُنْدُق خلف السلطان أو الأمير . وهو مركَّب من لفظتين فارسيَّتين إحداهما بُنْدُق ، وإن كان الجوهري قد أطلق ذكره في الصحاح من غير تعرُّض لأنه معرَّب ققال : والبُنْدُق الذي يرمى به . ثم هو منقول عن البُنْدُق الذي يؤكَل وهو الحَلْوَز بكسر الجيم والزاي المعجمة في آخره .

(١) كذا في الاصل ولعله مصحف عن غرارة أو نحوه .

فقد قال أبو حنيفة في كتاب "النبات" الجأوز عربي وهو البندق والبندق فارسي .
اللفظة الثانية دار ومعناها ممسك كما تقدم ، ويكون المعنى ممسك البندق .

السادس — الجمدار . وهو الذي يتصدى لإلباس السلطان أو الأمير ثيابه .
وأصله جاما دار فحذفت الألف بعد الجيم وبعد الميم استثقلا وقيل جمدار .
وهو في الأصل مركب من لفظين فارسيين أحدهما جاما ، ومعناه الثوب . والثاني دار ،
ومعناه ممسك كما تقدم فيكون المعنى ممسك الثوب .

السابع — البشمقدار . وهو الذي يحمل نعل السلطان أو الأمير ، وهو مركب
من لفظين : أحدهما من اللغة التركية وهو بَشْمَق ومعناه النعل . والثاني من
اللغة الفارسية وهو دار ومعناه ممسك على ما تقدم . ويكون المعنى ممسك النعل .
على أن صاحب « الأنوار الضوئية في إظهار غلط الدرّة المضية في اللغة التركية »
قد ذكر أن الصواب في النعل بصمق بالصاد المهملة بدل الشين المعجمة ، وحينئذ
فيكون صوابه على ما ذكر بصمقدار . والمعروف في السنة الترك بالديار المصرية
ما تقدم .

الثامن — المهمندار . وهو الذي يتصدى لتلقي الرسل والعربان الواردين على
السلطان ويُترجم دار الضيافة ويتحدث في القيام بأمرهم . وهو مركب من لفظين
فارسيين : أحدهما مهمن بفتح الميم ومعناه الضيف ، والثاني دار ومعناه ممسك
كما تقدم ، ويكون معناه ممسك الضيف ، والمراد المتصدى لأمره .

التاسع — الزان دار المعبر عنه « بالزمام دار » . وهو لقب على الذي يتحدث
على باب ستارة السلطان أو الأمير من الخدام الخصيان . وهو مركب من لفظين
فارسيين : أحدهما زان بفتح الزاي ونونين بينهما ألف ، ومعناه النساء .

والثاني دار، ومعناه ممسك كما تقدم فيكون معناه ممسك النساء، بمعنى أنه الموكَّل بحفظ الحريم إلا أن العامة والخاصة قد قبلوا النونين فيه بيمين فعبَّروا عنه بالزَّمام دار كما تقدم، ظناً أن الدار على معناها العربي والزَّمام بمعنى القائد، أخذاً من زِمَام البعير الذي يُقاد به .

الحالة الثانية

(أن تكون الإضافة إلى غير لفظ دار، وفيها لقبان)

الأول — الجَّاشَنَكِير . وهو الذي يتصدَّى لذَوَّقَانِ^(١) الماء كَول والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفاً من أن يَدَسَّ عليه فيه سُمٌّ ونحوه . وهو مركَّب من لفظين فارسيين : أحدهما جاشنا بجم في أوله قريبة في اللفظ من الشين ، ومعناه الذَّوق ، ولذلك يقولون في الذي يذوق الطعام والشراب الشَّيشَنِي . والثاني كير وهو بمعنى المتعاطى لذلك ، ويكون المعنى الذي يذوق .

الثاني — السَّرَاخُور . وهو الذي يتحدَّث على عَلف الدَّوابِّ من الخيل وغيرها . وهو مركَّب من لفظين فارسيين : أحدهما سَراً ومعناه الكير^(٢) . والثاني خُور ، ومعناه العلف ، ويكون المعنى كبير العلف والمراد كبير الجماعة الذين يتولَّون عَلف الدَّوابِّ . والعامة يقولون سَراخُورِيُّ بأشبات ياء النسب في آخره ولا وجه له . ومتهدقو الكُتَّاب يُبدِّلون الراء فيه لاما فيقولون سَلاخُورِيّ وهو خطأ .

(١) مصدر ذاق الذوق والمذاق والذواق فسا في الأصل جاري في لغة العامة .

(٢) خالف في هذا قاعدة اللغة العجمية من تقدم المضاف اليه على المضاف . ووجد بهامش بعض النسخ " السراخور مركب من سرا فارسي بمعنى الرأس واخور بمعنى اصطبل فعناهما رأس الاصطبل السلطاني " .

الضرب الثالث

(ماتركب من لفظ عربي ولفظ عجمي ، وله حالتان)

الحالة الأولى

(أن يصدر بلفظ أمير وهو لفظ عربي كما تقدم

في الكلام على ألقاب أرباب الوظائف ، وفيها أربعة ألقاب)

الأول — أمير آخور . وهو الذي يتحدث على إصطبل السلطان أو الأمير، ويتولى أمر ما فيه من الخيل والإبل وغيرهما مما هو داخل في حكم الإصطبلات ، وهو مركب من لفظين : أحدهما عربي وهو أمير ، والثاني فارسي وهو آخور بهمزة مفتوحة ممدودة بعدها خاء معجمة ثم واو وراء مهملة ومعناه المعلق ، والمعنى أمير المعلق : لأنه المتولى لأمر الدواب على ماتقدم وأهم أمورها المعلق .

الثاني — أمير جاندآر . وهو لقب على الذي يستأذن على الأمراء وغيرهم في أيام الموكب عند الجلوس بدار العدل . وهو مركب من ثلاثة ألفاظ : أحدها عربي وهو أمير وقد تقدم معناه . والثاني جان يحيم وألف ونون ، ومعناه الروح بالفارسية والتركية جميعا . والثالث دار ، ومعناه ممسك كما تقدم ، فيكون المعنى « الأمير الممسك للروح » ولم يظهر لي وجه ذلك إلا أن يكون المراد أنه الحافظ لدم السلطان فلا يآذن عليه إلا لمن يأمن عاقبته .

الثالث — أمير شكار . وهو لقب على الذي يتحدث على الجوارح من الطيور وغيرها وسائر أمور الصيد . وهو مركب من لفظين : أحدهما عربي وهو أمير والثاني فارسي وهو شكار بكسر الشين المعجمة وكاف وألف ثم راء مهملة في الآخر ، ومعناه الصيد فيكون المراد « أمير الصيد » .

الرابع — أمير طبر . وهو لقب على الذى يتحدث على الطبردارية الذين يحملون الأتشار حول السلطان فى المواقب ونحوها . وهو مركب من لفظين : أحدهما عربى وهو أمير ، والثانى طبر وهو بالفارسية الفأس كما تقدم فى الكلام على الطبردار .

الحالة الثانية

(أن لا يصدر اللقب بلفظ أمير، وفيها خمسة ألقاب)

الأول — الدوادار . وهو لقب على الذى يحمل دواة السلطان أو الأمير أو غيرهما، ويتولى أمرها مع ما ينضم إلى ذلك من الأمور اللازمة لهذا المعنى من حكم وتنفيذ أمور وغير ذلك بحسب ما يقتضيه الحال . وهو مركب من لفظين : أحدهما عربى وهو الدواة ، والمصدر الذى يكتب منها . والثانى فارسى وهو دار، ومعناه ممسك كما تقدم . ويكون المعنى « ممسك الدواة » وحذفت الهاء من آخر الدواة استئقلا . أما فى اللغة العربية فإنه يقال لحامل الدواة « داو » على وزن قاض ، فنثبت الياء فيه مع الألف واللام فتقول جاء الداوى ورأيت الداوى وصررت بالداوى ، ويجوز حذفها كما فى سائر الأسماء المنقوصة .

الثانى — السلاح دار . وهو لقب على الذى يحمل سلاح السلطان أو الأمير ويتولى أمر السلاح خاناه وما هو من توابع ذلك . وهو مركب من لفظين : أحدهما عربى وهو السلاح ، وقد تقدم معناه فى الكلام على أمير سلاح . والثانى فارسى وهو دار ومعناه ممسك كما تقدم ، ويكون المعنى « ممسك السلاح » .

الثالث — الخزندار بكسر الخاء وفتح الزاى المعجمين . وهو لقب على الذى يتحدث على خزانة السلطان أو الأمير أو غيرهما . وهو مركب من لفظين : أحدهما

عربيّ وهو خزانة : وهى ما يُخزَن فيه المالُ . والثانى فارسيّ وهو دار، ومعناه مُمسك كما تقدّم فحذفت الألف والهاء من خزانةٍ آستقلالاً فصارت خزاندار ويكون المعنى «مُمسك الخزانة» والمراد المتولّى لأمرها ، ومتشذّبو الكتاب يُسقطون الألف والهاء من خزانة على ما تقدّم ويُلاحقون بعد الحاء ألفاً فينقلّون لفظ خزانة إلى خازن فاعلٍ من الخزن ويضيفونه إلى دار، ظناً منهم أن الدار على معناها العربيّ كما تقدّم فى الإستمدار والزنان دار ، وهو خطأ كما تقدّم بيانه هناك . على أن العامة تنطق بحروفه على الصواب إلا أنهم يكسرون الزاى بعد الحاء والصواب فتحها .

الرابع — العلم دار . وهو لقب على الذى يحمل العلم مع السلطان فى المواكب . وهو مركّب من لفظين : أحدهما عربيّ وهو العلم ، وقد تقدّم أن معناه الراية . والثانى فارسيّ وهو دار ومعناه ممسك كما تقدّم ، ويكون المعنى «ممسك العلم» .

الصفى الثانى^(١)

(ألقابُ أربابِ الأعلام ، وهى على خمسة أضرب)

الضرب الأول

(ألقابُ أربابِ الوظائف من العلماء ، وفيه خمسة ألقاب)

الأول — الخطيب . وهو الذى يُخطب الناس ويذكّرهم فى الجمع والأعياد ونحوهما . وقد كان ذلك فى الزمن المتقدم مختصاً بالخلفاء والأمراء بالنواحي على ما تقدّم فى الكلام على ترتيب الخلافة فى المقالة الثانية .

(١) كذا فى الأصل ولعله الثالث ومع ذلك لم يذكر الصفى الرابع وقد جعل فى الضم هذا القسم من نوع ألقاب أرباب الوظائف الدينية وهو الموافق .

الثاني — المُقَرِّئ . وهو الذي يُقَرِّئُ القراءَ العَظِيمَ ، وقد غلبَ آخِصَاصُهُ في العُرفِ على مشايخِ القِرَاءَةِ من قُرَّاءِ السبعةِ المَحمِدين المتصدين لتعليمِ عِلْمِ القِرَاءَةِ .

الثالث — المُحدِّث . والمراد به من يتعاطى علمَ حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطريقِ الرِّوَايَةِ والدِّرَايَةِ ، والعِلْمِ بِأَسْمَاءِ الرِّجَالِ وطُرُقِ الْأَحَادِيثِ ، والمَعْرِفَةِ بِالْأَسَانِيدِ ونحو ذلك .

الرابع — المُدَرِّس . وهو الذي يتصدى لتدريس العلوم الشرعية : من التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والتصريف ونحو ذلك . وهو مأخوذ من درَّست الكتابَ دِرَاسَةً إذا كَرَّرْتَهُ لِلحِفْظِ .

الخامس — المُعَيِّد . وهو ثاني رتبةِ المُدَرِّس فيما تقدَّم ، وأصلُ موضوعه أنه إذا ألقى المُدَرِّسُ الدرسَ وأنصرف أعاد للطلبة ما ألقاه المُدَرِّس إليهم ليفهموه ويُحَسِّنُوهُ .

الضرب الثاني (ألقابُ الكُتَّاب ، وهي ثَمَانُ)

النمط الأول

(ألقابُ أربابِ الوظائفِ من كُتَّابِ الإنشاء . وفيه ثلاثة ألقاب)

الأول — كاتبُ السَّرِّ . وهو صاحبُ ديوانِ الإنشاء وقد تقدَّم الكلامُ عليه مستوفى عند الكلام على الكِتابَةِ والكُتَّابِ في مقدِّمة الكتاب .

الثاني — كاتبُ الدَّسْتِ . وهو الذي يجلس مع كاتبِ السَّرِّ بدار العدل أمامَ السلطانِ أو النائبِ بِمَمْلَكَةٍ من الممالك ، ويوقع على القِصَصِ . وهم جماعة وقد تقدَّم الكلامُ عليهم في المقدِّمة أيضًا .

الثالث — كاتب الدُّرَج . وهو الذى يكتبُ المَكاتَبات والوَلايات وغيرها فى الغالب وربما شاركه فى ذلك كُتَّاب الدَّست ، ويعبرُ الآن عنه بالمُوقَّع ، وقد تقدّم الكلام عليه هناك أيضا .^(١)

الضرب الثالث

(ألقاب أرباب الوظائف من كُتَّاب الأموال ونحوها ، وفيه تسعة ألقاب)
الأول — الوزير إذا كان من أرباب الأقلام ، وقد تقدّم الكلام عليه فى ألقاب أرباب السُّيوف فى الصَّنَف الأول .^(٢)

الثانى — الناظر . وهو من ينظر فى الأموال وينفذ تصرفاتها ويرفعُ إليه حسابها لينظر فيه ويتأمّله فيمضى ما يمضى ويردُّ ما يردُّ . وهو مأخوذ إما من النظر الذى هو رأى العين : لأنه يُدير نظره فى أمور ما ينظر فيه ، وإما من النظر الذى هو معنى الفكر : لأنه يفكر فيما فيه المصلحة من ذلك . ثم هو يختلف باختلاف ما يُضاف إليه كـ (ناظر الجيش) وهو الذى يتحدّث فى أمر الحيوش وضبطها . أو (ناظر الخاَص) وهو الذى ينظر فى خاصِّ أموال السلطان . أو (ناظر الدَّواوين) وهو الذى يعبر عنه بناظر الدولة ويُشارك الوزير فى التصرف . أو (ناظر النُّظار بدمشق) وهو الذى يقومُ بها مقام الوزير بالديار المصرية . أو (ناظر المملِكة) بحلب ، أو طرابلس ، أو حماة ونحوها . أو (ناظر أوقاف أو جهات بر) وما يجرى مجرى ذلك .

(١) لم يذكر النمط الثانى من هذا الضرب ولعله سهو من النسخ . وهو كذلك فى نسخة أخرى .

(٢) أى من الألقاب الإسلامية القديمة وقد تقدّم فى ص ٤٤٨ من هذا الجزء .

الثالث - صاحب الديوان . وكانوا في الزمن الاول يعبرون عنه بمتولى
الديوان ، وهو ثانی رتبة الناظر في المراجعة . وله أمور تخصه لترتيب الدرج
ونحو ذلك .

الرابع - الشاهد . وهو الذي يشهد بمتعلقات الديوان نقيا وإثباتا .

الخامس - المستوفي . وهو الذي يضبط الديوان ، وينبه على ما فيه مصلحته
من استخراج أمواله ونحو ذلك . ولعظم موقعه أشار إليه الحريري في مقاماته
بقوله : «منهم المستوفي الذي هو قُطْبُ الديوان» إلى آخره . ثم في بعض المباشرات
قد ينقسم إلى مستوفي أصل ومستوفي مباشرة ، ولكل منهما أعمال تخصه .

السادس - العامل . وهو الذي ينظم الحسابات ويكتبها . وقد كان هذا
اللقب في الأصل إنما يقع على الأمير المتولى العمل ثم نقله العرف إلى هذا الكاتب
وخصه به دون غيره .

السابع - المساح . وهو الذي يتصدى لقياس أرض الزراعة ، وهو فاعل من
مسح الأرض يمسحها مساحا إذا ذرعها .

الثامن - المعين . وهو الذي يتصدى للكتابة إعانة لأحد من المباشرين
المذكورين ، ومعناه واشتقاقه ظاهر .

التاسع - الصيرفي . وهو الذي يتولى قبض الأموال وصرفها . وهو
مأخوذ من الصرف : وهو صرف الذهب والفضة في الميزان . وكان يقال له
فيما تقدم الجهبذ .

الضرب الرابع

(ألقابُ أربابِ الوظائفِ من أهلِ الصَّناعاتِ ، وفيه خمسةُ ألقابِ)

الأول — مُهندِسُ العِمائرِ . وهو الذى يتولَّى ترتيبَ العِمائرِ وتقديرَها ويحكمُ على أربابِ صناعاتِها . والمهندسةُ عِلْمٌ معروفٌ فيه كتبُ مفردةٌ بالتصنيفِ .

الثانى — رئيسُ الأطِبَّاءِ . وهو الذى يحكمُ على طائفةِ الأطِبَّاءِ ويأذنُ لهم فى التطبيبِ ونحو ذلك . وسيأتى الكلامُ على ضَبْطِ ذلك ومعناه فى الكلامِ على الرئيسِ فى الألقابِ المفردة فى حرفِ الراء فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

الثالث — (رئيسُ الكَحَّالينِ) . وحكمه فى الكلامِ على طائفةِ الكَحَّالينِ حُكْمُ رئيسِ الأطِبَّاءِ فى طائفةِ الأطِبَّاءِ .

الرابع — رئيسُ الجَرَائِمِ . وحكمه فى الكلامِ على طائفةِ الجَرَائِمِ والمَجْبَرينِ كالرئيسينِ المتقدمينِ .

الخامس — رئيسُ الحَرَاقَةِ . وهو الذى يحكمُ على رجالِ الحَرَاقَةِ السلطانيةِ ويتولَّى أمرَها . وكان فى الزمنِ المتقدمِ يقالُ له رئيسُ الخِلافةِ جَرِيًّا على ما كان الأمرُ عليه فى الخلافةِ الفاطمية بالديارِ المصريةِ .

الضرب الخامس

(ألقاب أرباب الوظائف من الأتباع والخواشي والخدم، وهم طائفتان)

الطائفة الأولى

(الأعوان، وهم نمطان)

النمط الأول

(ما تمحضت ألقاؤه عربية، وفيه ثلاثة ألقاب)

الأول — مُقَدِّمُ الدَّوْلَةِ . وهو الذي يتحدَّثُ على الأعوان والمتصرفين لخدمة الوزير . والمراد المقدم على الدولة، والدولة لفظ قد خصه العرف بمتعلقات الوزارة . كما يقال لناظر الدواوين ناظر الدولة على ما تقدم ذكره .

الثاني — مُقَدِّمُ الخاص . وهو المتحدث على الأعوان والمتصرفين بديوان الخاص المختص بالسلطان، كمقدم الدولة بالنسبة إلى أعوان الوزارة .

الثالث — مُقَدِّمُ التُّرُكَّان . ويكون بالبلاد الشامية والحلبية متحدثاً على طوائف التُّرُكَّان الذين يُقَدِّمُ عليهم .

النمط الثاني

(ما تمحض لفظه عجمياً ، وفيه لقب واحد)

وهو (البرددار) . وهو الذي يكون في خدمة مباشرى الديوان في الجملة متحدثاً على أعوانه والمتصرفين فيه ، كما في مقدم الدولة والخاص المقدم ذكرهما . وأصله

(فردادار) بقاء في أوله وهو مركب من لفظين فارسيين : أحدهما فردا ، ومعناه الستارة . والثاني دار ، ومعناه ممسك ، والمراد «ممسك الستارة» وكأنه في أول الوضع كان يقف بباب الستارة ثم نقل إلى الديوان .

الطائفة الثانية

(أرباب الخدم ، وهم نمطان)

النمط الأول

(مايضاف إلى لفظ الدار كما تقدم في أرباب السيوف ، وهي سبعة ألقاب)
الأول — الشربدار . وهو لقب على الذي يتصدى للخدمة بالشراب خاناه ، التي هي أحد البيوت . وهو مركب من لفظين : أحدهما شراب وهو مايشرب من ماء وغيره ، فحذفوا الألف فيه استئقلا . والثاني دار ، ومعناه ممسك على ما تقدم ، والمعنى «ممسك الشراب» .

الثاني — الطست دار . وهو لقب على بعض رجال الطشت خاناه . وهو مركب من لفظين أحدهما طست بفتح الطاء وإسكان السين المهملة في اللغة العربية ، وهو الذي يغسل فيه ، ويجمع على طسوس بسينين من غير تاء ، ويقال فيه أيضا طس بإسقاط التاء ، إلا أن العامة أبدلوا السين المهملة فيه بشين معجمة . والثاني دار ومعناه ممسك على ما تقدم ، فيكون معناه «ممسك الطست» .

الثالث — البازدار . وهو الذي يحمل الطيور الجوارح المعدة للصيد على يده . وخُصَّ باضافته إلى الباز الذي هو أحد أنواع الجوارح دون غيره لأنه هو المتعارف بين الملوك في الزمن القديم ، على ما سيأتى ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى .

الرابع — الحَوْنَدَار . وهو الذى يتصدى لخدمة طُيُور الصيد من الكَرَاكِىِّ والْبَلَسُّونَات ونحوها ، ويحملها إلى موضع تعليم الجَوَارِح . وأصله « حَيَوَانُ دَار » أطلق الحيوان فى عُرْفِهِم على هذا النوع من الطيور ، كما أطلق على مَنْ يتعانى معامل الفُرُوج الحَيَوَانِيَّ .

الخامس — المَرْقَدَار . وهو الذى يتصدى لخدمة ما يحوز المَطْبَخُ وحفظه ، سُمِّيَ بذلك لكثرة معاطاته لمرق الطعام عند رفع الحَوَان ونحو ذلك .

السادس — المِحْفَدَار بكسر الميم . وهو الذى يتصدى لخدمة المِحْفَةِ . وهو مركب من لفظين . أحدهما مِحْفَةٌ فُخِذَتْ التاء منها أَسْتَقْلًا ، والثانى دار ، ومعناه ممسكٌ على ما تقدم ، فيكون بمعنى « ممسك المِحْفَةِ » .

النمط الثانى

(ملا يتقيد بالإضافة إلى دار ولا غيرها ، وفيه خمسة ألقاب)

الأول — المِهْتَارُ . وهو لقبٌ واقع على كبير كل طائفة من ذلَمَان البيوت ، كِمِهْتَار الشَّرَاب خَانَاه ، وَمِهْتَار الطَّسْت خَانَاه ، وَمِهْتَار الرِّكَّاب خَانَاه . ومِهْ بكسر الميم معناه بالفارسية الكبير ، وتار بمعنى أفعل التفضيل ، فيكون معنى المِهْتَار الأكبر .

الثانى — أَلْبَابَا . وهو لقبٌ عامٌ لجميع رجال الطَّسْت خَانَاه ممن يتعاطى الغسل والصَّقْل وغير ذلك . وهو لفظ رومى ، ومعناه أبو الآباء على ماسياتى بيانه فى لقب الباب فى الكلام على ألقاب أهل الكُفَر . وكأنه لُقِّب بذلك لأنه لما تعاطى ما فيه ترفيه مخدمه : من تنظيف قُشَّاشه وتحسين هيئته أشبه الأب الشفيق فُلُقِّبَ بذلك .

الثالث — الرَّخْتَوَان . وهو لقبٌ لبعض رجال الطُّسْتِ خاناه يتعاطى الثُّمَّاشَ ،
والرَّخْتُ بالفارسية اسمٌ للقماش ، والواو والألف والنون بمعنى ياء النسب ، ومعناه
«المتولَّى لامر القماش» .

الرابع — الْخِوَانِ سَلَار . وهو لقبٌ مختصٌّ بكبير رجال المَطْبَخِ السلطاني ،
القائم مقام المِهْمَارِ في غير المَطْبَخِ من البيوت . وهو مركَّب من لفظين : أحدهما
خَوَان ، وهو الذى يؤكل عليه . قال الجوهريّ : وهو معرَّب . والثانى سَلَار ، وهى
فارسية ومعناها المقدم وكأنه يقول مقدم الخِوَان . والعامّة تقول : «إخوان سَلَار»
بالف فى أوله وهو لحن .

الخامس — المِهْمَرْد . وهو الذى يتصدَّى لحفظ قُماش الجَمَال أو قُماش
الإصطبل والسقائين ونحو ذلك . ومعناه باللغة الفارسية « الرجل الكبير » فله اسمٌ
للكبير، ومَرْد اسمٌ للرجل .

السادس — (الغَلَام) . وهو الذى يتصدَّى لخدمة الخليل ، ويجمع على غِلْمَانٍ
وغلَامَةٍ بكسر الفين وسكون اللام . وهو فى أصل اللغة مخصوصٌ بالصبيّ الصغير
والمملوك ثم غلب على هذا النوع من أرباب الخِدم ، وكأنهم سمّوه بذلك لصغره
فى النفوس . وربما أُطلق على غيره من رجال الطُّسْتِ خاناه ونحوهم .

القسم الثاني

(من ألقاب أرباب الوظائف ألقاب أرباب الوظائف من أهل الكُفْر،
والمشهور منهم طائفتان)

الطائفة الأولى النصارى

(والمشهور من ألقاب أرباب وظائفهم ثمانية ألقاب)

الأول — الباب — بباين موحدين مفخمتين في اللفظ . وهو لقب على القائم
بأمور دين النصارى المَلِكانيَّة بمدينة رُومِيَّة . وما ذكره في ”التشيف“ من أنه عندهم
بمثابة القان عند التتار خطأ ظاهر : لأن الباب قائم في النصارى مقام الخليفة،
بل به عندهم يُنَاطُ التحليل والتحریم، وإليه مرجعهم في أمر دياناتهم بخلاف القان
فإن أمره قاصر على أمر الملك، وأصله البابا بزيادة ألف في آخره، والكُتَاب يُثَبِّتُونَهَا
في بعض المواضع ويحذفونها في بعض، وربما قيل فيه البابه ببدال الألف هاء .
وهي لفظة رُومِيَّة معناها أبو الآباء . وأول ما وضع هذا اللقب عندهم على بطرك
الإسكندرية الآتى ذكره فيما بعد، وذلك أن صاحب كل وظيفة من وظائفهم
الآتى ذكرها كان يخاطب من فوقه منهم بالأب، فالتبس ذلك عليهم فاخترعوا
لبطرك الإسكندرية البابا دفعا للاشتراك في اسم الباب، وجعلوه أباً للكل، ثم رأوا
أن بطرك رُومِيَّة أحق بهذا اللقب : لأنه صاحب كرسي بطرس كبير الحواريين
ورسول المسيح عليه السلام إلى رُومِيَّة، وبطرك الإسكندرية صاحب كرسي
صُرْقُص الإنجيلي تلميذ بطرس الحواري المقدم ذكره فنقلوا اسم البابا إلى بطرك
رُومِيَّة، وأبقوا اسم البطرك على بطرك الإسكندرية .

الثانى — البَطْرَك — بباء موحدة مفتوحة ثم طاء مهملة ساكنة وبعدها راء مهملة مفتوحة ثم كاف فى الآخر . وهو لقب على القائم بأمر دين النصارى .
وكراسى البطاركة عندهم أربعة : كرسى برومية وهو مقر الباب المقدم ذكره ، وكرسى^(١) بأنطاكية من بلاد العواصم ، وكرسى بالقدس ، [وكرسى بالإسكندرية] وقد غلب الآن بالديار المصرية على رئيس النصارى يعقوبية بالديار المصرية وهو المعبر عنه فى الزمن القديم ببطرك الإسكندرية ، ومقره الآن بالكنيسة المعلقة بالقسطنطين على ما سياتى ذكره فى موضعه ان شاء الله تعالى .

وأصله البَطْرِيْكُ بزيادة ياء مثناة تحت مفتوحة بعدها راء ساكنة وهو لفظ رومى معناه ورأيت فى ترسل العلاء بن موصلايا كاتب القائم بأمر الله العباسى فى تقليد أنشأه "القطر" ببدال الباء الموحدة ناء . وقد تقدم أن هذا البطرك هو الذى كان يدعى أولا بالباپا ثم نُقل ذلك إلى بابا رومية ، على أن بطرك الإسكندرية لم يكن فى الزمن المتقدم مختصا ببطرك يعقوبية بل كان تارة يكون يعقوبيا وتارة يكون ملكانيا وإنما حدث اختصاصه باليعقوبية فى الدولة الإسلامية على ما سياتى بيانه فى موضعه إن شاء الله تعالى .

الثالث — الأسقف — بضم الهمزة والقاف . وهو عندهم عبارة عن نائب البطرک .
الرابع — المطران — بكسر الميم . وهو عبارة عن القاضى الذى يفصل الخصومات بينهم .

الخامس — القسيس — بكسر القاف . وهو القارئ الذى يقرأ عليهم الإنجيل والمزامير وغيرها .

(١) الزيادة من الضوء .

(٢) بياض بالاصول .

السادس - الجَاتِلِقُ - يحيم بعدها ألف ثم تاء مشناة فوق ولام ثم ياء مشناة تحت^(١)
وقاف في الآخر . وهو عندهم عبارة عن صاحب الصلاة .

السابع - الشَّاس - بشين معجمة في الأول وسين مهملة في الآخر وميم
مشددة . وهو عبارة عندهم عن قيم الكنيسة .

الثامن - الراهب . وهو عبارة عن الذي حبس نفسه على العبادة
في الخلوة .

الطائفة الثانية اليهود

(والمشهور من ألقاب ارباب وظائفهم ثلاثة ألقاب)

الأول - الرئيس . وهو القائم فيهم مقام البطرك في النصارى ، وقد تقدم
الكلام على لفظ الرئيس وأنه يقال بالهمز وتشديد الياء .

الثاني - الحزان - بحاء مهملة وزاي معجمة مشددة وبعد الألف نون .
وهو فيهم بمثابة الخطيب يصعد المنبر ويعظهم .

الثالث - الشَّيْخَصْبُور - بكسر الشين المعجمة واللام وفتح الياء المشناة تحت
وبعدها حاء مهملة ساكنة ثم صاد مهملة مفتوحة وباء موحدة مشددة مضمومة
بعدها راء مهملة . وهو الإمام الذي يصلّي بهم .

(١) نص في القاموس على جواز الفتح والكسر فيه وأورده بالشاء المثناة فاعل ما أثبتته في الاصل
تصحيح أوله .

الجملة الثانية

(في ذكر الألقاب المرتبة على الأصول العظام من ألقاب أرباب
الوظائف المتقدمة، وهي نوعان)

النوع الأول

(ألقاب الخلفاء المرتبة على لقب الخليفة، وهي صنفان)

الصنف الأول

(ماجرى منها مجرى العموم، وهو لقبان)

الأول — أمير المؤمنين . وهو لقب عام للخلفاء . وأول من لُقّب به منهم عمرُ
ابن الخطاب رضي الله عنه في أثناء خلافته، وكانوا قبل ذلك يدعون أبا بكر الصديق
رضي الله عنه بخليفة رسول الله، ثم دعوا عمر بعده لابتداء خلافته بخليفة
رسول الله .

وآخِثُف في أصل تلقيبه بأمر المؤمنين فروى أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب"
بسنده إلى أبي وبرة، أن أصل تلقيبه بذلك أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا
يُجلدان في الشراب أربعين، قال فبعثني خالدٌ إلى عمر في خلافته أسأله عن الجلد
في الشراب فجئته، فقلت : يا أمير المؤمنين إن خالدًا بعثني إليك — قال فيم ؟ قلت :
إن الناس قد تخافوا العقوبة وأنهم حذروا في الخمر فما ترى في ذلك فقال عمر إن حوله
ما ترون في ذلك فقال عليّ نرى يا أمير المؤمنين ثمانين جلدة فتبيل ذلك عمر فكان
أبو وبرة ثم عليّ بن أبي طالب أول من لُقّب بذلك .

وذكر أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" أن أصل ذلك أن عمر رضي الله عنه بعث إلى عامله بالعراق أن يرسل إليه رجلين عارفين بأمور العراق يسألها عما يريد فأنفذ إليه لبيد بن ربيعة وعدى بن هشام^(١) فلما وصلا المدينة دخلا المسجد فوجدا عمرو بن العاص فقالا له : استأذن لنا على أمير المؤمنين - فقال لهما عمرو : أنما أصبتما اسمه ! ثم دخل على عمر فقال السلام على « أمير المؤمنين » - فقال : ما بدا لك يا ابن العاص ؟ لتخرجن من هذا القول ! فقصص عليه القصة فأقره على ذلك ، فكان ذلك أول تلقيسه بأمر المؤمنين ، ثم استقر ذلك لقباً على كل من ولي الخلافة بعده أو ادّعاها خلا خلفاء بني أمية بالاندلس فإنهم كانوا يخاطبون بالإمارة فقط إلى أن ولي منهم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ، بن عبد الرحمن ، وهو الثالث عشر من خلفائهم إلى زماننا .

الثاني - عبد الله ووليّه . وهو لقب عام للخلفاء أيضا ، إذ يكتب في نعت الخليفة في المكاتبات ونحوها « من عبد الله ووليّه أبي فلان فلان أمير المؤمنين » فأما عبد الله فأول من تلقب به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيضا ، فكان يكتب في مكاتباته « من عبد الله عمر » ولم ذلك من بعده من الخلفاء حتى إن المأمون كان اسمه عبد الله فكان يكتب من « عبد الله عبد الله بن هارون » مكرراً لعبد الله على الأسم الخاص واللقب العام ، وأما إردافها بقوله « ووليّه » فأحدث بعد ذلك .

(١) كذا في الأصول ومثله في الضوء وفي مروج الذهب عدى بن حاتم وهو الصواب .

الصف الثاني

(ألقاب الخلافة الخاصة بكل خليفة)

والمتلقبون بألقاب الخلافة خمس طوائف :

الطائفة الأولى

(خلفاء بني العباس)

قد تقدم في الجملة الثانية من الطرف الأول من هذا الفصل في الكلام على أصل وضع الألقاب والنُّعوت أن خلفاء بني أمية لم يتلقَّب أحدٌ منهم بألقاب الخلافة ، وأن ذلك ابتدئ بابتداء الدولة العباسية فتلقب إبراهيم بن محمد حين أخذت له البيعة بـ «الإمام» وأن الخُلُف وقع في لقب السفاح : فقيل «القائم» وقيل «المهتدي» وقيل «المرتضى» ، ثم تلقب أخوه بعده بـ «المنصور» واستقرت الألقاب جارية على خلفائهم كذلك إلى أن ولي الخلافة أبو إسحاق إبراهيم بن الرشيد بعد أخيه المأمون فتلقب بـ «المعتصم بالله» فكان أول من أضيف في لقبه من الخلفاء اسمُ الله . وجرى الأمر على ذلك فيما بعده من الخلفاء ، كـ «الواثق بالله» و «المتوكل على الله» و «الطائع لله» و «القائم بأمر الله» و «الناصر لدين الله» وما أشبه ذلك من الألقاب المتقدمة في الكلام على ترتيب الخلافة في المقالة الثانية .

وكان من عادتهم أنه لا يتلقَّب خليفة بلقب خليفة قبله إلى أن صارت الخلافة إلى الديار المصرية فترادفوا على الألقاب السابقة ، واستعملوا ألقاب من سلف من الخلفاء على ما تقدمت الإشارة إليه في الكلام على ترتيب الخلفاء ، إلى أن تلقب أمير المؤمنين محمد بن أبي بكر خليفة العصر بـ «المتوكل على الله» وهو من أوائل ألقاب الخلافة العباسية .

الطائفة الثانية

(خلفاء بني أمية بالأندلس)

(حين غلب بنو العباس على الأمر بالعراق ، وأنزعوا الخلافة منهم)

وأول من ولي الخلافة منهم بالأندلس « عبد الرحمن » بن معاوية ، بن هشام ، ابن عبد الملك ، بن مروان ، المعروف (بالداخل) لدخوله الأندلس في سنة تسع وثلاثين ومائة على ماسياتي ذكره في مكتبة صاحب الأندلس . ولم يتلقب بلقب من ألقاب الخلافة جرياً على قاعدتهم الأولى في الخلافة . وجرى على ذلك من بعده من خلفائهم إلى أن ولي منهم « عبد الرحمن » بن محمد ، المعروف بـ « المقبول » فتلقب بـ « الناصر » بعد أن مضى من خلافته تسع وعشرون سنة ، وتبعه من بعده منهم على ذلك إلى أن ولي عبد الرحمن بن محمد ، بن عبد الملك ، بن الناصر عبد الرحمن المتقدم ذكره ، فتلقب بـ « المرتضى بالله » وهو أول من أضيف في لقبه بالخلافة منهم اسم الله ، مضاهةً لبني العباس ، وذلك في حدود الأربعمئة . وبقي الأمر على ذلك في خلفائهم إلى أن كان آخرهم هشام بن محمد فتلقب بـ « المعتمد بالله » وأقرضت خلافتهم من الاندلس بعد ذلك بانقراضه في سنة ثمان وعشرين وأربعمئة .

الطائفة الثالثة

(الخلفاء الفاطميون ببلاد الغرب ثم بالديار المصرية)

وأول ناجم نجم منهم ببلاد الغرب (أبو محمد عبيد الله) في سنة ست وتسعين ومائتين من الهجرة ، وتلقب بـ « المهدي » ثم تلقب بنوه من بعده بألقاب الخلافة المضاف فيها اسم الله كـ « القائم بأمر الله » و « المنصور بالله » إلى أن كان منهم

المعز لدين الله أبو تميم مَعَدُّ، وهو الذي انتزع الديار المصرية من أيدي الأَخشيديَّة، وصار إليها في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة . وتداول خلفائهم بها مثل هذه الألقاب إلى أن كان آخرهم العاضد لدين الله عبد الله وأنقرضت خلافتهم بالدولة الأيوبية على ما تقدم ذكره في المقالة الثانية في الكلام على ملوك الديار المصرية .

الطائفة الرابعة

(الخلفاء الموحدون الذين ملوك أفريقيا بتونس الآن من بقاياهم)

وأولهم في التلقيب بألقاب الخلافة إمامهم محمد بن تومرت البربري، القائم ببلاد الغرب في أعقاب الفاطميين المتقدم ذكرهم، تلقب بـ«المهدي» وآل الأمر من جماعته إلى الشيخ أبي حفص أحد أصحابه، ومن عقبه ملوك تونس المتقدم ذكرهم فلم يتلقب أحد منهم بألقاب الخلافة إلى أن ولي منهم أبو عبد الله محمد بن أبي زكريا يحيى فتلقب بـ«المستنصر بالله» وتبعه من بعده من ملوكها على التلقيب بألقاب الخلافة إلى زماننا . ولذلك قال المقر الشهابي بن فضل الله في كتابه «التعريف» في الكلام على مكاتبة صاحب تونس «لا يدعى إلا الخلافة» وشبهتهم في ذلك أنهم يدعون أنسابهم إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وهو من صميم قُرَيش .

الطائفة الخامسة

(جماعة من ملوك الغرب ممن لا شبهة لهم في دعوى الخلافة)

كملك الطوائف القائمين بالأندلس بعد انقراض الدولة الأموية منها : من بني عبّاد وبني هود وغيرهم حيث كانوا يلتقبون بـ«المعتمد» وغيره .

النوع الثاني

(ألقابُ الملوك المختصةُ بالملك ، وهي صنفان)

الصنف الأول

(الألقابُ العامةُ ، وهي التي تقع بالعموم على ملوك ممالك مخصوصة)

تصدق على كل واحد منهم ، وهي ضربان)

الضرب الأول

(الألقابُ القديمة ، والمشهور منها ألقاب ست طوائف)

الطائفة الأولى

(التبابعةُ ملوك اليمن)

كان يقال لكل منهم « تبع » . قال السهيلي في « الروض الأنف » : سُموا بذلك لأن الناس يدعونهم ، وواقته الزخشرى على ذلك . وقال ابن سيده في « المحكم » : سُموا بذلك لأنهم يتبع بعضهم بعضا . قال المسعودي في « مروج الذهب » : ولم يكونوا ليسموا أحدا منهم تبعا حتى يملك اليمن والشحر وحضرموت . وقيل : حتى يتبعه بنو جشم بن عبد شمس ، أما إذا لم يكن كذلك فإنما يسمى ملكا . وأقول من لقب منهم بذلك « الحارث بن ذي شمر » وهو الرأش . ولم يزل هذا اللقب واقعا على ملوكهم إلى أن زالت مملكتهم بملك الحبشة اليمن .

الطائفة الثانية

(ملوك الفُرس ، وهم على أربع طبقات)

الطبقة الأولى — النيشدادية . كان يقال لكل من ملك منهم قيشداد ، ومعناه « سيرة العئل » وأولهم كيومرث ، والفرس كلهم مطبقون على أنه مبدأ نسل البشر ، وكانهم يريدون به آدم عليه السلام .

وحكى الغزالي في « نصيحة الملوك » : أن كيومرث ابن آدم لصليبه ، وأن آدم عهد إلى شيث بأمر الدين وإلى كيومرث بأمر الملك . وبعضهم يقول إنه كامر ابن يافث بن نوح عليه السلام .

الطبقة الثانية — (الكيانية) ^(١) . سُموا بذلك لأن في أول اسم كل واحد منهم لفظ كي ، وأولهم (كيشاد) .

الطبقة الثالثة — (الاشعائية) ^(٢) . كان يقال لكل منهم « أشغان » ، قال المسعودي : بالغين المعجمة ويقال بالكاف .

الطبقة الرابعة — (الأكاسرة) . كان يقال لكل منهم « كسرى » بكسر الكاف وفتحها ، وربما قيل فيهم « الساسانية » نسبة إلى حاكمهم ساسان بن أردشير بن كي بهمن . وأولهم أردشير بن بابك وأخوه يزيد الذي أقترض ملكهم بائراة المسلمين الملك من يديه في خلافة عثمان رضي الله عنه .

(١) في العبر ٢ ص ١٥٩ « الكانية » .

(٢) في الأصول بدون وزن والتصحيح من المسعودي .

الطائفة الثالثة

(ملوك مصر من بعد الطوفان من القبط)

كان كل من ملكها منهم يسمى « فِرْعَوْن » قال إبراهيم بن وصيف شاه في « كتاب العجائب » : والقبط تزعّم أن الفراعنة من ملكها من العاقلة دون القبط ، كالوليد بن دؤمغ ونحوه ، ويقال : إن أول من تسمى بهذا الاسم منهم (فرعان) آخر ملوكها قبل الطوفان ثم تسمى من بعده « مِرْعَوْن » . قال المؤيد صاحب حاة في تاريخه : ولم أدر لأى معنى سُمي بذلك . والمذكور في الفرعان منهم هو الذى بعث موسى عليه السلام فى زمانه .

الطائفة الرابعة

(ملوك الروم ، وهم طبقات)

الطبقة الأولى منهما ليس لهم لقب يعم كل ملك ، بل لكل ملك منهم اسم يخصه .

الطبقة الثانية — الفياصرة . كان يقال لكل من ملك منهم قيصر . وأصل هذه اللفظة فى اللغة الرومية جاشر يجيم وشين معجمة فمزبها العرب قيصر ولها فى لغتهم معنيان : أحدهما الشعر ، والثانى الشئ المشقوق .

وأختلف فى أول من تلقب بهذا اللقب منهم : فقيل أغانيوش أول ملوك الطبقة الثانية منهم . سُمي بذلك لأن أمه ماتت وهو حمل فى بطنها فسق جوفها وأخرج فأطلق عليه هذا اللفظ أخذاً من معنى الشق ، ثم صار تلة على كل من ملكهم بعده ، وقيل أول من لقب بذلك يوليوش الذى ملك بعد أغانيوش المذكور ، وقيل

أول من ألقب به أنشطش ، واختلف في سبب تسميته بذلك : فقيل لأن أمه ماتت وهو في جوفها فشق عنه وأخرج كما تقدم القول في أغانيوش ، وقيل لأنه ولد وله شعر تام فلُقّب بذلك أخذاً من معنى الشعر كما تقدم . ولم يزل هذا اللقب جارياً على ملوكهم إلى أن كان منهم هِرَقْل الذي كتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم .

وزعم القاضي شهاب الدين بن فضل الله في كتابه " التعريف " في الكلام على مكاتبة الأدفونش أن هِرَقْل لم يكن الملك نفسه وإنما كان متسلماً الشام لقيصر ، وقَصْرُ القسطنطينية لم يرم ، وإنما كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هِرَقْل لقربه من جزيرة العرب وبقي هذا اللقب عليهم بعد الإسلام إلى أن كان آخر من تلقب به منهم (إستيراق قيصر) ملك القسطنطينية في خلافة المأمون بن الرشيد .

الطائفة الخامسة

(ملوك الكنعانيين بالشام)

كان كل من ملك منهم ألقب « بجالوت » إلى أن كان آخرهم جالوت الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله ﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴾ .

الطائفة السادسة

(ملوك الحبشة)

كان كل من ملك منهم يلقب به « النجاشي » ولم يزل ذلك لقبا على ملوكهم إلى أن كان منهم النجاشي الذي كتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته . وهو الذي هاجر إليه من هاجر من الصحابة رضوان الله عليهم المحجرة الأولى ، واسمه صَحْمَة ويقال أَصْحَمَة ، ومعناه بالعربية عطية .

الضرب الثاني

(الألقاب المسحذة، والمشهور منها ألقاب ست طوائف)

الطائفة الأولى

(ملوك قرغانية)

كان كل من ملك منهم يلقب «الأخشيدي» ولذلك لقب الراضي بالله العباسي محمد بن طنج صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية بـ«الأخشيدي» لأنه كان قرغانياً.

الطائفة الثانية

(ملوك أشروسنة)

كان كل من ملكها يقال له «الأفشين» . قال في «ذخيرة الكتاب» :
وبه لقب المعتصم بالله حيدر بن كلوس بـ«الأفشين» لأنه أشروسني .

الطائفة الثالثة

(ملوك الجلائقة من التترج)

الذين قاعدة ملكهم طليطلة وبرشلونة من الأندلس . يقال لكل من ملك منهم «أدقونس» بدال مهجلة ثم فاء بعدها واو ثم نون مفتوحة وشين معجمة في آخره . وهذا اللقب جارٍ على ملوكهم إلى زماننا ، وهو الذي تسميه العامة «القدش» .

الطائفة الرابعة

(ملوك فرنسة، ويقال فرنجية بالجم)

وهو ملك الأرض الكبيرة بظاهر الأندلس . يقال لكل من ملكها «ريدافرنس» ومعنى ريد بلغتهم الملك ، والأفرنس اسم الجنس الذين يملك عليهم . والمعنى ملك الأفرنس . وهو الذي تسميه العامة «الفرنسيس» وهذا اللقب جار على ملوكهم إلى الآن .

الطائفة الخامسة

(ملوك البندقية من بلاد الفرنج)

كل من ملك منهم يسمونه «دوك» بالكاف المشوبة بالجم فيقال : «دوك البندقية» . وهذا اللقب جار على ملوكهم إلى آخر وقت .

الطائفة السادسة

(ملوك الحبشة في زماننا)

كل من ملك منهم يقال له «حطى» بفتح الحاء المهملة وكسر الطاء المهملة المشددة . وهذا اللقب يذكر في مكاتباتهم عن الأبواب السلطانية على ماسياتي ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى .

الصنف الثاني

(من النوع الثاني الألقاب الخاصة)

وهي التي يُخَصُّ كُلُّ مَلِكٍ مِنْ مَلُوكِ الْإِسْلَامِ مِنْهَا بِتَلْقَبٍ ، وهو المعبر عنه عند الكُتَّاب بِالتَّلْقَبِ الْمُلُوكِيِّ . ويختلف الحال فيه باختلاف البلاد والزمان .

فأما بلاد المشرق فأقول أفتتاح تلقب ملوكهم بالإضافة إلى الدولة ، وكان أول من تلقب منهم بذلك بنو حمدان ملوك حلب ، فتلقب أبو محمد الحسن بن حمدان في أيام المتقي لله «ناصر الدولة» وتلقب أخوه أبو الحسن علي «سيف الدولة» وعلى ذلك جرى الحال في ملوك بني بويه على ما تقدم ذكره في الكلام على أصول الألقاب ، وتوالي ذلك فيهم إلى أقراض دولتهم . ثم وقع التلقب بالسلطان فيما بعدهم من الدول كدولة بني سُبُكْتِكِين ، وبني ساسان ، وبني سلجوق ، إلى أن غلبت التتار على بلاد المشرق فخرت ملوكهم في التلقب بألقاب على عادة ملوكهم .

وأما بلاد المغرب : فأوائل ملوكهم على عموم ملوكهم جميعها وخصوصه ببعضها ما بين مدع للخلافة ، كبنى أمية بالأندلس ، وأتباع المهدي بن تومرت ، فيدور أمر أحدهم بين التلقب بألقاب الخلافة والاقتران على اسمه أو كنيته ، وما بين غير مدع للخلافة ، فيقتصر على اسمه أو كنيته فقط إلى أن غلب يوسف بن تاشفين في أوائل دولة المرابطين من الملتزمين من البربر على بلاد المغرب والأندلس ، ودان بطاعة الخلافة العباسية ببغداد ، فتلقب بـ «أمير المؤمنين» خضوعاً عن أن يتلقب بـ «أمير المؤمنين» الذي هو من خصائص الخلافة ، وتبعه على ذلك من جاء بعده من ملوك المغرب من البربر : فتلقب به بنو مرين : ملوك فاس ، وبنو عبد الواد ملوك تلمسان ، وبقى الأمر على ذلك إلى أن ملك فاس وما معها من بلاد المغرب

ابوعنان من أحفاد السلطان أبي الحسن، فتلقب بـ «أمير المؤمنين» وصارت مكاتبته ترد إلى الديار المصرية بذلك، وتبعه من بعده من ملوكهم على ذلك.

أما ملوك تونس من بقايا الموحدين، فلم يزالوا يلقبون بألقاب الخلافة على ما سبق ذكره في الكلام على ألقاب الخلفاء.

وأما الديار المصرية، فمضى الأمر فيها على نواب الخلفاء من حين الفتح الإسلامي وإلى انقراض الدولة الأخشيديّة ولم يتلقّب أحد منهم بلقب من الألقاب المملوكية. ثم كانت دولة الفاطميين فتلقّبوا بألقاب الخلفاء على ما مر ذكره. ولم يتلقّب أحد من وزراءهم أرباب السيوف لابتداء أمرهم بالألقاب المملوكية إلى أن ولي الوزارة المستنصر بدر الجسالي وعظم أمر الوزارة، وصارت قائمة مقام السلطنة الآن فتلقب بـ «أمير الجيوش» وتلقب أبنه في وراثته بعده بـ «الأفضل» وتلقب ابن السّار بعده ذلك بـ «العاذل» وتلقب ابن البطّاحي وزير الأسر بـ «المأمون». ثم وُزّر بعد ذلك الحافظ بهرام الأرمني النصراني فتلقب بـ «تاج الدولة». ثم وُزّر بعده وزير اسمه رضوان، فلقبه بـ «الملك الأفضل». قال المؤيد صاحب حماة: وهو أول من لقب من وزراءهم بالملك، وجرى الأمر على ذلك في وزارتهم حتى كان منهم الملك الصالح طلائع بن رزيك وزير الفائز ثم العاضد، ثم وُزّر للعاضد أخرا أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولقب بـ «الملك المنصور». ثم وُزّر له بعده ابن أخيه صلاح الدين، فلقب بـ «الملك الناصر» ثم استغل بالملك بعد ذلك، وبقي في السلطنة على لقبه الأول. وتداول ملوك الدولة الأيوبية بعده مثل هذه الألقاب: كالملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين، والملك العادل أبي بكر بن أيوب، والملك الكامل محمد ابنه، والأفضل صاحب دمشق، والمعظم صاحب الكرك، وغيرهم إلى حين انقراض دولتهم ودخول الدولة التركيّة. فتلقب أيك التركمانى أول ملوكهم

بـ«الملك المُعِزُّ» واستمرّ التلقب بمثل ذلك في الدولة التركية إلى أن صارت المملكة
آخراً إلى الظاهر بَرَقُوق، ثم ابنه الناصر فَرج، وهم على ذلك. وعلى نحو ذلك ملوك
البلاد المجاورة لهذه المملكة : كإِردِين، وَحِصْنِ كَيْفَا ونحوهما .

الجملة الثالثة

(في الألقاب المنقوعة على الأسماء، على ما استقرّ عليه الحال من التلقب
بالإضافة إلى الدين، وهي على أربعة أنواع)

النوع الأول

(ألقاب أرباب السيف، وهم صنفان)

الصنف الأول

(ألقاب الجند من الترك ومن في معانهم)

وأعلم أن الغالب في ألقاب الترك من الجند التلقب بـ«سيف الدين» لما فيه من
مناسبة حالهم وأنتسابهم إلى القوة والشدة : كإِبْرَاهِيمَ وَمِنْكِي بَغَا، وَبِي نَحْجَا،
وَأَسْنِ نَحْجَا، وَتَغْرِي بَرْدِي، وَتَغْرِي بَرْمَش، ونحو ذلك . وقد يخرج ذلك في بعض
الأسماء فيلقب بألقاب خاصة، كما يلقبون طيغاً، والطنبغا، وقرايغا «علاء الدين»
وأيُدْمَر، ويُدْمَر «عز الدين» ولايحين «حسام الدين» وأرسلان «بهاء الدين»
وأفوش «جمال الدين» وسنجر «علم الدين» ونحو ذلك . وفي المولدين يقولون
في لقب محمد : «ناصر الدين» ولقب أبي بكر «سيف الدين» ولقب عمر
«ركن الدين» ولقب علي «علاء الدين» ولقب إبراهيم «صالح الدين» ولقب
إسماعيل «تاج الدين» ولقب حسن وحسين «حسام الدين» ولقب خالد
«شجاع الدين» ونحو ذلك .

الصنف الثاني

(ألقاب الخُدام الخُصيان المعبر عنهم الآن بالأَواشيَّة ،

وفي زمن الفاطميين بالأسنادين)

ولهم ألقابٌ تخصهم : فيقولون في هلال ومرجان « زين الدين » وفي دينار
« عز الدين » وفي كشير « سعد الدين » وفي شاهين « فارس الدين » وفي جوهري
« صفي الدين » وفي مثقال « سابق الدين » وفي عنبر « شجاع الدين » وفي أؤاؤ
« بدر الدين » وفي صواب « شمس الدين » وفي محسن « جمال الدين » ونحو ذلك .

النوع الثاني

(ألقاب أرباب الأقلام ، وهي على صنفين)

الصنف الأول

(ألقاب القضاة والعلماء)

قد كان في الزمن الأول لغالب أسمائهم ألقابٌ لا يتعدونها ، كتقولهم في محمد :
« شمس الدين » وفي أحمد « شهاب الدين » وفي أبي بكر « زين الدين » وفي عمر
« سراج الدين » وفي عثمان « نحر الدين » وفي علي « نور الدين » وفي يوسف
« جمال الدين » وفي عبد الرحمن « زين الدين » وفي إبراهيم « برهان الدين » ونحو ذلك .
ثم ترك أعيانهم ذلك لابتداله بكثرة الاستعمال ، وحدثوا إلى ألقابٍ آخر ابتدعوها على
حسب أغراضهم فقالوا في محمد « بدر الدين » و « صدر الدين » و « عز الدين »
ونحوها ، وفي أحمد « بهاء الدين » و « صدر الدين » و « صلاح الدين » وفي علي
« تقي الدين » وفي عبد الرحمن « جلال الدين » ونحو ذلك ، ولم يتوقفوا في ذلك على
لقب مخصوص ، بل صاروا يقصدون المخالفة لما عليه جادة من تقدمهم في ذلك .

الصف الثاني

(ألقاب الكُتَّاب من القِبط)

ولهم ألقاب تخصُّهم أيضا : فيقولون في عبد الله « شمس الدين »^(١) وفي عبد الرزاق « تاج الدين » وربما قالوا « سعد الدين » وفي إبراهيم « علم الدين » وفي ماجد « محمد الدين » وفي وهبة « تقي الدين » ونحو ذلك .

النوع الثالث

(ألقاب عامة الناس من التجَّار والعلماء السلطانية ونحوهم)

وهم على سَنَنِ النُّقَّهَاءِ في ألقابهم ، وربما مال مَنْ هو منهم في الحِدْمِ السلطانية إلى التلقب بألقاب الجُنْدِ .

النوع الرابع

(ألقاب أهل الدِّمَّةِ من الكُتَّاب والصَّيارفِ)

ومَنْ في معنَاهُم من اليهود والنصارى)

وقد أَصْطَلَحُوا على ألقابٍ يتلقَّبون بها غالِبُها مُصدَّرَةٌ بالشيخ ، ثم منهم مَنْ يجرى على الرِّسْمِ الأوَّلِ في التلقب بالإضافة إلى الدولة فيتلقب بولي الدولة ونحوه ، ومنهم من يحذف المضاف إليه في الجملة ويعرّف اللقب بالألف واللام فيقولون

(١) لعل هذا بعد إسلامهم كما يدل عليه ما بعد في النوع الرابع .

« الشيخ الشمسي » و « الشيخ الصفي » و « الشيخ الموفق » وما أشبه ذلك . فإذا أسلم أحدهم أُسْقِطت الألف واللام من أول لقبه ذلك ، وأُضيف إلى لفظ الدين . فيقال في الشيخ الشمسي « شمس الدين » وفي الصفي « صفي الدين » وفي ولي الدولة « ولي الدين » وما أشبه ذلك . وربما كان لقب الذمي ليس له موافقة في شيء مما يضاف إلى الدين من ألقاب المسلمين ، فيراعى فيه إذا أسلم أقرب الألقاب إليه ، مثل أن يقال في الشيخ السعيد مثلاً إذا أسلم « سعد الدين » ونحو ذلك .

الجملة الرابعة

(في أصل وضع الألقاب الحاربية بين الكُتّاب ، ثم انتهائها إلى غاية التعظيم ومجاورتها الحُد في التكثير)

أما أصل وضعها ثم انتهائها إلى غاية التعظيم فإن ألقاب الخلافة في ابتداء الأمر - على جلالة قدرها وعظم شأنها - كانت في المكاتبات الصادرة عن ديوان الخلافة وإليه ، والولايات الناشئة عنه « عَبْدَ اللَّهِ وَوَلِيَهُ الْإِمَامُ الْقَلَانِي أمير المؤمنين » ولم يزل الأمر على هذا الحُد في الألقاب إلى أن استولى بنو بويه من الديلم على الأمر ، وغلبوا على الخلفاء ، واستبدوا عليهم واحتجبت الخلفاء ولم يبق إليهم فيما يَكُتَب عنهم غالباً سوى الولايات ، وفوض الأمر في غالب المكاتبات إلى وزراءهم ، وصارت الحال إذا اقْتَضَتْ ذكر الخليفة كُنِيَ عنه بـ «المواقف المقدسة»^(١) و «المقامات الشريفة» و «السيرة النبوية» و «الدار العزیزة» و «المحل الممجّد» يعنون «بالمواقف»^(١) الأما كن التي يقف فيها الخليفة ، وكذلك المقامات ، وبالسيرة الأنماط التي يجلس عليها الخليفة ، و «بالدار» دار الخلافة ، و «بالمحل» محل الخليفة . قال في « ذخيرة الكُتّاب » : ولبت شعري أي شيء قصّدت من كني عن أمير المؤمنين

(١) كذا هو بالراء المهملة في الأصول وهو اصطلاح لهم .

بهذه الكليات ، وبمثل نعوتها وصفاته المعظمة المكرمة بهذه الألفاظ المحقرات ؟
 وإذا أُسْتُجِيزَ ذلك ورُجِيَّ به وأُغْضِيَ عنه كان لآخر أن يقول «المجالس الطاهرة»
 و«المقاعد المقدسة» و«المراكب المعظمة» و«الأميرة المجددة» وما يجرى هذا النجوى
 مما ينبو عنه السمع وينكره لأستحدثاته واستجداده ، على أنه لو توالى على الأسماع
 كتوالى تلك الألفاظ لم تنكر بعد إذ لا فرق . قال : ولم يستسنه النبي صلى الله
 عليه وسلم ولا آختره لنفسه ، ولا أستحدثه الخلفاء من بعده . فما وجه العمل
 بموضعه والأقتفاء لأثره ؟ وكيف يجوز أن يكنى عن الجسادات بما يكنى به
 عن الإنسان الحى الناطق الكامل الصفات . ولما آتتهى الحال بالخلفاء إلى التعظيم
 بهذه الألقاب والنعوت المستعارة ، تداعى الأمر إلى تعظيم الملوك والوزراء بالتلقب
 بـ«المجلس العالى» و«الخضرة السامية» وما أشبه ذلك . قال : وهذا مما لم يكن
 فى زمان ، ولا جرى فى وقت ، ولا كتب به النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا أستعمله
 الخلفاء بعده ، ثم ترايد الحال فى ذلك إلى أن كتبوا بـ«المقام» و«المقر»
 و«الجناب» و«المجلس» ونحو ذلك على ما سيأتى ذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .



وأما مجاوزتها الحد فى الكثرة ، فقد تقدم أن اللقب الواحد كان يُلقب به الشخص
 دون تعدد ألقاب ، إلى أن وافى أيام القادر بالله والتلقب بإضافة إلى الدولة
 فزيد فى لقب عضد الدولة بن بويه (ناج الملة) فكان يقال «عضد الدولة وناج الملة»
 وكان أول من زيدا فى لقبه على الأفراد ، وإن أبه «بهاء الدولة» زيد فى لقبه
 فى الأيام القادرية أيضا «نظام الدين» فكان يقال : «بهاء الدولة ونظام الدين»

ويقال : إنه زاده من بعد بهاء الدولة لنظ « في الأمة » فكان يقال : « بهاء الدولة في الأمة ونظام الدين » ثم لُتِبَ محمود بن سُبُكْتِكِين في الأيام القادرية أيضا « يمين الدولة ، وأمين الملة ، وكهف الإسلام والمسلمين ، ولي أمير المؤمنين » وتزايد الأمر بعد ذلك في تكثير الألقاب حتى جاوز الحد وبلغ النهاية ، وصارت الكُتُوب في كل زمن يكثر حون ألقابا زيادة على ما سبق إلى أن صارت من الكثرة في زماننا على ما ستقف عليه إن شاء الله تعالى فيما بعد .

الجملة الخامسة

(في بيان الألقاب الأصول وذكر معانيها واشتقاقها ، وهي صنفان)

الصنف الأول

(ما يقع في المكاتبات والولايات ، وهي ثمانية ألقاب)

الأول — الجانب . وهو من ألقاب ولاية العهد بالخلافة ومن في معناهم : كإمام الزيدية باليمن في مكاتبته عن الأبواب السلطانية . وربما وقع في الخطاب في أثناء المكاتبه : فيقال « الجانب الأعلى » و « الجانب الشريف العالي » ، [والجانب الكريم العالي] ^(١) و « الجانب العالي » مجزعا عنهما ، رتبة بعد رتبة .

ثم الجانب في أصل اللغة اسمٌ للناحية ، والمراد الناحية التي صاحب اللقب فيها ، كُنِيَ بها عنه تعظيما له عن أن يتفوه بذكره ، وكذا في غيره مما يجري هذا المجرى من الألقاب المكتوبة : كالمقام والمقر ونحوهما .

الثاني — المقام بفتح الميم . وهو من الألقاب الخاصة بالملوك . وأصل المقام في اللغة اسمٌ لموضع القيام ، أخذًا من قام يقوم مَآمًا . وقد ورد [في] التنزيل بمعنى موضع القيام في قوله تعالى : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ يريد موضع قدميه

(١) الزيادة سابقة من النسخ يحتاج إليها الكلام .

في الصخرة التي كانت يقوم عليها لبناء البيت ؛ ثم توسع فيه فأطلق على ما هو أهم من موضع القيام من محلة الرجل أو مدينته ونحو ذلك . ومن ثم قال الزحشرى في الكلام على قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمَثَلَيْنِ فِي مَقَامٍ آمِينَ ﴾ إنه خاص يستعمل في معنى العموم ، يعنى أنه يستعمل في موضع الإقامة في الجملة . أما المقام بالضم فاسم لموضع الإقامة أخذاً من أقام يقسم ، إذ الفعل متى جاوز الثلاثة فالموضع منه مضموم كقولهم في المكان الذي يدرج فيه مدرج كما نبه عليه الجوهري وغيره . وقد قرئ قوله تعالى : ﴿ بَاهِلٍ يَرْبُ لِمَقَامٍ لَكُمْ ﴾ بالفتح والضم جميعاً على المعنيين . قال الجوهري : وقد يكون المقام بالفتح بمعنى الإقامة والمقام بالضم بمعنى موضع القيام . وجعل من الثانى قوله تعالى : ﴿ حَسَنَاتٌ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ أى موضعاً . وبالجملة فالذى يستعمله الحُكَّابُ في المقام الفتح خاصة ، يكونون بذلك عن السلطان تعظيماً له عن القوّه باسمه . قال المقرّ الشهابى بن فضل الله في "عرف التعريف" : ويقال فيه « المقام الأشرف » و « المقام الشريف العالى » ورُبَّما قيل فيه « المقام العالى » ولم يتعرض لذكر « المقام الكريم » ولو عمل عليه تأسيّاً بلفظ القرآن الكريم حيث قال تعالى : ﴿ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ لكان حسناً .

الثالث - المقرّ - بفتح الميم والقاف . قال في "عرف التعريف" : ويختص بكبار الأمراء ، وأعيان الوزراء ، وكتّاب السرو من يحوى مجراهم : كناظر الخاّص ، وناظر الجيش . وناظر الدولة ، وكتّاب الدّست ومن في معناتهم . قال : ولا يكتب لأحد من العلماء والقضاة ؛ وكأنه يريد العرف العام . والتحقيق في ذلك أن الحال فيه يختلف بحسب المكتوب عنه ، فلا يقال فيما يكتب عن السلطان إلا لأكابر الأمراء وبعض الملوك المكاتبين عن هذه المملكة : كصاحب ماريدين ونحوه .

بل قد ذكر ابن شيت في "معالم الكتابة" أن المقر من أجل ألقاب السلطان .
وقد رأيت ذلك في العهد المكتب بالسلطنة للنصور قلاوون من إنشاء القاضي
محيي الدين بن عبد الظاهر . أما عمن عدا السلطان كالنواب ونحوهم فإنه يكتب به
لأكابر أرباب السيوف والأقلام : من القضاة والعلماء والكتاب . على أن ابن شيت
في "معالم الكتابة" قد جعله من الألقاب الملوكية كالمقام ، بل جعلهما على حد
واحد في ذلك . قال في "عرف التعريف" : ويقال فيه « المقر الأشرف »
و« المقر الشريف العالى » و« المقر الكريم العالى » و« المقر العالى » مجزدا عن ذلك .
وأصله في اللغة لموضع الاستقرار ، والمراد الموضع الذى يستقر فيه صاحب ذلك
اللقب . ولا يخفى أنه من الخاص الذى يستعمل في العموم كما تقدم في لفظ المقام
عن الرمحشري . إذ يجوز أن يقال فلان مقرة محلة كذا وبلدة كذا ، كما يقال مقامه
محلة كذا وبلد كذا .

الرابع — الجَنَاب . وهو من ألقاب أرباب السيوف والأقلام جميعا فيما يكتب
به عن السلطان وغيره من النواب ومن في معصاهم . قال في "عرف التعريف" :
وهو أعلى ما يكتب للقضاة والعلماء من الألقاب . قال : ويكتب لمن لا يؤهل للمقر
من الأمراء وغيرهم ممن يحرى مجرى الوزراء ، ويزيد على ما قد ذكره أنه يكتب به
لبعض الملوك المكاتبين عن الأبواب السلطانية . قال في "عرف التعريف" :
ويقال فيه « الجَنَاب الشريف العالى » و« الجَنَاب الكريم العالى » و« الجَنَاب العالى »
مجزدا عنهما . وأصل الجَنَاب في اللغة الفناء أو ما قرب من محلة التوم ، ومنه قولهم :
لُدنا بجَنَاب فلان وفلان خَصِيب الجَنَاب ، فيعبر عن الرجل بفنائه وما قرب من
محله تعظيما له ، ويجمع على أَجْنِبَةٍ كمكان وأمكنة وعلى جَنَابَات كجمادات .

الخامس — المجلس . وهو من ألقاب أرباب السيف والأقلام أيضا ممن لم يؤهل لرتبة الجناب ، وربما لُقّب به بعض الملوك في المكاتب السلطانية . على أنه كان في الدولة الأيوبية لا يلُقّب به إلا الملوك ومن في معناهم . ومكاتب القاضي الفاضل والعماد الأصفهاني وغيرهما من كُتّاب الدولة الأيوبية ومن عاصرها مشحونة بذلك ، حتى قال صاحب "معالم الكُتّابة" : وقد كانوا لا يكتبون المجلس إلا للسلطان خاصة . قال : ولم يكن السلطان يكتب به أحدا من الداخلين تحت حكمه والمنسحب عليهم أمره . ثم ذكر أنه كان يكتب به في زمانه إلى كبار الأمراء والوزراء وولاة العهد بالسلطنة .

أما في زماننا فقد صار في أدنى الرتب وجعل الجناب والمقرّ فوقه على ما تقدم . ويقال فيه : « المجلس العالي » و « المجلس السامي » رتبة بعد رتبة . ويقال في المجلس السامي السامي بالياء ، والسامي بغير ياء ، رتبة بعد رتبة .

وأعلم أن العالي والسامي اسمان منقوصان كالتاضي والوالي وقد تقرر في علم النحو أنه إذا دخلت الألف واللام على الاسم المنقوص جاز فيه إثبات الياء وحذفها فيقال القاض والقاضي ونحو ذلك ، وحينئذ فيجوز في العالي والسامي إثبات الياء وحذفها ولكن الكُتّاب لا يستعملونها إلا بالياء .

فأما في العالي فيجوز أن تكون الياء التي شُبّهت الكُتّاب في آخره هي الياء اللاحقة للاسم المنقوص على ما تقدم وتكون حينئذ ساكنة ، ويجوز أن تكون ياء النسب نسبة إلى العالي وتكون مشددة ، وكذلك في السامي بالياء .

أما السامي بغير ياء فيجوز أن يكون المراد حذف ياء النسب لا الياء اللاحقة للاسم المنقوص ، لما تقدم من أن الكُتّاب لم يستعملوها إلا بإثبات الياء ، وحينئذ

فُحذف الياء من الألقاب التي تُتَعَتُّ بها ، ويحتمل أن يكون المراد حذف الياء
اللاحقة للآسم المنقوص وهو بعيد .

وأصل المجلس في اللغة لموضع الجلوس ، ويشار بذلك إلى الموضع الذي يجلس
فيه تعظيماً له على ما تقدم في غيره ، ولا يخفى أنه ليس للمجلس ما للمقَرِّ والمقام
من العموم حتى يعم ما فوق موضع الجلوس ، إذ لا يحسن أن يقال مجلس فلان محلة
كذا ولا بلد كذا كما يحسن أن يقال : مقَرُّه أو مقامه محلة كذا أو بلد كذا .

السادس — مجلس — مجزأ عن الألف واللام مضافاً إلى ما بعده ، وله
في الاصطلاح أربع حالات :

الأولى أن يُضاف إلى الأمير : فيقال « مجلس الأمير » وهو مختص بأرباب
السيوف على اختلاف أنواعهم من الترك والعرب وغيرهم .

الثانية أن يُضاف إلى القاضي : فيقال « مجلس القاضي » وهو مختص بأرباب
الأقلام من القضاة والعلماء والكتّاب ومن في معناهم .

الثالثة أن يُضاف إلى الشيخ : فيقال « مجلس الشيخ » ويختص ذلك بالصوفية
وأهل الصلاح ومن في معناهم .

الرابعة أن يُضاف إلى الصدر : فيقال « مجلس الصدر » وهو مختص بالتجار
وأرباب الصنائع ومن في معناهم ، وربما كُتِبَ به في الدولة الناصرية "محمد بن
قلاوون" وما قاربها لكتاب الدرج ومن في معناهم ، والمراد بالصدر صدر المجلس
الذي هو أعلى أماكنه وأرفعها ، والمضاف والمضاف إليه فيه كالمعاكسين ، والتقدير
صدر المجلس .

السابع — أن يُقْتَصَر على المضاف إليه من مجلس الأمير، أو مجلس القاضي، أو مجلس الشيخ، أو مجلس الصدر ويقال فيه: «الأمير الأجل» و«القاضي الأجل» و«الشيخ الصالح» و«الصدر الأجل».

الثامن — الحضرة . والمراد بها حضرة صاحب اللقب . قال الجوهري : وحضرة الرجل قرينه وفنائه . قال ابن قتيبة في «أدب الكاتب» : وتقال بفتح الحاء وكسرهما وضمها وأكثر ما تستعمل في المكاتبات . وهي من الألقاب القديمة التي كانت تستعمل في مكاتبات الخلفاء . وكان يقال فيها «الحضرة العلية» و«الحضرة السامية» ، وتستعمل الآن في المكاتبات الصادرة عن الأبواب السلطانية إلى بعض الملوك . ويقال فيها : «الحضرة الشريفة العلية» و«الحضرة الكريمة العلية» و«الحضرة العلية» بحسب ما تقتضيه الحال . قال ابن شيث في «معالم الكتابة» : وكانت مما يكتب بها لأعيان الدولة من الوزراء وغيرهم ، ولم يكن السلطان يكتب بها أحدا من الداخلين تحت حكمه والمنسحب عليهم أمره . وتستعمل أيضا في مكاتبات ملوك الكفر ، ويقال فيه بعد الدعاء للحضرة : «حضرة الملك الجليل» ونحو ذلك على ماسياتي بيانه في موضعه . وقد تستعمل في الولايات في نحو ما يكتب للبترك . فيقال : «حضرة الشيخ» أو «حضرة البترك» ونحو ذلك . قلت : وكثير من كتاب الزمان يظنون أن هذه الألقاب الأصول أو أكثرها أحدثها القاضي شهاب الدين بن فضل الله وليس كذلك ، بل المجلس المذكور في مكاتبات القاضي الفاضل ومن عاصره بكثرة بل لا تكاد مكتبة من مكاتباته الملوكة تخلو عن ذلك . ومقتضى كلام ابن حاجب النعمان في «ذخيرة الكتاب» أنه أول ما ابتدع في أيام بني بويه ملوك الديلم . والحناب موجود في مكاتبات القاضي الفاضل أيضا بقلّة .

وقد ذكره ابن شيث في مصطلح كتابة الدولة الأيوبية . والمقر موجود في كلام القاضي محي الدين بن عبد الظاهر . والمقام موجود في مكاتبات من قبل القاضي شهاب الدين المذكور؛ نعم هذا الترتيب الخاص : وهو جعل أعلاها المقام ، ثم المقر ، ثم الجناب ، ثم المجلس ، ثم مجلس الأمير أو القاضي أو الشيخ ، لم أره إلا في كلام المقر الشهابي المشار إليه ومتابعيه ، ولا أدري أهو المقترح لهذا أم سبقة إليه غيره ؟ وقد أولع الفضلاء بالسؤال عن وجه هذا الترتيب ، بل أخذوا في إنكاره على مرتبة من حيث إن هذه الألقاب متقاربة المعاني في اللغة ، فلا يتجه تقديم بعضها على بعض في الرتبة ، ولا يخفى أن واضح ذلك من المقر الشهابي أو غيره لم يضعه عن جهل على سبيل التشبيهي إذ لا يليق ذلك بمن عنده أدنى مسكة من العلم . وقد ظهر لي عن ذلك أجوبة يستحسنها الذهن السليم إذا تلقت بالإنصاف . ولا بد من تقديم مقدمة على ذلك : وهي أن تعلم أن الخطاب في المكاتبات ، والوصف في الولايات ، مبني على التفضيم والتعظيم ، على ما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى . ومن ثم أتى فيهما بالألقاب المؤدية إلى الرفعة كما تقدمت الإشارة إليه في أول الكلام على الألقاب . ثم أثبتوا هذه الألقاب بمعنى الأماكن كناية عن أصحابها من باب مجاز المجاورة ، وجعلوها رتبة بعد رتبة بحسب ما تقتضيه معانيها اللائحة منها على ما سيأتي بيانه ، فجعلوا أدناها رتبة الأمير والقاضي والشيخ ، التي وقع فيها التصريح بذكر الشخص ، وجعلوا فوق ذلك المجلس لتجرده عن الإضافة إلى ما هو في معنى القريب من التصريح ، وجعلوا فوق ذلك الجناب الذي هو الفناء من حيث إن فناء الرجل أوسع من مجلسه ضرورة ، بل ربما أشتمل على المجلس وأستضافه إليه ، وجعلوا فوق ذلك المقر الذي هو موضع الاستقرار مع ما يقتضيه من شمول جميع المحلة أو البلد الذي هو مقيم فيه ، من حيث إنه يسوغ أن يقال مقره محلة كذا أو بلد كذا ، وتضمنه

معنى 'القرار' الذي هو ضد الزوال على ما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ وجعلوا فوق ذلك المقام لاستعماله في المعنى العام، الذي هو أعم من موضع القيام كما أشار إليه الزحشرى، مع ما في معنى القيام من النهضة والشهامة الزائدة على معنى الاستمرار، من حيث إن القعود دليل العجز والقصور . قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ﴾ وقال : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا ﴾ فكان المقام باعتبار ذلك أعلى من المقر، ويوضح ما ذكرناه أنهم جعلوا المجلس أدنى المراتب والمقام أعلاها .

أما تخصيصه خطاب الخليفة بالديوان فليبعد تعلقه، مع كونه عنه تصدر المخاطبات وعليه ترد، على ماسياتى في موضعه إن شاء الله تعالى .

الصنف الثانى

(من الألقاب الأصول ما يختص بالمكتبات دون الولايات، وفيه تسعة ألقاب)

الأول — الديوان . وقد تقدم الكلام على ضبطه ومعناه في الكلام على ترتيب ديوان الإنشاء في مقدمة الكتاب، ويصدر بالدعاء له في المكتبة إلى أبواب الخلافة المقدسة، ويقال فيه «الديوان العزيز» على ماسياتى في الكلام على المكتبات فيما بعد إن شاء الله تعالى . قال المقر الشهابى بن فضل الله في كتابه "التعريف" : والمعنى به ديوان الإنشاء إذ الكتب وأنواع المخاطبات إليه واردة، وعنه صادرة . قال : وسبب الخطاب بالديوان العزيز الخضعان عن خطاب الخليفة نفسه . ثم كُتب الزمان قد يستعملون ذلك في غير المكتبات مثل أن يكتب عن السلطان منشور إقطاع للخليفة فيقال : « أن يجزى في الديوان العزيز » ونحو ذلك على ما سياتى في الكلام على المناشير في موضعه إن شاء الله تعالى .

الثانى — الباسط . وهو مما يُستعمل فى المكاتبات بالتقيل على ما سأتى ذكره إن شاء الله تعالى . وأصله فى اللغة فاعلٌ من البسط ، والمراد بسط الكفّ بالبذل والعطاء . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ وهو من ألقاب اليد ، ويشترك فيه أرباب السيوف والأقلام وغيرهم . قال فى "عرف التعريف" : ويقال فيه « الباسط الشريف العالى » و « الباسط الكريم العالى » .

الثالث — الباسطة بلفظ التأنيث . وهو بمعنى الباسط إلا أن الباسطة دون الباسط فى الرتبة لميزة التذكير على التأنيث .

الرابع — اليد . وهى فى معنى الباسطة إلا أنها دونها لقوات الوصف بالبسط فيها . قال فى "عرف التعريف" : ويقال فيها « اليد الشريفة العالمة » و « اليد الكريمة العالمة » واليد العالمة مجردة عنهما .

الخامس — الدار . وهى معروفة . وتجمع على أدور ، وديار ، ودور ، والمراد دار المكتوب إليه ، تنزيهاً له عن التصريح بذكره كما فى الجنب وغيره . وكانت مما يكتب به فى الزمن القديم فى ألقاب الخلفاء ويقال : « الدار العزيرة » وما أشبه ذلك ، وربما كتب بها فى القديم أيضاً للخواتين من نساء الملوك وغيرهم . ومن كتب به لحن العلاء بن موصلاً صاحب ديوان الإنشاء فى أيام القائم العباسي ، وعلى ذلك الأمر فى زماننا فى الكتب الصادرة إليهن من الأبواب السلطانية وغيرها ، وإنما كتب إليهن بذلك إشارة إلى الصّون لملازمتهم الدور ، وعدم البروز عنها .

السادس — الستارة . وكتاب الزمان يستعملونها فى نحو ما تستعمل فيه الدار ، ويكنون بها عن المرأة الجليلة القدر ، التى هى بصدد أن تنصب على بابها الستارة حجاباً .

السابع — الجِهَةُ . وهو مستعملٌ في معنى 'الدار والسَّتارة' من المكاتب، ويُعنى بها المرأةُ الخَليلةُ القَدْر . وهى فى أصل اللغة أسمٌ للناحية ، فكَنُوا بها عن المرأة الخَليلة ، كما كَنُوا عن الرجل الخليل بالجناب .

الثامن — البابُ . وهو من الألقاب المختصة بالعُنُوان فى جليل المكاتب ؛ وأصلُ البابِ فى اللغة لما يُتَوَصَّلُ منه إلى المقصود ، ويجمع على أبوابٍ : كحالٍ وأحوالٍ ، وعلى بَيَّانٍ : بكارٍ وجيرانٍ ؛ والمراد بابُ دارِ المَكْتُوبِ إليه ، وكأنه أَجَلٌ صاحبُ اللَّقَبِ عن الوصول إليه والقرب منه ، لعلَّ مكانه ورفعة محله . ويقال فيه « البابُ الشريفُ العالى » و « البابُ الكريمُ العالى » و « البابُ العالى » مجزّدا عنهما ، وأستعماله بلفظ الجمع على أبواب أعلى منه بلفظ الإفراد لما فى معنى الجمع من الشرف . أما الجمع على بَيَّانٍ فلا يستعمله الكُتَّابُ أصلاً .

التاسع — المَخِيْمُ . وهو من الألقاب المختصة بالعُنُوان للسافر ، والمراد المكان الذى تُضْرَبُ فيه خِيَامُ المَكْتُوبِ إليه ، أخذاً من قولهم خِيَمَ بالمكان إذا أقام به ، أو خَيَّمَهُ إذا جعله كالحَيْمَةِ . والحَيْمَةُ فى أصل اللغة أسمٌ لبيتٍ تُنْشِئُهُ العرب من عِيدَانٍ ثم تُوسَّعُ فيه فَاسْتَعْمِلَ فيما يُنْخَدُ من الجلود والقُطُنِ المنسوج ونحوه ، ويُوصَفُ بما يوصَفُ به الباب : من الشريف ، والكريم ، والعالى .

قلت : وقد يُستعمل بعض هذه الألقاب كالدار والسَّتارة والجِهَةُ فى غير المكاتب من الولايات وغيرها ولكن بقلّة ، والغالب أستعمالها فى المكاتب ، فلذلك خصَّصناها بها .

الجملة السادسة

(فى بيان الألقاب المفرعة على الأصول المتقدمة ، وفيها مهيعان)

المهيع الأول

(فى بيان أقسامها ، وهى على نوعين)

النوع الأول

(المفردة ، وهى صنفان)

الصنف الأول

(المجردة عن ياء النسب)

كالسلطان ، والملك ، والأمير ، والقاضى ، والشيخ ، والصدر ، والأجل ،
والكبير ، والعالم ، والعامل ، والأوحد ، والأكل ، وما أشبه ذلك .

الصنف الثانى

(الملحق بها ياء النسب)

كالسلطانى ، والملكى ، والأميرى ، والفضائى ، والقاضى ، والشيخى ،
والصدرى ، والأجلى ، والكبرى ، والعالمى ، والعامل ، والأوحدى ، والأكل ،
ونحو ذلك .

ثم الألقاب الملحقة بها ياء النسب تارة يُراد بالنسب فيها النسب الحقيقى على بابه :
كالفضائى ، لأنه منسوب إلى القضاء الذى هو موضوع الوظيفة التى منأطها فصل

الحُكُومات الشرعية على ما تقدم؛ وتارة يُراد به المبالغة كالقاضي، فإنه منسوب إلى القاضي نفسه مبالغة. وفي معناه الأمير نسبةً إلى الأمير، والوزير نسبةً إلى الوزير، والشيخ نسبةً إلى الشيخ، والكبير نسبةً إلى الكبير، والعالم نسبةً إلى العالم، وما أشبه ذلك.

والأصل فيه أن عادة العرب أنهم إذا أرادوا المبالغة في وصف شيء أدخلوا عليه ياء النسب في آخره للمبالغة في وصفه فيقولون في الأحمر إذا قصدوا المبالغة في وصفه بالحمرة أحمرى ونحو ذلك على ما هو مقرر في كتب النحو المبسوطة كالتهذيب ونحوه. ثم منها ما يستعمل بالتجريد عن ياء النسب أو إثباتها: كالعالم، والعالمى، ومنها ما يستعمل مجزأ عنها فقط كالتَّطْب والغوث من ألقاب الصوفية؛ ومنها ما يستعمل بإثباتها فقط كالغياثي. وبكل حال فالألقاب التي قد تثبت ياء النسب في آخرها وقد لا تثبت كالأمير والأميري إن كانت من ألقاب المجلس السامي بإيائه فما فوقه من المجلس العالي والجناب العالي، والمقر والمقام على مراتبها تثبت الياء في آخرها، وإن كانت من ألقاب المجلس السامي بغير ياء فما دونه من مجلس الأمير ومجلس القاضي، ومجلس الشيخ، ومجلس الصدر، والأمير، والقاضي، والشيخ، والصدر، لم تثبت الياء في آخرها. والألقاب المضافة إلى الدين، مثل «ناصر الدين» و«شمس الدين» و«نور الدين» و«عز الدين» و«ولي الدين» و«سيف الدين» وما أشبه ذلك إن كانت في ألقاب من تثبت الياء في ألقابه من المجلس السامي بإيائه فما فوقه حذفت المضاف إليه وأدخلت الألف واللام على المضاف وألحقته به ياء النسب، فيقال في ناصر الدين «الناصري» وفي شمس الدين «الشمسي» وفي نور الدين «النوري» وفي عز الدين «العزي» وفي ولي الدين «الولي» وفي سيف الدين «السيفي» وما أشبه ذلك.

النوع الثاني

(المرکبة)

وهي المعبر عنها بالنعوت . وأكثر ما يكون التركيب فيها بالإضافة ، ثم تارة تكون
 بإضافة واحدة نحو «ممهّد الدّول» وتارة تكون بإضافتين نحو «سيدّ أمراء العالمين»
 وتارة تكون بثلاث إضافات نحو «حاكم أمور ولاية الرّمان» وربما زيد على ذلك ،
 وتارة تكون بوصف المضاف ، نحو «بقية السّلالة الطاهرة» وتارة تكون بالعطف
 على المضاف إليه : إما بعطف واحد ، نحو «سيدّ الملوك والسلاطين» وإما بأكثر ،
 نحو «ناخ الممالك والأقاليم والأقطار» وتارة تكون بجارٍّ ومجرور بعد المضاف إليه ،
 نحو «سيدّ الأمراء في العالمين» وربما توسط النعت بين المضاف إليه والجارّ
 والمجرور ، نحو «سيدّ الأمراء الأشراف في العالمين» . وقد يكون التركيب بغير
 الإضافة إما بالجارّ والمجرور ، نحو «المجاهد في سبيل ربّ العالمين» وإما بغير ذلك
 مثل المعنّى آل ساسان وغير ذلك مما يجري هذا المجرى .

[وأعلم أنه إذا كان لقب الأصل مفرداً نحو المقرّ والجناب ، جاءت ألقابه ونعوته
 مفردة فيقال «المقرّ الشريف» و «الجناب الشريف» و «المقرّ الكريم» وفي نعوته
 «سيدّ الأمراء في العالمين» ونحو ذلك .

ثم إن كان مدّكراً جاء بصيغة التذكير ، كما تقدّم في ألقاب المقرّ ^(١) .

وإذا كان لقب الأصل فيه مؤنثاً كالجهة في ألقاب النساء ، أتت ألقابه ونعوته
 مؤنثة تبعاً له ، فيقال في ألقاب الجهة «الجهة الشريفة أو الجهة الكريمة العالية»
 وفي النعوت «سيدة الخواتين في العالمين» ونحو ذلك .

(١) هذه الجملة التي بين القوسين غير موجودة في الاصول ، فنقلناها عن النص ، للولف لثم الفائدة .

وإن كان اللقب في الاصل مجموعاً ، نحو « مجالس الأمراء » كما يكتب في المطلقات ، جاءت الألقاب والنعوت مجموعةً فيقال في الألقاب الأجلاء الأَكابر وما أشبه ذلك ، وفي النعوت إن كان ذلك اللقب اسم جنس نحو « عضد الملوك والسلطين » أو مصدرًا ، نحو « عون الأمة » جاز إبقاؤه على الأفراد كذلك : لأن المصدر واسم الجنس لا يثنان ولا يجمعان ؛ وإن أُوحيظ فيه معنى التعدد ، جاز الجمع فيقال « أعوان الأمة » و « أعضاء الملوك والسلطين » ونحو ذلك . وقد أشار إلى ذلك المقر الشهابي بن فضل الله في كتابه " التعريف " في الكلام على كتابة المطلقات فقال ونحو عضد وأعضاء .

تم الجزء الخامس . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء السادس

وأوله المهييم الثاني

(في ذكر الألقاب والنعوت المستعملة عند كتاب الزمان ، وبيان معانيها ، ومن يقع عليه كل واحد منها من أرباب السيوف وغيرهم ، وهي نوعان)

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل

(۳۰۰/۱۹۱۴/۵۴۹۶/م.م)

السابع — الجِهة . وهو مستعملٌ في معنى الدار والستارة من المكاتب ، ويُعنى بها المرأةُ الخليفة القدر . وهى فى أصل اللغة أسمٌ للناحية ، فكُنُوا بها عن المرأة الخليفة ، كما كُنُوا عن الرجل الخليل بالجنب .

الثامن — الباب . وهو من الألقاب المختصة بالعنوان فى جليل المكاتب ، وأصل الباب فى اللغة لما يتوصل منه إلى المقصود ، ويجمع على أبواب : كحال وأحوال ، وعلى بيان : كجارٍ وجيران ، والمراد باب دار المكتوب إليه ، وكأنه أجل صاحب اللقب عن الوصول إليه والقرب منه ، لعلَّ مكانه ورفعة محله . ويقال فيه « الباب الشريف العالى » و « الباب الكريم العالى » و « الباب العالى » مجزئاً عنهما ، وأستعمله بلفظ الجمع على أبواب أعلى منه بلفظ الإفراد لما فى معنى الجمع من الشرف . أما الجمع على بيان فلا يستعمله الكتاب أصلاً .

التاسع — المخيم . وهو من الألقاب المختصة بالعنوان للمسافر ، والمراد المكان الذى تُضرب فيه خيام المكتوب إليه ، أخذاً من قولهم خيم بالمكان إذا أقام به ، أو خيمه إذا جعله كالحيمة . والحيمة فى أصل اللغة أسمٌ لبيت تُنشئه العرب من عيدان ثم توسع فيه فاستعمل فيما يُتخذ من الجلود والقطن المنسوج ونحوه ، ويوصف بما يوصف به الباب : من الشريف ، والكريم ، والعالى .

قلت : وقد يُستعمل بعض هذه الألقاب كالدار والستارة والجهة فى غير المكاتب من الولايات وغيرها ولكن بقلّة ، والغالب أستمائها فى المكاتب ، فلذلك خصصتها بها .

الجملة السادسة

(في بيان الألقاب المفرعة على الأصول المتقدمة ، وفيها مهيعان)

المهيع الأول

(في بيان أقسامها ، وهي على نوعين)

النوع الأول

(المفردة ، وهي صنفان)

الصنف الأول

(المجردة عن ياء النسب)

كالسلطان ، والملك ، والأمير ، والقاضي ، والشيخ ، والصدر ، والأجل ،
والكبير ، والعالم ، والعامل ، والأوحد ، والأكل ، وما أشبه ذلك .

الصنف الثاني

(الملحق بها ياء النسب)

كالسلطاني ، والملكي ، والأميري ، والقضائي ، والشيخية ،
والصدرية ، والأجلية ، والكبيرية ، والعالمية ، والعاملية ، والأكلية ،
ونحو ذلك .

ثم الألقاب الملحقة بها ياء النسب تارة يُراد بالنسب فيها النسب الحقيقي على بابه :
كالقضائي ، لأنه منسوب إلى القضاء الذي هو موضوع الوظيفة التي منأطها فصل

السابع — الجهة . وهو مستعمل في معنى الدار والستارة من المكاتب ، ويعني بها المرأة الخلية القدر . وهي في أصل اللغة اسم للناحية ، فكُنُوا بها عن المرأة الخلية ، كما كنُوا عن الرجل الخليل بالجناب .

الثامن — الباب . وهو من الألقاب المختصة بالعنوان في جليل المكاتب ، وأصل الباب في اللغة لما يتوصل منه إلى المقصود ، ويجمع على أبواب : كحال وأحوال ، وعلى بيان : بكار وجيران ، والمراد باب دار المكتوب إليه ، وكأنه أجل صاحب اللقب عن الوصول إليه والقرب منه ، لعلوا مكانه ورفعة محله . ويقال فيه « الباب الشريف العالی » و « الباب الكريم العالی » و « الباب العالی » مجزأ عنهما ، وأستعمله بلفظ الجمع على أبواب أعلى منه بلفظ الإفراد لما في معنى الجمع من الشرف . أما الجمع على بيان فلا يستعمله الكتاب أصلاً .

التاسع — المخيم . وهو من الألقاب المختصة بالعنوان للمسافر ، والمراد المكان الذي تُضرب فيه خيام المكتوب إليه ، أخذ من قولهم خيم بالمكان إذا أقام به ، أو خيمه إذا جعله كالحيمة . والحيمة في أصل اللغة اسم لبيت تُنشئه العرب من عيدان ثم تُوسّع فيه فاستعمل فيما يُتخذ من الجلود والقطن المنسوج ونحوه ، ويوصف بما يوصف به الباب : من الشريف ، والكريم ، والعالي .

قلت : وقد يُستعمل بعض هذه الألقاب كالدار والستارة والجهة في غير المكاتب من الولايات وغيرها ولكن بقلّة ، والغالب أستها في المكاتب ، فلذلك خصصتها بها .

الجملة السادسة

(في بيان الألقاب المفرعة على الأصول المتقدمة ، وفيها مهيعان)

المهيع الأول

(في بيان أقسامها ، وهي على نوعين)

النوع الأول

(المفردة ، وهي صنفان)

الصنف الأول

(المجردة عن ياء النسب)

كالسلطان ، والملك ، والأمير ، والقاضي ، والشيخ ، والصدر ، والأجل ،
والكبير ، والعالم ، والعامل ، والأوحد ، والأكل ، وما أشبه ذلك .

الصنف الثاني

(الملحق بها ياء النسب)

كالسلطاني ، والملكي ، والأميري ، والقضائي ، والشيخى ،
والصدري ، والأجلى ، والكبرى ، والعالمي ، والعامل ، والأوحدى ، والأكلى ،
ونحو ذلك .

ثم الألقاب الملحق بها ياء النسب تارة يُراد بالنسب فيها النسب الحقيقي على بابه :
كالقضائي ، لأنه منسوب إلى القضاء الذي هو موضوع الوظيفة التي منأطها فصل

الحُكومات الشرعية على ما تقدم؛ وتارة يُراد به المبالغة كالقاضي، فإنه منسوب إلى القاضي نفسه مبالغة. وفي معناه الأمير نسبة إلى الأمير، والوزير نسبة إلى الوزير، والشيخ نسبة إلى الشيخ، والكبير نسبة إلى الكبير، والعالم نسبة إلى العالم، وما أشبه ذلك.

والأصل فيه أن عادة العرب أنهم إذا أرادوا المبالغة في وصف شيء أدخلوا عليه ياء النسب في آخره للمبالغة في وصفه فيقوون في الأحمر إذا قصدوا المبالغة في وصفه بالحمرة أحمري ونحو ذلك على ما هو مقرر في كتب النحو المبسوطة كالتهذيب ونحوه. ثم منها ما يستعمل بالتجريد عن ياء النسب أو إثباتها: كالعالم، والعالمى؛ ومنها ما يستعمل مجزأ عنها فقط كالتطّب والغوث من ألقاب الصوفية؛ ومنها ما يستعمل بإثباتها فقط كالغياثي. وبكل حال فالألقاب التي قد ثبتت ياء النسب في آخرها وقد لا تثبت كالأمير والأميري إن كانت من ألقاب المجلس السامي بالياء فما فوقه من المجلس العالي والجناب العالي، والمقرر والمقام على مراتبها تثبت الياء في آخرها، وإن كانت من ألقاب المجلس السامي بغير ياء فما دونه من مجلس الأمير ومجلس القاضي، ومجلس الشيخ، ومجلس الصدر، والأمير، والقاضي، والشيخ، والصدر، لم تثبت الياء في آخرها. والألقاب المضافة إلى الدين، مثل «ناصر الدين» و«شمس الدين» و«نور الدين» و«عز الدين» و«ولي الدين» و«سيف الدين» وما أشبه ذلك إن كانت في ألقاب من تثبت الياء في ألقابهم من المجلس السامي بالياء فما فوقه حذف المضاف إليه وأدخلت الألف واللام على المضاف وألحقته به ياء النسب، فيقال في ناصر الدين «الناصري» وفي شمس الدين «الشمسي» وفي نور الدين «النوري» وفي عز الدين «العزي» وفي ولي الدين «الولي» وفي سيف الدين «السيفي» وما أشبه ذلك.

النوع الثاني

(المرتبّة)

وهي المعبر عنها بالنعوت . وأكثر ما يكون التركيب فيها بالإضافة ؛ ثم تارة تكون
 بإضافة واحدة نحو «ممهّد الدّول» وتارة تكون بإضافتين نحو «سيدّ أمراء العالمين»
 وتارة تكون بثلاث إضافات نحو «حاكم أمور ولاية الزّمان» وربما زيد على ذلك ،
 وتارة تكون بوصف المضاف ، نحو «بقية السّلالة الطاهرة» وتارة تكون بالعطف
 على المضاف إليه : إما بعطف واحد ، نحو «سيدّ الملوك والسلاطين» وإما بأكثر ،
 نحو «فاتح الممالك والأقاليم والأقطار» وتارة تكون بجارٍّ ومجرور بعد المضاف إليه ،
 نحو «سيدّ الأمراء في العالمين» وربما توسط النعت بين المضاف إليه والجارّ
 والمجرور ، نحو «سيدّ الأمراء الأشراف في العالمين» . وقد يكون التركيب بغير
 الإضافة إما بالجارّ والمجرور ، نحو «المجاهد في سبيل ربّ العالمين» وإما بغير ذلك
 مثل المعنى آل ساسان وغير ذلك مما يجري هذا المجرى .

[وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ لِقَبُ الْأَصْلِ مَفْرَدًا نَحْوَ الْمَقَرِّ وَالْحَنَابِ ، جَاءَتْ أَلْقَابُهُ وَنَعْوَتُهُ
 مَفْرَدَةً فَيُقَالُ «الْمَقَرُّ الشَّرِيفُ» وَ «الْحَنَابُ الشَّرِيفُ» وَ «الْمَقَرُّ الْكَرِيمُ» وَفِي نَعْوَتِهِ
 «سَيِّدُ الْأُمَرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ» وَنَحْوُ ذَلِكَ .

ثم إن كان مذكراً جاء بصيغة التذكير ، كما تقدّم في ألقاب المقرّ^(١) ،
 وإذا كان لقب الأصل فيه مؤنثاً كالجهة في ألقاب النساء ، أتت ألقابه ونعوته
 مؤنثاً تبعاً له ، فيقال في ألقاب الجهة «الجهة الشريفة أو الجهة الكريمة العالية»
 وفي النعوت «سيدة الخواتين في العالمين» ونحو ذلك .

(١) هذه الجملة التي بين القوسين غير موجودة في الأصول ، فنقلناها عن الضوء للؤلّف لتمام الفائدة .

وإن كان اللقب في الاصل مجموعاً ، نحو « مجالس الأمراء » كما يكتب في المطلقات ، جاءت الألقاب والنعوت مجموعةً فيقال في الألقاب الأجلاء الأكارُ وما أشبه ذلك ، وفي النعوت إن كان ذلك اللقب اسم جنس نحو « عضد الملوك والسلطين » أو مصدرًا ، نحو « عون الأمة » جاز إبقاؤه على الأفراد كذلك : لأن المصدر واسم الجنس لا يثنيان ولا يُجمعان ؛ وإن أُوحِظ فيه معنى التعدد ، جاز الجمع فيقال « أعوان الأمة » و « أعضاء الملوك والسلطين » ونحو ذلك . وقد أشار إلى ذلك المقر الشهابي بن فضل الله في كتابه " التعريف " في الكلام على كتابة المطلقات فقال ونحو عضد وأعصاد .

تم الجزء الخامس . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء السادس

وأوله المهييم الثاني

(في ذكر الألقاب والنعوت المستعملة عند كتاب الزمان ، وبيان معانيها ، ومن يقع عليه كل واحد منها من أرباب السيوف وغيرهم ، وهي نوطان)

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل

(۳۰۰۰/۱۹۱۴/۵۴۹۶/م۰م)

صنعة الألف

الجزء الخامس

فهرست

الجزء الخامس

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي

المقصد الثاني — في ممالك جزيرة العرب الخارجة عن مضافات الديار المصرية ، ويتوجه القصد منها إلى ثلاثة أقطار ... ٥	
القطر الأول — اليمن ... وهو على قسمين ... ٦	
القسم الأول — التهام ، وفيه أربع جمل (والصواب خمس) ... ٨	
الجملة الأولى — في ذكرها أشتمل عليه من القواعد والمدن ، وبه قاعدتان ٨	
القاعدة الأولى — تعز ... ٨	
» الثانية — زبيد ... ٩	
الجملة الثانية — في ذكر حيوانه ، وحبوبه ، وفواكهه ، ورياحينه ، ومعاملاته وأسعاره ... ١٦	
الجملة الثالثة — في الطريق الموصلة إلى اليمن ... ١٧	
» الرابعة — في ذكر ملوكه جادلية وإسلاماء أما ملوكه في الجاهلية فعلى عشر طبقات ... ١٧	
الطبقة الأولى — العادية ... ١٨	
» الثانية — القحطانية ... ١٩	
» الثالثة — التبابعة ... ٢١	
» الرابعة — الحبشة ... ٢٥	
» الخامسة — الفرس ... ٢٥	
» السادسة — عمال النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده ... ٢٦	
» السابعة — ملوكها من بني زياد ... ٢٧	
» الثامنة — من بني مهدي ... ٢٩	
» التاسعة — من بني أيوب ملوك مصر ... ٢٩	
» العاشرة — دولة بني رسول ... ٣٠	

صفحة

- الجملة السادسة — (والصواب الخامسة) في ترتيب هذه المملكة على ما هي عليه في زمن بنى رسول الخ ... ٣٣
- القسم الثاني — من اليمن التجودب وفيه أربع جمل ... ٣٧
- الجملة الأولى — فيما أشتملت عليه من النواحي والمدن والبلاد ... ٣٨
- » الثانية — في الطرق الموصلة إلى هذه المملكة ... ٤٣
- » الثالثة — فيمن ملك هذه المملكة إلى زمن المؤلف ... ٤٤
- » الرابعة — (وكتبت الثالثة) في ترتيب مملكة هذا الإمام ... ٥١
- القطر الثاني — مما هو خارج من جزيرة العرب عن مضافات الديار المصرية "بلاد البحرين" وفيه ثلاث جمل ... ٥٤
- الجملة الأولى — فيما تشتمل عليه من المدن ... ٥٥
- » الثانية — في ذكر ملوكها ... ٥٧
- » الثالثة — في الطريق الموصل إليها ... ٥٧
- القطر الثالث — مما هو خارج من جزيرة العرب عن مضافات الديار المصرية "اليمامة" وفيها ثلاث جمل ... ٥٨
- الجملة الأولى — فيما أشتملت عليه من البلدان ... ٥٩
- » الثانية — في ذكر ملوكها ... ٦٠
- » الثالثة — في الطريق الموصل إليها ... ٦١
- القطر الرابع — مملكة الهند ومضافاتها وفيه إحدى عشرة جملة ... ٦١
- الجملة الأولى — فيما أشتملت عليه هذه المملكة من الأقاليم ... ٦٣
- الإقليم الأول — إقليم السند وما انحوط في سلكه ... ٦٣
- » الثاني — الهند وفيه قاعدتان ... ٦٧

صفحة

القاعدة الاولى -- مدينة دلي	٦٨
» الثانية -- مدينة الدواكير	٧٠
الجملة الثانية -- في حيوانها	٨١
» الثالثة -- في حبوبها وفواكهها ورياحيتها وخضرها واثارها وغير ذلك	٨٢
» الرابعة -- في المعاملات	٨٤
» الخامسة -- في الأسعار	٨٥
» السادسة -- في الطريق الموصلة إلى مملكتي الهند والهند	٨٦
» السابعة -- في ذكر ملوك الهند	٨٨
» الثامنة -- في ذكر عساكر هذه المملكة وأرباب وظائفها	٩١
» التاسعة -- في زى أهل هذه المملكة	٩٣
» العاشرة -- في أرزاق أهل دولة السلطان بهذه المملكة	٩٤
» الحادية عشرة -- في ترتيب أحوال هذه المملكة	٩٥
الفصل الثانى -- من الباب الرابع من المقالة الثانية فى الممالك والبلدان	
الغربية عن مملكة الديار المصرية ، وفيه أربع (ست) ممالك	
المملكة الأولى -- مملكة تونس ، وفيها آثنتان وعشرون جملة	٩٩
الجملة الأولى -- فى بيان موقعها من الأقاليم السبعة	٩٩
» الثانية -- فى بيان ما أشتملت عليه هذه المملكة من الأعمال ،	
وهو عملان	١٠٠
العمل الاول -- افريقية	١٠٠
» الثانى -- بلاد بجاية	١٠٩
الجملة الرابعة -- فى ذكر زروعها وحبوبها وفواكهها وبقولها ورياحيتها ^(١)	١١٢

(١) كذا فى الأصول وحقيقتها الثالثة ثم يتسلسل العدد .

صفحة

- الجملة الخامسة — في مواشيتها ووحوشها وطيورها ... ١١٣
- » السادسة — فيما يتعلق بمعاملاتها من الدنانير والدراهم والأرطال ...
- والمكاييل والأسعار ... ١١٤
- » السابعة — في ذكر أسعارها ... ١١٥
- » الثامنة — في صفات أهل هذه المملكة في الجملة ... ١١٥
- » التاسعة — في ذكر من ملكها جاهلية وإسلاما ... ١١٦
- الطبقة الأولى — الخلفاء ... ١١٧
- » الثانية — العبيديون ... ١٢٢
- » الثالثة — ملوكها من بني زيري ... ١٢٤
- » الرابعة — الموحدون ... ١٢٦
- الجملة العاشرة — في منتمى ملوك هذه المملكة القائمين بها من الموحدين ١٣٣
- » الحادية عشرة — في ترتيب المملكة بها من زى الجند وأرباب ...
- الوظائف ... ١٣٧
- الجملة الثانية عشرة — في ذكر الأرزاق المطلقة من جهة السلطان ... ١٤٠
- » الثالثة عشرة — في لباس سلطان مملكة تونس وليس أشياخه ...
- وسائر جنده وعاقبة أهل بلده ... ١٤١
- » الرابعة عشرة — في شعار الملك بما يتعلق بهذا السلطان ... ١٤٣
- » الخامسة عشرة — في جلوس سلطان هذه المملكة في كل يوم ... ١٤٣
- » السادسة عشرة — في جلوسه لإظام ... ١٤٤
- » السابعة عشرة — في خروجه لصلاة الجمعة ... ١٤٥
- » الثامنة عشرة — في ركوبه لصلاة العيدين أو للسفر ... ١٤٦
- » التاسعة عشرة — في خروج السلطان للتتمة ... ١٤٧

صفحة

- الجملة العشرون — في مكاتبات السلطان ١٤٨
- » الحادية والعشرون — في البريد المقتر في هذه المملكة ١٤٨
- » الثانية والعشرون — في الخلع والتشريف في هذه المملكة ١٤٩
- المملكة الثانية — من ممالك بلاد المغرب مملكة تلمسان ، وفيها جملتان ١٤٩
- الجملة الأولى — في ذكر حدودها وقاعدتها وما أشتملت عليه من المدن
- والطريق الموصلة إليها ١٤٩
- » الثانية — في حال مملكتها ١٥١
- المملكة الثالثة — من بلاد المغرب الغرب الأقصى ، ويقال له بر
- العدوة ، وفيه ثلاثة [أربعة] مقاصد ١٥٢
- المقصد الأول — في بيان موقعها من الأقاليم السبعة وذكر حدودها
- وما أشتملت عليه من المدن والجبال المشهورة ، وفيه
- أربع حمل ١٥٢
- الجملة الأولى — في بيان موقعها من الأقاليم السبعة ١٥٢
- » الثانية — في بيان قواعدها وما أشتملت عليه هذه المملكة من
- الأعمال الخ ١٥٣
- القاعدة الأولى — فاس ١٥٣
- » الثانية — سبتة ١٥٧
- » الثالثة — مدينة مراکش ١٦١
- » الرابعة — سجلماسة ١٦٣
- الجملة الثالثة — في ذكر جبالها المشهورة ١٧٣
- » الرابعة — في ذكر أنهارها المشهورة ١٧٤
- المقصد الثاني — في ذكر زروعها وحبوبها وفواكهها الخ ، وفيه خمس حمل ١٧٥

صفحة	
١٧٥	الجملة الأولى — في ذكر زروعها وحبوبها الخ
١٧٦	» الثانية — في مواشيها ووحوشها وطيورها
١٧٧	» الثالثة — في ما تتعامل به من الدنانير والدرهم والأوزان والمكاييل
١٧٨	» الرابعة — في ذكر أسعارها
١٧٨	» الخامسة — في صفات أهلها في الجملة
١٧٩	المقصد الثالث — في ذكر ملوكها وما يندرج تحت ذلك؛ وهم على طبقات
١٧٩	الطبقة الأولى — ملوكها قبل الإسلام
١٧٩	» الثانية — نواب الخلفاء من بنى أمية وبنى العباس
١٨٠	» الثالثة — الأدارسة
١٨٢	» الرابعة — ملوك بنى أبي العافية من مكاسة
١٨٥	» الخامسة — بنو زيري بن عطية
١٨٨	» السادسة — المرابطون من المثلثين من البربر
١٩١	» السابعة — ملوك الموحيدين
١٩٤	» الثامنة — ملوك بنى عبد الحق من بنى مرين
٢٠٣	المقصد الرابع — في بيان ترتيب هذه المملكة؛ وفيه عشر جمل
٢٠٣	الجملة الأولى — في ذكر الجند وأرباب الوظائف الخ
٢٠٣	» الثانية — في زى السلطان والأشياخ الخ
٢٠٤	» الثالثة — في الأرزاق المطلقة من قبل السلطان على أهل دولته
٢٠٥	» الرابعة — في جلوس السلطان في كل يوم
٢٠٦	» الخامسة — في جلوسه للمظالم
٢٠٦	» السادسة — في شعار السلطان بهذه المملكة

صفحة	
٢٠٧	الجملة السابعة — في ركوبه لصلاة العيد...
٢٠٨	» الثامنة — في خروج السلطان للسفر...
٢٠٩	» التاسعة — في مقدار عسكر هذه المملكة...
٢١٠	» العاشرة — في مكاتبات السلطان...
٢١٠	المملكة الخامسة — من بلاد المغرب جبال البربر...
٢١١	» السادسة — من ممالك بلاد المغرب جزيرة الأندلس؛ وفيها ست جمل...
٢١٢	الجملة الأولى — في ذكر سمك أرضه وحدوده...
٢١٣	» الثانية — فيما أشتمل عليه من المدن؛ ويشتمل على عدة قواعد...
٢١٣	القاعدة الأولى — غرناطة...
٢٢٢	» الثانية — أشبونة...
٢٢٣	» الثالثة — بطليوس...
٢٢٥	» الرابعة — إشبيلية...
٢٢٦	» الخامسة — قرطبة...
٢٢٧	» السادسة — طليطلة...
٢٢٩	» السابعة — جيان...
٢٣٠	» الثامنة — مرسية...
٢٣١	» التاسعة — بلنسية...
٢٣٢	» العاشرة — سرقسطة...
٢٣٣	» الحادية عشرة — طرطوشة...
٢٣٣	» الثانية عشرة — برشونة...
٢٣٤	» الثالثة عشرة — يبلونة...

صفحة	
٢٣٤	الجملة الثالثة --- في ذكر أنهارها
٢٣٦	» الرابعة --- في الموجود بالأندلس
٢٣٦	» الخامسة --- في ذكر ملوك الأندلس باوهم على طبقات
٢٣٦	الطقة الأولى --- ملوكها بعد الطوفان
٢٣٧	» الثانية --- الاشبانية
٢٣٨	» الثالثة --- الشبونات
٢٣٨	» الرابعة --- القوط
٢٤١	» الخامسة --- ملوكها على أثر الفتح الإسلامي
٢٤٤	» السادسة --- بنو أمية
٢٤٧	» السابعة --- ملوك بني حمود من الأدارسة
٢٤٨	» الثامنة --- ملوك الطوائف بالأندلس
٢٥٨	الطائفة (وصوابه الطبقة) التاسعة ملوك المرابطين من لتونة
٢٦٠	» () العاشرة بنو الأحمر
٢٧٠	مملكة قشتالة
٢٧٠	» البرتغال
٢٧٠	» برشلونة
٢٧١	» نبرة مما يلي قشتالة
٢٧١	الجملة السادسة --- في ترتيب هذه المملكة (مملكة الأندلس)
	الفصل الثالث -- (أى من الباب الرابع) من المقالة الثانية في الجهة
	الجنوبية عن مملكة الديار المصرية : من مصر والشام
٢٧٣	والحجاز ومضافاتها والمشهور منها ست ممالك

صفحة	
٢٧٣	الملكة الأولى — بلاد البجا
٢٧٥	» الثانية — » النوبة
٢٧٩	» الثالثة — » البرنو
٢٨٠	» الرابعة — » الكانم
٢٨٢	» الخامسة — » مالى ومضافاتها وفيها ثمان جمل
٢٨٢	الجملة الأولى — فى ذكر أقاليمها ومدنها
٢٨٧	» الثانية — فى الموجود بهذه المملكة
٢٩٢	» الثالثة — فى معاملة هذه المملكة
٢٩٢	» الرابعة — فى ذكر ملوك هذه المملكة
٢٩٨	» الخامسة — فى أرباب الوظائف بهذه المملكة
٢٩٩	» السادسة — فى عساكر سلطان هذه المملكة وأرزاقهم
٢٩٩	» السابعة — فى زى أهل هذه المملكة
٣٠٠	» الثامنة — فى ترتيب هذه المملكة
	الملكة السادسة — من ممالك بلاد السودان مملكة الحبشة
٣٠٢	وهى على قسمين
٣٠٣	القسم الأول — بلاد النمرانية ويشتمل على ست جمل
٣٠٤	الجملة الأولى — فى ذكر قواعدها
٣٠٤	» الثانية — فى الموجود بها
٣٠٧	» الثالثة — فى ذكر معاملاتهم وأسعار بلادهم
٣٠٧	» الرابعة — » زعيمهم وسلاحهم
	» الخامسة — » بطارقة الإسكندرية الذين عن توليتهم تنشأ
٣٠٨	ولاية ملوك الحبشة

صفحة

- الجملة السادسة — في ترتيب مملكتهم ... ٣٢٣
- القسم الثاني — من بلاد الحبشة ما بيد مساهى الحبشة؛ ويشتمل على ست جمل ... ٣٢٤
- الجملة الأولى — فيما أشتملت عليه من القواعد والأعمال ... ٣٢٥
- » الثانية — في الموجود بهذه الممالك (أى ممالك السودان) ... ٣٢٩
- » الثالثة — في معاملاتهم وأسعارهم ... ٣٣١
- » الرابعة — في ملوكهم ... ٣٣٢
- » الخامسة — في زى أهل هذه المملكة ... ٣٣٣
- » السادسة — في شعار الملك وترتيبه ... ٣٣٤
- الفصل الرابع — من الباب الرابع من المقالة الثانية في الجهة الشمالية عن ممالك الديار المصرية ومضافاتها خلا ما تقدم ذكره؛ وينقسم إلى قسمين ... ٣٣٨
- القسم الأول — ما بيد المسلمين مما في شرق الخايج الفسطنطينى فيما بينه وبين أرمينية وهى البلاد المعروفة ببلاد الروم؛ وفيه خمس جمل ... ٣٣٨
- الجملة الأولى — فيما أشتملت عليه من القواعد؛ وهى على ضربين ... ٣٤٠
- الضرب الأول — القواعد المستقرّة بها الملوك والحكام ... ٣٤٠
- » الثانى — من هذه البلاد ما لم يسبق إلى صاحبه مكتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية ... ٣٤٩
- الجملة الثانية — في ذكر الموجود بهذه البلاد ... ٣٥٦
- » الثالثة — في معاملاتها وأسعارها ... ٣٥٧

صفحة

- الجملة الرابعة — فى ذكر من ملك هذه البلاد ؛ وأشهر من ملوكهم
طوائف ... ٣٥٨
- الطائفة الأولى — أولاد قرمان ... ٣٦٥
- » الثانية — بنو الحميد ... ٣٦٦
- » الثالثة — بنو أيدى ... ٣٦٧
- » الرابعة — بنو منتشا ... ٣٦٧
- » الخامسة — بنو أورخان بن عثمان جق ... ٣٦٧
- الجملة الخامسة — فى زى أهل هذه المملكة وترتيب الملك بها ... ٣٦٩
- القسم الثانى — من الجهة الشمالية عن الديار المصرية ما بيد ملوك
النصارى ؛ وهو ثلاثة أضرب ... ٣٦٩
- الضرب الأول — جزائر بحر الروم ... ٣٦٩
- » الثانى — ما شمالى بحر الروم ؛ وهو جهتان ... ٣٧٦
- الجهة الأولى — ما هو فى جهة الغرب عن الخليج القسطنطينى ؛
وهو قطران ... ٣٧٦
- القطر الأول — ما بين الخليج المذكور وبين جزيرة الأندلس ؛ ويشتمل
على ممالك كبار وممالك صغار ... ٣٧٦
- المملكة الأولى — (من الممالك الكبار) ملكة القسطنطينية ؛
وملوكها طبقات ... ٣٧٦
- الطبقة الأولى — من ملك منهم قبل القياصرة ... ٣٨٢
- » الثانية — القياصرة قبل ظهور النصرانية فيهم ... ٣٨٤

الطبقة الثالثة — القياصرة المنتصرة إلى الفتح الإسلامي	٣٩٢
» الرابعة — ملوك الروم بعد الفتح الإسلامي	٣٩٧
المملكة الثانية — مملكة الألمان	٤٠٣
» الثالثة — مملكة البنادقة	٤٠٤
» الرابعة — » الجنوئين	٤٠٥
» الخامسة — بلاد رومية	٤٠٦
المملكة الأولى — (من الممالك الصغار) مملكة المرا	٤٠٩
» الثانية — بلاد الملفجوط	٤٠٩
» الثالثة — بلاد إقطنس	٤١٠
» الرابعة — مملكة بولية	٤١٠
» الخامسة — بلاد قلقرية	٤١٠
» السادسة — بلاد التسقان	٤١١
» السابعة — بلاد البيازنة	٤١١
القطر الثاني — مما غربي الخليج القسطنطيني الأرض الكبيرة بـ	
وفيه ثلاث ممالك	٤١٢
المملكة الأولى — مملكة الفرنج القديمة	٤١٢
» الثانية — » الجلالقة	٤١٤
» الثالثة — » اللبردية	٤١٥
الجهة الثانية — ما شمالي مدينة القسطنطينية وبحر نيطش الخ	٤١٦

المقالة الثالثة

- في ذكر أمور تشترك فيها أنواع المكاتب والولايات؛ وفيها أربعة أبواب ... ٤٢٣^٢
- الباب الأول — في الأسماء والكنى والألقاب؛ وفيه فصلان ... ٤٢٣
- الفصل الأول — في الأسماء والكنى؛ وفيه طرفان ... ٤٢٣
- الطرف الأول — في الأسماء؛ وفيه جملتان ... ٤٢٣
- الجملة الأولى — في أصل التسمية والمقصود منها وتنوع الأسماء
وما يستحسن منها وما يستقبح ... ٤٢٤
- « الثانية — في مواضع ذكر الأسماء في المكاتب والولايات؛
وفيها أربعة أنواع ... ٤٢٧
- النوع الأول — اسم المكتوب عنه ... ٤٢٧
- « الثاني — » إليه ... ٤٢٨
- « الثالث — » بسببه ... ٤٢٩
- « الرابع — » من تصدر إليه الولاية ... ٤٣٠
- الطرف الثاني — في الكنى؛ وفيه ثلاث جمل ... ٤٣٠
- الجملة الأولى — في جواز الكنية؛ وهي على نوعين ... ٤٣١
- النوع الأول — كنى المسلمين ... ٤٣١
- « الثاني — كنى أهل الكفر والفسقة والمبتدعين ... ٤٣٢
- الجملة الثانية — فيما يكنى به؛ وهو على نوعين ... ٤٣٣
- النوع الأول — كنى الرجال ... ٤٣٣
- « الثاني — كنى النساء ... ٤٣٥

الجملة الثالثة -- في التكني في المكاتبات والولايات به وهو على ثلاثة أنواع	٤٣٦
النوع الأول -- تكني المكتوب عنه	٤٣٦
« الثاني -- تكنية المكتوب إليه	٤٣٧
« الثالث -- »	٤٣٧
الفصل الثاني -- من الباب الأول من المقالة الثالثة في الألقاب وفيه طرفان	٤٣٨
الطرف الأول -- في اصول الألقاب به وفيه جملتان	٤٣٨
الجملة الأولى -- في معنى اللقب والنعت وما يجوز منه وما يمتنع	٤٣٨
« الثانية -- في أصل وضع الألقاب والنعت المؤدية إلى المدح ...	٤٤٠
الطرف الثاني -- في بيان معاني الألقاب به وفيه تسع جمل	٤٤٤
الجملة الأولى -- في الألقاب الخاصة بأرباب الوظائف المعبرة التي بها انتظام أمور المملكة وقوامها به وهي قسمان	٤٤٤
القسم الأول -- الألقاب الإسلامية به وهي نوعان	٤٤٤
النوع الأول -- « القديمة المتداولة الحكم إلى زمان المؤلف به وهي صنفان	٤٤٤
الصنف الأول -- ألقاب أرباب السيوف	٤٤٤
« الثاني -- » أرباب الأقلام	٤٥١
النوع الثاني -- الألقاب المحدثه به وهي أربعة أصناف	٥٥٣
الصنف الأول -- المفردة به وهي ضربان	٥٥٣
الضرب الأول -- مالفظة عربي	٤٥٣
« الثاني -- » محمى	٤٥٤

الصفحة	
الصفيف الثاني — المركبة ؛ وهى ثلاثة أضرب	٤٥٥
الضرب الأول — ما تمحض تركيبه من اللفظ العربى	٤٥٥
» الثاني — » » » العجمى ؛ ولهذا الضرب	
حالتان	٤٥٦
الحالة الأولى — أن تكون الإضافة إلى لفظ دار	٤٥٧
» الثانية — » » إلى غير لفظ دار	٤٦٠
الضرب الثالث — ما تركب من لفظ عربى ولفظ عجمى ؛ وله حالتان	٤٦١
الحالة الأولى — أن يصدر بلفظ أمير	٤٦١
» الثانية — أن لا يصدر اللقب بلفظ أمير	٤٦٢
الصفيف الثانى — ألقاب أرباب الأقلام ؛ وهى على خمسة أضرب	٤٦٣
الضرب الأول — » » الوظائف من العلماء	٤٦٣
» الثاني — » » الكتاب	٤٦٤
» الثالث — ألقاب أرباب الوظائف من كتاب الأموال	٤٦٥
» الرابع — » » » من أهل الصناعات	٤٦٧
» الخامس — » » » من الأتباع والحواشى	
والخدم ؛ وهم طائفتان	٤٦٨
الطائفة الأولى — الأعوان، وهم نمطان	٤٦٨
النمط الأول — ما تمحضت ألفاظه عربية	٤٦٨
» الثاني — ما تمحض لفظه عجميا	٤٦٨
الطائفة الثانية — أرباب الخدم ؛ وهم نمطان	٤٦٩
النمط الأول — ما يضاف إلى لفظ الدار	٤٦٩
» الثاني — ما لا يتقيد بالاضافة إلى دار ولا غيرها	٤٧٠

- القسم الثاني — من ألقاب أرباب الوظائف ألقاب أرباب الوظائف صفحة
- من أهل الكفر؛ والمشهور منهم طائفتان ... ٤٧٢
- الطائفة الأولى — النصارى ... ٤٧٢
- » الثانية — اليهود ... ٤٧٤
- الجملة الثانية — في ذكر الألقاب المرتبة على الأصول العظام؛ وهى نوعان ٤٧٥
- النوع الأول — ألقاب الخلفاء المرتبة على لقب الخليفة؛ وهى صنفان ٤٧٥
- الصنف الأول — ماجرى منها مجرى العموم ... ٤٧٥
- » الثاني — ألقاب الخلافة الخاصة بكل خليفة؛ وهى خمس طوائف ٤٧٧
- الطائفة الأولى — خلفاء بنى العباس ... ٤٧٧
- » الثانية — خلفاء بنى أمية بالأندلس ... ٤٧٨
- » الثالثة — الخلفاء الفاطميون ببلاد الغرب ثم بالديار المصرية ٤٧٨
- » الرابعة — الخلفاء الموحدون الذين ملوك إفريقية بتونس من بقاياهم على عهد المؤلف ... ٤٧٩
- » الخامسة — جماعة من ملوك الغرب من لا شبهة لهم فى دعوى الخلافة ... ٤٧٩
- النوع الثانى — ألقاب الملوك المختصة بالملك؛ وهى صنفان ... ٤٨٠
- الصنف الأول — الألقاب العامة؛ وهى ضربان ... ٤٨٠
- الضرب الأول — الألقاب القديمة؛ والمشهور منها ألقاب ست طوائف ٤٨٠
- الطائفة الأولى — التبابعة ملوك اليمن ... ٤٨٠
- » الثانية — ملوك الفرس ... ٤٨١
- » الثالثة — مصر من بعد الطوفان من القبط ... ٤٨٢

صفحة

الطائفة الرابعة — ملوك الروم ٤٨٢

» الخامسة — » الكنعانيين بالشام ٤٨٣

» السادسة — » الحبشة ٤٨٣

الضرب الثانى — الألقاب المستحدثة ؛ والمشهور منها ألقاب

ست طوائف ٤٨٤

الطائفة الاولى — ملوك فرغانة ٤٨٤

» الثانية — » أشروسنه ٤٨٤

» الثالثة — » الجلائقة ٤٨٤

» الرابعة — » فرنسة ٤٨٥

» الخامسة — » البندقية ٤٨٥

» السادسة — » الحبشة فى زماننا ٤٨٥

الصنف الثانى — من النوع الثانى الألقاب الخاصة ٤٨٦

الجملة الثالثة — فى الألقاب المفترعة على الأسماء ؛ وهى أربعة أنواع ٤٨٨

النوع الأول — ألقاب أرباب السيوف ؛ وهم صنفان ٤٨٨

الصنف الأول — ألقاب الجند من الترك ومن فى معنائهم ٤٨٨

» الثانى — » الخدام الحصيان ٤٨٩

النوع الثانى — ألقاب أرباب الأقلام ؛ وهى على صنفين ٤٨٩

الصنف الأول — ألقاب القضاة والعلماء ٤٨٩

» الثانى — » الكتاب من القبط ٤٩٠

النوع الثالث — ألقاب عامة الناس من التجار والعلماء السلطانية ونحوها ٤٩٠

» الرابع — » أهل الذمة من الكتاب والصيارف ٤٩٠

الجملة الرابعة — في أصل وضع الألقاب الجارية بين الكتاب ثم انتهاءها	صفحة
إلى غاية التعظيم ومجاوزتها الحد في التكثير	٤٩١
» الخامسة — في بيان الألقاب الأصول، وذكر معانيها وأشتقاقها،	
وهي صنفان	٤٩٣
الصنف الأول — ما يقع في المكاتبات والولايات	٤٩٣
» الثاني — من الألقاب الأصول ما يختص بالمكاتبات دون	
الولايات	٥٠٠
الجملة السادسة — في بيان الألقاب المفردة على الأصول المتقدمة،	
وفيها مهيعان	٥٠٣
المهيع الأول — في بيان أقسامها، وهي على نوعين	٥٠٣
النوع الأول — المفردة، وهي صنفان	٥٠٣
الصنف الأول — المجردة عن ياء النسب	٥٠٣
» الثاني — الملحق بها ياء النسب	٥٠٣
النوع الثاني — المركبة	٥٠٥

استلفات للقارئ — وقع في ص ٣٣ من ٦ من هذا الجزء بياض وحقيقته كما ذكره في "بغية المستفيد"
(وولي بعده ابنه الملك الناصر أحمد ابن الملك الأشرف الخ)

(تم فهرست الجزء الخامس من كتاب صبح الأعشى)